صَحِيحُ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ

مؤلف جامع للسيرة النبوية الشريفة، مرتب حسب الوقائع والأحداث
اقتصر فيه مؤلفه على الأحاديث الصحيحة، مذيل بفهارس مفصلة

ابراهيم العلي

تقديم
د. عمر سليمان الأشقر

راجعه
د. همام سعيد

دار النفائس










مؤلف جامع للسيرة النبوية الشريفة، مرتب حسب الوقائع والأحداث
اقتصر فيه مؤلفه على الأحاديث الصحيحة، مذيل بفهارس سهلة

إبراهيم العلي

تقديم
د. عمر سليمان الأشقر

راجعه
د. همام سعيد



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الأردن

صَحِيحُ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

الطبعة الاولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م



دار النفائس
للنشر والتوزيع

العبدلي - مقابل عمارة جوهرة القدس
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩
ص.ب : ٢١١٥١١ عمان ١١١٢١ الأردن

تابع رابعة

ومقال

كلمة مقدم الكتاب

د. عمر سليمان الأشقر

الحمدلله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وعلى من سار على دربه واتبع هداه ، وبعد:

فقد فاجأني الشيخ إبراهيم العلي كثيراً وسرني كثيراً عندما أخبرني أنّه أنهى مشروعه في جمع صحيح السيرة النبوية من كتب السنة النبوية .

وكان عظم المفاجأة وعظيم السرور لأن إتمام مشروع صحيح السيرة كان أملاً لطلبة العلم والعلماء ، فإن السيرة النبوية الينبوع الثرّ الذي تستقي منه الأجيال ، وتتربى عليه ، وتستلهم منه الهداية والرشد ، ويعتمد عليه العلماء والدعاة والوعاظ .

وطالما هششنا وفرحنا عندما كان يبلغنا أن فلاناً من أهل العلم عازم على إخراج هذا العمل والقيام به ، أو أن فلاناً بدأ هذا العمل ومضى فيه ، ولكن مضى وقت طويل قبل أن يتحقق الأمل ، ويخرج هذا العمل إلى حيز الوجود ، وفي حدود علمي فإن باحثاً واحداً من المعاصرين سبق الشيخ إبراهيم العلي إلى مثل عمله الذي نقدم له .

إن كتب السنة النبوية تحوي كمًّا هائلاً من سيرة المصطفى ، والمعلومات المبثوثة في كتب السنة تمتاز بالدقة والوضوح ، وقد استطاع الباحث في هذا المؤلف أن يجمع شتات هذا الكم الكبير من مرويات السيرة النبوية ، كما نجح في التأليف بين هذه المرويات بتقسيمها إلى موضوعات متناسقة ، والميزة الكبرى لهذا المؤلف أنه

اقتصر فيه على الصحيح من الروايات ، وابتعد عن الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، التي جعلت بعض أحداث السيرة شبيهة بالخرافة والأسطورة».

إن تنقية السيرة مما شابها واجب كفائي مناط بالعلماء ، فالمسلمون كانوا وما يزالون يرجعون إلى كتب السير ، وفيها الصحيح والضعيف والموضوع ، ويأخذون تلك الروايات أخذ المصدق بها المذعن لها ، ونتج عن هذا أن ينسب إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله ولم يفعله ، ولم يحدث في زمانه .

وانتشرت روايات السيرة التي ضمتها كتب السيرة صحيحة وضعيفة في مؤلفات العلماء ، وحدث بها الدعاة والوعاظ ، واستدل بها العوام وطلبة العلم ، وكل هذا أحدث خللاً كبيراً عند هؤلاء جميعاً ، ومن هنا كانت الحاجة كبيرة وملحة لتنقية السيرة مما شابها ، تصحيحاً للمسار ، ونصحاً لله ولرسوله والمؤمنين ، وإعانة للعلماء وطلبة العلم والدعاة والوعاظ ، فجزى الله المؤلف خير جزائه ، وأثابه على حسن صنيعه ، ووفقه في طبعات قادمة إلى أن يستكمل ما فاته من صحيح الروايات ، وتسديد ما لم يصب فيه ، فالنقص من طبيعة البشر ، وسعي المرء إلى بلوغ الكمال هو المقدور المستطاع .

وقد أذن لي المؤلف جزاه الله خيراً في إجراء ما أراه مناسباً ، «فقسمت موضوعات الكتاب إلى أواب وفصول ومباحث وعدلت في العناوين التي وضعها المؤلف وصوبت الأخطاء التي وقعت عليها العين وأدركها العقل ، خدمة لكتاب يبحث في سيرة الرسول ﷺ» ولا يفوتني في هذه المقدمة أن أنوه بباعث الفكرة وغارسها وراعيها حتى أينعت وأثمرت ، فضيلة الشيخ الدكتور همام سعيد ، فالدال على الخير كفاعله .

نفع الله بهذا السفر عباده في كل مكان ، والحمدلله رب العالمين .

د. عمر سليمان الأشقر

كلية الشريعة ـ الجامعة الأردنية

عمان ـ الأردن

كلمة مراجع الكتاب

إن الحمدلله ، نحمده تعالى ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صلّ على محمد ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً ، وبعد:

فقد جاء كتاب صحيح السيرة النبوية ثمرة معاناة يشعر بها دارس السيرة النبوية ومدرسها عندما يرواح بين منهجين: منهج المؤرخين ورواة السير ، ومنهج المحدثين.

فقد عرف عن المؤرخين وأصحاب السير التساهل في الرواية حيث يذكرون الأخبار الضعيفة والمنقطعة ، مراعاة لإكمال الصورة التاريخية المتصلة الأحداث ، بينما اتبع المحدثون منهج النقد الذي يميز الروايات الصحيحة من غيرها ، ولو أدى الأمر إلى بتر الصورة التاريخية ، وإن سلم منها أجزاء غير مكتملة .

وكنت أتمنى أن أجد الوقت لاستقراء كتب الحديث وجمع مرويات السيرة فيها ، وترتيبها على نسق كتب السير وفق التتابع الزمني .

ولقد نقلت هذه الفكرة إلى تلميذي وأخي الشيخ إبراهيم العلي ، الذي صحبني سنوات عديدة صحبة الباحث الشغوف بطلب العلم ، وكان يعرض عليّ انجازه في

هذا المضمار ، وكان حفظه الله يستجيب للملاحظات والإضافات ، فجاء هذا الجهد بعد سنوات طوال من العمل والجهد والمثابرة ، فجمع الشوارد من أخبار السيرة مع ذكر الأحكام الحديثية على كثير من هذه الأحاديث ، وبيان غريبها ، ويمكنني القول بأن هذا الجهد سيكون إحدى البدايات المهمة في كتابة السيرة من وجهة نظر المحدثين .

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا الجهد جهداً خالصاً لوجهه ، وأن يكون نافعاً لطلاب العلم ، وأن ينفع صاحبه وقارئه .

والحمدلله رب العالمين

الدكتور همام عبدالرحيم سعيد
استاذ الحديث في كلية الشريعة بالجامعة الأردنية سابقاً

مقدمة المحقق

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد أن لا اله إلا الله ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد ؛

فالتاريخ الإسلامي يتميز بميزة خاصة عن بقية تاريخ الأمم ، إذ أن كل شيء مهما بلغ من شأن يظل دائما مرتبطا بنقطة البداية التي انطلق منها أولا.

ونقطة البداية في التاريخ الإسلامي مرتبطة بحياة نبي الإسلام وسيرته، فسيرة النبي ﷺ هي المدخل الطبيعي لدراسة تاريخ الاسلام ، وبقدرما يحيط الدارس علما بهذه السيرة ، ويفهم اسرارها واخبارها بقدر ما يستطيع ان يفهم التاريخ الإسلامي في جميع مراحله في كل زمان ومكان.

وأضرب مثلا لتوضيح هذا الأمر: فشخصية النبي محمد ﷺ الفذة لاتقاس بالانجازات التي تمت في عصره فقط ، ولكن بما نتج عن هذه الانجازات وما تحقق بعده ، بقيام الفتوحات الكبرى التي تمت في عهد الخلفاء ، وتأسيس دولة الاسلام العظمى الممتدة من حدود الصين شرقا إلى جبال فرنسا غربا .

ولقد كان اثر هذا وما زال كبيراً للغاية على البشر وحضاراتهم وثقافاتهم واوضاعهم الاجتماعية والعقدية والسياسية والحربية .

ولقد بنى النبي محمد ﷺ أمة جديدة ، فتربية محمد ﷺ تظهر جلية واضحة في أستاذيته حين أخرج العرب المزقين الغارقين في ظلام الجهل، وعبادة غير الله، إلى نور التوحيد الذي جمعهم به بعد تمزق ، ووحدهم به بعد تفرق ، وأخرج من هذه الأمة قادة عظاماً ، وجعل من الانسان المسلم متحضراً بعقله وايمانه وحسن أخلاقه ومثله وامانته ، لقد صبر النبي ﷺ على تربية أصحابه حتى هيأ

مجموعة من الناس عندهم القدرة على إدارة الدولة الكبرى التي ستقام بعد وفاته .

إن الدارس والمتعرف على الاسلام وتاريخه وحضارته ، بشكل علمي ونزيه ، سيلاحظ بكل إكبار وإعجاب التأثير البالغ لمحمد عليه الصلاة والسلام في كل خلجة وحركة تمت في تاريخ المسلمين ، وسيسلم بداهة ـ مع الاخذ بعين الاعتبار والتقدير تفاوت الأزمان والنوايا والإخلاص مع درجة الفهم - ان المحرض الاساس المسبب لكل حادث في هذا التاريخ هو الاسلام ، وان كل شيء قام بعد قيام الاسلام ، إنما قام باسمه وبسببه .

وما دامت سيرة محمد ﷺ مفتاحا للتاريخ الاسلامي فهي أجدر العلوم بالاهتمام والتوثيق لتقديمها في أنصع صورة وأجملها ، في وقت كثرت فيه الدعوات الأرضية ، واشتد فيه الظلام وظهر الباطل على الحق ظهورا آنيا، وسيطرت المادية على الانسان فغيرت كثيرا من قيمه وجعلته لايستقر على حال ، وحتى يجد الإنسان في سيرة هذا النبي السلوك المثالي الذي تتساقط عنده دعاوى المغرضين والزائفين ، ولعله يجد فيها الصورة المشرقة الحية للإنسانية الحقة ، وليجد فيها الصورة المشرقة للإنسان الذي يمارس إنسانيته بكل أبعادها ، ويتفاعل مع الواقع بكل معطياته ، وليدرك الانسان أيضا إن محمدا ﷺ الذي وصل إلى قمة الكمال الإنساني كان في كل أحواله غير بعيد عن بشريته ، بل عاش مشاعر هذه البشرية، شابا مستقيما في سلوكه ، داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأبا حانياً، وزوجاً مثالياً ، وقائداً حربياً ، فقيراً وغنياً ، إماماً وحكماً مسلماً جامعاً بين العبادة والتبتل لربه ، والمعاشرة لأهله وأصحابه .

وإذا كانت هذه الدراسة للسيرة ضرورية للانسان بشكل عام ، فانها اشد ضرورة للانسان المسلم المعذب الحائر بين القيم التي تغزو عقله وفكره ومجتمعه ، لأن السيرة إنما هي تجسيد حي لتعاليم الإسلام كما أرادها الله أن تطبق في عالم الواقع ، لأن تعاليم الاسلام إنما أنزلت لتطبق في واقع الانسان ومجتمعه ، هذه الأوامر والتعاليم هي التي ينشأ الانسان في ظلها في بحبوحة من العيش ، واعتراف كامل بانسانيته حيث تهديه هذه التعاليم في كل جانب من جوانب حياته وترشده إلى ما فيه خيره وصلاحه .

ومحمد ﷺ هو الذي كان يجسد تعاليم الإسلام في كل حادثة وظرف في شخصه حتى يكون قدوة لأصحابه ولمن يأتون بعده ﴿لقد كان لكم في رسول الله

اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا ﴾ .

من اجل كل ما سبق ذكره كانت هذه الدراسة التوثيقية عن سيرته ﷺ من خلال مصدر رئيسي من مصادر السيرة ، هذا المصدر هو كتب الحديث ومصنفاته التي عرضت جوانب كبيرة من سيرته العطرة ﷺ .

مصادر السيرة النبوية المطهرة :

إن كل من كتب في السيرة النبوية اعتمد في كتابته على مصدر أو أكثر من المصادر التالية:

١ - القرآن الكريم .

٢ - كتب الحديث ومصنفاته .

٣ - كتب المغازي والسير والدلائل والشمائل .

٤ - كتب الأدب واللغة والشعر .

ولقد اعتمدتُ في جمع هذه الدراسة على المصدر الثاني كمصدر رئيسي وأصيل في كل الأحداث . وعلى المصدر الثالث حين يتعذر عليّ أن أجد في كتب الحديث ومصنفاته ما يسد ثغرة الحديث الذي أبحث عنه.

قاعدة : ماجاء في كتب الحديث الصحيحة من روايات للسيرة مقدمٌ على ما جاءَ في كتب المغازي :

إن المطلوب هو اعتماد الروايات الصحيحة وتقديمها في بناء الصورة الناصعة لسيرة النبي ﷺ ، ثم الروايات الحسنة ، ثم ما يعضدها من الضعيف ، وعند التعارض يقدم الأقوى دائما ، أما الروايات الضعيفة فيمكن الاعتماد عليها في اثبات حوادث تاريخية لاينبني عليها أي حكم شرعي أو أمر في جانب العقيدة ، لأن الأحكام الشرعية والأمور العقدية لاتثبت الا بالأحاديث الصحيحة .

ان السيرة النبوية مليئة بالاحكام الشرعية والتي يستفاد منها في كثير من جوانب الحياة ، ولذا فيجب ان تكون ثابته بالاحاديث الصحيحة حتى يعتمد عليها ، وكتب الحديث تحتوي على مادة السيرة الموثقة حسب منهج المحدثين ، فلذلك يجب الاعتماد عليها وتقديمها على روايات كتب المغازي والسير والتواريخ العامة ،

وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة ، لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سندا ومتنا ، هذا النقد والتدقيق الذي حظي به الحديث لم تحظ به الكتب التاريخية ، والمعلوم ان للمحدثين مناهج وطرقاً في نقد الأحاديث ومعرفة الصحيح من الضعيف من حيث التدقيق في عدالة الرواة الذين رووا الأحاديث أو أي حادثة من الحوادث التي يعتمدونها ، ويشترطون في الرواة شروطا محددة لابد من توفرها حتى تثبت عدالة الرواة فتصح روايتهم .

وهذه الشروط لا تتوفر في مناهج المؤرخين في رواياتهم التاريخية فهم يتساهلون في تعاملهم مع الروايات التاريخية ، ولذلك نجدهم يروون عن رواة لم تثبت عدالتهم عند المحدثين من امثال الكلبي ، وسيف بن عمر التميمي والواقدي وغيرهم من الضعفاء عند المحدثين .

لذلك فقد اعتمدت هذه الدراسة على أصح الروايات ، ومصنفات الحديث تحتوي على ثروة كبيرة من الأحاديث الصحيحة تكوّن عند قارئها صورة كاملة من سيرة النبي ﷺ ، لذلك كنت اقدم الرواية الموجودة في كتب الحديث على الرواية الموجودة في كتب المغازي والسير ومافي الصحيح أصح .

ضرورة الإسناد في قبول الرواية التاريخية وخاصة في روايات السيرة النبوية

الإسناد لابد منه في كل أمر من أمور الدين ، وعليه الاعتماد في الأحاديث النبوية وفي الاحكام الشرعية وفي المناقب والفضائل والمغازي والسير ، وغير ذلك من امور الدين المتين والشرع المبين ، فشيء من هذه الأمور لاينبغي عليه الاعتماد، ما لم يتاكد بالإسناد لاسيما بعد القرون المشهود لها بالخير .

والإسناد :- هو سلسلة الرواة إلى المتن ، **والمتن** : ماينتهى إليه من الكلام .

وقد شدد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم ، على ضرورة الإسناد ، وأنه مطلوب في الدين ، وأنه من خصائص أمة الإسلام .

أخرج مسلم في مقدمة صحيحه «١/٨٧» عن عبدالله بن المبارك قوله: « الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء » .

وعن ابن المبارك أيضا قال : « مثل الذي يطلب أمر دينه بلا إسناد كمثل الذي يرتقي السطح بلا سلم » ذكره الخطيب البغدادي في كتابه الكفاية ص « ٣٩٣ » .

ولهذا وصف الامام الشافعي الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب الليل» يقول رحمه الله :

« مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب الليل » جاء هذا في شرح المواهب اللدنية «٥/٤٥٣» .

وحاطب الليل لايعمل على بصيرة من أمره ، وانما يسير على غير هدى ، فلا يدري ما الذي يجمعه ، وهذا الامر كان موجودا في رواة الامم السابقة الذين كانوا يفتقدون الأمانة في النقل ، وينقلون الأحداث بلا إسناد ، وإذا كان هذا الأمر مقبولا عند الامم السابقة ، فانه لايقبل في تاريخ أمتنا التي ميزها الله عزّ وجلّ بميزة نقل الثقات عن الثقات ، حتى الوصول إلى تاريخ الحدث والذين شاهدوه مشاهدة عيانية .

جاء في خلاصة الطيبي « ص٥٥ »: « الإسناد خصيصة هذه الأمة ، وسنة من السنن البالغة ، وطلب العلو فيه سنة أيضا ولذلك استحبت فيه الرحلة » .

ولو قايسنا تاريخ أمة الاسلام بتاريخ الأمم الأخرى مثل اليهود والنصارى في النقل عن أنبيائهم لوجدنا فرقا واضحا وجلياً ، يقول ابن حزم الظاهري في كتابه «الفصل في الملل والاهواء والنحل » « ٢/ ٨١-٨٢ »:

« نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال ، خص الله به المسلمين دون سائر الملل ، وأما مع الارسال والاعضال فيوجد في كثير من اليهود ، ولكن لايقربون فيه من موسى قربنا من محمد ﷺ ، بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى اكثر من ثلاثين عصراً ، وانما يبلغون إلى شمعون ونحوه » ثم يقول : «وأما أقوال الصحابة والتابعين فلا يمكن أن يبلغ اليهود إلى صاحب نبي أصلاً ، ولا إلى تابع له ، ولايمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص » .

فاذا كان هذا الأمر مقبولا عند الأمم السابقة في نقلهم للأحداث التاريخية دون ذكر أسانيدها ، أو مجرد التاكد من صحة الحدث أو كذبه ، فإن هذا الأمر لا يقبل ألبتة في أمة الإسلام ، وإن الانسان أو الكاتب الذي يقبل الأحداث التاريخية دون التاكد من وجود أسانيد لها يدخل عند المحدثين في طائفة الزمنى « المرضى » على حد تعبير عبدالله بن طاهر .

جاء عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال : « كان عبدالله بن طاهر إذا سألني عن حديث فذكرته له بلا إسناد ، سألني عن إسناده وقال : رواية الحديث بلا إسناد من عمل الزمنى ، فإن إسناد الحديث كرامة من الله تعالى لأمة محمد ﷺ» شرح المواهب اللدنية للزرقاني « ٥/٤٥٣» .

والاسناد فرض من فروض الكفاية التي لابد منها كما يقول الشيخ علي القاري في شرحه على شرح النخبة «١٩٤» : « أصل الإسناد خصيصة فاضلة من خصائص هذه الامة ، وسنة بالغة من السنن المؤكدة ، بل من فروض الكفاية وطلب العلو فيه أمر مطلوب وشأن مرغوب ».

وقد اهتمت كتب ومصنفات الحديث عظيم الاهتمام بالأسانيد واتصالها وعدالة رجالها ، وجاءت مادة السيرة من مضمون هذه الكتب والمصنفات الحديثية بنفس الطرق والأسانيد الموثقة التي جاءت بها الأحكام الشرعية في الفقه والعبادات والمعاملات وغيرها من محتوى كتب الحديث .

إن أهمية الإسناد في نقل الروايات التاريخية وخاصة السيرة النبوية عظيمة ، لا ينكرها إلا غر جاهل ، فلولاه لما تميز الصادق المستقيم عن الأفاك الاثيم ، وإذا كان الإسناد مجموعة من الرجال ، والرجال يعتريهم الخطأ والنسيان والغلط ، واحيانا تعمد الكذب والاختلاق والتزوير والافتراء ، فإن علم الجرح والتعديل قد عرض لكل ما يخطر في البال من هذه الأمور التي تتعلق بأحوال الرواة ، والتي يمكن أن تقدح في صحة الرواية أو الإسناد ، وكما وضع علماء الجرح والتعديل شروطا لصحة وعدالة الرواة في أسانيدهم ، فقد وضعوا شروطا يسبرون من خلالها صحة المتون وعدم شذوذها ، فقد يصح الإسناد الا ان المتن يكون ضعيفا، فلا تعتبر الرواية ، فنشأ من كل هذه الأمور ومجموعها ما يسمى بنقد المتن .

إن الإسناد الصحيح وموازينه الدقيقة يعتبر من المرتكزات الأساسية لتصحيح الخبر والرواية التاريخية ، وليس هناك خبر جاء بإسناد صحيح غير معلول ، لايقبله أو يرفضه الواقع ، اللهم إلا عقول أولئك الذين أغلقوها ووضعوا مفاتيحها في صناديق يملكها اخرون .

أهمية كتب المغازي والسير :

ومع كل الاهتمام بمصادر الحديث ومصنفاته وما تحتويه من ثروة عظيمة من احاديث السيرة فانه لاينبغي التقليل من دور كتب المغازي والسير ، فانها تلي القران الكريم والحديث الشريف ، مما يعطيها قيمة علمية كبيرة ، إن أوائل مصنفات السيرة قد كتب في عصر مبكر ، الصحابة لازال الكثير منهم على قيد الحياة ، والصحابة على علم دقيق وواسع بالسيرة النبوية ، لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، هذا التبكير في الكتابة قلل - إلى حد كبير - من احتمال تعرضها للتحريف أو المبالغة والتهويل أو الضياع .

فسيرة موسى بن عقبة الذي توفي في عام «١٤٠»هـ وهو محدث ثقة من تلاميذ الزهري أثنى الامام مالك رحمه الله تعالى على كتابة السيرة النبوية واعتبره أصح كتاب في المغازي يقول رحمه الله « عليكم بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فانها أصح المغازي » ، « سير اعلام النبلاء: ٦/ ١١٥ » ويقول ايضا: «عليكم بمغازي موسى ، فانه رجل ثقة طلبها على كبر السن ، ليقيد من شهد مع رسول الله ﷺ ، ولم يكثر كما أكثر غيره » .

ويقول الذهبي رحمه الله في سير اعلام النبلاء « ٦/ ١١٦» : « وأما مغازي موسى بن عقبة ، فهي في مجلد ليس بالكبير ، سمعناها وغالبها صحيح ، ومرسل جيد ، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة وتتمة » .

وقال يحيى بن معين : « كتاب موسى بن عقبة عن الزهري أصح هذه الكتب» يعني في المغازي ، أنظر سير اعلام النبلاء «٦/ ١١٧» .

إضافة إلى أهميتها التي ذكرنا ، يضاف إليها ميزة أخرى ، وهي أنها أوردت الكثير من الأحداث والروايات يتقدمها الأسانيد ، ومعظم رواة السيرة هم من الرواة والمحدثين الذين نجد تراجم لهم في كتب الرجال ، وأوضحت هذه الكتب أحوالهم ، وبينت ما قيل فيهم من جرح وتعديل مما يسهل على الباحث معرفة قوة الرواية أو الحدث التاريخي أو ضعف هذا الحدث ، ولذلك جاء اعتمادي على هذه الكتب في الدرجة الثانية ، حين لا أجد الحدث التاريخي في كتب الحديث ومصنفاته .

رابعاً :

منهجي في جمع وتصنيف هذه الدراسة :

قال المؤلف: «وضعت لنفسي خطة في أثناء جمعي لهذه الدراسة الخصها في النقاط التالية :

١- ترتيب الأحداث التاريخية للسيرة النبوية: اعتمدت في ترتيب الأحداث التاريخية للسيرة النبوية على ترتيب إمام المغازي ابن إسحاق لها في مغازيه ، كما أورد ذلك ابن هشام في اختصاره لها كمصدر رئيسي ، إلا إنني قد أخالف ابن إسحاق في ترتيب الأحداث التاريخية حين يثبت لي ما يخالف هذا الترتيب في مصنفات الحديث ، ولتوضيح هذا الأمر أضرب مثلا على ذلك :

غزوة ذات الرقاع جاء في سيرة ابن إسحاق وجماعة من أهل المغازي أنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين ، وذلك في السنة الرابعة للهجرة كما جاء في سيرة ابن هشام «٣/ ١٥١» ، إلا انني رجحت ما جاء في صحيح البخاري أن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر كما في فتح الباري ٧/ ٤١٦ كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ، وأيده في ذلك ابن كثير في سيرته «٣/ ١٦١» ، وابن حجر كما في الفتح «٧/ ٤١٨» ، وابن القيم في زاد المعاد «٣/ ٢٥٣» .

٢- رتبت الأحداث التاريخية تحت عناوين جانبية تسهل على القارئ الوصول إلى ما يريد بسرعة وسهولة .

٣- اعتمدت في نقل نص الحدث التاريخي لفظ الحديث الاكثر فائدة والأجمع للمعاني الغزيرة من خلال انتقاء هذا اللفظ من روايات الحديث الكثيرة ، فبعض هذه الروايات قد يكون مختصرا ، وبعضها مطولا حسب مراد المصنف الذي اورد ذلك اللفظ .

وكنت إذا وجدت هذا اللفظ في صحيح البخاري لم اتعداه إلى غيره من المصنفات ، وإلا فمسلم وأصحاب السنن .

٤- خرَّجت كل الأحاديث التي ذكرتها في هذه الدراسة ، وهي تزيد على التسعمائة حديث ، فما كان في الصحيحين أكتفي بتخريج الحديث منهما ، وقد أزيد في التخريج إذا وجدت سعة من الوقت ، فأخرج الحديث من غيرهما من المصادر .

٥ - ما لم يكن من هذه الروايات في الصحيحين فإني أخرجه من المصنفات الحديثية الأخرى ، وأحكم عليه صحة أو ضعفا بناء على قواعد المحدثين ، هذا إن لم أجد حكما على هذا الحديث لأحد من الأئمة السابقين ، فإذا وجدت ذلك الحكم فإنني أكتفي به ، ولا اتعداه مخالفا له إلا إذا تبين لي غير ذلك الحكم .

٦ - إذا لم أجد الحدث التاريخي في مصادر السنة ، فإني أبحث عنه في كتب المغازي والسير وأبين صحته بناء على قواعد المحدثين .

٧ - في بعض الأحداث التاريخية التي لايثبت بها حكم شرعي والتي لم أجد فيها الامرسل تابعي كنت اثبت ذلك النص المرسل ، وأحكم عليه صحة وضعفا إلى التابعي .

٨ - كنت أذكر الفوائد المستنبطة من بعض الأحاديث كما ذكرها العلماء في شروحاتهم على المصنفات الحديثية .

٩ - كنت أشرح الغريب من الألفاظ الصعبة مما يسهل فهمها على القارئ في غالب الأحيان .)) ،

شكر وتقدير

جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت أبا القاسم يقول :

(لايشكُرُ الله من لا يشكُرُ الناسَ)[1] .

ولذلك انبه على أن نواة هذه الدراسة كانت فكرة من أفكار أستاذي وشيخي الدكتور همام عبدالرحيم سعيد حفظه الله ونفع بعلمه ، فقمت بتنفيذها ، وأعلمت أستاذي بعزمي على القيام بهذا العمل ، فشجعني على الاستمرار ، وما بخل علي بنصحه وتوجيهاته ومكتبته العامرة بالمصادر ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

ولكل من أعانني بكلمة تشجيع أو نصيحة علمية الشكر والتقدير ، سائلاً المولى عزَّ وجلَّ أن يجزيهم عني أحسن الجزاء .

وبعد ، فانني أقدم هذ الدراسة جهدا متواضعا في خدمة السنة النبوية العطرة ، وسيرة النبي محمد ﷺ ، مع علمي بقلة بضاعتي ، ووعورة الطريق ، وكثرة الصعاب ، إلا أن الله أعانني ووفقني لاتمام هذه الدراسة بفضله وتوفيقه ، مع رجائي لكل من قرأ وكان عنده ملاحظة أو نصيحة أو فائده علميه فاتتني أن يرسلها لي ، وله مني كل الشكر ، وأن لايبخل عليّ بارسالها .

وختاماً أسأل الله أن يجعل هذه الدراسة في ميزان أعمالي يوم القيامة يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

والحمد لله رب العالمين .

ابراهيم محمد العلي

عمان ـ الأردن

---

(١) أخرجه البخاري في الادب المفرد رقم : (٢١٨) وأبو داود في الادب ، باب في شكر المعروف رقم : (٤٨١١) ، والترمذي في البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن اليك رقم : (١٩٥٥) ، والطيالسي رقم : (٢٤٩١) ، وأحمد (٢٥٨/٢ ، ٣٠٣ ، ٣٨٨ ، ٤٦١ ، ٤٩٢) ، البيهقي في السنن (١٨٢/٦) والحديث صحيح .

الباب الأول

أحداث ما قبل البعثة

الفصل الأول

نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته في قومه

قال الإمام البخاري رحمه الله: « هو أبو القاسم ، محمد بن عبدالله، بن عبدالمطلب ، بن هاشم ، بن عبدمناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان»[(١)] .

وقال البغوي في شرح السنة بعد ذكر النسب إلى عدنان: « ولا يصح النسب فوق عدنان » [(٢)] .

وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: « إلى هاهنا معلوم الصحة، متفق عليه بين النسابين ، ولا خلاف البتة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا خلاف بينهم أنَّ عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»[(٣)] .

وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته: « الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل » [(٤)] .

وعن عروة بن الزبير أنه قال: « ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا

---

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار: باب مبعث النبي ﷺ فتح الباري: ١٦٢/٧، قبل رقم: ٣٨٥١، شرح السنة: ١٩٣/١٣ ، الذهبي: السيرة النبوية: ص١

(٢) شرح السنة: ١٩٣/١٣

(٣) زاد المعاد: ٧١/١

(٤) ابن سعد: ٥٨/١

قحطان إلا تخرصاً »[1] .

قال الذهبي رحمه الله في كتابه السيرة النبوية: « وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس ، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء »[2] .

أما عن نسبه عليه السلام في قومه فقد كان في خيرهم قبيلة ، وكان أشرَفهم أرومة كما جاء في الصحيح من حديثه عليه الصلاة والسلام:

١ـ فعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني اسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم)[3] .

٢ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه)[4] .

٣ـ ومن حديث عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتى أناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء[5] ، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ . قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ـ قال فما سمعناه ، قط ينتمي قبلها ـ إلا إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ خلق خلقه ، فجعلني من خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلني من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل، فجعلني من خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني من خيرهم بيتاً ، وأنا

---

(١) ابن سعد: ١/ ٥٨

(٢) الذهبي في السيرة النبوية: ص ١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ ، رقم: ٢٧٧٦ ، شرح السنة: ٣٦١٣، والترمذي في سننه ، أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي ﷺ رقم: ٣٦٠٦ وقال حسن صحيح، انظر الفتح الرباني: ٢٠/ ١٧٩ ، وانظر أحمد في المسند: ٤/ ١٠٧ ، والخطيب في تاريخ بغداد: ١٣/ ٦٤

(٤) أخرجه البخاري في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ رقم: (٣٥٥٧) ، وأحمد في المسند: ٥/ ٣٧٣، ٤١٧ وابن سعد: ١/ ٢٥.

(٥) الكباء: الكناسة .

خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً)[1] .

٤ـ ومن حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: (أتيت رسول الله ﷺ في وفد ،ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت: يا رسول الله ! ألستم منا ؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمنا ، ولا ننتفي من أبينا) فكان الأشعث يقول: « لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد »[2].

٥ـ ومن حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين سأله هرقل وقال له:« كيف نسبه فيكم ، قلت: هو فينا ذو نسب » .

وقول هرقل: « وسألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها »[3] .

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي رقم ٣٦٠٧ـ ٣٦٠٨، وأحمد في المسند: ٤/١٦٦ ، من طريق عبدالله بن الحارث بن نوفل به، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦ :«رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح».والحديث صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: ٢٦١٢ ، وأحمد في المسند: ٥/ ٢١١، ٢١٢ من طريق حماد بن سلمة، عن عقيل بن طلحة السلمي، عن مسلم بن هيضم ، عن الأشعث بن قيس به ، وقال البوصيري في الزوائد: إسناد صحيح ، رجاله ثقات ، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال السند على شرط مسلم . قلت: وفي السند قوله: (لا يرون أني أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف ، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه .
لا نقفو أمنا: أي لا نتهمها ، ولا نقذفها

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، حديث رقم: (٧) ، وسيأتي تخريجه في رسائل الرسول إلى الملوك والقياصرة

الفصل الثاني

البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: صفته في التوراة وتبشير اليهود به

٦ـ عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فقلت: « أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: « يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بِفظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً » [(١)] .

٧ـ ومن حديث كعب الأحبار قال: « إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله ، لافظ ولا غليظ ، ولا سَخَّاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبّرونه على كل نجد ، يأتزرون إلى أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، صفُّهم في الصلاة ، وصفُّهم في القتال سواء ، مناديهم ينادي في جو السماء ، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام»[(٢)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع في الأسواق: ٢١٢٥ ، وفي التفسير حديث: ٤٨٣٨ ، وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب المفرد حديث: ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٣٧٤ـ ٣٧٥، من طريق هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار
حرزاً للأميين: حافظاً لهم ، والسخاب: رفع الصوت بالخصام . حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة: ١/ ٤ـ٥ من طريق الأعمش عن أبي صالح قال: قال كعب: ورجاله ثقات، وجاء في دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ٣٧٧ ، عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأحبار ـ وذكر شبيهاً بهذا البيهقي وقد جاء عند الدارمي: ١/ ٦، من طريق معاوية بن صالح عن أبي فروة ، عن ابن عباس ، انه سال كعب الأحبار

٨ ـ ومن حديث سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه: وكان من أصحاب بدر قال: « كان لنا جار من يهود في بني عبدالأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ بيسير ، فوقف على مجلس عبدالأشهل ، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سناً عليَّ بردة مضطجعاً فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت .

فقالوا له: ويحك يا فلان ، ترى هذا كائناً أنَّ الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم ، والذي يحلف به ، وَلَوَدَّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له: ويحك ، وما آية ذلك ؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن.

قالوا: ومتى تراه ؟ قال: فنظر إليَّ ـ وأنا من أحدثهم سناً ـ فقال: إن يستنفد هذا الغلام عمره يدركه » .

قال سلمة: « فوالله ما ذهب الليل والنهار ، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ، وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا: ويلك يا فلان ، ألست بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى: وليس به »[1] .

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٢١٢ من طريق ابن إسحاق ، قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة به ، فصرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبهة التدليس » .
ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤٦٧، والطبراني في الكبير حديث: ٦٣٢٧ ، والبخاري في التاريخ الكبير: ٢/ ٢/ ٦٨ ـ ٦٩ ، وابو نعيم في الدلائل: ١٩١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤١٧ـ٤١٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٧٨ـ ٧٩ وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٣٠. رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » . فالحديث صحيح .
يأسها من بعد انكاسها: يأسها من الاستماع في السماع ، أو استراق السمع بعد أن كانت قد ألفته ، فانقلبت عن الاستراق ، وقد يئست من السماع .
القلاص: جمع قلوص: وهي الفتية من النياق .
جليح: الوقح المكافح بالعداوة .

المبحث الثاني: أخبار الكهان عن بعثته

٩- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إني لأظنه كذا، إلا كان كما يظنُّ.

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل، فقال عمر: « لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية، أو لقد كان كاهنهم، عليَّ الرجل، فدعي له، فقال له ذلك.

فقال: ما رأيت كاليوم استقبل به رجل مسلم. قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني. قال: كنت كاهنهم في الجاهلية. قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق، جاءتني أعرف منها الفزع، فقالت:

ألم تر الجن وإبلاسها ... ويأسها من بعد إنكاسها

ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال: صدق، بينما أنا نائم عند آلهتهم، إذ جاء رجل بعجل فذبحه، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا، ثم نادى: يا جليح، أمر نجيح، رجل فصيح، يقول: لا إله إلا الله. فقمت، فما نشبنا أن قيل: هذا نبي » [1].

١٠- ومن حديث جابر رضي الله عنه قال: « أن أول خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع قال: فأتاها في صورة طير، فوقع على جذع لهم، قال: فقالت: ألا تنزل فنخبرك وتخبرنا، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا، ومنع منا القرار » [2].

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب إسلام عمر: ٣٦٥٣، ومناقب الأنصار: ٣٨٦٦ والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٢٤٨. وابن أبي خيثمة في تاريخه، والروياني في مسنده، كما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة: (٢/ ٩٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٥٦، عن طريق إبراهيم بن أبي العباس أبو المليح، حدثنا عبدالله بن محمد بن عقيل به، وأبو نعيم في الدلائل: ١/ ١٠٧ حديث: ٥٦، وابن سعد في الطبقات: ١/ ١٨٩، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٤٣: رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجاله وثقوا.

المبحث الثالث

تبشير النبيين به وكيف كان أول أمره

١١ـ من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: « قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ » قال: (دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي نوراً أضاءت منه قصور الشام)[١].

١٢ـ ومن حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عندالله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم)[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٦٢ . والطبراني في المعجم الكبير: ٧٧٢٩. والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١٠٢من طريق فرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة .
وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٢ وإسناد أحمد حسن ، وله شواهد تقويه » . قلت: ومن هذه الشواهد الحديث الذي يليه عن العرباض بن ساريه رقم: ١٢ ، وحديث عتبه بن عبدالسلمي برقم: ٢٤ ومن حديث خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر شبيهاً بهذا بزيادة ، أخرجه الحاكم: ٢/ ٦٠٠ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي. وقال ابن كثير في البداية: ٢/ ٢٥٦ صرح ابن إسحاق بالتحديث فيها ، وهذا إسناد جيد قوي . قلت: فالحديث حسن لشواهده .

(٢) أخرجه أحمد: ٤/ ١٢٧ ، ١٢٨ ، والطبراني في الكبير: ١٨/ ٢٥٢ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٠ ، والبزار كما في كشف الأستار: ٣/ ١١٢ـ ١١٣ . حديث: ٢٣٦٥ من طريق سعيد بن سويد ، عن عبدالأعلى بن هلال ، عن العرباض به .
وأخرجه الحاكم: ٢/ ٦٠٠ من طريق سعيد بن سويد ، وعنده رجل ضعيف هو ابن أبي مريم . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٣ رواه أحمد ، والطبراني نحوه ، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ، ووثقه ابن حبان .
وللحديث شواهد انظرها في الحديث الذي قبله ، ومن حديث ميسرة: أخرجه أحمد: ٥/ ٥٩ ، والحاكم: ٢/ ٦٠٨ـ ٦٠٩ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ٨٤ ـ ٨٥ .

الفصل الثالث

حالة المجتمع الجاهلي قبل البعثة النبوية

١٣ـ حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله:

« أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمر بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة»[١] .

١٤ـ حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة »[٢] .

١٥ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل

---

(١) الحديث صحيح انظر حديث رقم: ٩٤

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، حديث: ٩٣٤. وأحمد: ٥/٣٤٢،٣٤٣،٣٤٤ ، والبيهقي في السنن: ٤/٦٣، والحاكم في المستدرك: ١/٣٨٣، وقد جاء من حديث أبي هريرة شبيهاً بهذا الحديث ، وأخرجه الترمذي: ١٠٠٤ ، والطيالسي: ٢٣٩٥ ، وأحمد: ٢/٢٩١ ، ٤١٤ ،٤١٥،٤٥٥،٥٢٦،٥٣١ ، والبزار ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣/١٣ ، رواه البزار ، وإسناده حسن

ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ، ووضعت ، ومر ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها ، وهنَّ البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهنَّ دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ، فالتاطه به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك . فلما بُعث محمد بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم »[1].

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح ، باب من قال لا نكاح إلا بولي: رقم: ٥١٢٧ ، وأبو داود في الطلاق ، باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية: ٢٢٧٢ ، والبيهقي في سننه: ٧/١١٠،١٩٠ .

الباحثون عن الدين الحق في الجاهلية

زيد بن عمرو بن نُفيل

٤٣ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلّي أن أدين دينكم فأخبرني ، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله .

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً ، وأنَّى أستطيعه ؛ فهل تدلني على غيره ؟

قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال زيد: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ، ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد فلقي عالماً من النصارى فذكر مثله ، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأنَّى أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانيا، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم»[١] .

٤٤ـ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: « رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيي الموؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤنتها »[٢] .

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، رقم: ٣٨٢٧ ، فتح الباري: ١٤٢/٧ .

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: ٣٨٢٨ فتح الباري: ١٤٣/٧ معلقاً ، ووصله الحاكم في المستدرك: ٤٤٠/٣ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، بل أخرجاه كما سبق ذكره ، وقال الحافظ: وصله جماعة ذكرهم في الفتن .

٤٥ـ أ ـ ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ لقي زيد ابن عمرو بن نفيل بأسفل بَلْدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقُدِّمت إلى النبي ﷺ سفرة ،فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد: إني لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه .

وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ، ويقول: الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له »[1] .

٤٥ـ ب ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: « كنت من أهل فارس من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها جَيٌّ ، وكان أبي دِهقَان أرضه ، وكان يحبني حبّاً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده ، فما زال به حبُّه إيّايَ حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية . واجتهدت في المَجُوسيَّة حتى كنت قَطن النَّار (الذي يُوقدُهَا) ولا يَترُكُها تَخْبُو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه ، حتَّى بنى أبي بنياناً له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعاني فقال: أي بني ، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه ، ولا بدَّ لي من اطلاعها ، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحتبسنَّ عنّي ، فإنك إن احتبست عنّي شغلتني عن كلّ شيءٍ . فخرجت أريد ضَيعته ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون . فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم . فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس .

وبعث أبي في طلبي في كل وجهة حتى جئته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعته ، فقال أبي: أين كنت ؟ ألم أكن قلت لك ؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النَّصارى ، فأعجبني صلواتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال: أيْ بُنَي دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم . فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قومٌ يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت . فخافني ، فجعل في رجْليَّ حديداً ، وحبسني في بيت عندَهُ ، فبعثتُ إلى النصارى ، فقلت لهم: أين أصْلُ هذا الدين الذي أراكم

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: ٣٨٢٦ ، فتح الباري: ٧/ ١٤٢ .

عليه ؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فآذنوني ، قالوا: نفعل . فقدم عليهم ناسٌ في تجارتهم .

فبعثوا إليَّ أنَّه قد قدم علينا تجار من تجارنا . فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فآذِنوني . فقالوا: نفعل . فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرَّحيل بعثوا إليَّ بذلك ، فطرحت الحديد الذي في رجليَّ ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام . فلما قدمتها ، قلت: من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا: الأسقُف صاحب الكنيسة . فجئته ، فقلت له: أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله معك ، وأتعلم منك الخير . قال: فكن معي .

قال: فكنت معه ، وكان رجل سَوْءٍ ؛ كان يأمرهم بالصَّدقة ويرغِّبهم فيها . فإذا جَمعوها إليه اكْتَنَزَهَا ولم يعطها المساكين . فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله ، فلم ينْشَب أن مات ، فلما جاءُوا ليدفنوه قلت لهم: إن هذا رجل سَوْءٍ ؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغِّبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتَنَزَها ولم يعطها المساكين . فقالوا: وما علامة ذلك ؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه . فقالوا: فهاته. فأخرجت لهم سبع قلالٍ مملوءَة ذهباً وَوَرِقاً . فلمَّا رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبداً . فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة ، وجاءُوا برجل آخر فجعلوه مكانه . فلا والله يا ابن عبَّاس ، ما رأيتُ رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنَّه أفْضَل منه أشدَّ اجتهاداً ، ولا أزْهَدَ في الدُنيا ، ولا أداب ليلاً ولا نهاراً منه . ما أعلمني أحببت شيئاً قط، قبله ، حُبَّه . فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة .

فقلت: يا فلان ، قد حضرك ما ترى من أمر الله.، وإني والله ما أحببت شيئاً، قط ، حُبَّك ، فماذا تأمرني ؟ إلى من توصيني ؟ فقال: أي بني ، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالمُوصل فائته ، فإنك ستجده على مثل حالي .

فلما مات (وغُيِّب) لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزَّهادَة في الدنيا ، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك . قال: فأقم أي بني . فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه ، حتى حضرته الوفاة . فقلت له: إنَّ فلاناً أوصاني إليك وقد حَضَرَكَ من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني ، فقال: والله ما أعلمه ، أي بني ، إلا رجلٌ بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه ، فالحقْ به ، فلما دفناه . لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان ، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، وفلان أوصاني إليك . قال: فأقم يا بني.

فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة . فقلت له: يا فلان ، إنّه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلانٌ أوصاني إلى فلانٍ ، وأوصاني فلانٌ إلى فلان ، وأوصاني فلان إليك ، فإلى من توصيني ؟ قال لي: أي بنيّ ، والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجل بعمُّورية من أرض الرُّوم ، فأتِهِ ، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

فلما وَارَيْتُهُ ، خرجت حتى قدمت على صاحب عَمُّوريَّة ، فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده، واكتسبت حتى كان لي غُنَيمةٌ وبقرات . ثم حضرته الوفاة. فقلت: يا فلان ، إن فلاناً كان أوصاني إلى فلان ، وفلانٌ إلى فلان ، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصيني ؟

قال: أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتيه . ولكنَّه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم، مُهاجَرُهُ بين حَرَّتَيْن ، إلى أرض سِبِخَةٍ ذات نخيل، وإنَّ فيه علامات لا تخفى: بين كتفيه خاتم النبوَّة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة. فإن استطعت أن تَخْلص إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه.

فلما وارَيناه ، أقمت حتى مَرَّ رجالٌ من تجار العرب من كَلْبٍ ، فقلت لهم: تحملوني معكم حتى تقدموا بي أرض العرب ، وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي ؟ قالوا: نعم . فأعطيتهم إياها ، وحملوني حتى إذا جاءُوا بي وادي القرُى ظلموني فباعوني عَبداً من رجل من يهود ، بوادي القُرى . فوالله لقد رأيت النخل ، وطمعت أن تكون البلد الذي نَعَتَ لي صاحبي وما حقت عندي ، حتى قدم رجل من بني قُريظة ، من يهود وادي القرى ، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده ، فخرج بي حتى قدم المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعمته ، فأقمت في رِق مع صاحبي .

وبعث الله رسوله ﷺ ، بمكة لا يذْكر لي شيئاً من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق حتى قدم رسول الله ﷺ قُباء ، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له . فوالله إني لفيها إذ جاءَ ابن عم له ، فقال: يا فلان قاتل الله بني قَيْلة ، ووالله إنهم الآن لفي قُباءَ مجتمعون على رجل من مكة ، يزعمون أنه نبي ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذتني «العُرَوَاءُ » ـ يقول « الرِّعدة » ـ حتى ظننت لأسقطن على صاحبي . ونزلت أقول: ما هذا الخبر ؟ ما هو ؟ فرفع مولاي يده ، فلكمني

لكمة شديدة ، وقال: ما لك ولهذا ؟ أقبل قِبَلَ عملك . فقلت: لا شيء ، إنما سمعت خبراً فاحببت أن اعلمه. فلمَّا امسيت ، وكان عندي شيءٌ من طعام ، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ ، وهو بِقُباء ، فقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ مَنْ بهذه البلاد (به) فها هو ذا فكل منه . فأمسك رسول الله ، ﷺ بيده ، وقال: لأصحابه: كُلوا ، ولم يأكل . فقلت في نفسي هذه خلة مما وصَفَ لي صاحبي .

ثم رجعت ، وتحوَّل رسولُ الله ﷺ ، إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئته به ، فقلت: إن قد رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة . فأكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه . فقلت: هذه خلتان .

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه ، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره ، فلما رآني رسول الله ﷺ ، استَدْبَرْتُه عَرَفَ اني استَثْبِتُ شيئاً قد وُصف لي ، فوضع رداءَه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي فاكْبَبْتُ عليه اقبله وابكي . فقال: تحوَّل يا سلمان هكذا . فتحولت فجلست بين يديه . واحب أن يُسْمِع أصحَابه حديثي عنه . فحدَّثته يا ابن عباس كما حدَّثتك . فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان . فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحييها ، وأربعين أوقية . واعانني أصحاب رسول الله ﷺ ، بالنخل: ثلاثين وَدِيَّة[1] . وعشرين وَدِيَّة ، وَعَشْرٍ ، كل رجل منهم على قدر ما عنده . فقال لي رسول الله ﷺ: فَقِّرْ لها[2] فإذا فرغت فآذنّي حتى اكون الذي اضعها بيدي .

ففقرتها واعانني أصحابي - يقول حَفَرْتُ لها حيث توضع - حتى فرغنا منها . ثم جئت رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله ، قد فرغنا منها فخرج معي حتى جاءَها ، وكنا نحمل إليه الوَديَّ ، ويضعه بيده ، ويُسَوِّي عليها . فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها وَدِيَّة واحدةٌ . وبقيت عليَّ الدراهم . فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البَيْضة من الذهب ، فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسي المسلم المكَاتب ؟ فَدعِيتُ له ، فقال: خذ هذه يا سلمان ، فأدها مما عليك . فقلت: يا

---

(١) الودية: النخلة الصغيرة .

(٢) فقر لها: اي احفر .

رسول الله ، وأين تقع هذه مما علي ؟ قال: فإن الله تعالى سيؤدي بها عنك . فوالذي نفس سلمان بيده لوَزَنْتُ لهم منها أربعين أوقيَّة ، فأدَّيتها إليهم وعتق سلمان. وكان الرّق قد حبسني حتى فاتني مع رسول الله ﷺ ، بدْرٌ وأحُدٌ ، ثم عتقت فشهدت الخندَق ، ثم لم يفتني معه مشهد [1]

(١) أخرجه احمد في المسند: ٥/ ٤٤١ـ٤٤٤ ، وابن هشام في السيرة: ١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٩٢ ـ ٩٧ والخطيب في التاريخ: ١/ ١٦٤ـ١٦٩ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة: ١٩٩ ، وابن سعد في الطبقات: ٤/ ٧٥ ـ ٨٠ ، والطبراني في الكبير برقم: ٦٠٦٥ ، جميعاً من طريق ابن اسحاق، حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان به .
وقد صرح ابن اسحاق بالتحديث فزالت شبهة التدليس والإسناد حسن .

الفصل الرابع

قصة حفر زمزم

١٦ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ـ قال: « قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي: احفر طيبة . قلت: وما طيبة ؟ قال: ثم ذهب عني .

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال: احفر برَّة ، قال: قلت وما برَّة ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني . فقال: احفر المضنونة . قال: قلت: وما المضنونة ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه . فجاءني فقال: احفر زمزم. قال: قلت: وما زمزم ؟ قال: لا تنزف أبداً ولا تذم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل .

قال: فلما بين شأنها ، ودلَّ على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ، وليس معه يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطيُّ كبَّرَ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب إنها بئر أبينا إسماعيل ، وإنَّ لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . قال: ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم . قالوا له: فأنصفنا ، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم ، قال: نعم ، وكانت بأشراف الشام.

فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا ببعضها نفد ماء عبدالمطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم،

وقالوا: إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال عبدالمطلب: إني أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرته ثم واروه ، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . فقالوا: نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثمَّ إنَّ عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا . فارتحلوا حتى إذا بعث عبدالمطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبَّر عبدالمطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا قبائل قريش - وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال - فقال: هَلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله ، فجاءوا فشربوا ، واستقوا كلهم ، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخَلّوا بينه وبين زمزم » .

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم [1] .

---

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده ، فقال: حدثني يزيد بن حبيب المصري ، عن مرثد بن عبدالله اليزني ، عن عبدالله بن زرير أنه سمع علي بن أبي طالب ، فذكره ....
انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٤٢ـ ١٥٥ .والسير والمغازي لابن إسحاق صفحة: ٢٤ـ٢٥ تحقيق سهيل زكار . والبيهقي في الدلائل: ١/ ٩٣ـ٩٥ ، من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، فسنده صحيح ، وله شاهد من مرسل الزهري عند عبدالرزاق في المصنف ، حديث رقم: ٩٧١٨، ٥/ ٣١٤ ، ورواه ابن سعد في طبقاته: ١/ ٨٣ـ٨٥ من طريق الواقدي ، وهو ضعيف . فالحديث بهذا صحيح من طريق البيهقي وابن هشام .

الفصل الخامس

أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

المبحث الأول: مولده صلى الله عليه وسلم

ولد في ربيع الأول يوم الإثنين بلا خلاف ، والأكثرون على أنه ليلة الثاني عشر منه [(١)] .

وقال خليفة بن خياط: والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل [(٢)].

١٧ـ من حديث قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه قال: « ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، فنحن لِدَّان ، ولدنا مولداً واحداً »[(٣)].

١٨ـ ومن حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن صوم يوم الاثنين قال رسول الله ﷺ: (ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت أو أنزل عليَّ فيه) [(٤)].

١٩ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبئ يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحَجَرَ الأسود يوم الاثنين » [(٥)] .

٢٠ـ ومن حديث ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنهما قالا: « ولد رسول

---

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١/ ١٥٨ ، تاريخ الطبري: ٢/ ١٥٤ـ١٥٧ ، الاستيعاب: ١/ ٣٠ـ٣١، البداية والنهاية: ٢/ ٢٥٩ـ٢٦٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم: ١/ ٤٠ ، دلائل النبوة للبيهقي: ١/ ٨٩ـ٩٤.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٠٣

(٣) أحمد: ٤/ ٢١٥ ، والترمذي في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ بزيادة: ٣٦١٩وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالتحديث ، فانتفت الشبهة في التدليس » قلت وبذلك يصح الحديث .

(٤) مسلم: كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ١١٦٢ وأبو داود في الصيام ، باب في صوم الدهر تطوعاً رقم: ٢٤٢٦

(٥) أخرجه أحمد: ١/ ٢٧٧ ، والطبراني في الكبير: ١٢٩٨٤ من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني به ، ومن الرواة عن ابن لهيعه عمرو بن خالد عند الطبراني ، وقد سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه ، فالحديث بهذا حسن، وله شواهد، انظر ما بعده: ٢٠ . وقال الهيثمي في المجمع: ١/ ١٩٦، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح .

الله ﷺ عـام الفيل يوم الاثـنين الثاني عشـر من ربيع الأول ، وفـيه عـرج به إلى السـماء ، وفيه هاجـر ، وفيـه مات » . هذا هو المشـهور عند الجـمهـور . والله أعلم[1].

٢١ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهـما قال: « ولد رسول الله ﷺ عام الفيل »[2].

المبحث الثاني: مرضعاته عليه الصلاة والسلام

ثويبة مولاة أبي لهب مولاة بني هاشم

٢٢ـ من حديث زينب ابنة أبي سلمـة أنَّ أمَّ حبيبـة رضي الله عنها أخبرتهـا أنها قالت: « يا رسـول الله ، انكح أختي بنت أبـي سفيـان ، فقـال: أو تحبين ذلك ؟ فقـالت: نعم ، لست لك بِمُخْلِيَةٍ ، وأحَبُّ من شاركني في خـير أختي » . فـقال النبي ﷺ: (إنَّ ذلك لا يـحلُّ لي . قلت: فـإنا نُحَدَّثُ أنك تريد أن تـنكح بنت أبي سلمة . قال: بنت أم سلمة ؟ قلت: نعم . فقال: لو أنَّها لم تكن ربيبتي في حجري ما حَلَّت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعـة ، أرضعتني وأبا سلمة ثويبة ، فلا تَعْرِضَنَّ عليَّ بناتكن ، ولا أخواتكن)[3].

---

(١) ابن أبي شيبـة في مصنفه ، وإسناده صحيح ، رجاله رجـال الصحيح ، انظر السيرة النبويـة ، لابن كثير: ١/١٩٩

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ١٢٤٣٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/١٠ ، والبزار كما فـي كشف الأستار: ١/١٢١ ، حديث: ٢٢٦ عن طريق يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير به .
وقال الهيثمي في المجمع: ١/١٩٦ : رواه البزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون.

(٣) رواه البـخاري ، كـتاب الـنكاح ، باب: ﴿ وأمهـاتكم اللاّتي أرضـعنكم ﴾ رقم: ٥١٠١ ، فتح البـاري: ٩/١٤٠، مـسلم: ١٤٤٩ ، الرضـاع ، باب تحـريم الربيبـة وأخت المرأة ، وأبو داود: ٢٠٥٦ النكاح ، وباب يحـرم من الرضـاع ما يحـرم من النسب ، وابـن ماجـه: ١٩٣٩ كـتاب النكاح ، باب يحـرم من الرضاعـة ما يحـرم من النسب ، والنسائي في الـنكاح ، باب تحريم الجمـع بين الأختين: ٦/٩٦ ، وابن سعد في الطبقات: ١/١٠٨ .
قمراء: القمرة لون البياض إلى الخضرة .وأدمت: حدثت فـي ركبها جروح دامية باصطكاكها ، والشارف: الناقة المسنة . وبض: سال منه الماء شبه العرق أي قليلاً قليلاً ، شهباء: مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر.

حليمة السعدية

٢٣- من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: قال: « لما وُلد رسول الله ﷺ قدمت حليمة بنت الحارث، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعاء بمكة.

قالت حليمة: فخرجت في أوائل النسوة على أتان لي، قمراء، ومعي زوجي الحارث بن عبدالعزى، أحد بني سعد بن بكر، ثم أحد بني ناضرة، قد أدمت أتاننا، ومعي بالركب شارف والله ما تبض بقطرة لبن، في سنة شهباء. قد جاع الناس حتى خلص إليهم الجهد، ومعي ابن لي، والله ما ينام ليلنا، وما أجد في يدي شيئاً أعلله به، إلا أنا نرجوا الغيث، وكانت لنا غنم، فنحن نرجوها.

فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكَرِهَتْهُ، فقلنا: إنه يتيم، وإنما يكرم الظئر، ويحسن إليها الوالد، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده، فكلُّ صواحبي اخذ رضيعاً، فلما لم أجد غيره، رجعت إليه، وأخذته، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره، فقلت لصاحبي: والله لآخذنَّ هذا اليتيم من بني عبدالمطلب، فعسى الله أن ينفعنا به، ولا أرجع من بين صواحبي ولا آخذ شيئاً، فقال: قد أصبت.

قالت: فأخذته، فأتيت به الرَّحْلَ، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرَّحْلَ، فأمسيت أقبل ثدياي باللبن، حتى أرويته، وأرويت أخاه، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها، فإذا هي حافل، فحلبها، فأرواني وروي، فقال: يا حليمة، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمنَّ، قالت: فبتنا بخير ليلة، شباعاً، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا.

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحبي، فركبت أتاني القمراء، فحملته معي، فوالذي نفس حليمة بيده لقطعَتْ الركب حتى ان النسوة ليقلن: امسكي علينا، أهذه أتانك التي خرجت عليها؟ فقلت: نعم، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها؟ قالت، فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً.

قالت: فخرجنا، فما زال يزيدنا الله في كل يوم خيراً، حتى قدمنا والبلاد سِنَةٌ، ولقد كان رعاتنا يسرحون ثم يريحون، فتروح أغنام بني سعد جياعاً، وتروح غنمي شباعاً، بِطاناً، حفلاً، فنحتلب، ونشرب، فيقولون: ما شأن

غنم الحارث بن عبدالعزى ، وغنم حليمة تروح شباعاً حفلاً ، وتروح غنمكم جياعاً ؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاؤهم ، فيسرحون معهم ، فما تروح إلا جياعاً ، كما كانت ، وترجع غنمي كما كانت .

قالت: وكان يشب شباباً ما يشبه أحد من الغلمان ، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر ، ويشب في الشهر شباب السنة ، فلما استكمل سنتين أقدمناه مكة ، أنا وأبوه ، فقلنا: والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع ، فلما أتينا أمه ، قلنا: أي ظئر ! والله ما رأينا صبياً قط أعظم بركة منه ، وإنا نتخوف عليه وباء مكة وأسقامها ، فدعيه نرجع به حتى تبرئي من دائك ، فلم نزل بها حتى أذنت، فرجعنا به ، فأقمنا أشهراً ثلاثة أو أربعة.

فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بُهْم له ، إذ أتى أخوه يشتدُّ ، وأنا وأبوه في البدن ، فقال: إن أخي القرشي ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأخذاه واضطجعاه ، فشقَّا بطنه ، فخرجت أنا وأبوه يشتدُّ ، فوجدناه قائماً ، قد انتقع لونه ، فلما رآنا أجهش إلينا ، وبكى ،قالت: فالتزمته أنا وأبوه ، فضممناه إلينا ، فقلنا: مالك بأبي أنت ؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني ، فشقا بطني ، وصنعا به شيئاً ، ثم رداه كما هو ، فقال أبوه: والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب، إلحقي بأهله ، فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه .

قالت: فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فلما رأتنا أنكرتْ شأننا ، وقالت: ما رجعكما به قبل أن أسألكماه ، وقد كنتما حريصين على حبسه؟ فقلنا: لا شيء إلا أن قد قضى الله الرضاعة وسرّنا ما نرى ، وقلنا: نؤويه كما تحبون أحبَّ إلينا، قال: فقالت: إن لكما شأناً فأخبراني ما هو ، فلم تدعنا حتى أخبرناها ، فقالت: كلا والله ، لا يصنع الله ذلك به ، إن لابني شأناً ، أفلا أخبركما خبره ، إني حملت به ، فوالله ما حملت حملاً قط ، كان أخف علي منه ، ولا أيسر منه ، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصري - أو قالت: قصور بصرى - ثم وضعته حين وضعته، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان ، لقد وقع معتمداً بيديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضه وانطلقنا»[1] .

---

(١) رواه ابن حبان كما في الموارد: ٥١٢ ، ٥١٣ ، والطبراني في الكبير: ٢٤/ ٢١٢_٢١٥ ، والبيهقي في الدلائل: ١/ ١٣٣_١٣٦ ، والسيرة النبوية بشرح الخشني: ١/ ٢١٤ وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية: ٤/ ١٦٧_١٧١ ، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد: ٨/ ٢٢١ جميعاً من طريق بن إسحاق، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة ، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٧ ، رواه

المبحث الثالث: شق صدره وذر السكينة على قلبه

سبق ذكرها في الحديث السابق

٢٤ـ من حديث عتبة بن عبدالسلمي رضي الله عنه: « أنَّ رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال: (كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بُهْم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً .

فقلت: يا أخي ، اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا .

فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم ، فأقبل طيْرَان أبيضان كأنهما نسران ، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو ؟ قال: نعم ، فأقبلا يبتدراني ، فأخذاني ، فبطحاني إلى القفا ، فشقَّا بطني ، ثم استخرجا قلبي ، فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه: ـ قال: يزيد في حديثه ـ أئتني بماء ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال: أئتني بماء برد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال: أئتني بالسكينه ، فذَرَّاها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه: خِطه ، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة .

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كِفَّةٍ ، واجعل ألفاً من أمته في كفة ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي ، أشفق أن يخرَّ عليَّ بعضهم ، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركاني .

وفَرِقْتُ فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتها بالذي لقيته ، فأشفقت عليَّ أن يكون ألبس بي قالت: أعيذك بالله ، فرحَّلت بعيْراً لها ، فجعلتني أو فحملتني على الرحل ، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أديت أمانتي وذمتي ، وحدثتها بالذي لقيت ، فلم يرعها ذلك ، فقالت لي: رأيت خرج مني نور ، أضاءت منه قصور الشام)[1] .

أبو يعلى ، والطبراني بنحوه إلا أنه قال: حليمة بنت أبي ذؤيب ، ورجالهما ثقات ، قلت ولكثير من مقاطع الحديث شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهده .

وناقة حافل: كثير لبنها .لقطعت: سبقت

(١) رواه أحمد في المسند: ٤/١٨٤ـ١٨٥ ، والحاكم في المستدرك: ٢/٦١٦ـ٦١٧ ، والطبراني في الكبير: ١٣١/١٧ ، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شان النبي: ١/٨ ، جميعاً من طريق بقية ، حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمي ، عن عتبة بن عبدالسلمي ، وقد صرح بقية بالتحديث عندهم جميعاً إلا عند الدارمي ، وبقية إذا روى عن بحير فهو معتد به، ومقبول وموثق،

٢٥ـ وقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه باختصار أكثر فقال: « إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشقَّ عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال: هذا حظُّ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه « يعني ظئره » فقالوا: إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه ، وهو منتقع اللون » . قال أنس: « وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره»[1].

وقد حدثت أيضاً حادثة شقّ الصدر مرة أخرى في رحلة الإسراء والمعراج ، وسيأتي تفصيلها هناك فانظرها .

المبحث الرابع: وفاة أمه عليه السلام وزيارته قبرها بعد البعثة

٢٦ـ قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: « أنَّ أم رسول الله ﷺ توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة. كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة »[2].

٢٧ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « زار النبي ﷺ قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا ـ القبور ، فإنها تذكر الموت»[3].

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٢ إسناد أحمد حسن ، وللحديث شواهد سبق ذكرها تحت رقمي: ١١ـ ١٢ ، فالحديث صحيح .

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم: ٢٦١ ، أحمد في المسند: ٣/ ١٢١، ١٤٩، ٢٢٨، والحاكم في المستدرك: ٢/ ١١٦ـ١١٧ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٧ ـ ٨، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبي: ١/ ٨ـ٩.
ومعنى منتقع اللون: متغير اللون .والمخيط: الإبرة .لأمه: جمعه ، وضم بعضه إلى بعض .

(٢) ابن هشام في السيرة: ١/ ١٦٨ ، عن ابن إسحاق ، ورجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه ، ابن كثير: ١/ ٢٣٥ .

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه ـ عزَّ وجلَّ ـ في زيارة قبر امه الحديث رقم: ٩٧٦، ٢/ ٦٧١ .

المبحث الخامس: كفالة جده وحبه له

٢٨ـ من حديث كندير بن سعيد عن أبيه قال: حججت في الجاهلية فإذا رجل يطوف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً   رده لي واصطنع عندي يداً

قلت: من هذا يعني؟ قال: عبدالمطلب بن هاشم ذهبت إبل له، فأرسل ابن ابنه في طلبتها، فاحتبس عليه، ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، قال: فما برحت حتى جاء النبي ﷺ، وجاء بالإبل فقال: يا بني، لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني أبداً » (١).

المبحث السادس: رعيه الغنم وعصمة الله له من الزلل

٢٩ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة) (٢).

٣٠ـ ومن حديث جابر رضي الله عنه: قال كنا مع رسول الله ﷺ نجتني الكباث، فقال: (عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه قال: قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: (نعم، وهل من نبيّ إلا قد رعاها) (٣).

٣١ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بقبيح مما كان أهل الجاهلية يهمُّون به، إلا مرتين من الدهر، كلتيهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٥٥٢٤، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢/ ٢٠ ـ٢١ وابن سعد في الطبقات: ١/ ١١١، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٣/ ٢/ ١٧٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٤: رواه أبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن.
وعزاه السيوطي في الخصائص: ١/ ٨١ إلى البخاري في تاريخه، وابن عدي وأبو نعيم، وابن مندة.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإجارة، باب: رعى الغنم على قراريط، فتح الباري: ٤/ ٤٤١، رقم ٢٢٦٢، وابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الصناعات، رقم: ٢١٤٩، وابن سعد: ١/ ١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأطعمة، باب الكباث، حديث: ٥٤٥٣، ومسلم في الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباث، حديث: ٢٠٥٠.

أغنام لأهله يرعاها: (أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر الفتيان ، قال: نعم ، فخرجت ، فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء ، وضرب دفوف ، ومزامير ، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فرجعت فقال: ما فعلت ؟ فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت ، فسمعت مثل ذلك ، فقيل لي مثل ما قيل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا مسُّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت ؟ قلت: ما فعلت شيئاً. قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته »[1] .

المبحث السابع: قصة بحيرا الراهب

٣٢ـ من حديث أبي موسى الأشعري: قال: « خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسيرون ، فلا يخرج إليهم ، ولا يلتفت .

قال: فهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء ، فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به، وكان هو في رعية الإبل قال: أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى

---

(١) اخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٢٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٣٣ ، والبزار كما في الكشف برقم: ٢٤٠٣ ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ٨/ ٥٦ ، رقم: ٦٢٣٩ ، وانظر المطالب العالية: ٤/ ١٧٨ . رقم ٤٢٥٩ . وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن ، وابن حبان في صحيحه ، وهكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة ، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جليلة ، وما روي في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق ، هذا وهو حديث حسن متصل ، ورجاله ثقات . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٢٢٦ رواه البزار ورجاله ثقات. وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٤/ ٢٤٥. وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

قال: فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفتَ فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال: ما جاء بكم ؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإنا قد أخبرنا خبره ، بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا ، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا: لا . قال: فبايعوه وأقاموا معه .

قال: انشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه (أبا بكر وبلالاً) وزوده الراهب من الكعك والزيت»[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ،باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ: ٣٦٢٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه: ١٨٣٩٠ ، وأعلام النبوة للماوردي: ١٥٥ـ١٥٦ ، وأبو نعيم في الدلائل: ٥١ـ٥٤ ، والطبري في تاريخه: ٢/ ٢٧٧ـ٢٧٩ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٣٠٧ـ٣١٢ والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦١٥ ، والسيرة النبوية ، للذهبي ص: ٢٨ . وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي: أظنه موضوعاً وبعضه باطل . وقال الترمذي: حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه .
وانظر نقد ابن كثير لهذا الحديث في السيرة النبوية له: ١/ ٢٤٣ ، وقد تكلم عليه الذهبي في السيرة النبوية له ص: ٢٨ . وقال: حديث منكر جداً ، وذكر مجموعة من الأسباب التي توضح قوله هذا .
وتكلم عليه شبيها بما قال الذهبي ، ابن سيد الناس في عيون الأثر ص: ٥٥، وقال ابن حجر في الإصابة: رجاله ثقات ، وذِكْرُ أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ ، ونقل الشيخ الألباني تصحيحه عن الجزري ومال إلى تصحيحه في تعليقه على فقه السيرة (ص: ٦٨) ، قلت: وسنده صحيح رجاله ثقات، وذكر بلال وأبي بكر فيه غلط واضح كما قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد: (١/ ٧٦) ولعلها مدرجة فيه ووهم من أحد الرواة كما قال الحافظ ابن حجر .

المبحث الثامن: مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول

٣٣ـ من حديث عبدالرحمن بن عوف قال عليه السلام: شهدت حلف المطيبين مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه)[١].

وحلف الفضول هو كما قال محمد بن إسحاق: وتداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان، لشرفه وسنه.

وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد بن عبدالعزى، وزهرة ابن كلاب، وتيم بن مرة.

فتعاهدوا وتعاقدوا على أن لا يجدوا مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه، وكانوا على من ظلمه حتى يردوا عليه مظلمته.

فَسَمَّت قريشاً ذلك الحلف حلف الفضول »

المبحث التاسع: زواجه من خديجة وبيان عظم منزلتها

٣٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:« أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه، فصنعت طعاماً وشراباً، فدعت أباها وزُمَراً من قريش، فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت خديجة لأبيها: « إن محمد ابن عبدالله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها إياه، فخلقَتْهُ، وألبسته حلة، وكذلك كانوا يفعلون بالآباء، فلما سرى عنه سكره نظر، فإذا هو مخلَّق، وعليه حلَّة، فقال ما شأني؟ ما هذا؟ فقالت: زوجتني محمد بن عبدالله، قال: أزوج يتيم أبي طالب، لا لعمري. فقالت خديجة: أما تستحي، تريد أن تسفه نفسك عند قريش، تخبر الناس أنك كنت سكران؟ فلم تزل به حتى رضي)[٢].

٣٥ـ ويؤيده ما جاء من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه بنحو اللفظ

---

(١) أخرجه أحمد: ١/١٩٠،١٩٣، وأبو يعلى رقم: ٨٤٤، ٨٤٥،٨٤٦، والبزار كما في كشف الأستار: ١٩١٤، ٣٣٠٨. وقال الهيثمي في المجمع: ٨/١٧٢: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال حديث عبدالرحمن بن عوف رجال الصحيح ». وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ٩/٢١ الحديث إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١/٣١٢ والبيهقي في الدلائل: ٢/٧٣ ،مختصراً والطبراني في الكبير رقم: ١٢٨٣٨. وقال الهيثمي: ٩/٢٢٠: رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح.

السابق ببعض زياده[1] .

وهذا يردُّ ما جاء عن المؤملي أن الذي زوج خديجة هو عمها عمرو بن أسد، لأن المؤملي متروك ، لا يعتد بكلامه ...[2] .

٣٦ـ وعن الزهري قال: « لم يتزوج رسول الله على خديجة حتى ماتت»[3] .

٣٧ـ وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، فقال: (أتدرون ما هذا ؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ: أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنة محمد ﷺ ، ومريم بنة عمران ، وآسية بنة مزاحم امرأة فرعون)[4] .

٣٨ـ ومن حديث علي بن أبي طالب قال عليه السلام: (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة)[5] .

٣٩ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « أتى جبريل عليه السلام النبي فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صَخَبَ فيه ، ولا نَصَب »[6] .

---

(١) اخرجه الطبراني في الكبير برقم: ١٨٥٨ ، والبزار كما في الكشف رقم: ٢٦٥٧ قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٢: أخرجه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالبي ، وهو ثقة ، ورجال البزار أيضاً رجال الصحيح غير أحمد بن يحيى الصوفي ، وهو ثقة ، لكنه ليس من رجال الصحيح ، وقال ابن حجر: وكذا شيخ الطبراني ، فكان ينبغي أن يقول: ورجالهما رجال الصحيح سوى شيخيهما وأبي خالد الوالبي .

(٢) مجمع الزوائد: ٩/ ٢٢١

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٠: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٤) اخرجه احمد: ١/ ٣١٦ ، ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير: ١١٩٢٨، والحاكم: ١٨٥٣ ، وأبو يعلى في مسنده رقم: ٢٧٢٢ ،واحمد في فضائل الصحابة: ١٣٣٩ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي،وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٧/ ١٣٣ . وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢١ رواه احمد وأبو يعلى والطبراني، ورجالهم رجال الصحيح.

(٥) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة: ٣٨١٥ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين: ٢٤٣٠ ، والترمذي في المناقب ، باب خديجة: ٣٨٧٧ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: ٧/ ٣٩٥ ، واحمد في المسند: ١/ ١١٦ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، وفي فضائل الصحابة: ١٥٦٣ .

(٦) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج خديجة وفضلها ، فتح الباري رقم: ٣٨٢٠ ، ٧/ ١٣٣ـ ١٣٤ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين: ٢٤٣٢ ، والترمذي في المناقب، باب فضل خديجة رقم:٣٨٧٦، واحمد في المسند: ٢/ ٢٣١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٨٥، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي فيه ، وليس الأمر كما قالاه ، فقد اخرجه الشيخان كما ترى .

المبحث العاشر

مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة

٤٠ـ من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم ، وكانت قدر ما يفتحها العناقة ، وكانت غير مسقوفة ، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سدلاً عليها ، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدباً ، وكانت ذات ركنين كهيأة الحلقة .

فأقبلت سفينة من أرض الروم ، حتى إذا كانوا قريباً من جدة ، تكسرت السفينة ، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها ، فوجدوا رومياً عندها ، فأخذوا الخشب أعطاهم إياه .

وكانت السفينة تريد الحبشة ، وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً ، فقدموا ، وقدموا بالرومي ، فقالت قريش: نبني بهذا الخشب الذي في السفينة بيت ربنا .

فلما أرادوا هدمه ، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر ، سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارته ، سعت إليه فاتحة فاها .

فاجتمعت قريش عند المقام ، فعجُّوا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقالوا: ربنا لم ترع، أردنا تشريف بيتك ، فإن كنت ترضى بذلك ، وإلا فافعل ما بدالك .

فسمعوا خواراً في السماء ، فإذا بطائر أسود الظهر ، أبيض البطن والرجلين ، أعظم من البشر ، فغرز مخاليبه في رأس الحية ، حتى انطلق بها يجر ذنبها ، أعظم من كذا وكذا ساقطاً ، فانطلق نحو أجياد ، فهدمتها قريش ، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها ، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً .

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجياد ، وعليه نمرة ، فضاقت عليه النمرة ، فذهب يضع النمرة على عاتقه ، فتُرَى عورتُه من صغر النمرة ، فنودي يا محمد، خَمِّر عورتك ، فلم ير عرياناً بعد ذلك ، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين ، وبين مخرجه وبنيانها خمس عشرة سنة » [1] .

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير بطوله ، وأحمد طرفاً منه ، ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٣/ ٢٨٩ .انظر المطالب العالية: ٤/ ١٨٢ برقم: ٤٢٦٦، والفتح الرباني: ٢٠/ ١٩٨ـ ١٩٩ والرضم: الصخور ، والنمرة: الكساء المخطط .

٤١ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « إنَّ رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حللت إزارك ، فجعلته على منكبك ، دون الحجارة؟ قال: فحلَّه ، فجعله على منكبه ، قال: فسقط مغشياً عليه ، فما رؤي بعد ذلك اليوم عرياناً »[1].

المبحث الحادي عشر

تحكيم قريش الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع الحجر

٤٢ـ من حديث عليّ قال: « لما أرادوا أن يرفعوا الحجر « يعني قريشاً » اختصموا فيه ، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم ، فجعلوه في مرط ، ثم رفعه جميع القبائل كلها ، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعني قبل البعثة » وفي رواية قال: « لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين »[2].

المبحث الثاني عشر: تسليم الحجر عليه قبل النبوة

٤٦ـ من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ « إنّي لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن »[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها ، حديث: ٣٦٤ ، وفي الحج باب فضل مكة وبنيانها حديث: ١٥٨٢ ، وفي مناقب الأنصار ، باب بنيان الكعبة حديث: ٣٨٢٩ ، ومسلم في الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة حديث: ٣٤٠ ، واحمد في المسند: ٣/٣١٠ـ٣١٣ كلهم من طريق عمرو بن دينار عن جابر .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٢٦٧ ، وفي مجمع الزوائد: ٨/٢٢٩ ، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، عمير بن حفص بن عمر الضرير، وخالد بن عرعره كلاهما ثقة .
ويشهد له حديث السائب بن عبدالله عند احمد: ٣/٤٢٥ ، وقال الهيثمي فيه: ٣/٢٩١،٢٩٢ « رواه احمد ورجاله رجال الصحيح ، غير هلال بن خباب ، وهو ثقة وفيه كلام » ورواه أيضاً الحاكم ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة رقم: ٢٢٧٧ .

الباب الثاني

البعثة النبوية

الفصل الأول

الوحي

المبحث الأول: بدء الوحي

في سن الأربعين أوحي إلى نبينا محمد ﷺ ، فنزل عليه الوحي في غار حراء بالرسالة السماوية الخالدة .

٤٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أنزل على النبي ﷺ وهو ابن أربعين ، وكان بمكة ثلاث عشرة سنة ، وبالمدينة عشراً ، فمات وهو ابن ثلاث وستين »[(١)].

٤٨ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لخديجة رضي الله عنها: (إني أرى ضوءاً ، واسمع صوتاً ، وإني أخشى أن يكون بي جنون).

قالت: « لم يكن الله ليفعل ذلك بك يا ابن عبدالله » ثم أتت ورقة بن نوفل، فذكرت ذلك له فقال: « إن يكن صادقاً فإنَّ هذا ناموس مثل ناموس موسى ، فإن بعث وأنا حي فسأعزره ، وأنصره ، وأؤمن به »[(٢)].

٤٩ـ ومن حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح[(٣)] ، ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنَّث فيه «وهو تعبد الليالي ذوات العدد » قبل أن ينزع إلى أهله ، ويتزود لذلك ، ثم يرجع إلى

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي ﷺ والصحابة إلى المدينة ، رقم: ٣٩٠٢ ، فتح الباري: ٢٢٧/٧ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب كم أقام النبي ﷺ بمكة رقم: ٢٣٥١، وأحمد في المسند ، انظر الفتح الرباني: ٢٠٩/٢٠ ، وانظر شرح السنة للبغوي: ٣٧٣٣ .

(٢) رواه أحمد في المسند: ٣١٢/١ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٥٥/٨ : رواه أحمد متصلاً ومرسلاً ، والطبراني بنحوه ، وزاد: ورجال أحمد رجال الصحيح ، وصححه أحمد شاكر برقم: ٢٨٤٦ .

(٣) فلق الصبح: ضياء الصبح ، وهذا يقال في الشيء الواضح البين .

خديجه ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ، وهو في غار حراء .

فجاءه الملك، فقال: اقرأ ، قال: ما أنا بقارئ ، قال: فأخذني فغطني[1] حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني، فقال: اقرأ ، قلت: ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال: اقرأ ، فقلت ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ، فقال: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم** ﴾ [2] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني[3] ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع[4]، فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسي .

فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ [5] ، وتكسب المعدوم[6] ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق[7] ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى ابن عم خديجة ، وكان امرأ تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .

فقال له ورقة: يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى: فقال له ورقة: هذا الناموس[8] الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً[9]، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ: أو مخرجيَّ هم ؟ قال: نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً [10] ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي » .

---

(١) غطني: عصرني وضمني ، الجهد: المشقة .

(٢) (العلق: ١-٣)

(٣) زملوني: غطوني بالثياب ولفوني بها .

(٤) الفزع: الخوف .

(٥) تحمل الكل: تنفق على الضعيف واليتيم والعيال ، والكل: أصله الثقل والإعياء .

(٦) تكسب المعدوم: تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق .

(٧) تعين على نوائب الحق: أنك لا يصيبك مكروه لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل .

(٨) الناموس: هو جبريل عليه السلام ، ومعنى الناموس: صاحب سر الخير .

(٩) الجذع: الشاب القوي .

(١٠) نصراً مؤزراً: قوياً بالغاً .

المبحث الثاني: فترة الوحي

وعند الإمام أحمد زيادة لطيفة في شدة حزن النبي لفتور الوحي ، تقول الزيادة « وفتر الوحي حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه ، تبدى له جبريل عليه السلام فقال له: يا محمد إنك رسول الله حقاً ، فيسكن ذلك جاشه، وتقرُّ نفسه عليه الصلاة والسلام، فيرجع ، فإذا طالت عليه، وفتر الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فقال له مثل ذلك»[1].

٥٠ـ من حديث جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي:

(بينما أنا واقف ، فرفعت رأسي إلى السماء ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسيه بين السماء والأرض ، قال رسول الله ﷺ: فَجُئِثْتُ منه فرقاً ، فرجعت ، فقلت: زملوني زملوني دثروني ، فأنزل الله تعالى: ﴿ **يا أيها المدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر** ﴾[2]. ثم تتابع الوحي[3].

فيكون أول ما أنزل من القرآن ابتداءً ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾ ، وأول ما نزل من القرآن بعد فترة الوحي وعودة جبريل للنزول على النبي ﷺ ﴿ **يا أيها المدثر قم فأنذر** ﴾ والله أعلم .

٥١ ـ ومن حديث جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: « اشتكى

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب حدثنا يحيى بن بكير رقم: ٣ فتح الباري: ١/ ٢٢ في كتاب الأنبياء ، باب ﴿ واذكر في الكتاب موسى ﴾ ، وفي التفسير ، باب تفسير سورة: ﴿ اقرأ باسم ربك﴾ رقم: ٤٩٥٣ ، فتح الباري: ٨/ ٧١٥ ، وفي التعبير ، باب أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصادقة .

ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي رقم: ١٦٠ ، واحمد في المسند: ٦/ ٢٣٣، وانظر الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٠٧ـ٢٠٩

(٢) (المدثر ـ١ـ٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ، باب: ٤ ، حديث رقم: ٤ ، فتح الباري: ١/ ٢٧ وفي التفسير، باب تفسير سورة العلق ، رقم: ٤٩٥٩ فتح الباري: ٨/ ٧١٥ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بدء الوحي ، حديث رقم: ١٦١ ، وفي كتاب الفضائل باب عرق النبي ﷺ في البرد ، وحين يأتيه الوحي ، حديث رقم: ٢٣٣٣ ، وأحمد في المسند: ٣/ ٣٢٥،٣٧٧، والموطا: ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣، في القرآن باب ما جاء في القرآن .

جئثت: ذعرت .

رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً فقالت امرأة: ما أرى شيطانك إلا تركك، فأنزل الله ﴿ والضحى ، والليل إذا سجى، ما ودَّعك ربك وما قلى﴾[1][2].

المبحث الثالث: كيف كان يأتي الوحي الرسول صلى الله عليه وسلم

٥٢ـ من حديث عائشة زوج النبي ﷺ أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال:

« يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ » فقال رسول الله ﷺ: (أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ ، فينفصم عني ، وقد وعيت ما قال: وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشاتي الشديد البرد، فينفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[3].

المبحث الرابع: تصديق ورقة بن نوفل بالرسول صلى الله عليه وسلم

٥٣ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (لا تسبوا ورقة ، فإني رأيت له جنه أو جنتين)[4].

٥٤ـ ومن حديث عائشة أن خديجة سألت النبي ﷺ عن ورقة بن نوفل فقال: (قد رأيته فرأيت عليه ثياب بياض ، فأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بياض)[5].

---

(١) رواه البخاري ، في فضائل القرآن ، باب كيف نزل الوحي: ٤٩٨٣ ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من الأذى: ١٧٩٧ ، والترمذي في تفسير القرآن ، باب سورة الضحى: ٣٣٤٩ ، والطيالسي: ٢/٢٥، وأحمد في المسند: ٤/٣١١، ٣١٢، ٣١٣ ، والحميدي في مسنده: ٢/٣٤٢ ، والطبراني في الكبير: ١٧٠٩ـ١٧١٢
الصلصلة: صوت الحديد إذا وقع بعضه على بعض . ينفصم عنه: يقلع عنه .

(٢) سورة الضحى: ١ـ٣

(٣) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب رقم: ٢ ، حديث رقم: ٢ ، ومسلم في الفضائل ، باب عرق النبي ﷺ في البرد وحين يأتيه الوحي ، رقم: ٢٣٣٣

(٤) رواه الحاكم في المستدرك: ٢/٦٠٩ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا ، وقال ابن كثير في السيرة: ٤/٣٩٨ وإسناده جيد ، وانظر صحيح الجامع الصغير: ٧١٩٧ ، والأحاديث الصحيحه: ٤٠٥ ، وقال: صحيح .

(٥) وقال ابن كثير في السيرة: ١/٣٩٧ هذا إسناد حسن ، لكن رواه الزهري وهشام عن عروة مرسلاً.

الفصل الثاني

أول الناس إسلاماً

٥٥ـ من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: « أوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين وصلى عليّ يوم الثلاثاء »[1].

٥٦ـ ومن حديث عفيف الكندي رضي الله عنه قال: « كنت امرءاً تاجراً، فقدمت الحج، فأتيت العباس بن عبدالمطلب لأبتاع منه بعض التجارة، وكان امرءاً تاجراً، فوالله إني لعنده بمنى إذ خرج رجل من خباء قريب منه، فنظر إلى الشمس، فلما رآها مالت، قام يصلي، ثم خرجت امرأة من ذلك الخباء الذي خرج ذلك الرجل منه، فقامت خلفه تصلي، ثم خرج غلام حين ناهز الحلم من ذلك الخباء، فقام معه يصلي.

قال: فقلت للعباس: يا عباس ما هذا ؟ قال: هذا محمد ابن أخي عبدالله بن عبدالمطلب قال: قلت: من هذه المرأة قال: هذه امرأته خديجة ابنة خويلد. قال: فقلت من هذا الفتى قال: هذا علي بن أبي طالب ابن عمه.

قال: قلت: فما هذا الذي يصنع ؟ قال: يصلي، وهو يزعم أنه نبي، ولم يتبعه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الفتى، وهو يزعم أنه ستفتح عليه كنوز كسرى وقيصر.

قال: فكان عفيف وهو ابن عم الأشعث بن قيس يقول ـ وأسلم بعد فحسن إسلامه: لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ، فأكون ثانياً مع علي بن أبي طالب»[2].

٥٧ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أول من صلى مع النبي

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٣/ ١١٢، وصححه، وقال: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أحمد: ١/ ٢٠٩ـ٢١٠، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٨٣، فقال صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وابن سعد في الطبقات، والنسائي في الخصائص: ١٧ـ١٨، وذكره الحافظ في الإصابه، وعزاه للبغوي وأبي يعلى، ورواه الطبري في تاريخه: ٢/ ٢١٢ـ٢١٣، والبخاري في التاريخ الكبير: ٤/ ١/ ٧٤ ـ٧٥، وابن عبدالبر في الاستيعاب، وقال ابن عبد البر: حديث حسن جداً، وقال الهيثمي: ٩/ ١٠٣ رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه، والطبراني ورجال أحمد ثقات: انظر أبا يعلى رقم: ١٥٤٧.

ﷺ بعد خديجة علي »[1] .

٥٨- ومن حديث سلمان رضي الله عنهما قال: « أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولها إسلاماً علي بن أبي طالب »[2] .

٥٩- ومن حديث زيد بن أرقم رضي الله عنهما قال: « أول من صلى (وفي لفظ) أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي »[3].

٦٠- من حديث أبي الدرداء رضي الله عنهما في قصة ما حصل بين أبي بكر وعمر من الخصومة فقال رسول الله ﷺ: (إنَّ الله بعثني إليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر صدق ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟)[4].

٦١- من حديث عمار رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمس أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر » . وفي هذا الحديث أن أبا بكر أول من أسلم من الأحرار مطلقاً[5] .

وهو قول ابن عباس ، وإبراهيم النخعي ،ومحمد بن كعب ، ومحمد بن سيرين ، وسعد بن إبراهيم ، وهو المشهور عند جمهور أهل السنة[6].

ولا منافاة في ذلك ، « فإن أبا بكر أول من أسلم من الرجال ، وعلياً أول من أسلم من الصبيان ، وخديجة أول من أسلم من النساء ، وزيد بن حارثة أول

---

(١) رواه الترمذي: ٣٧٣٤ في المناقب ، باب مناقب علي ، والطيالسي: ٢٧٥٣ ،واحمد: ١/ ٣٣٠ ـ٣٣١ ، وقال الساعاتي في الفتح: ٢٠/ ٢١٤، وسنده جيد .

(٢) قال الهيثمي: ٩/ ١٠٢: رواه الطبراني: ٦١٧٤ ورجاله ثقات ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٣٦ .

(٣) رواه الترمذي: ٣٧٣٥ في المناقب ، باب مناقب علي بن أبي طالب ، واحمد: ٤/ ٣٦٨ ـ٣٧١ ، والطيالسي: ٦٧٨ ، والحاكم: ٣/ ١٣٦ ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .
قلت: وهو كما قالوا ، وقد وقع في آخره عند الترمذي: « قال عمرو بن مرة: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فأنكره ، وقال: أول من أسلم أبو بكر الصديق » . ويشهد له حديث ابن عباس السابق .

(٤) رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب قول النبي: (لو كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٦٦١ فتح الباري: ٧/ ١٨ .

(٥) رواه البخاري في فضائل الصحابة ، باب قول النبي: (لو كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٧٦٦٠ ، فتح الباري: ٧/ ١٨ .

(٦) سيرة ابن كثير: ١/ ٤٣٥ ، فتح الباري: ٧/ ٢٤ .

من أسلم من الموالي ». وهذا قول أبي حنيفة رضي الله عنه [١].

أما الأعبد الذين ذكروا في حديث عمار فهم بلال بن رباح ، وزيد بن حارثة، وعامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر ، فإنه أسلم قديماً مع أبي بكر ، وأبو فكيهة مولى صفوان بن أمية ، وشقران مولى النبي ﷺ . والمرأتان فخديجة ، والأخرى أم أيمن أو سمية [٢].

وقد كان من أوائل من آمن بالنبي ﷺ الصحابي عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

٦٢ـ عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه : قال: قلت: « يا رسول الله ، من معك على هذا الأمر ؟ قال: (حر وعبد) قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ، ثم قال له: (ارجع إلى قومك حتى يمكن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لرسوله) قال: وكان عمرو بن عبسة يقول: « لقد رأيتني وإني لربع الإسلام » [٣].

---

(١) سيرة ابن كثير: ١/٤٣٧، والترمذي في المناقب ، باب مناقب علي رقم: ٣٧٣٥ ، وقال: كذا قال بعض أهل العلم .

(٢) فتح الباري: ٧/٢٤

(٣) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب إسلام عمرو بن عبسة ، رقم: ٨٣٢ مطولاً ، والإمام أحمد في مناقب عمرو بن عبسة في فضائل الصحابة ، انظر الفتح الرباني: ٢٠/٢١٥

الفصل الثالث

الجهر بالدعوة

٦٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لما نزلت: ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [١] خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف: يا صباحا ، فقالوا: من هذا ؟ فاجتمعوا إليه ، فقال: (أرأيتم إن أخبرتكم أنَّ خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جَرَّبنا عليك كذباً ، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) .

قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت: ﴿ **تبت يدا أبي لهب وتب** ﴾ [٢] .

٦٤- ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، قام رسول الله ﷺ فقال: (يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبدالمطلب ، يا بني عبدالمطلب ، لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من ما لي ما شئتم) [٣] .

٦٥- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ قال: (يا معشر قريش ، أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبدالمطلب ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله ، لا أغني عنكم من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد ، سليني ما شئت من مالي ، لا أغني عنك من الله شيئاً) [٤] .

---

(١) (سورة الشعراء: ٢١٤)

(٢) رواه البخاري في التفسير ، سورة الشعراء، باب: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ رقم: ٤٧٧٠ فتح الباري: ٨/ ٥٠١ ، وفي سورة تبت رقم: ٤٩٧١، ٤٩٧٢ فتح الباري: ٨/ ٧٣٧ ، وفي الأنبياء ، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ، وفي الجنائز ، باب ذكر شرار الموتى ، ومسلم في الصحيح، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ رقم: ٢٠٨ ، أحمد في مسنده: ١/ ٢٨١ ، الفتح الرباني: ٢٠/ ٢١٦ ، وابن جرير في التاريخ: ٢/ ٢١٦ .

(٣) مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب قوله: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ رقم: ٢٠٥ .

(٤) البخاري في التفسير، سورة الشعراء باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ رقم: ٤٧٧١ فتح الباري: ٨/ ٥٥١، وفي الأنبياء ، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام والجاهلية ، وفي الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب .

الفصل الرابع

موقف قريش مما جاءهم
به الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: قريش تطلب من أبي طالب الحد من نشاط الرسول

٦٦ـ من حديث عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « جاءت قريش إلى أبي طالب فقالوا: إنَّ ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا، فقال: يا عقيل، انطلق فائتني بمحمد، فاستخرجته من كنس، أوقال خنس، يقول: بيت صغير، فجاء به في الظهيرة في شدة الحر.

فلما أتاهم قال: إنَّ بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم، فانته عن أذاهم.

فحلق رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء فقال: (ترون هذه الشمس). قالوا: نعم، قال: (فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشعلوا منه بشعلة) وفي رواية: (والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثت به من أن يشعل أحد من هذه الشمس شعلة من نار).

فقال أبو طالب: « والله ما كذب ابن أخي قط، فارجعوا راشدين »[1].

---

(١) المطالب العالية: ٤٢٧٨، ورواه أبو يعلى وإسناده صحيح، والطبراني في الأوسط والكبير. وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٥: رواه أبو يعلى باختصار يسير من أوله، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح.

المبحث الثاني: الوليد بن المغيرة وقوله في القرآن

٦٧ـ من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن الوليد بن المغيرة جاء رسول الله ﷺ، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقد لـه، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم، إنَّ قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً فقال: لِمَ؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمداً لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً.

قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك إنك منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجنَّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إنَّ لقوله الذي يقول لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: قف عني حتى أفكر فيه، فلما فكَّر، قال: إن هذا إلا سحر يؤثر. يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ **ذرني ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين شهوداً، ومهدت له تمهيداً** ﴾[1] [2].

المبحث الثالث: صور من أذى قومه له

وسيأتي تفصيل أكثر ولكن نذكر بعضه هنا لمناسبته للأحداث في هذا المبحث.

٦٨ـ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال:

« حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر، فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط، سفه أحلامنا، وشتم آباءنا، وعاب ديننا، وفرق جماعتنا، وسب آلهتنا، لقد صرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا.

---

(١) سورة المدثر: (١١ـ١٣)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ٥٠٧/٢، وقال صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: البداية والنهاية: ٦٠/٣، والبيهقي في دلائل النبوة: ٥٥٦/١.

قال. فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ ، فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرَّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما أن مر بهم غمزوه ببعض ما يقول ، قال: فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، فلما مرَّ بهم الثالثة فغمزوه بمثلها ، فقال: (تسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح) ، فأخذت القوم كلمته ، حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ، حتى إن أشدَّهم فيه وصاة من قبل ذلك ليرفاه بأحسن ما يجد من القول ، حتى إنه ليقول: انصرف يا أبا القاسم ، انصرف راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً .

قال: فانصرف رسول الله ﷺ حتى إذا كان من الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض: ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا بادأكم بما تكرهون تركتموه ، فبينما هم في ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ، فأحاطوا به يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا ، كما كان يبلغهم عنه من عيب آلهتهم ودينهم ، قال: فيقول رسول الله ﷺ ، (نعم أنا الذي أقول ذلك) ، قال: فلقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجمع ردائه ، قال: وقام أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - دونه يقول وهو يبكي: أتقتلون رجلاً أن يقول ربيَّ الله ؟ ثم انصرفوا عنه ، فإن ذلك لأشدُّ ما رأيت قريشاً بلغت منه »[1].

وقوله « فإن ذلك لأشد ما رأيت قريشاً بلغت منه » لا يعني أن النبي لم يؤذ أشد من ذلك ، ولكن قال ذلك لما رأى هو ، وليس لما رأى غيره .

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٢١٨/٢ بإسناد صحيح ، صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث ، وأخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب لو (كنت متخذاً خليلاً) رقم: ٣٦٧٨ فتح الباري: ٧/ ٢٢ مختصراً ، وأشار البخاري إلى رواية ابن إسحاق هذه ، وقال: وصله أحمد من طريق إبراهيم بن سعد ، والبزار من طريق بكر بن سليمان ، كلاهما عن ابن إسحاق بهذا السند ، وانظر أطرافة عند البخاري: ٣٨٥٦، ٤٨١٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٦/٦ رواه أحمد ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، وبقية رجاله رجال الصحيح وقال أيضاً: في الصحيح ، طرف منه .

المبحث الرابع: الدخول في الإسلام على الرغم من الأذى

١ـ إسلام حمزة رضي الله عنه

جاء في قصة إسلامه عليه رضوان الله عليه آثار مرسلة بأسانيد رجالها ثقات:

٦٩ـ عن محمد بن كعب القرظي قال: « كان إسلام حمزة بن عبدالمطلب رضي الله عنه حَمِيَّةً ، وكان يخرج من الحرم فيصطاد ، فإذا رجع مر بمجلس قريش ، وكانوا يجلسون عند الصفا والمروة ، فيمر بهم فيقول: رميت كذا وكذا ، وصنعت كذا وكذا ، ثم ينطلق إلى منزله ، فأقبل من رميه ذات يوم ، فلقيته امرأة فقالت: يا أبا عمارة ، ماذا لقي ابن أخيك من أبي جهل بن هشام ! شتمه، وتناوله ، وعمل وفعل .

فقال: هل رآه أحد ؟

قالت: أي والله ، لقد رآه ناس .

فاقبل حتى انتهى إلى ذلك المجلس عند الصفا والمروة ، فإذا هم جلوس وأبو جهل فيهم .

فاتكأ على قوسه ، وقال: رميت كذا وكذا ، وفعلت كذا وكذا ، ثم جمع يديه بالقوس ، فضرب بها بين أذني أبي جهل فوق سنتها ، ثم قال: خذها بالقوس ، وأخرى بالسيف: وأشهد أنه رسول الله ﷺ ، وأنه جاء بالحق من عند الله . قالوا: يا أبا عمارة إنه سبَّ آلهتنا ، وإن كنت أنت ، وأنت أفضل منه ، ما أقررناك وذاك ، وما كنت يا أبا عمارة فاحشاً » [(١)].

وقد جاء من حديث ابن إسحاق عن رجل من أسلم ، فذكر القصة أطول مما ذكرت هنا [(٢)] .

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٩/٢٦٧ ، رواه الطبراني مرسلاً ، ورجاله رجال الصحيح ، وقد جاء بنحوه عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق حليف بني زهرة ، وقال الهيثمي: ٩/٢٦٧ رواه الطبراني مرسلاً ، ورجاله ثقات . ومجموع الطرق المرسلة تفيد الحديث قوة وصحة .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك: ٣/١٩٢ـ١٩٣ ، وابن كثير في السيرة: ١/٤٤٥ـ٤٤٦ ، وقال: وهكذا رواه البيهقي عن الحاكم ، عن الأصم ، عن أحمد بن عبدالجبار ، عن يونس بن بكير ، عن ابن إسحق فذكره ، انظر دلائل النبوة للبيهقي: ٢/٢١٣ـ٢١٤ ، والسيرة النبوية لابن هشام: ١/٣٦٠ .

٢- إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

٧٠- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه: اركب إلى هذا الوادي ، فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء ، واسمع من قوله ، ثم ائتني . فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله ، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وكلاماً ما هو بالشعر . فقال: ما شفيتني مما أردت .

فتزود ، وحمل سنة له فيها ماء ، حتى قدم مكة ، فأتى المسجد ، فالتمس رسول الله ﷺ ولا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه بعض الليل (اضطجع) ، فرآه علي فعرف أنه غريب ، فلما رآه تبعه ، فلم يسأل واحداً صاحبه عن شيء حتى أصبح ، قام احتمل قربته وزاده إلى المسجد ، وظلَّ ذلك اليوم ، ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى ، فعاد إلى مضجعه ، فمر به عليٌّ فقال: أما آن للرجل أن يعلم منزله ؟ فأقامه ، فذهب به معه ، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء ، حتى إذا كان يوم الثالث فعاد علي على مثل ذلك ، فأقام معه، فقال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك ؟

قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت . ففعل ، فأخبره . قال: فإنه حقٌّ، وهو رسول الله ﷺ ، فإذا أصبحت فاتبعني ، فإني إن رأيت شيئاً أخاف عليك قمت كأني أريق الماء ، فإن مضيت فاتبعني حتى تدخل مدخلي .

ففعل ، فانطلق يقفوه[1] ، حتى دخل على النبي ﷺ ،ودخل معه ، فسمع من قوله ، وأسلم مكانه .

فقال له النبي ﷺ: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري . قال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم .

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أوجعوه . وأتى العباس فأكب علي، قال: ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجارتكم إلي الشام ؟ فأنقذه منهم .

---

(١) يقفوه: يتبعه .

ثم عاد من الغد لمثلها ، فضربوه وثاروا إليه ، فأكب العباس عليه »[1].

وقد جاءت قصة إسلامه مبسوطة أكثر عند مسلم [2] من حديث عبدالله بن الصامت، وفيها زيادات كثيرة ، فانظر التوفيق بين الروايتين في فتح الباري [3] للحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى .

٣ـ إسلام ضماد الأزدي

٧١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءه ، وكان يرقى من هذه الريح ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون ، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي ، قال: فلقيه ، فقال: يا محمد ، إني أرقي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يديَّ من شاء ، فهل لك ؟

فقال رسول الله ﷺ: (إنَّ الحمدلله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله . أما بعد)

قال: « فقال: أعد عليَّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن قاموس البحر . قال: فقال: (هات يدك أبايعك على الإسلام) ، قال: فبايعه ، فقال رسول الله ﷺ: (وعلى قومك) ، قال: وعلى قومي .

قال: فبعث رسول الله ﷺ سرية فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش: هل أصبتم من هؤلاء شيئاً ؟ فقال: رجل من القوم: أصبت منهم مطهرة ، فقال: ردها فإنَّ هؤلاء قوم ضماد [4] .

---

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب إسلام ابي ذر ، رقم: ٣٨٦١ ، فتح الباري: ٧/ ١٧٣ ، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل ابي ذر رقم،: ٢٤٧٤ .

(٢) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي ذر ، رقم: ٢٤٧٤ .

(٣) فتح الباري: ٧/ ١٧٤ ـ ٢٧٥ ، مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر ، رقم: ٣٨٦١ .

(٤) رواه مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، رقم: ٨٦٨ ، ورواه أحمد في المسند: ١/ ٣٠٢، ٣٥٠، ٣٩٣، ٤٣٢، ٣/ ٣٧١ ، والحاكم: ٣/ ٥٤ـ٥٥ وصححه ، ووافقه الذهبي ، وابن سعد: ١/ ٢٩٩ ، وسنده قوي ، وابن هشام: ٢/ ٥٧٣ـ٥٧٥ ، والفتح الرباني: ٢١/ ٢٠٨ .

المبحث الخامس: عتبة يعرض على الرسول صلى الله عليه وسلم المناصب والمال والنساء

٧٢- من حديث جابر بن عبدالله: قال: « اجتمعت قريش للنبي ﷺ يوماً، فقالوا: انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وعاب ديننا، فليكلمه، ولينظر ما يرد عليه.

قالوا: ما نعلم أحداً غير عتبة بن ربيعة.

قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد أنت خير أم عبدالله؟

فسكت النبي ﷺ، قال: أنت خير أم عبدالمطلب؟ فسكت رسول الله ﷺ، قال: فإن كنت تزعم ان هؤلاء خير منك، قد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتتَ أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب، حتى طار فيهم أنَّ في قريش ساحراً، وأنَّ في قريش كاهناً، ما ينتظر إلا مثل صيحة الحبلى بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى.

أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلاً، وإن كان إنما بك الباءة فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشراً.

فقال رسول الله ﷺ: أفرغت، قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: ﴿**حم تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾ حتى بلغ: ﴿**فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**﴾ فقال عتبة: حسبك ما عندك غير هذا. قال: لا.

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك. فقال: ما تركت شيئاً أرى انكم تكلمونه به إلا كلمته، قالوا: هل أجابك، قال: نعم، قال: والذي نصبها بنية ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال: انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، قالوا: ويلك يكلمك بالعربية، فلا تدري ما قال.

ومعنى يرقي: من الرقية، وهي العوذة التي يرقى بها صاحب الآفة.
والمراد بالريح هنا: الجنون، ومس الجنون ومس الجن.
وقوله فهل لك؟: أي فهل لك رغبة في رقيتي، وهل تميل إليها؟
قاموس البحر: وسطه، وقال ابن دريد: لجته.

قال: لا والله ، ما فهمت مما قال غير ذكر الصاعقة [1].

المبحث السادس: قريش وطلبهم الآيات والمعجزات

وقال تعالى: ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً ، أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً ، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ﴾ [2].

٧٣ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك . قال: وتفعلون ؟ قالوا: نعم.

قال فدعا: فأتاه جبريل فقال: إن ربك ـ عزَّ وجل ـ يقرأ عليك السلام ، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً ، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين ، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة . فقال: بل باب التوبة والرحمة .

فأنزل الله تعالى: ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ [3][4] .

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ١٨١٨ ، وابن هشام في السيرة: ١/٢٩٣ـ٢٩٤ ، والبيهقي في الدلائل: ١/٢٣٠ـ٢٣١ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم: ١٨٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/٢٩٥ـ٢٩٦ ، وعبد بن حميد كما في المنتخب: ١١٢٣ ، والحاكم ، في المستدرك: ٢/٢٥٣ . وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .
وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٩ـ٢٠ رواه أبو يعلى ، وفيه الأجلح الكندي ، وثقه ابن معين وغيره وضعفه النسائي وغيره ، وبقية رجاله ثقات .
قلت: الأجلح ضعفه أبو حاتم ، والنسائي وأحمد ، ووثقه ابن معين والعجلي ، ورضيه ابن عدي فهو حسن الحديث إن شاء الله .

(٢) (سورة الإسراء: ٩٠ـ٩٣)

(٣) (سورة الإسراء: ٩٥)

(٤) رواه أحمد في المسند: ١/٢٥٨ ، والحاكم في المستدرك: ٢/٣٦٢ ، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال ابن كثير في تفسيره: رواه الإمام أحمد ، وابن مردويه ، والحاكم في مستدركه من حديث سفيان الثوري ، وعزاه في البداية والنهاية: ٣/٥٢، للنسائي ، وقال: إن سنده جيد، وذكر في السيرة: ١/٤٨٣ إسنادين له: ثم قال: هذان إسنادان جيدان . وقال الهيثمي في المجمع: ٧/٥٠ : بعد ذكر روايتين للإمام أحمد: ورجال الروايتين رجال الصحيح ، إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم ، وهو وهم ، وفي بعضها عمران أبو الحكم وهو ابن الحرث ، وهو الصحيح

٧٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: « قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه الرجل ، فقالوا: سلوه عن الروح، فنزلت: ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

قالوا: نحن لم نؤت من العلم إلا قليلاً ، وقد أوتينا التوراة فيها حكم الله ، ومن أوتي التوراة ، فقد أوتي خيراً كثيراً ، فنزلت: ﴿ **قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً** ﴾»[1][2] .

المبحث السابع: اشتداد إيذاء قريش للنبي

١ـ أبو جهل بن هشام يزعم أنه يطأ عنق الرسول

٧٥ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ . قال: فقيل: نعم .

فقال: واللات والعزى ! لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرنَّ وجهه في التراب . قال فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ، زعم ليطأ على رقبته، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه. قال: فقيل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولا وأجنحة .

فقال رسول الله ﷺ: (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)[3].

٧٦ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال أبو جهل لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه ،قال: فقال عليه السلام: (لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ، ورأوا مقاعدهم في

.وابن جرير الطبري في التفسير: ١٠٨/١٥ وصححه احمد شاكر في تعليقه على المسند برقم: ٢٣٣٣ .

(١) سورة الكهف: ١٠٩

(٢) رواه أحمد في المسند: ٢٥٥/١ ،والترمذي في التفسير ، باب سورة بني إسرائيل رقم: ٣١٤٠ ، وقال: حسن صحيح غريب ، والحاكم في المستدرك: ٥٣١/٢ ، وقال: صحيح الإسناد ، وأقره الذهبي ، وصححه احمد شاكر برقم: ٢٣٠٩ .

(٣) رواه مسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب قوله: ﴿ إن الإنسان ليطغى ﴾ رقم: ٢٧٩٧ ، وأحمد: ٣٧٠/٢ ، وابن كثير في تفسيره: ٥٢٩/٤ ، وقال: رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن أبي حاتم ، وابن جرير في التفسير: ٢٥٦/٣٠ ، والبيهقي دلائل النبوة: ٤٣٨/١ .
يعفر وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب .
فجأهم: بغتهم .
ينكص على عقبيه: رجع يمشي إلى ورائه .

النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله لرجعوا لا يجدون مالاً ولا أهلاً)[1].

٧٧ـ ومن حديث ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي فجاء أبو جهل: فقال: « ألم أنهك عن هذا ؟ الم أنهك عن هذا ؟ فانصرف النبي ﷺ فزبره ، فقال: أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني ، فأنزل الله تعالى ﴿ فليدع ناديه سندع الزبانية ﴾ . قال ابن عباس: لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله »[2] .

٢ـ فعل أبي لهب

٧٨ـ من حديث ربيعة بن عباد الديلي: وكان جاهلياً أسلم قال:

« رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذي المجاز يقول: يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه ، فما رأيت أحداً يقول شيئاً ، وهو لا يسكت يقول: يا أيها الناس ، قولوا لا إله الله تفلحوا ، إلا أن وراءه رجلاً أحول وضيء الوجه ذو غديرتين يقول: إنه صابئ كاذب ، فقلت من هذا ؟ قالوا: محمد بن عبدالله ، وهو يذكر النبوة . قلت: ومن هذا الذي يكذبه ، قالوا عمه أبو لهب . قلت: « يعني ابن أبي الزناد إنك كنت يومئذ صغيراً ؟ قال: لا والله ، إني يومئذ لأعقل » .

وفي رواية أخرى: « قال: إني لمع أبي ، رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ، ووراءه رجل أحول وضيء ذو جمة ، يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول: (يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم آمركم ، أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تصدقوني حتى أنفذ عن الله ما بعثني به) .

فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال الآخر من خلفه: يا بني فلان ، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى ، وحلفاءكم من الجن بني مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تسمعوا له ، ولا تتبعوه . فقلت لأبي من هذا ؟ قال: عمه أبو لهب »[3] .

---

(١) رواه البخاري في التفسير: تفسير سورة العلق ، باب: ﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية ﴾ رقم: ٤٩٥٨ ، فتح الباري: ٨/ ٧٢٤ والترمذي: ٣٣٤٨ في التفسير: تفسير سورة العلق ، وقال: حسن صحيح غريب ، وأحمد ، انظر الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٣ ، وقال الهيثمي: ٨/ ٢٢٨: رواه أحمد وأبو يعلى ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

(٢) رواه الترمذي في التفسير ، باب تفسير سورة العلق رقم: ٣٣٤٩ ، وقال حسن صحيح غريب ، وابن جرير في التفسير: ٣٠/ ٢٥٦ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ١٣٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) رواه أحمد في المسند: ٣/ ٤٩١ـ٤٩٢،٤٩٣ ، ٤/ ٣٤١، وسنده حسن ، وقال الشيخ الساعاتي في الفتح

وقد سبق ذكر حديث الجهر بالدعوة ، وإيذاء أبي لهب للنبي أمام قريش بقوله: تباً لك ، ألهذا جمعتنا ؟ فانظره هناك .

٣ـ إيذاء عقبة بن أبي معيط للرسول صلى الله عليه وسلم

٧٩ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

« بينما رسول الله ﷺ يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه ، فظل في كتفي محمد إذا سجد .

فانبعث شقي القوم فأخذه ، فلما سجد النبي ﷺ وضعه بين كتفيه ، قال فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبي ساجد ، ما يرفع رأسه ، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة .

فجاءت ، وهي جويرية ، فطرحته عنه ، ثم أقبلت تشتمهم ، فلما قضى النبيُّ صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم . وكان إذا دعا ، دعا ثلاثاً ، وإذا سأل ، سأل ثلاثاً ، ثم قال: (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات .

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، ثم قال:

(اللهم عليك بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة [1] ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط). وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً ﷺ بالحق ! لقد رأيت الذين سمَّى صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب: قليب بدر) [2] .

الرباني: ٢٠/٢١٦ـ٢١٧ سنده جيد ، رواه البيهقي والطبراني .
وله شاهد من حديث طارق به عبدالله المحاربي ، أخرجه أبو بكر بن شيبة ، انظر المطالب العالية: ٤٢٧٧، قال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح ، وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والنسائي وابن ماجه مختصراً ، صحيح ابن حبان موارد: ١٦٨٣ ، والطبراني في الكبير: ٤٥٨٣ ، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند: ٤/٣٤٢ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٢٢ ، رواه أحمد وابنه ، والطبراني في الكبير نحوه ، والأوسط باختصار وبأسانيد ، وأحد أسانيد عبدالله بن أحمد رجاله ثقات .

(١) في صحيح مسلم: الوليد بن عقبة ، وصوابه ما أثبتناه ، انظر فتح الباري: ٧: ١٦٥ .

(٢) رواه مسلم في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي من أذى المشركين والمنافقين ، رقم: ١٧٩٤ ، والبخاري في كتاب الصلاة ، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، رقم: ٥٢٠ فتح الباري: ١/٥٩٤ ، وكتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين ، رقم: ٣٨٥٤ فتح الباري: ٧/١٦٥ وأحمد ، انظر الفتح الرباني: ٢٠/٢١٨ .

وأما السابع ففي رواية البخاري: (عمارة بن الوليد)[1] .

٨٠ـ ومن حديث عبدالله بن مسعود أيضاً قال:

« بينما رسول الله ﷺ في المسجد وأبو جهل بن هشام ، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وعقبة بن أبي معيط ، وامية بن خلف ، ورجلان آخران كانوا سبعة ، وهم في الحجر ، ورسول الله ﷺ يصلي ، فلما سجد وأطال السجود ، فقال أبو جهل: أيكم يأتي جزور بني فلان فيأتينا بفرثها ، فنكفئه على محمد ﷺ ، فانطلق أشقاهم عقبة بن أبي معيط ، فأتى به فالقاه على كتفيه ، ورسول الله ﷺ ساجد قال ابن مسعود: وأنا قائم لا أستطيع أن أتكلم ، ليس عندي منعة تمنعني ، فأنا أذهب إذ سمعتْ فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فأقبلت حتى القت ذلك عن عاتقه ، ثم استقبلت قريشاً تسبهم ، فلم يرجعوا إليها شيئاً .

ورفع رسول الله ﷺ رأسه كما كان يرفع عند تمام السجود ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال: (اللهم عليك بقريش ثلاثاً ، عليك بعتبة وعقبة وأبي جهل وشيبة) ، ثم خرج من المسجد ، فلقيه أبو البختري بسوط يتخصر به ، فلما رأى النبي ﷺ ، وأنكر وجهه ، فقال النبي ﷺ: خل عني ، قال: علم الله لا أخلي عنك أو تخبرني ما شأنك ، فلقد أصابك شيء ، فلما علم النبي ﷺ أنه غير مخلّ عنه أخبره ، فقال: (إن أبا جهل أمر فطرح عليّ فرث) ، قال أبو البختري: هلمَّ إلى المسجد .

فأتى النبي ﷺ وأبو البختري فدخلا المسجد ، ثم أقبل أبو البختري إلى أبي جهل فقال: يا أبا الحكم أنت الذي أمرت بمحمد ﷺ ، فطرح عليه الفرث قال: نعم . قال فرفع السوط فضرب به رأسه ، قال: فثار الرجال بعضها إلى بعض ، قال: وصاح أبو جهل: ويحكم هي له ، إنما أراد محمد أن يلقي بيننا العداوة ،

جزور: ناقة

سلا: اللفافة: التي يكون فيها الولد في بطن الناقة ، وسائر الحيوان ، وهي من الآدمي المشيمة .

أشقى القوم: عقبة بن أبي معيط .

استضحكوا: حملوا انفسهم على الضحك والسخرية ، ثم أخذهم الضحك جداً ، فجعلوا يضحكون ، ويميل بعضهم على بعض .

جويرية: شابة لم تكبر بعد.

القليب: هي البئر التي لم تطو .

(١) رواه البخاري في كتاب الصلاة ، باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ، رقم: ٥٢٠ ، فتح الباري: ١/ ٥٩٤ .

وينجو هو وأصحابه » وفي رواية: فلما رفع رسول الله ﷺ رأسه: (حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال: أما بعد اللهم عليك الملأ من قريش)[1] .

٤ـ اجتماع الملأ من قريش وضربهم الرسول

٨١ـ من حديث أسماء بنت أبي بكر أنهم قالوا لها:

ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ ؟ فقالت: « كان المشركون رفعوا في المسجد عمداً ليروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم ، فبينما هم كذلك ، إذ أقبل رسول الله ﷺ فقاموا إليه بأجمعهم ، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقالوا: أدرك صاحبك ، فخرج من عندنا ، وإن له لغدائر أربع ، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ قال: فلَهَوْا عن رسول الله ﷺ ، وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه ، قالت: فرجع إلينا أبو بكر ، فجعل لا يمس من غدائره إلا جاء معه ، وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام »[2] .

٨٢ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال:

« إن الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاقدوا باللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى ، ونائلة وإساف ، لو قد رأينا محمداً لقد قمنا إليه قيام رجل واحد، فلم نفارقه حتى نقتله ، فأقبلت ابنته فاطمة رضي الله عنها تبكي حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: هؤلاء الملأ من قريش قد تعاقدوا عليك لو قد رأوك لقد قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك ، فقال: يا بنية أريني وَضُوءاً ، فتوضأ ثم دخل عليهم المسجد ، فلما رأوه قالوا: ها هوذا ، وخفضوا أبصارهم ، وسقطت أذقانهم في صدورهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه بصراً ، ولم يقم إليه رجل ، فأقبل رسول الله ﷺ حتى قام على رؤسهم ، فأخذ قبضة من التراب ، فقال: شاهت الوجوه ، ثم

---

(١) قال الهيثمي: ٦/١٨: حديث ابن مسعود في الصحيح باختصار قصة أبي البختري ، رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وفيه الأجلح بن عبدالله الكندي ، وهو ثقة عند ابن معين وغيره ، وضعفه النسائي وغيره، وحديثه حسن إن شاء الله ، انظر التعليق على حديث رقم: ٧٥ .

(٢) رواه الحميدي في مسنده رقم: ٣٢٤ ،وقال الحافظ في الفتح: رواه أبو يعلى بإسناد حسن: ٧/١١٧ . وقال البوصيري رواه الحميدي وأبو يعلى بإسناد رواته ثقات ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق الحميدي: ١/٣١ انظر المطالب العالية رقم: ٤٢٧٩ ، وله شاهد حديث: ٦٨

حصبهم بها فما أصاب رجلاً منهم من ذلك الحصى حصاة إلا قتل يوم بدر كافراً»[1].

المبحث الثامن: عدوان المشركين على مستضعفي المسلمين

٨٣ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

« أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار بن ياسر، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد ، فأما رسول الله فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول: أحد أحد »[2].

٨٤ـ من حديث عثمان بن عفان قال: « أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء ، حتى أتى على آل عمار بن ياسر ، فقال أبو عمار: يا رسول الله الدهر هكذا ؟ فقال له النبي ﷺ: اصبر ، ثم قال: اللهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت »[3].

وفي رواية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبي عمار وأم عمار وعمار: (اصبروا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة)[4].

٨٥ـ ومن حديث جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ مر بعمار بن ياسر وبأهله

---

(١) رواه أحمد في المسند: ٣٠٣/١ ، ٣٦٨ وابن حبان في صحيحه: موارد: ١٦٩١ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٨/٨ أخرجه أحمد بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح ، وصححه أحمد شاكر برقم: ٢٧٦٢ .

(٢) ابن ماجه: المقدمة ، فضل سلمان وأبي ذر والمقداد رقم: ١٥٠ ، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه: إسناده ثقات ، ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك: ٣٨٤/٣من طريق عاصم بن أبي النجود ، وحديثه حسن ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية: ١٣٩/١ ، وابن سعد في الطبقات: ١٦٦/١/٣ ، وإسناده حسن .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٢٩٣/٩ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، وانظر المسند: ٦٢/١ وابن سعد في الطبقات: ١٧٧/١/٣١ ، وله شاهد من الحديث الذي يليه .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٢٩٣/٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات .

يعذبون في الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فقال: (أبشروا آل ياسر ، موعدكم الجنة)[(١)] .

٨٦ـ عن خباب بن الأرت رضي الله عنه: « قال أتينا رسول الله ﷺ وهو في ظل الكعبة متوسداً بردة له ، فقلنا: يا رسول الله ، ادع الله ـ تبارك وتعالى ـ لنا، واستنصره . قال: فاحمر لونه أوْ تغير ، فقال: (لقد كان من كان قبلكم يحفر له حفرة ويجاء بالمنشار ، فيوضع على رأسه ، فيشق ، ما يصرفه عن دينه، ويمشط بأمشاط من الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب ، ما يصرفه عن دينه، وليتمَّن الله ـ تبارك وتعالى ـ هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تعجلون)[(٢)] .

٨٧ـ من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: « كنت رجلاً قيناً ، وكان لي على العاص بن وائل دين ، فأتيته أتقاضاه ، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ، ثم تبعث .قال: وإني لمبعوث من بعد الموت ؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد . قال فنزلت: **﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً ، اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً ، كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ، ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً ﴾**»[(٣)] .

٨٨ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لقد ضربوا رسول الله ﷺ مرة حتى غشي عليه ، فقام أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فجعل ينادي ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي .الله ! فقالوا: من هذا ؟ فقالوا: أبو بكر المجنون» . وزاد البزار في رواية: « فتركوه ، وأقبلوا على أبي بكر »[(٤)] .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٨٨ ، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٩٣ رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن عبدالعزيز المقدم وهو ثقة .

(٢) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ، باب ما لقي النبي وأصحابه من المشركين بمكة رقم: ٣٨٥٢ فتح الباري: ٧/ ١٦٥ وأبو داود: ٢٦٤٩ في الجهاد ، باب في الأسير يكره على الكفر ، والفتح الرباني: ٢٠/ ٢٢٢ .

(٣) رواه البخاري في التفسير: تفسير سورة مريم ، باب: ٣،٤،٥،٦ وأرقام الأحاديث: ٤٧٣٢ـ٤٧٣٥ ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين ، باب سؤال اليهود عن الروح رقم: ٢٧٩٥ ، وأحمد في المسند: ٥/ ١١١ والترمذي في التفسير: تفسير سورة مريم ، حديث رقم: ٣١٦٢ ، وقال: حسن صحيح ، والطيالسي: ٢/ ٢١ ، وابن جرير في تفسيره: ١٦/ ١٢١

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده رقم: ٣٦٩١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٦٧ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وانظر المطالب العالية رقم: ٣٩٠٥ ، وصححه ابن حجر في المطالب وفي الفتح: ٧/ ١٦٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٧: رواه أبو يعلى والبزار ، ورجاله رجال الصحيح .

المبحث التاسع: ما فعله الرسول وأصحابه بأصنام المشركين

٨٩- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كنت أنطلق أنا وأسامة بن زيد إلى أصنام قريش التي حول الكعبة ، فنأتي بالعذرات ، فنأخذ (حريراق) بأيدينا ، فننطلق به إلى أصنام قريش فنلطخها ، فيصيحون ، يقولون: من فعل بآلهتنا ؟ فينطلقون إليها ، ويغسلونها باللبن والماء »[(١)] .

٩٠- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « انطلقت أنا والنبي ﷺ حتى أتينا الكعبة ، فقال: لي رسول الله ﷺ: اجلس ، وصعد على منكبي، فذهبت لأنهض به ، فرأى مني ضعفاً ، فنزل وجلس لي رسول الله ﷺ. فقال: اصعد على منكبي . قال: فنهض بي ، قال: فإنه يخيل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء ، حتى صعدت على البيت ، وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وعن شماله وبين يديه ومن خلفه ، حتى استمكنت منه ، فقال لي رسول الله: ﷺ اقذف به ، فقذفت به ، فتكسر كما تتكسر القوارير ، ثم نزلت ، فانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق ، حتى توارينا بالبيوت ، خشية أن يلقانا أحد من الناس) .

وفي رواية: (كان على الكعبة أصنام ، فذهبت أحمل النبي ﷺ فلم أستطع، فحملني فجعلت اقطعها ، ولو شئت لنلت السماء) .

وزاد البزار (بعد قوله حتى استترنا بالبيوت ، فلم يوضع عليها بعد يعني شيئاً من تلك الأصنام)[(٢)] .

٩١- من حديث إسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: (دخلت مع رسول الله ﷺ الكعبة ، فرأى فيها تصاوير ، فقال لي: ابتغ لي ماء ، فأتيته بماء في دلو ، فجعل يبل به الثوب ، ثم يضرب به الصور ، يقول: قاتل الله أقواماً يصورون ما لا يخلقون)[(٣)]

---

(١) المطالب العالية: ٤٢٧٥: وعزاه لإسحاق بن راهويه وقال الحافظ: إسناده صحيح ، وتابعه البوصيري .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢٣ رواه أحمد وابنه وأبو يعلى والبزار ورجال الجميع ثقات . انظر مسند أحمد: ١/ ٨٤ وزوائد المسند: ١/ ١٥١ وأبو يعلى: ٢٩٢ .

(٣) المطالب العالية: ٤٢٧٦ وعزاه لإسحاق بن راهويه ، وقال الحافظ: وإسناده حسن .

الفصل الخامس

الهجرة إلى الحبشة

٩٢ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: (بعثنا رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، ونحن نحواً من ثمانين رجلاً ، فيهم عبدالله بن مسعود ، وجعفر، وعبدالله بن عرفطة ، وعثمان بن مظعون ، وأبو موسى ، فأتوا النجاشي) [١].

٩٣ـ ومن حديث عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلى قالت: « كان عمر ابن الخطاب من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، فأتى عمر بن الخطاب ، وأنا على بعيري ، وأنا أريد أن أتوجه ، فقال: أين أم عبدالله ؟ فقلت: آذيتمونا في ديننا ، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى ، فقال: صحبكم الله ، ثم ذهب ، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال: ترجين أن يسلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب »[٢].

٩٤ـ من حديث أم سلمة ابنة أبي أمية بن المغيرة زوج النبي ﷺ قالت: « لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا وعبدنا الله وحده، لا نؤذى ، ولا نسمع شيئاً نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشاً ، ائتمروا أن يبعثوا إلى النجاشي فينا رجلين جلدين ، وأن يهدوا النجاشي هدايا ما يستطرف من متاع مكة ، وكان أعجب ما يأتيه منها الأدم ، فجمعوا له أدماً كثيراً ، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هدية ، وبعثوا بذلك مع عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وعمرو بن العاص بن وائل السهمي ، وأمروهما أمرهم ، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا النجاشي فيهم ، ثم قدموا

---

(١) الفتح الرباني ٢٠/٢٢٤ـ٢٢٥ ، وقال الهيثمي: ٦/٢٤: رواه الطبراني وفيه حديج بن معاوية وثقه أبو حاتم وقال في بعض حديثه ضعف وضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات وقال الحافظ في التقريب: ١/١٥٦ صدوق يخطئ ـ وقال ابن كثير في السيرة: ٢/١٠ـ١١ وعزاه للإمام أحمد وقال: هذا إسناد جيد قوي وسياق حسن ، انظر مسند أحمد: ١/٤٦١.

(٢) قال الهيثمي: ٦/٢٤ رواه الطبراني ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع فهو صحيح .
والبطريق: الحاذق بالحرب وأمورها بلغة الروم ، وهو ذو منصب عندهم .

للنجاشي هداياه ، ثم اسألوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلمهم .

قالت: فخرجا ، فقدما على النجاشي ، ثم قالا: لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم ، فإذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه أن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم ، فإن قومهم أعلم بهم عيباً ، وأعلم بما عابوا عليهم .

فقالوا لهما: نعماً، ثم قربوا هداياهم إلى النجاشي ، فقبلها منهم ، ثم كلماه.

فقالوا له: أيها الملك ، قد صبا إلى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأبنائهم وعشائرهم لتردهم إليهم ، فلهم أعلم بهم عيباً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، رعاييوهم فيه.

ولم يكن أبغض إلى عبدالله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النجاشي كلامهم .

فقالت بطارقتة حوله: صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم عيباً ، وأعلم بما عابوا عليهم ، فأسلمهم إليهم ، فليردهم إلى بلادهم وقومهم .

فغضب النجاشي وقال: لا هيم الله إذ لا أسلمهم إليهما ولا أكاد، قوماً جاوروني ، ونزلوا بلادي ، واختاروني على مَنْ سواي ، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم ، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحتسب جوارهم ما جاوروني.

قالت: ثم أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم ، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا فقالوا: بعضهم لبعض ما تقولون في الرجل إذا جئتموه ؟ قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا ﷺ كائن في ذلك ما هو كائن، فلما جاءوه وقد دعا النجاشي أساقفته ، فنشروا مصاحفهم حوله ، سألهم: فقال: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني، ولا في دين أحد من هذه الأمم ؟

قالت: وكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ،

ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك ، حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه ، وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دون الله من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وشهادة الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ،وأمرنا أن نعبد الله لا نشرك به شيئاً ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة .

قالت: فعدد عليه أمور الإسلام ، فصدقناه وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا، وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك .

قال: فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قالت: فقال له جعفر: نعم قالت: فقال له النجاشي: فاقرأه ، فقرأ عليه صدراً من (كهيعص) قالت: فبكى النجاشي ، حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته ، حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلي عليهم .

ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فوالله لا أسلمهم إليكم ، ولا أكاد » .

قالت أم سلمة: فلما خرجا من عنده ، قال: عمرو بن العاص: والله لآتينه غداً أعيبهم عنده بما أستأصل به خضراءهم .

فقال له عبدالله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا: لا تفعل ، فإن لهم أرحاماً ، وإن كانوا قد خالفونا .

قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى بن مريم عليه السلام عبد .

قالت: ثم غدا عليه ، فقال: أيها الملك ، إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولاً عظيماً ، فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه .

قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه ، قالت: ولم ينزل بنا مثلها ، واجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض ، ما تقولون في عيسى بن مريم ؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا ﷺ ، هو عبدالله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول .

قال: فضرب النجاشي بيده إلى الأرض ، فأخذ منها عوداً ، ثمَّ قال: ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود ، فتناخرت بطارقة حوله حين قال ما قال ، فقال: وإن نخرتم والله ، اذهبوا فأنتم سيوم بأرضي ـ والسيوم الآمنون ـ من سبكم غرم ، ثم من سبكم غرم ، ثم من سَبَّكُم غرم ، ما أحب أن لي دبراً ذهباً وإني آذيت رجلاً ، « والدبر: بلسان الحبشة: الجبل» ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي منهما ، فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد عليَّ ملكي ، فآخذ فيه الرشوة، وما أطاع الناس فيَّ فأطيعهم فيه.

فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به ، وأقمنا عنده في خير دار مع خير جار .

فوالله إنه لعلى ذلك إذ نزل به من ينازعه في ملكه ، قالت: والله ما علمنا حزناً قط كان أشد من حزن حزناه عند ذلك ، تخوفاً أن يظهر ذلك على النجاشي، فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف .

قالت: وسار النجاشي ، وبينهما عرض النيل ، قالت: فقال: أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا ؟ فقال: الزبير بن العوام: أنا . قالت: وكان من أحدث القوم سناً . قالت: فنفخوا له قربة ، فجعلوها في صدره ، فسبح عليها حتى خرج إلى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم .

قالت: ودعونا ـ الله عزَّ وجلَّ ـ للنجاشي بالظهور على عدوه ، والتمكين في بلاده ، واستوسق عليه أمر الحبشة ، فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله ﷺ وهو بمكة »[1] .

---

(١) رواه أحمد: ٥/ ٢٩٠ ١/ ٢٠٢-٢٩٢ من طريق ابن إسحاق بسند صحيح عن زوجة رسول الله ﷺ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢٤-٢٧ « رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسماع » . فالحديث بهذا صحيح ، وأخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٣٤٤ وابو نعيم في الحلية: ١/ ١١٥ وسنده صحيح ، وقد صححه احمد شاكر في تعليقه على المسند ، حديث رقم: ١٧٤٠

وقد جاء عند أبي نعيم في الدلائل ، أن قريشاً بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين .

الأولى: مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، **والثانية**: مع عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة ، وكانت البعثة الثانية بعد وقعة بدر ، قال الزهري: لينالوا من هناك ثأراً ، فلم يجبهم النجاشي ـ رضي الله عنه ـ إلى شيء مما سألوا.

فالبعثة الثانية: هي ما جاء في حديث أم سلمة الطويل السابق ، وهي بعثة عمرو بن العاص وعبدالله بن أبي ربيعة .

والبعثة الأولى: هي ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري اللاحق ، وهي بعثة عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد .

٩٥ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (أمرنا رسول الله ﷺ أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى النجاشي ، فبلغ ذلك قريشاً ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ، وجمعا للنجاشي هدية ، وقدما على النجاشي فأتياه بالهدية فقبلها وسجدا له ، ثم قال عمرو بن العاص: إن ناساً من أرضنا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك ، فقال لهم النجاشي: في أرضي قالوا: نعم . فبعث إلينا ، فقال لنا جعفر: لا يتكلم أحد منكم أنا خطيبكم اليوم .

فانتهينا إلى النجاشي وهو جالس في مجلس وعمرو بن العاص عن يمينه وعمارة عن يساره والقسيسون والرهبان جلوس سماطين ، وقد قال له عمرو وعمارة إنهم لا يسجدون لك ، فلما انتهينا بدرنا من عنده من القسيسين والرهبان: اسجدوا للملك .

فقال جعفر: إنا لا نسجد إلا لله . قال له النجاشي: وماذاك ؟ قال إن الله بعث إلينا رسولاً ، وهو الرسول الذي بشرنا به عيسى عليه السلام ﴿ **من بعدي اسمه أحمد** ﴾ فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، وأمرنا أن نقيم الصلاة ، وأن نؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر .

فأعجب النجاشي قوله ، فلما رأى ذلك عمرو قال: أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في ابن مريم . فقال النجاشي: ما يقول صاحبكم في ابن مريم ؟ قال:

والطيالسي: ٢/ ٨٩ ـ ٩٠ .

يقول فيه قول الله ، هو روح الله وكلمته ، أخرجه من العذراء البتول التي لم يقربها بشر ، ولم يفترضها ولد .

فتناول النجاشي عوداً من الأرض فرفعه فقال: يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد هؤلاء على ما يقولون في ابن مريم ما يزن هذه ،مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، وأشهد أنه رسول الله ، وأنه الذي بشر به عيسى ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أقبل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام وكسوة .

وقال: ردوا على هذين هديتهما ، وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ؛ وكان عمارة رجلاً جميلاً ، وكانا أقبلا إلى النجاشي فشربوا ـ يعني خمراً ـ ومع عمرو بن العاص امرأته ، فلما شربوا من الخمر قال عمارة لعمرو: مر امرأتك فلتُقَبِّلني فقال له عمرو: الا تستحي ، فأخذ عمارة عمراً فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشد عمارة حتى أدخله السفينة ، فحقد عمرو على ذلك ، فقال عمرو للنجاشي: إنك إذا خرجت خلفت عمارة في أهلك ، فدعا النجاشي عمارة فنفخ في إحليله فطار مع الوحش)[1] .

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٠ ـ ٣١ قلت: روى أبو داود منه مقدار سطر في الجنائز ـ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

الفصل السادس

وقائع مهمة بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء

المبحث الأول: إسلام عمر بن الخطاب

دعاء النبي لعمر بن الخطاب قبل إسلامه وقصة إسلامه:

شدته على المسلمين قبل الإسلام

٩٦ـ من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه قال:

(والله ! لقد رأيتني وأن عمر رضي الله عنه لموثقي على الإسلام ، قبل أن يسلم عمر رضي الله عنه) وفي رواية أخرى (لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته وما أسلم)[١] .

٩٧ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال:

(اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك ، بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب ، فكان أحبهما إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ عمر بن الخطاب)[٢] .

دعاء النبي لعمر بعد إسلامه:

٩٨ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ضرب صدر عمر بيده حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول:

(اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله إيماناً) يقول ذلك ثلاث مرات[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إسلام سعيد بن زيد وباب إسلام عمر بن الخطاب رقم: ٣٨٦٢، ٣٨٦٧ فتح الباري: ٧/ ١٧٧، ١٧٩

(٢) أخرجه أحمد انظر الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٣٠ والمسند: ٢/ ٩٥ ، الترمذي: ٣٦٨٢، ٣٦٨٤ المناقب باب اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر ، ابن ماجه المقدمة: باب فضائل الصحابة: رقم ١٠٥، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦ ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر ، ورواه ابن سعد في الطبقات ٣/ ٢٦٧ ، الحاكم في المستدرك: ٣/ ٨٣ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي وذكره الحافظ في الفتح: صححه ابن حبان برقم: ٦٨٤٢ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٦٥ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات .

٩٩- ومن حديث شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب:

خرجت أبغي رسول الله ﷺ قبل أن أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تاليف القرآن ، قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرأ ﴿ **إنه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون** ﴾ قلت كاهن قال ﴿ **ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين** ﴾ إلى آخر السورة، قال فوقع الإسلام من قلبي كل موقع)[1] .

قلت: وأما الروايات الأخرى في قصة إسلام عمر فلم أجد فيها رواية صحيحة غير مطعون فيها ، فمنها الشاذ والمنكر ، ومنها ما في إسنادها ضعفاء وغير ذلك، وهذه الرواية التي ذكرت أقرب الروايات إلى الصحة ، ومع ذلك فهي مرسلة وإسنادها كل رجاله ثقات وشريح بن عبيد الذي أرسل هذه القصة ثقة كما جاء في ترجمته في (تهذيب التهذيب ،والتقريب)[2] .

عمر يشهر إسلامه والعاص يجيره من أذى قريش

١٠٠- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال:

(لما أسلم عمر قال: أي قريش انقل للحديث ؟ فقيل له: جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه . قال عبدالله: وغدوت أتبع أثره وانظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت .

حتى جاءه فقال له: أعلمت يا جميل اني أسلمت ، ودخلت في دين محمد ﷺ ؟

قال: فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه ، واتبعه عمر ، واتبعته أنا ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم حول الكعبة . الا أن ابن الخطاب قد صبا .

قال: يقول عمر من خلفه: كذب ، ولكني قد أسلمت، وشهدت أن لا إله

---

(١) قال الهيثمي: ٦٢/٩ : رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات إلا ان شريح بن عبيد لم يدرك عمر احمد في المسند .

(٢) التقريب: ٣٤٩/١ التهذيب: ٣٢٨/٤ .

إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وثاروا إليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونه، حتى قامت الشمس على رؤوسهم، قال: وطلع فقعد ، وقاموا على رأسه وهو يقول: افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

قال: فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى ، حتى وقف عليهم . فقال: ما شأنكم به ؟ فقالوا: صبأ عمر

قال: فمه ، رجل اختار لنفسه أمراً فما تريدون ؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا ؟ خلوا عن الرجل .

قال: فوالله لكأنما كانوا ثوباً كشط عنه . قال: فقلت لأبي بعد أن هاجر إلى المدينة: يا أبت، من الرجل الذي زجر القوم عنك بمكة يوم أسلمت وهم يقاتلونك. قال: ذاك أي بني ، العاص بن وائل السهمي)[(١)] .

١٠١ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (لما أسلم عمر اجتمع الناس إليه عند داره وقالوا: صبأ عمر وأنا غلام فوق ظهر بيتي ، فجاء رجل عليه قباء من ديباج ، فقال: صبأ عمر فما ذاك فأنا له جار ، قال: فرأيت الناس تصدعوا عنه. فقلت: من هذا ؟ قالوا: هذا العاص بن وائل)[(٢)].

عزة المسلمين بإسلام عمر رضي الله عنه .

١٠٢ـ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: قال:

(ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[(٣)].

---

(١) أخرجه عبدالله بن أحمد في زيادته على فضائل الصحابة: ٣٧٢ ، وابن حبان كما في الإحسان رقم: ٦٨٤٠ ، وابن هشام في السيرة: ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، وأخرجه مختصراً كل من البزار رقم: ٢٤٩٤ ، والحاكم: ٣/ ٨٥ ، وصححه ووافقه الذهبي . وانظر السيرة النبوية الذهبي: ص١٠٤،١٠٥ وقال: رواه ابن حبان في صحيحه: ٦٨٧٩ من حديث جرير بن حازم عن ابن إسحاق ، ابن كثير في سيرته: ٢/ ٣٨ـ٣٩ وقال: وهذا إسناد جيد قوي وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٦٥ رواه البزار والطبراني باختصار ، ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس» قلت وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث وإسناده صحيح .

★ طلح: تعب واعيي

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إسلام عمر بن الخطاب رقم: ٣٨٦٤، ٣٨٦٥ ، فتح الباري: ٧/ ١٧٧

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب عمر رقم: ٣٦٨٤ فتح الباري: ٧/ ٤١ مناقب الأنصار

المبحث الثاني: المقاطعة

١٠٣ـ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال:

قلت يا رسول الله أين تنزل غداً ؟ في حجته قال: وهل ترك لنا عقيل منزلاً، ثم قال: نحن نازلون غداً ـ ان شاء الله بخيف بني كنانة (يعني المحصب) حيث قاسمت قريش على الكفر ، وذلك أن بني كنانة حالفت قريشاً على بني هاشم ، أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يؤوهم ، ثم قال عند ذلك: (لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر) واللفظ لأحمد .

قال الزهري: الخيف: الوادي[1].

١٠٤ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:

« قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بمنى (نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر) وذلك إن قريشاً وبني كنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب ، أن لا يناكحوهم ، ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، يعني بذلك المحصب»[2] .

وقال الحافظ في الفتح: (٧/ ١٩٣) ولما لم يثبت عند الإمام البخاري شيء من هذه القصة اكتفى بإيراد حديث أبي هريرة لأن فيه دلالة على أصل القصة ، لأن الذي أورده أهل المغازي من ذلك كالشرح لقوله في الحديث (تقاسموا على الكفر)[3].

باب إسلام عمر رقم: ٣٨٦٣ فتح الباري: ٧/١٧٧ ابن أبي شيبة: ١٢/ ٢٢ ، وابن سعد: ٣/ ٢٧٠ ، والطبراني في الكبير: ٨٨٢١ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٢١٥ ، وأبو نعيم في الحلية: ٨/ ٢١١ والحاكم: ٣/ ٨٤ ، وابن حبان رقم: ٦٨٤١ » .

(١) اخرجه البخاري الفرائض باب لا يرث المسلم الكافر رقم: ٦٧٦٤ فتح الباري: ١٢/ ٥٠ . مسلم الفرائض: ١٦١٤ أول كتاب الفرائض ، أبو داود: ٢٩٠٩ كتاب الفرائض باب هل يرث المسلم الكافر ، الترمذي كتاب الفرائض باب ما جاء في إبطال الميراث بين المسلم والكافر: ٢١٠٧ ، ابن ماجه كتاب الفرائض حديث: ٢٧٢٩، ٢٧٣٠ والدارمي: ٢/ ٣٧٠ أحمد: ٥/ ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٨، ٢٠٩ .

(٢) اخرجه البخاري في الحج باب نزول النبي مكة رقم: ١٥٨٩، ١٥٩٠ ، فتح الباري: ٣/ ٢٥٢ وفي مناقب الأنصار باب تقاسم المشركين على النبي رقم: ٣٨٨٢ ، فتح الباري: ٧/ ١٩٢ ، مسلم كتاب الحج باب استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة فيه رقم: ١٣١٤ .

(٣) اخرجه البخاري في الحج باب نزول النبي مكة رقم: ١٥٨٩، ١٥٩٠ فتح الباري: ٣/ ٢٥٢ ، وفي مناقب الأنصار باب تقاسم المشركين على النبي رقم: ٣٨٨٢ فتح الباري: ٧/ ١٩٢ ، مسلم كتاب الحج باب

المبحث الثالث

انتقام الله لرسوله من المستهزئين

١٠٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

في قوله تعالى: ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال: المستهزئون: الوليد بن المغيرة، والأسود بن عبد يغوث الزهري ، وأبو زمعة الأسود بن المطلب من بني أسد بن عبدالعزى ، والحارث بن عيطل السهمي ، والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل فشكاهم النبي ﷺ إليه ، فأراه الوليد وأومأ جبريل إلى أبجله فقال: ما صنعت ؟ قال: كفيته ، ثم أراه الأسود فأومأ جبريل إلى عينه فقال: ما صنعت ؟ قال: كفيته ، ثم أراه أبا زمعة فأومأ إلى رأسه فقال: ما صنعت ؟ قال: كفيته ثم أراه الحارث فأومأ إلى رأسه أو بطنه وقال: كفيته ، ومر به العاص فأومأ إلى أخمصه وقال: كفيته .

فأما الوليد فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً ، فأصاب أبجلة فقطعها ، وأما الأسود فعمي، وأما ابن عبد يغوث فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها ، وأما العاص فدخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات منها ، وقال غيره: أنه ركب إلى الطائف حماراً فربض به على شوكة، فدخلت في أخمصه فمات منها)[1] .

صور من استهزاء المشركين بالنبي عليه السلام

١٠٦- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده، ثم قال لرسول الله ﷺ: أيحيي الله هذا بعد ما أرم؟

فقال: رسول الله ﷺ: (نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم)

استحباب النزول بالمحصب يوم النفر والصلاة فيه: ١٣١٤

(١) الذهبي في السيرة النبوية: ص١٤٣ وقال: حديث صحيح ، السيرة النبوية ابن كثير: ٢/ ٨٥ ، ونسبه إلى البيهقي ، وانظر البيهقي في الدلائل: ٢/٣١٦ ، وفي السنن: ٩/ ٨ ، ورجاله ثقات إلا عمر بن عبدالله بن رزين وهو صدوق .
والأبجل: عرق في باطن الذراع وقيل هو عرق غليظ في الرجل فيما بين العصب والعظم .
شبرقة: نبت حجازي له شوك .

قال: ونزلت الآيات من آخر يس »[1].

١٠٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما:

(أن أبا معيط كان يجلس مع النبي ﷺ بمكة لا يؤذيه، وكان رجلاً سليماً ، وكان بقية قريش إذا جلسوا معه آذوه ، وكان لأبي معيط خليل غائب عنه بالشام، فقالت قريش: صبأ أبو معيط ، وقدم خليله من الشام ليلاً فقال لامرأته: ما فعل محمد مما كان عليه ؟ فقالت: أشد مما كان أمر، فقال: ما فعل خليلي أبو معيط؟ فقالت: صبأ. فبات بليلة سوء ، فلما أصبح أتاه أبو معيط فحياه فلم يرد عليه التحية.

فقال: مالك لا ترد عليَّ تحيتي ؟ فقال: كيف أرد عليك تحيتك وقد صبوت ؟

فقال: أو قد فعلتها قريش ؟ قال: فما يبرئ صدورهم إن أنا فعلت ؟

فقال: تأتيه في مجلسه وتبزق في وجهه ، وتشتمه بأخبث ما تعلمه من الشتم، ففعل فلم يزد النبي ﷺ ان مسح وجهه من البزاق ، ثم التفت إليه فقال: إن وجدتك خارجاً من جبال مكة ، أضرب عنقك صبراً .

فلما كان يوم بدر وخرج أصحابه ، أبى أن يخرج، فقال له أصحابه: اخرج معنا.

قال: قد وعدني هذا الرجل ، إن وجدني خارجاً من جبال مكة أن يضرب عنقي صبراً » .

فقالوا: لك جمل أحمر ، لا يُدرك ، فلو كانت الهزيمة طرت عليه ، فخرج معهم فلما هزم الله المشركين ، وحَّل به جمله في جدد من الأرض . فأخذه رسول الله ﷺ اسيراً في سبعين من قريش ، وقدم إليه أبو معيط فقال: تقتلني من بين هؤلاء ؟ قال: نعم بما بزقت في وجهي ، فأنزل الله في أبي معيط ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه ﴾ إلى قوله ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولاً ﴾[2] .

---

(١) اخرجه الحاكم: ٢/٤٢٩ من طريق عمرو بن عون عن هُشيم وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال ابن كثير في التفسير: ٣/٥٨١ ، اخرجه ابن أبي حاتم .

(٢) الدر المنثور: ٥/٦٨ وقال اخرجه ابن مردوية وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٤٠١ بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ، وفي رواية عبدالرزاق المرسلة ـ عقبة أبي معيط .
والوحل: الطين الرقيق ووحل الرجل أي وقع في الوحل .

المبحث الرابع: قصة الأعمى ابن أم مكتوم

١٠٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: (أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى ، أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ويقول: ترى بما أقول بأساً، ففي هذا نزلت ﴿ **عبس وتولى**﴾)(١).

المبحث الخامس: دعاء النبي عليه السلام على قريش

١٠٩ـ عن مسروق قال: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه:

(إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنين يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى ﴿ **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم** ﴾ .

قال: فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله: استسق الله لمضر ، فإنها قد هلكت ، قال: (لمضر ؟ إنك لجريء) فاستسقى فسقوا فنزلت ﴿ **إنكم عائدون**﴾ .

فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، حين أصابتهم الرفاهية ، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ **يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون** ﴾ قال يعني يوم بدر)(٢).

المبحث السادس: قصة الرهان بين أبي بكر وقريش

١١٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ **ألم غلبت الروم في أدنى الأرض** ﴾ قال: غلبت وغُلبت، كان المشركون يحبون أن يظهر أهل فارس على الروم ، لأنهم وإياهم أهل أوثان ، وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم

---

(١) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن ومن سورة عبس رقم: ٣٣٣١ وقال: حديث حسن غريب ، وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال: نزل عبس وتولى في ابن أم مكتوم ولم يذكر عائشة ، وقال العراقي في تخريج الأحياء: ٤/ ٢٤٤ رجاله رجال الصحيح ، وابن حبان رقم: ١٧٦٩، وابن جرير تفسير: ٣٠/ ٥٠ ، والحاكم: ٢/ ٥١٤ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعه عن هشام بن عروة ، قال الذهبي: وهو الصواب . وله شاهد من حديث انس أخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى انظر في ذلك فتح القدير للشوكاني: ٥/ ٣٨٦ .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير سورة الدخان باب يغشى الناس هذا عذاب اليم رقم: ٤٨٢١، ٤٨٢٢ فتح الباري: ٨/ ٥٧١ ، ٥٧٢ ، مسلم كتاب صفات المنافقين واحكامهم باب الدخان رقم: ٢٧٩٨ ، احمد: ١/ ٣٨١ .
والسنة: الجدب والقحط .

على فارس لأنهم أهل كتاب ، فذكروه لأبي بكر ، فذكره أبو بكر لرسول الله ﷺ وقال: أما انهم سيغلبون ، فذكره أبو بكر لهم ، فقالوا: اجعل بيننا وبينك أجلاً ، فإن ظهرنا كان لنا كذا وكذا ، وإن ظهرتم كان لكم كذا وكذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا . فذكر ذلك للنبي ﷺ قال: ألا جعلته إلى دون (قال) أراه العشر ، قال أبو سعيد: والبضع ما دون العشر ، قال: ثم ظهرت بعد. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿ **ألم غلبت الروم** ﴾ ، إلى قوله ﴿ **يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء** ﴾ قال سفيان: سمعت أنهم ظهروا عليهم يوم بدر»[1].

المبحث السابع: وفاة أبي طالب

١١١- من حديث المسيب رضي الله عنه قال: « لما حضرت أبا طالب الوفاة ، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل ، وعبدالله بن أبي أمية ابن المغيرة . فقال رسول الله ﷺ (يا عم قل لا إله إلا الله . كلمة أشهد لك بها عند الله).

فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب ! ترغب عن ملة عبدالمطلب! فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعيد له تلك المقالة ، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم ، هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ (أما والله ! لأستغفرن لك مالم انه عنك) فأنزل الله تعالى ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾[2] وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿ **إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾[3][4].

١١٢- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعمه

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب التفسير باب من سورة الروم حديث رقم: ٣١٩٣ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث سفيان الثوري عن حبيب بن أبي عمره .
قلت: وإسناد الترمذي رجاله رجال الصحيح .

(٢) سورة التوبة: ١١٣

(٣) سورة القصص: ٥٦

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب حديث رقم: ٣٨٨٤ ، فتح الباري: ١٩٣/٧ ، مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت حديث رقم: ٢٤ ، النسائي: ٤/٩٠-٩١ الجنائز باب النهي عن الاستغفار للمشركين ، أحمد: ٤٣٣/٥ ابن جرير في التفسير: ٤١/١١ .

(قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة) .

قال: لولا أن تعيرني قريش، يقولون: إنما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك ، فأنزل الله تعالى﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾[1][2] .

١١٣ـ ومن حديث علي بن أبي طالب: « أنه أتى النبي ﷺ فقال: إن أبا طالب مات فقال له ﷺ: (اذهب فواره). فقال: إنه مات مشركاً فقال: (اذهب فواره) ، فلما واريته رجعت إلى النبي ﷺ فقال لي: (اغتسل)[3] .

مصير أبي طالب

١١٤ـ ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه:

أنه سمع النبي ﷺ وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه) [4] .

١١٥ـ ومن حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه:

قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال (هو في ضحضاح من نار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) [5] .

---

(١) سورة القصص: ٥٦

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت حديث رقم: ٢٥ ، الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة القصص حديث رقم: ٣١٨٨ وقال حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ، يزيد بن كيسان ، أحمد: ٢/ ٤٤١ ابن خزيمة: ٣٤٣ـ٣٤٤ البيهقي في شعب الإيمان: ١/ ١٠٦ رقم: ٩١.

(٣) أخرجه أحمد: ١/ ٩٥، ١٠٣، ١٣٠، ١٣١ ، أبو داود رقم: ٣٢١٤ الجنائز باب الرجل يموت له قرابة مشرك، النسائي في الطهارة باب الغسل من مواراة المشرك: ١/ ١١٠، الجنائز باب مواراة المشرك: ٤/ ٧٩ ـ ٨٠ ـ وقال الذهبي في السيرة النبوية: ١٥٠، هذا حديث حسن متصل .
وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٣٥ : أخرجه أحمد والنسائي وأبو بكر بن أبي شيبة والبزار والبيهقي. قال الحافظ رواته ثقات: وقال الساعاتي: وإن تكلم فيه بعضهم فكلامه لا يؤثر فقد قال: الشوكاني: ذكر الماوردي أن بعض أصحاب الحديث خرج هذا الحديث مائة وعشرين طريقاً . ولا يخفى أن كثرة الطرق تقوي الحديث الضعيف فما بالك بحديث رواته ثقات .

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب رقم: ٣٨٨٥ ، فتح الباري: ٧/ ١٩٣ مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه رقم: ٢١٠ .

(٥) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب قصة أبي طالب رقم: ٣٨٨٣ فتح الباري: ٧/ ١٩٣ ، مسلم كتاب الإيمان باب شفاعة النبي لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه رقم: ٢٠٩ .

المبحث الثامن: وفاة خديجة وزواج الرسول بعائشة وسودة

١١٦ـ من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال:

(توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين ، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك ، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين)[١] .

١١٧ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: يا رسول الله ألا تزوج ؟

قال: (نعم ، فما عندك ؟) قالت: بكر وثيب . البكر بنت أحب خلق الله إليك عائشة ، والثيب سودة بنت زمعة .

فدخلت على أبي بكر فقال: إنما هي ابنة أخيه ، قال: (قولي له أنت أخي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي فجاءه فأنكحه) ثم دخلت على سودة فقالت لها: أخبري أبي ، فذكرت له فزوجه »[٢] .

١١٨ـ وقد جاء من سياق آخر أطول من حديث عائشة رضي الله عنها قال أبو سلمة ويحيى: (لما هلكت خديجة جاءت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون فقالت: يا رسول الله ألا تزوج قال: (من ؟) قالت: إن شئت بكراً ، وإن شئت ثيباً » .

قال: (فمن البكر ؟) قالت: ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: (ومن الثيب ؟) قالت: سودة بنت زمعة قد آمنت بك واتبعتك .

قال: (فاذهبي فاذكريهما علي) .

فدخلت بيت أبي بكر فقالت: يا أم رومان ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب تزويج النبي عائشة وقدومها المدينة ، وبنائه بها رقم: ٣٨٩٦ فتح الباري: ٧/ ٢٢٣

(٢) قال الحافظ في الفتح: ٧/ ٢٢٥: رواه أحمد والطبراني: ٢٣/٢٣ ، رقم: ٥٧ ، بإسناد حسن . وانظر السيرة النبوية ابن كثير: ٢/ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٥ ، رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث .

قالت: وما ذاك ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قالت: انظري أبا بكر حتى يأتي .

فجاء أبو بكر فقلت: يا أبا بكر ماذا أدخل عليك من الخير والبركة ! قال: وماذاك ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قال: وهل تصلح له ؟ إنما هي ابنة أخيه .

فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له قال: ارجعي إليه فقولي له:

(أنا أخوك ، وأنت أخي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي) فرجعت فذكرت ذلك له قال: انتظري ، وخرج . قالت أم رومان: إن مطعم بن عدي قد ذكرها على ابنه ، ووالله ما وعد أبو بكر وعداً فأخلفه .

فدخل أبو بكر رضي الله عنه على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الصبي فقالت: يا ابن أبي قحافة لعلك مصبئ صاحبنا تدخله في دينك الذي أنت عليه أن تزوج إليك ؟ .

فقال أبو بكر للمطعم بن عدي: « أقول هذه تقول !

قال: انها تقول ذلك . فخرج من عنده وقد أذهب الله ما كان في نفسه من عدته التي وعد .

فرجع فقال لخولة: ادعي لي رسول الله ﷺ ، فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ بنت ست سنين .

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟ قالت: وما ذاك ؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه .

قالت: وددت ، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له . وكان شيخاً كبيراً قد أدركه السن قد تخلف عن الحج ، فدخلت عليه فحييته بتحية الجاهلية .

فقال: من هذه ؟ قالت: خولة بنت حكيم . قال: فما شأنك ؟

قالت: أرسلني محمد بن عبدالله أخطب عليه سودة .

فقال: كفء كريم ، ما تقول صاحبتك ؟ قالت: تحب ذلك . قال: ادعيها

إلي .

فدعتها قال: أي بنيه ، إن هذه تزعم أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم ، اتحبين أن أزوجك به ؟ قالت: نعم . قال ادعيه لي ، فجاء رسول الله ﷺ فزوجها إياه .

فجاء أخوها عبدبن زمعة من الحج ، فجاء يحثي على رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم: لعمرك إني لسفيه يوم أحثي في رأسي التراب ، أن تزوج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة .

قالت عائشة: فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السنح .

قالت: فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا ، واجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني أمي وإني لفي أرجوحة بين عذقين يرجح لي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جميمة ، ففرقتها ومست وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب ، وإني لأنهج حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي، فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلستني في حجره ، ثم قالت: هؤلاء أهلك ، فبارك الله لك فيهم ، وبارك لهم فيك ، فوثب الرجال والنساء فخرجوا ، وبنى بي رسول الله في بيتنا ما نحرت جزور ، ولا ذبحت علي شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ إذا دار إلى نسائه، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين »[1] .

---

(١) احمد في المسند: ٦/ ٢١٠،٢١١ وقال ابن كثير في سيرته: ٢/ ١٤٢ هذا السياق كانه مرسل وهو متصل، وقال الذهبي في السيرة: ١٨٤ ، إسناده حسن . وقال الساعاتي في الفتح: ٢٠/ ٢٣٧ـ٢٣٩ ، أورده الهيثمي وقال في الصحيح طرف منه رواه أحمد بعضه فيه الاتصال عن عائشة وأكثره مرسل وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد ورجاله رجال الصحيح . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ١٧٦ إسناده حسن . وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٢٥ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث . وأخرجه ابن سعد في الطبقات: ٨/ ٥٧

المبحث التاسع

رد أبي بكر وعثمان بن مظعون جوار من أجارهما من أهل الشرك

١١٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:

(لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشية ، فلما ابتلي المسلمون ، فخرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى بلغ برك الغماد لقيه ابن الدُغنة وهو سيد القاره ، قال: أين تريد يا أبا بكر ؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي ، فأريد أن أسيح في الأرض ، وأعبد ربي .

قال ابن الدغنة . فإن مثلك ـ يا أبا بكر ـ لا يَخرج ، ولا يُخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار ، ارجع واعبد ربك ببلدك ، فرجع ، وارتحل معه ابن الدغنة ، فطاف ابن الدغنة عشية في اشراف قريش ، فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرج مثله ، ولا يُخرج . أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم ، ويصل الرحم ، ويحمل الكل ، ويقري الضيف ، ويعين على نوائب الحق ؟

فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة ، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر ، فليعبد ربه في داره ، فليصل فيها ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا بذلك ، ولا يستعلن به، فأنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا .

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر ، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ، ولا يستعلن بصلاته ، ولا يقرأ في غير داره ، ثم بدا لأبي بكر فابتني مسجداً بفناء داره ، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن ، فيتقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بكاءً لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين ، فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم ، فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه ، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه ، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى الا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ، ولسنا بمقرين لأبي بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمت الذي عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلي ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له.

فقال أبو بكر: فإني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله، عزَّ وجلَّ [1].

وقد كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه فيمن رجع من مؤمني قريش الذين هاجروا إلى الحبشة فلم يستطع دخول مكة لاشتداد المشركين فيها على من آمن بالإسلام، فدخل في جوار الوليد بن المغيرة، فلم يستطع أحد إيذاءه.

١٢٠ـ من حديث ابن إسحاق قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن ابن عوف عمن حدثه عن عثمان قال:

« لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله ﷺ من البلاء، وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي.

فمشى إلى الوليد بن المغيرة، فقال له: يا أبا عبد شمس، وفت ذمتك، قد رددت إليك جوارك، فقال له: لم يا ابن أخي؟ لعله آذاك أحد من قومي، قال: لا، ولكني أرضى بجوار الله، ولا أريد أن أستجير بغيره.

قال: فانطلق إلى المسجد، فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية. قال: فانطلقا فخرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري، قال: صدق، قد وجدته وفياً كريم الجوار، ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددت عليه جواره، ثم انصرف عثمان، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان، فقال لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة رقم: ٣٩٠٥، فتح الباري: ٧/ ٢٣٠ـ٢٣١ وعبدالرزاق في المصنف: ٩٧٤٣ والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٤٧١ـ٤٧٢ وأحمد في المسند: ٦/ ٣٤٦ وابن سعد في الطبقات: ٨/ ٢٥٠ والطبري في تاريخه: ٢/ ٣٧٥ـ٣٧٨

قال عثمان: صدقت . قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل .

قال عثمان: كذبت نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد بن ربيعة: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم ؟

فقال رجل من القوم: إن هذا سفيه في سفهاء معه ، قد فارقوا ديننا ، فلا تجدن في نفسك من قوله ، فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما ، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها ، والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان ، فقال: أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، لقد كنت في ذمة منيعة ،قال: يقول عثمان: بل والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله ، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس ، فقال له الوليد: هلم يا ابن أخي إن شئت فعد إلى جوارك ، فقال: لا »[1].

١٢١ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

(أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: الا كل شيء ما خلا الله باطل ، وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم)[2].

وقال الحافظ في الفتح معلقاً على هذا الحديث: وفي إيراد البخاري هذا الحديث في هذا الباب تلميح بما وقع لعثمان بن مظعون بسبب هذا البيت مع ناظمه لبيد بن ربيعة قبل إسلامه والنبي يومئذ بمكة وقريش في غاية الأذية للمسلمين » .

ثم ذكر الحافظ رواية ابن إسحاق الآنفة الذكر عن صالح بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف[3] .

---

(١) اخرجه ابن هشام في السيرة: ١/ ٣٧٠ـ٣٧١ وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده منقطع واخرجه ابو نعيم في الحلية: ١/١٠٣ـ١٠٤ من طريق ابن إسحاق ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٢/ ٢٩٢ من طريق موسى بن عقبة والطبراني في الكبير: ٩/ ٢١ ـ ٢٤ مرسلاً ، من طريق عروة وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٢ـ٣٤ وفيه ابن لهيعة .
وصالح بن عبدالرحمن بن عوف، هو ابو عبدالرحمن المدني ثقه من الخامسة التقريب: ١/ ٣٥٨
شري: زاد وعظم

(٢) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب أيام الجاهلية رقم: ٣٨٤١ فتح الباري: ٧/ ١٤٩ ، ومسلم في كتاب الشعر رقم: ٢٢٥٦ ، والترمذي في الأدب باب في إنشاد الشعر: ٢٨٤٩ وقال حسن صحيح ، وابن ماجه في الأدب باب الشعر رقم: ٣٧٥٧ ، واحمد: ٢/ ٢٤٨ ، ٢٩١، ٢٩٣، ٤٤٤، ٤٥٨، ٤٧٠، ٤٨١ .

(٣) الفتح: ٧/ ١٥٣

الفصل السابع

الاسراء والمعراج وآياتهما

١٢٢ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أتيت بالبراق « وهو دابه أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه » قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس قال: فربطه بالحلقة[١] التي يربط بها الأنبياء . قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة [٢] (فذكر الحديث)[٣].

١٢٣ـ من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه والذي رواه عنه أنس رضي الله عنه:

قال مالك: إن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به ، قال: (بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت ، فقد قال: وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه ، فقلت للجارود ـ وهو إلى جنبي ـ: « ما يعني به ؟ » قال: « من ثغرة نحره إلى شعرته » ، وسمعته يقول: (من قصه إلى شعرته ، فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوء إيماناً ، فغسل قلبي ، ثم حشي ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض) فقال له الجارود: هو البراق يا أبا حمزة ؟

قال أنس: نعم ، يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه .

(فانطلق بي جبريل حتى أتيت السماء الدنيا فاستفتح . قيل: من هذا؟

قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه؟

---

(١) الحلقة: المراد باب مسجد بيت المقدس .

(٢) الفطرة: الإسلام ، والاستقامة .

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله وفرض الصلوات رقم الحديث: ١٦٢ ، وقد جاء اختيار النبي عليه السلام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري في كتاب الأشربة باب شرب اللبن وفي الأنبياء باب هل أتاك حديث موسى ، وصحيح مسلم الإيمان باب الإسراء برسول الله إلى السموات رقم: ١٦٨ .

قال: نعم . قيل: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت ، فإذا فيها آدم ، فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح ، والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الثانية فاستفتح: قيل: من هذا ؟ قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ، قيل: وقد ارسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت إذا يحيى وعيسى ، وهما ابنا خالة، قال: هذا يحيى وعيسى ، فسلم عليهما . فسلمت ، فردا ، ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي إلى السماء الثالثة ، فاستفتح: قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت إذا يوسف ، قال: هذا يوسف فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح: قيل: من هذا ؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ، قيل: أوقد أرسل إليه قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا إدريس ، قال: هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح: قيل: من هذا ، قال: جبريل: قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ . قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا هارون ، قال: هذا هارون ، فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح: قيل: من هذا ؟

قال: جبريل ، قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ، قيل: وقد أرسل إليه ؟ قال: نعم ، قال: مرحباً به ، فنعم المجيء جاء . فلما خلصت: فإذا موسى ، قال: هذا موسى فسلم عليه ، فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح ، والنبي الصالح. فلما تجاوزت بكى . قيل له: ما يبكيك ؟ قال: أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتي .

ثم صعد إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل: قيل: من هذا ؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك قال: محمد ، قيل: وقد بعث إليه ؟ قال: نعم ، قال: مرحباً به ونعم المجيء جاء ، فلما خلصت فإذا إبراهيم ، قال: هذا أبوك فسلم عليه ، قال فسلمت عليه، فرد السلام ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم رفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة، قال: هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار ، نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ما هذان يا جبريل ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات .

ثم رفع لي البيت المعمور .

ثم أتيت بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال: هي الفطرة التي أنت عليها وأمتك .

ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم ، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت ؟ قال: أمرت بخمسين صلاة كل يوم .قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم ، وإني والله قد جربت الناس قبلك ، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك ، فرجعت ، فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله فرجعت . فوضع عني عشراً ، فرجعت إلى موسى فقال مثله ، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم ، فرجعت فقال مثله ، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم .

فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت ؟ قلت: أمرت بخمس صلوات كل يوم قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم ، وإني قد جربت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك.

قال: سألت ربي حتى استحييت ، ولكن أرضى وأسلم . قال: فلما جاوزت نادى مناد: أمضيت فريضتي ، وخففت عن عبادي)[1].

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب في المعراج حديث رقم: ٣٨٨٧ ، فتح الباري: ٢٠١/٧ - ٢٠٢، مسلم في الصحيح كتاب الإيمان باب الإسراء حديث رقم: ١٦٤ ، أحمد في المسند: ٢٠٨/٤ ، ٢١٠، النسائي في الصلاة باب فرض الصلاة: ٢١٧/١ .

١٢٤ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما عرج بي إلى السماء بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف. قلت: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذي أعده ربك، فإذا طينه مسك أذفر)(١).

١٢٥ـ ومن حديث سليمان الشيباني قال: سألت زراً عن قوله ـ عزَّ وجلَّ ـ **﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾** (٢). قال: اخبرنا عبدالله: انّ محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح (٣).

١٢٦ـ من حديث عبدالله بن مسعود: قال: « لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السادسة ، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض، فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ، فيقبض منها ، قال: **﴿ إذ يغشى السدرة ما يغشى ﴾** ، قال: فراش من ذهب ، قال: فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتم سورة البقرة ، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات » (٤).

١٢٧ـ من حديث ابن عباس في قوله تعالى: **﴿ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس ﴾** (٥).

قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به إلى بيت المقدس قال: (والشجرة الملعونة في القرآن) قال: هي شجرة الزقوم .

وكانت حادثة الإسراء والمعراج قبل هجرته عليه السلام بسنة » هكذا قال القاضي عياض في الشفا (٦) (٧).

---

(١) اخرجه البخاري في الرقاق باب في الحوض رقم: ٦٥٨١ فتح الباري: ٤٦٣/١١ وفي التفسير سورة إنا اعطيناك الكوثر باب رقم: ٤٩٦٤ فتح الباري: ٧٣١/٨ والترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة الكوثر رقم: ٣٣٦٠ وقال حسن صحيح .

(٢) سورة النجم: ٩

(٣) اخرجه البخاري في التفسير ، تفسير سورة النجم باب قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى ، رقم: ٤٨٥٦، فتح الباري: ٦١٠/٨ ومسلم: ١٧٤ .

(٤) اخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب في ذكر سدرة المنتهى حديث رقم: ١٧٣
والمقحمات: الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار .

(٥) سورة الإسراء: ٦٠

(٦) الشفا بحقوق المصطفى: ١٠٨/١

(٧) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب في المعراج حديث رقم: ٣٨٨٨ فتح الباري: ٢٠٢/٧ـ٢٠٣

الفصل الثامن

وقائع مهمة بين الإسراء والهجرة النبوية

المبحث الأول: ذهابه عليه السلام إلى الطائف

١٢٨- من حديث محمد بن كعب القرظي: قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم ، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح ، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام على من خالفه من قومه، فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ! وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك .

فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف ، وقال لهم فيما ذكر لي: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني ، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه ، فلم يفعلوا ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهمافيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبلة من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف ، وقد لقي رسول الله ﷺ - فيما ذكر المرأة التي من بني جمح فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك ؟) [1] .

---

(١) اخرج القصة بطولها ابن هشام: ٤١٩/١ والطبري في التاريخ: ٣٤٤/٢ - ٣٤٦ والطبراني كما في مجمع الزوائد: ٣٥/٦ ،بسند صحيح عن ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً - مضافاً إليها قصة عداس وانكبابه على يدي الرسول بدون الدعاء فقد جاء بغير سند ، والبيهقي في الدلائل: ٤١٥/٢ - ٤١٧ من مرسل الزهري ، فيتقوى به ، وله شاهد من الحديث الذي يليه برقم: ١٢٩ .
ويذئرهم عليه: يثيرهم عليه ويجرئهم .

١٢٩- من حديث خالد العدواني: « أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس ، أو عصا حين أتاهم يبتغي عندهم النصر ، قال: فسمعته يقرأ: ﴿ والسماء والطارق ﴾ حتى ختمها ، قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم ، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقاً لاتبعناه » (١) .

التوجه إلى الله بالشكوى:

١٣٠- من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنه قال: « لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشياً على قدميه ، يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فانصرف فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال:

(اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وهواني على الناس ، أنت أرحم الراحمين ، إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني ، أم إلى قريب ملكته أمري ، إن لم تكن غضبان علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بوجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي غضبك ، أو يحل بي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولا قوة إلا بالله) (٢) .

---

(١) اخرجه احمد في المسند: ٤/ ٣٣٥ وقال الساعاتي: ٢٠/ ٢٤٣ في الفتح: وسنده جيد .وقال الحافظ في الإصابة: ١/ ٤٠٢ رواه احمد وابن أبي شيبة وابن خزيمة في صحيحه والطبراني رقم: ٤١٢٦ ، وابن شاهين فذكر الحديث وقال الهيثمي: ٧/ ١٣٦ ، رواه احمد والطبراني وعبدالرحمن ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه احد وبقية رجاله ثقات .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٥ رواه الطبراني وفيه ابن إسحاق مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات ، وأخرجه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي: ٢/ ٢٧٥ رقم: ١٨٣٩ . وله شاهد في ذهابه إلى الطائف من الحديثين السابقين .

المبحث الثاني: قصة عداس النصراني

من حديث محمد بن كعب القرظي السابق

قال: « فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رحمهما ، فدعوا غلاما لهما نصرانياً يقال له عداس ، فقالا له: خذ قطفاً من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، ففعل عداس ،ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له: كل .

فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال: باسم الله ، ثم أكل ، فنظر عداس في وجهه ، ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال له رسول الله ﷺ: ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ قال: نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوى .

فقال رسول الله ﷺ: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله ﷺ: ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه .

قال: يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال: ياسيدي ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي ، قالا له: ويحك ياعداس ، لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه » .

شدة الأذى الذي لقيه عليه السلام من أهل الطائف

١٣١- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « قلت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟

قال: نعم لقيت من قومك ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني ، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت منهم،

فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال: يا محمد إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ قال: النبي ﷺ (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)[1] .

المبحث الثالث: استماع الجن القرآن

١٣٢ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: قال: « ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم ، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليها الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم ؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قال: وما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة برسول الله ﷺ وهو بنخلة ، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ، فأوحى الله إلى نبيه ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن** ﴾[2][3] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء ووافقت إحداهما الأخرى رقم: ٣٢٣١ فتح الباري: ٦/ ٣١٢،٣١٣، مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين والمنافقين رقم: ١٧٩٥
الأخشبين: الأخشب من الجبال: الخشن الغليظ

(٢) سورة الجن: ١

(٣) أخرجه البخاري في التفسير باب سورة قل أوحي إلى حديث: ٤٩٢١ ، وفي الأذان باب الجهر بالقرآن في صلاة الفجر: ٧٧٣ ، مسلم في الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح: ٤٤٩ ، والترمذي في التفسير باب ومن سورة الجن: ٣٣٤٠ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٧٤ وأبو يعلى: ٢٣٦٩ والطبري في التفسير: ٢٩/ ١٠٢

المبحث الرابع: عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل

من حديث ربيعة بن عباد الديلي:

وقد سبق ذكره رقم (٧٨)

١٣٣ـ من حديث الحارث بن الحارث: قال: قلت لأبي: ما هذه الجماعة ؟ قال: هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابئ لهم ، قال: فنزلنا فإذا رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى توحيد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ والإيمان ، وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار ، وانصدع الناس عنه ، أقبلت امرأة قد بدا نحرها ، تحمل قدحاً ومنديلاً ، فتناوله منها فشرب وتوضأ ، ثم رفع رأسه فقال: يا بنية خمري عليك نحرك ، ولا تخافي على أبيك ، قلنا: من هذه ؟ قالوا: هذه زينب بنته »[1] .

١٣٤ـ من حديث مدرك قال: « حججت مع أبي فلما نزلنا منى إذا نحن بجماعة فقلت لأبي: ما هذه الجماعة ، قال: هذا الصابئ فإذا رسول الله ﷺ يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[2] .

١٣٥ـ عن رجل من بني مالك بن كنانة قال: رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: لا يغوينكم هذا عن دينكم ، فإنما يريد لتتركوا آلهتكم ، وتتركوا اللات والعزى ، وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ قلت: انعت لنا رسول الله ﷺ قال: بين بردين أحمرين ، مربوع كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشعر ، أبيض شديد البياض ، سابغ الشعر »[3] .

١٣٦ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ، قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: هل من رجل يحملني إلى قومه ،

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢١ رواه الطبراني ورجاله ثقات ، انظر الطبراني في الكبير: ٣٣٧٢ ، ٢٢/ ٤٢٢ ، رقم: ١٠٥٢ ، والبخاري في التاريخ: ٢/ ٢٦٢ وابن ابي عاصم في الآحاد والمثاني رقم: ٢٤٠٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٠/ ٣٤٣ رقم: ٨٠٦ ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة: ٢/ ٢٠٨ ، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني: ٢٤٠٤ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢١ رواه الطبراني ورجاله ثقات

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٦٣ ، ٥/ ٣٧٢ ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ، سنده جيد . قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢٢ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح

فإن قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي ، عزَّ وجلَّ ، فأتاه رجل من همذان فقال: ممن أنت ؟ فقال الرجل: من همذان . فقال: هل عند قومك من منعة ؟ قال: نعم ، ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه . فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم اخبرهم ، ثم آتيك من قابل ، قال: نعم ، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب)[1] .

قدوم الأنصار وعرض الإسلام عليهم:

١٣٧ـ من حديث محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل: قال:

« لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، منهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسول الله ﷺ ، فأتاهم فجلس إليهم فقال: هل لكم إلى خير مما جئتم إليه؟ قالوا: وما ذاك ؟ قال: أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علي كتاباً ثم ذكر الإسلام وتلا عليهم القرآن . قال: فقال إياس بن معاذ ، وكان غلاماً حدثاً أي قومي ، هذا والله خير مما جئتم إليه .

قال: فأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقام رسول الله ﷺ وانصرفوا إلى المدينة ، فكانت وقعة بعاث بين الأوس والخزرج ، قال: ثم لم يلبث إياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد: فأخبرني من حضره من قومي أنهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات ، فما كانوا يشكون أنه قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله ﷺ ما سمع »[2] .

---

(١) اخرجه احمد: ٣/٣٢٢، ٣٣٩ ، أبو داود كتاب السنة باب في القرآن رقم الحديث: ٤٧٣٤ ، والترمذي فضائل القرآن باب: ٢٤ حديث رقم: ٢٩٢٥ ، وقال حديث غريب ، ابن ماجه في المقدمة باب فيما انكرت الجهمية رقم: ٢٠١ ، الدارمي ص: ٤٢٨ ، الحاكم: ٢/ ١١٣ وصححه على شرط مسلم ، وابن حبان في صحيحه: ١٦٨٦ ، موارد الظمآن ، والبخاري في أفعال العباد ص: ٧٧ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٣٥ رواه احمد ورجاله ثقات .

(٢) اخرجه احمد: ٥/٤٢٧ ، ابن هشام في السيرة: ١/٤٢٧ـ ٤٢٨ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٣٦ رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات وسنده حسن ، انظر الفتح الرباني: ٢٠/٢٦٦ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/٤٢٠ ـ ٤٢١ ، والطبري في التاريخ: ٢/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث ، وقال ابن حجر في الإصابة: ١/١٠٢ رواه جماعة عن ابن إسحاق هكذا وهو صحيح من حديثه .

المبحث الخامس: إسلام الأنصار واستجابتهم لله ولرسوله

١ـ بدء إسلام الأنصار

١٣٨ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: « كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله ﷺ ، فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق ملؤهم ، وقتلت سرواتهم وجرحوا ، فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام »(١)

قال ابن إسحاق: « فلما أراد الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إظهار دينه ، وإعزاز نبيه ﷺ، وإنجاز موعده له ، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار ، وهم فيما يزعمون ستة فيهم جابر بن عبدالله بن رئاب »(٢) .

١٣٩ـ قال ابن إسحاق: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا: « لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم: (من أنتم ؟) قالوا: نفر من الخزرج قال: (أمن موالي يهود ؟) قالوا: نعم قال: (أفلا تجلسون أكلمكم ؟) قالوا: بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن .

قال: وكان مما صنع الله بهم في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عَزُّوهم ببلادهم(٣) ، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إن نبياً مبعوث الآن ، قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله ﷺ أولئك النفر ودعاهم إلى الله . قال بعضهم لبعض: يا قوم ، تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام .

وقالوا: إنا قد تركنا قومنا ، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنقدم عليهم ، فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مناقب الأنصار حديث رقم: ٣٧٧٧ فتح الباري: ٧/ ١١٠ أحمد في المسند: ٦/ ٦١ وانظر الفتح الرباني: ٢٠/ ٦٧ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٤٢ رواه الطبراني ورجاله ثقات ، السيرة النبوية: ٢/ ٨١ .

(٣) عَزُّوهم: معناه: غلبوهم ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وعزني في الخطاب ﴾ (ص: آية ٢٣) .

أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك. ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلى بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا»[1].

٢- بيعة العقبة الأولى

١٤٠- من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « كنت فيمن حضر العقبة الأولى ، وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله ﷺ على بيعة النساء ، وذلك قبل أن يفترض الحرب ، على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ، فإن وفيتم فلكم الجنة ، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله إن شاء عذبكم ، وإن شاء غفر لكم »[2].

٣- إرسال الرسول مصعباً إلى المدينة وانتشار الإسلام فيها

١٤١- من طريق ابن إسحاق قال: فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة: « أن رسول الله ﷺ إنما بعث مصعباً حين كتبوا إليه أن يبعثه إليهم ، وكان يصلي بهم، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض رضي الله عنهم أجمعين»[3].

١٤٢- قال ابن إسحاق: حدثني عبيدالله بن المغيرة بن معيقيب ، وعبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبدالأشهل ، ودار بني ظفر ، وكان سعد بن معاذ بن النعمان

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/٤٢٨- ٤٢٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/٤٣٣ ، ٤٣٥ ، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٣٢٣ ، وإسناده حسن رجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وابن كثير في السيرة: ٢/١٧٦-١٧٧ ، ورواه ابن سعد في الطبقات: ١/٢١٨- ٢١٩ ، من طريق فيها الواقدي وأسامة بن زيد من غير طريق ابن إسحاق والبيهقي في الدلائل: ٢/٤٣٣-٤٣٥ من طريق ابن إسحاق ، ورواها الطبراني مرسلة وفي سندها ابن لهيعة وفيه ضعف ، وهو حسن الحديث ، وبقية الرجال ثقات انظر المجمع: ٦/٤٠-٤٢ ورواه أبو نعيم في الدلائل ص: ١٠٤

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب وفود الأنصار وبيعة العقبة رقم: ٣٨٩٣ فتح الباري: ٧/٢١٩ ، مسلم كتاب الحدود باب الحدود كفارات لأهلها رقم الحديث: ١٧٠٩ ، أحمد في المسند: ٥/٣٢٣ ، وانظر الفتح الرباني: ٢٠/٢٦٩ ، وابن هشام في السيرة: ١/٤٣٣ عن ابن إسحاق بسند صحيح ، وابن كثير في السيرة: ٢/١٧٩ ، وانظر النسائي في البيعة باب البيعة على الجهاد: ٧/١٤١-١٤٢ .

(٣) ابن كثير: ٢/١٨٠ ونسبه إلى البيهقي وسنده حسن رجاله ثقات ، سيرة ابن هشام: ١/٤٣٤ - انظر دلائل النبوة للبيهقي: ٢/٤٣٧ - ٤٣٨ .

★ عبيدالله بن المغيرة بن معيقيب: قال في التقريب: ١/٥٣٩ صدوق من الرابعة .
عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: قال في التقريب: ١/٤٠٥ ثقة من الخامسة .

ابن امرئ القيس بن زبير بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد ابن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر يقال لها: بئر مرق .

فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيد ابن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك ، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً .

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك ، فاصدق الله فيه ؛ قال مصعب: إن يجلس أكلمه .

قال: فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بانفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال: انصفت ، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ عليه القرآن، فقالا: فيما يذكر عنهما: والله لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام، وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟

قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ، فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما: إن ورائي رجلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه ، وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت ؟ قال: كلمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك .

قال: فقام سعد مغضباً مبادراً ، تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة ، فأخذ الحربة من يده ، ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ، فلما

رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشمتاً ، ثم قال لأسعد ابن زرارة: يا أبا أمامة ، (أما والله) لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، أتغشانا في دارينا بما نكره ـ وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب ، جاءك والله سيد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان ـ قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت ، ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسهله ، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالا: تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلي ركعتين ، قال: فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادي قومه ، ومعه أسيد بن حضير .

قال: فلما رآه قومه مقبلاً: قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبدالأشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟

قالوا: سيدنا (وأوصلنا) وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبة ، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبدالأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم يتبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمه ، ووائل ، وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ، وذلك أنهم كان فيهم أبو قيس ابن الأسلت ، واسمه صيفي ، وكان شاعراً لهم قائداً يستمعون فيه ويطيعونه فوقف بهم عن الإسلام حتى كان بعد الخندق »[1].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة انظر سيرة ابن هشام: ١/ ٤٣٥ ـ٤٣٧ والطبري في التاريخ: ٢/ ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، وسنده حسن ، وهو مرسل ، وانظر ابن كثير في السيرة: ٢/ ١٨١ـ١٨٥ ، السيرة النبوية للذهبي: ١٩٨ ـ ٢٠٠ ، وقد جاء من طريق عروة بن الزبير في المجمع: ٦/ ٤٠ـ٤١ وقال الهيثمي: رواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات ، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٤٣٨ ـ ٤٤٠ من طريق موسى بن عقبة مرسلاً فيكون الحديث بمجموع هذه الطرق حسناً .

٤ـ بيعة العقبة الثانية

١٤٣ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال:

« مكث رسول الله ﷺ عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ومجنة وفي الموسم بمنى يقول: من يؤويني ، من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة ، حتى إن الرجل ليخرج من اليمن أو من مصر كذا قال: فيأتيه قومه فيقولون: احذر غلام قريش ، لا يفتنك ، وهو يمشي بين رحالهم ، وهم يشيرون إليه بالأصابع ، حتى بعثنا الله من يثرب فآويناه ، وصدقناه ، فيخرج الرجل منا فيؤمن به ، ويقرئه القرآن ، فينقلب إلى أهله فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رهط من المسلمين ، يظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً .

فقلنا: حتى متى نترك رسول الله ﷺ يطرد في جبال مكة ويخاف . فرحل إليه سبعون رجلاً منا حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدنا شعب العقبة ، فاجتمعوا عندها من رجل ورجلين ، حتى توافينا فقلنا: يا رسول الله على ما نبايعك ؟ قال: (تبايعوني على السمع والطاعة في المنشط والكسل ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا لله ، لا تخافوا في الله لومة لائم ، وعلى أن تنصروني فتمنعوني ، إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة) قال: فقمنا إليه فبايعناه .

وأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغرهم فقال: رويداً يا أهل يثرب ، فإنا لم نضرب إليه أكباد الإبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ، وأن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف ، إما أنتم قوم تصبرون على ذلك وأجركم على الله وإما أنتم تخافون من أنفسكم خبيئة فتبينوا ذلك فهو أعذر لكم عند الله . قالوا: أمط عنا يا أسعد ، فوالله لا ندع هذه البيعة أبداً ، ولا نسلبها أبداً ، فبايعناه فأخذ علينا ، وشرط ، ويعطينا على ذلك الجنة » [(١)] .

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٩٤،٣٢٩،٣٢٢ والبيهقي في السنن: ٩/٩ ، من طريق ابن خيثم عن أبي الزبير ورجاله ثقات ، ابن حبان: ١٦٨٦ ، الحاكم: ٢/ ٦٢٤ـ٦٢٥ وصححه ووافقه الذهبي ،كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٥٦ ورجاله رجال الصحيح ، قال الحافظ في الفتح: ٧/ ٢٢٠ رواه أحمد بإسناد حسن وصححه الحاكم ، وقال ابن كثير في السيرة: ٢/ ١٩٦ ، هذا إسناد جيد على شرط مسلم ، وانظر المطالب العالية باختصار: ٤٢٩٠ ، وقال رواه أبو بكر بن أبي شيبه وهو صحيح ، وأبو يعلى وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٤٦ رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح ، واللفظ لأحمد

١٤٤ـ ومن حديث كعب بن مالك رضي الله عنه وسياقه أطول وتفصيله أكثر: وكان ممن شهد العقبة وبايع رسول الله قال: « خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا وفقهنا ، معنا البراء بن معرور ، كبيرنا وسيدنا ، فلما توجهنا لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا: يا هؤلاء إني قد رأيت رأياً، وإني والله ما أدري توافقوني عليه أم لا ؟ قلنا له: وما ذاك ؟

قال: إني قد رأيت أن أدع هذه البنية حتى تظهر ، يعني الكعبة ، وأن أصلي إليها ، قال: فقلنا والله بلغنا أن نبينا ﷺ يصلي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه ، قال: فقال: إني لمصل إليها . قال: فقلنا له: لكنا لا نفعل قال: فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام وصلى هو إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

قال: وكنا قد عتبنا عليه ، وأبى إلا الإقامة عليه ، فلما قدم مكة قال لي: يا ابن أخي انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ ، حتى نسأله عما صنعت في سفري هذا، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيت من خلافكم إياي فيه .

قال: فخرجنا نسأل عن رسول الله ﷺ ، وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله ﷺ فقال: هل تعرفانه ؟ فقلنا: لا قال: فهل تعرفان العباس بن عبدالمطلب عمه ؟

قال: قلنا: نعم ، قال: وقد كنا نعرف العباس ـ كان لا يزال يقدم علينا تاجراً قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال: فدخلنا المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله ﷺ جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله ﷺ للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟

قال: نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .

قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله ﷺ: الشاعر ؟ قال: نعم ، فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله إني خرجت في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيت أن لا أجعل هذه البنية مني بظهر ، فصليت إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله؟

قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها . قال: فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ ، وصلى معنا إلى الشام . قال: وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة

حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال: وخرجنا إلى الحج ،وواعدنا رسول الله ﷺ بالعقبة من أوسط أيام التشريق ، قال: فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ﷺ لها ، ومعنا عبدالله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له: يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ، ثم دعوناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ﷺ إيانا العقبة . قال: فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

قال: فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ ، نتسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاث وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبه بنت كعب أم عمارة - إحدى نساء بني مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي ، إحدى نساء بني سلمة ، وهي أم منيع .

قال: فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ﷺ ، حتى جاءنا ومعه (عمه) العباس بن عبدالمطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبدالمطلب ، فقال: يا معشر الخزرج - وكانت العرب ، إنما يسمون هذا الحي من الأنصار: الخزرج خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزّ ومنعة من قومه وبلده .

قال: فقلنا له: قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال: فتكلم رسول الله ﷺ ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عزّ وجلّ ، ورغّب

في الإسلام ، ثم قال: (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم).

قال: فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال: نعم ،والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا ، فبايعنا يا رسول الله ﷺ ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة[1] ، ورثناها كابراً عن كابر .

قال: فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ﷺ أبو الهيثم بن التيهان ، فقال: يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وإنا قاطعوها ـ يعني اليهود ـ فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟

قال فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: (بل الدم الدم ، والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم) .

وقال رسول الله ﷺ: (أخرجوا لي اثنى عشر نقيباً منكم يكونون على قومهم، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس).

ـ وأما معبد بن مالك حديثه عن أخيه عن أبيه كعب بن مالك ـ قال: كان أول من ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور ، ثم بايع بعد القوم ، فلما بايعنا رسول الله ﷺ صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط: يا أهل الجباحب ـ المنازل ـ هل لكم في مذمم والصباة معه ، قد اجتمعوا على حربكم ، فقال رسول الله ﷺ: (هذا أزب العقبة ، هذا ابن أزيب ـ أتسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك) .

ثم قال رسول الله ﷺ: (ارفضوا إلى رحالكم) . قال: فقال له العباس بن عبادة بن نضله: والله الذي بعثك بالحق: إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيافنا ؟

قال: فقال رسول الله ﷺ: (لم نؤمر ، بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم).

قال: فرجعنا إلى مضاجعنا ، فنمنا عليها حتى أصبحنا .

---

(١) الحلقة: السلاح . الهدم الهدم: أي ذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم .مذمم: المذموم جداً ، الصباة: جمع صابئ ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي صابئ أزب العقبة: اسم شيطان . ارفضوا: تفرقوا

قال: فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا: يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من أحياء العرب أبغض إلينا ، إن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم .

قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء ، وما علمناه ، قال: وقد صدقوا ، لم يعلموه .

قال: وبعضنا ينظر إلى بعض . قال: ثم قام القوم ، ومنهم الحارث بن هشام ابن المغيرة ، وعليه نعلان جديدان ، قال: فقلت كلمة كأني أشرك القوم بها فيما قالوا: ما تستطيع يا أبا جابر ، وأنت سيد من ساداتنا أن تتخذ نعلين مثل نعلي هذا الفتى من قريش ، قال: فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ، ثم رمى بهما إلي ، وقال: والله لتنتعلنهما . قال: يقول أبو جابر: أحفظت والله الفتى ، اردد عليه نعليه ، قال: فقلت: والله لا أردهما قال: فأل والله صالح ، لئن صدق الفأل لأسلبنه » [1] .

١٤٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « حملني خالي جد ابن قيس في السبعين راكباً الذين وفدوا على رسول الله ﷺ من قبل الأنصار ليلة العقبة ، فخرج علينا رسول الله ﷺ ، ومعه عمه العباس بن عبدالمطلب فقال: يا عم خذ على أخوالك، فقال له السبعون: يا محمد سل لربك، ولنفسك ما شئت.

فقال: (أما الذي أسألكم لربي فتعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأما الذي أسألكم لنفسي فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم).

قالوا فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ (قال: الجنة) [2]

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٦٠ـ٤٦٢ ، الطيالسي: ٢/ ٩٠ـ٩٤ رقم الحديث: ٢٣٣٣ ، من طريق ابن إسحاق ، السيرة النبوية ابن هشام: ١/ ٤٤٠ـ٤٤٨ ابن جرير في التاريخ: ٢/ ٩٠ـ٩٣ بسند صحيح ، وصححه ابن حبان كما في الفتح: ٥/ ٤٢٥ الموارد ص: ٤٠٨ ، السيرة النبوية ابن كثير: ٢/ ١٩٢ـ١٩٤ ، السيرة النبوية للذهبي: ٢٠٣ـ٢٠٦ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٤٢ـ٤٥: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .ورواه البيهقي في الدلائل: ٥/ ٤٤٥ـ٤٤٩ وفي السنن: ٩/ ٩ ، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦٢٤ـ٦٢٥ ، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح .

(٢) الطبراني في الكبير: ١٧٥٧ والصغير: ٢/ ١١٠ والأوسط قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٤٨ـ٤٩ ورجاله ثقات .

١٤٦ـ عن أنس عن ثابت عن قيس رضي الله عنه: خطب مقدم النبي ﷺ فقال: إنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا فما لنا يا رسول الله ؟

قال: (لكم الجنة) . قالوا: رضينا »[1] .

أسماء النقباء على الأنصار:

كما في رواية كعب بن مالك السابقة: « زادهم الطبراني في روايته»: كان نقيب بني النجار أسعد بن زرارة ، وكان نقيب بني سلمة البراء بن معرور وعبدالله ابن عمرو بن حرام ، وكان نقيب بني ساعدة سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو ، وكان نقيب بني زريق رافع بن مالك بن العجلان ، وكان نقيب بني الحارث بن الخزرج عبدالله بن رواحة ، وسعد بن الربيع ، وكان نقيب بني عوف بن الخزرج عبادة بن الصامت ، ونقيب بني عبدالأشهل أسيد بن حضير وأبو الهيثم بن التيهان، وكان نقيب بني عمرو بن عوف سعد بن خيثمة .

---

(١) اخرجه أبو يعلى برقم: ٣٧٧٢ ، قال الهيثمي في المجمع: ٤٨/٦ رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٢٣٤/٤ ، وصححه على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وعزاه الحافظ في الإصابة: ١٤/٢ لابن السكن .



الباب الثالث

الهجرة إلى المدينة

رؤيا الرسول عليه الصلاة والسلام لموطن الهجرة

١٤٧ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ (قد رأيت دار هجرتكم ، أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان) » فخرج من كان مهاجراً قبل المدينة حين ذكر ذلك رسول الله ﷺ

ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين»[١].

١٤٨ـ ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي[٢] إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي يثرب)[٣] .

الفصل الأول

ما يذكر من هجرة أصحاب الرسول قبل هجرته

المبحث الأول: السابقون إلى الهجرة من الصحابة إلى المدينة

١٤٩ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ، ثم جاء النبي ﷺ فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله ﷺ قد جاء »[٤].

---

(١) اخرجه أحمد في المسند: ٦/١٩٨ بسند صحيح ، والحاكم في المستدرك: ٢/٣ـ٤ وصححه ووافقه الذهبي ، وأخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الكفالة باب جوار أبي بكر .

(٢) وهلي: اعتقادي هجر: مدينة معروفة وهي قاعدة البحرين

(٣) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه ، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٨١ ، مسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ رقم: ٢٢٧٢ .

(٤) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه رقم: ٣٩٢٤ـ٣٩٢٥ ، الطيالسي رقم: ٢٣٣٤ : ٢/٩٤ ، أحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٢٠/٢٧٦ ، وأخرجه ابن سعد: ٤/١/١٥١ ، والحاكم: ٣/٦٣٤ ورجاله ثقات .

المبحث الثاني: ما أصاب أبا سلمة وآله

١٥٠- عن ابن إسحاق قال حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبدالله بن عمر بن أبي سلمة ، عن جدته ، زوج النبي ﷺ ، قالت: « لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه ، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ، ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه ، فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرأيت صاحبتك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد ؟

قالت: فنزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت: وغضب عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا: لا والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا ، قالت: فتجاذبوا ابني سلمة بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنوا المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة ، قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني .

قالت: فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسي سنة أو قريباً منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحمني ، فقال لبني المغيرة: الا تخرجون هذه المسكينة ، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت: فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت .

قالت: ورد بنو عبد الأسد إلي عند ذلك ابني . قالت: فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت: وما معي أحد من خلق الله ، قالت: فقلت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبدالدار ، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية ؟

قالت: فقلت: أريد زوجي في المدينة . قال: أوما معك أحد؟ قالت: لا والله، إلا الله وبني هذا .

قال: والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يهوي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر بعيري ، فحط عنه ، ثم قيده في الشجرة ، ثم تنحى عني إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فإذا دنا

الرواح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني ، وقال: اركبي ، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي ، يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء .قال: زوجك في هذه القرية ـ وكان أبو سلمة نازلاً فادخليها على بركة الله ، ثم انصرف راجعاً إلى مكة .

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة »[1].

المبحث الثالث: قصة عياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص وإعادتهم

١٥١ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « اجتمعنا للهجرة أوعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص الميضاة ، ميضاة بني غفار فوق شرف ، وقلنا: أيكم لم يصبح عندها فقد احتبس فليمض صاحباه ، فحبس عنا هشام بن العاص ، فلما قدمنا منزلنا في بني عمرو بن عوف ، وخرج أبو جهل ابن هشام والحارث بن هشام إلى عياش بن أبي ربيعة وكان ابن عمِّهما ، وأخاهما لأمهما ، حتى قدما علينا المدينة فكلماه فقالا له: إن أمك نذرت أن لاتمس راسها مشط حتى تراك ، فرق لها .

فقلت له: يا عياش والله إن يُرِدْكَ القوم إلا عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ، ولو قد اشتد عليها حر مكة أحسبه قال لامتشطت ، قال: إن لي هناك مالاً فآخذه قال: قلت: والله إنك لتعلم أني من أكثر قريش مالاً فلك نصف مالي ، ولا تذهب معهما ، فأبى إلا يخرج معهما ، فقلت له: لما أبى علي: أما إذ فعلت فخذ ناقتي هذه ، فإنها ناقة ذلول فالزم ظهرها فإن رابك من القوم ريب فانخ عليها .

فخرج معهما عليها حتى إذا كان ببعض الطريق قال أبو جهل بن هشام: والله لقد استبطأت بعيري هذا ، أفلا تحملني على ناقتك هذه . قال: بلى فأناخ وأناخا ليتحول عليها ، فلما استووا بالأرض عديا عليه فأوثقاه ، ثم أدخلاه مكة وفتناه فافتتن ، قال: فكنا نقول: والله لا يقبل الله ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ، ولا يقبل

---

(١) ابن هشام في السيرة: ٤٦٩/١ـ٤٧٠ من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع وسنده رجاله ثقات ، فالحديث صحيح.

توبة قوم عرفوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم .

قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، أنزل الله - عزَّ وجلَّ - فيهم وفي قولنا لهم وقولهم لأنفسهم ﴿ **يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ إلى قوله ﴿ **وأنتم لا تشعرون** ﴾

قال عمر: فكتبتها في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص قال هشام: فلم أزل أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه حتى فهمتها ، قال: فألقي في نفسي أنها إنما نزلت فينا ، وفيما كنا نقول في أنفسنا ، ويقال فينا ، فرجعت فجلست على بعيري ، فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة » [1] .

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٦١ رواه البزار ورجاله ثقات. كشف الأستار رقم: ١٧٤٦ : ٢/ ٣٠٢، ابن هشام في السيرة: ١/ ٤٧٤-٤٧٥ ، بسند رجاله ثقات صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث فقال حدثني نافع مولى ابن عمر عن عبدالله بن عمر بن الخطاب ، ورواه البيهقي في الدلائل: ٢/ ٤٦١-٤٦٢ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ص١٣- ١٤ ، من طريق ابن إسحاق . فالحديث صحيح.

الفصل الثاني

هجرة رسول الله إلى المدينة

المبحث الأول: الإذن للرسول عليه الصلاة والسلام بالهجرة

١٥٢ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ بمكة فأمر بالهجرة وأنزل عليه ﴿ **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** ﴾[(١)(٢)] .

المبحث الثاني: التخطيط للهجرة والرعاية الربانية

١ـ صحبة أبي بكر للرسول عليه الصلاة والسلام

١٥٣ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن النبي ﷺ قال لجبريل: (من يهاجر معي ؟ قال: أبو بكر الصديق)[(٣)] .

١٥٤ـ ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « بينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر فدى له أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر .

قالت: فجاء رسول الله ﷺ ، واستأذن ، فأذن له ، فدخل ، فقال النبي لأبي بكر: أخرج من عندك » فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله، قال: فإني قد أذن لي في الخروج » فقال أبو بكر: الصحابة[(٤)] بأبي أنت يا رسول الله ، قال: رسول الله ﷺ: نعم ، قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين ، قال رسول الله ﷺ: بالثمن »[(٥)] .

---

(١) سورة الاسراء: ٨٠

(٢) أخرجه الترمذي في سننه التفسير وفي سورة بني إسرائيل رقم: ٣١٣٩ وقال حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك: ٣/٣ وقال صحيح في الإسناد ووافقه الذهبي . وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان لينه الحافظ في التقريب ومع ذلك صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) الحاكم في المستدرك: ٥/٣ وقال صحيح الإسناد والمتن ووافقه الذهبي وقال صحيح غريب

(٤) الصحابة: أريد المصحابة .

(٥) الحديث صحيح انظر حديث رقم: ١١٩

٢- نوم علي في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة

١٥٥- عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « شرى علي نفسه، ولبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه: وكان المشركون يرمون رسول الله ﷺ، وقد كان رسول الله عليه وآله وسلم ألبسه بردة، وكانت قريش تريد أن تقتل النبي ﷺ، فجعلوا يرمون علياً، ويرونه النبي ﷺ، وقد لبس برده، وجعل علي رضي الله عنه يتضور، فإذا هو علي، فقالوا: إنك لـلئيم إنك لتتضور، وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك »[1].

١٥٦- وقد جاء تفصيل قصة مكوثهم على باب الرسول عليه الصلاة والسلام، ووضعه عليه الصلاة والسلام التراب على رؤوسهم وخروجه دون أن يروه، عن ابن إسحاق في السيرة فقال:

حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: « لما اجتمعوا له، وفيهم: أبو جهل بن هشام فقال: وهم على بابه: إن محمداً يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم، ثم بعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم جنات كجنات الأردن، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح، ثم بعثتم من بعد موتكم، ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها .

قال: وخرج رسول الله ﷺ، فأخذ حفنة من التراب في يده، ثم قال: (أنا أقول ذلك، أنت أحدهم)، وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه، فلا يرونه، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس ﴿ **يس والقرآن الحكيم، إنك لمن المرسلين، على صراط مستقيم، تنزيل العزيز الرحيم** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فأغشيناهم فهم لا يبصرون** ﴾ حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه تراباً، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب .

فأتاهم آت فيمن لم يكن معهم، فقال: ما تنظرون ها هنا ؟ قالوا: محمداً، قال: خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك منكم رجلاً إلا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤ وقال: هذ حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه أبو داود الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة الفاظ ،ووافقه الذهبي . وأخرجه أحمد كما في الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٧٩

وضع على رأسه تراباً ، وانطلق لحاجته ، أفما ترون ما بكم ؟

قال: فوضع كل رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجياً ببُرْد رسول الله ﷺ ، فيقولون: والله إن هذا لمحمد نائماً ، عليه برده . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي رضي الله عنه عن الفراش فقالوا: والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا »[1] .

٣ـ لجوء الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر إلى الغار

١٥٧ـ من حديث محمد بن سيرين قال: ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنه ، فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهما ، قال: فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فقال: والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر ، وليوم من أبي بكر ، خير من آل عمر ، لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر ، فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه ، حتى فطن له رسول الله ﷺ، فقال: (يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟)

فقال: يا رسول الله ! أذكر الطلب فأمشي خلفك ، ثم اذكر الرصد فأمشي بين يديك ، فقال: (يا أبا بكر ، لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني) ، قال: نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك ، فلما انتهيا إلى الغار ، قال أبو بكر: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار، فدخل واستبرأ حتى إذا كان في أعلاه ، ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة ، فقال: مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة ، فدخل واستبرأ ثم قال: أنزل يا رسول الله ، فنزل فقال عمر: والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر»[2] .

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٤٨٣/١ وإسناده رجاله ثقات وهو مرسل حسن ، وأخرجه الطبري في تاريخه: ٣٧٣/٢ ، وأبو نعيم في الدلائل ص: ٦٤ ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وله شاهد من حديث ابن عباس رقم: ١٥٥ ، ١٥٨ ، وبه يكون الحديث حسناً .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٦/٣ وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين لولا إرسال فيه لم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال: صحيح مرسل ، والحافظ في الفتح: ٢٣٧/٧ عن دلائل النبوة للبيهقي من مرسل محمد بن سيرين وقال: وذكره أبو القاسم البصري من مرسل ابن أبي مليكة نحوه ، وذكر ابن هشام من زياداته عن الحسن البصري بلاغاً نحوه .

٤ـ نسج العنكبوت على باب الغار

١٥٨ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال: في قوله تعالى ﴿ وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ﴾ قال: تشاورت قريش ليله بمكة ، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق ـ يريدون النبي ﷺ ـ وقال بعضهم: بل اقتلوه ، وقال بعضهم: بل أخرجوه ، فأطلع الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نبيه على ذلك ، فبات علي على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ .

فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوه علياً رد الله مكرهم ، فقالوا: أين صاحبك هذا ؟ قال: لا أدري ، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل ، خلط عليهم ، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت ، فقالوا: لو دخل ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال »[1] .

تعمية أبصار المشركين عن إبصار رسول الله ﷺ وأبي بكر في الغار:

١٥٩ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: عن أبي بكر رضي الله عنه قال: قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال: (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما)[2] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١/٣٤٨ ، عبدالرزاق في المصنف: ٥/٣٨٩ ، وذكره الحافظ في الفتح: ٧/٢٣٦ وقال سنده حسن ، وحسن إسناده أيضاً ابن كثير في السيرة: ٢/٢٣٩ ، وقال: إسناد حسن وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار » ، ورواه الطبراني مطولاً ذاكراً تفاصيل الهجرة وإسناده مرسل ، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام وحديثه حسن ، انظر مجمع الزوائد: ٦/٥٢ـ٥٣ ، وزاد صاحب فتح القدير عزوه إلى: عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم ، انظر فتح القدير: ٢/٣٠٤ ، وقد رواه عبدالرزاق: ٥/٣٨٩ متقطعاً عن مقسم وقتادة ، ومرة موصولاً عن عائشة ، ورواه الطبري في التاريخ: ٢/٣٧٢ ، ويشهد له مرسل الحسن أخرجه أبو بكر المروزي في مسند أبي بكر ، وجاء من حديث أنس عند البزار انظر كشف الأستار: ٢/٢٩٩ ،وابن سعد في الطبقات: ١/٢٩٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٢/٤٧٣ ، وبهذا يكون الحديث حسناً .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر رقم: ٣٦٥٣، فتح الباري: ٧/٨ ، وفي مناقب الأنصار باب هجرة النبي رقم: ٣٩١٧ ، فتح الباري: ٧/٢٥٥ ، مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر الصديق: ٢٣٨١ .

٥ـ كيف كانا يحصلان على أخبار قريش والزاد واتفاقهما مع الدليل

١٦٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « ثم لحق رسول الله وأبو بكر بغار في جبل ثور ، فكمنا فيه ثلاث ليال ، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر ، فيصبح مع قريش بمكة كبائت ، فلا يسمع أمراً يكتادان [1] به إلا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحه من غنم ، فيريحها عليهما حين تذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رَسْل ـ وهو لبن منحتهما ورضيفهما[2] ـ حتى ينعق عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث .

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الديل ، وهو من بني عبد ابن عدي هادياً خريتاً ـ والخريت الماهر بالهداية ـ قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي ، وهو على دين كفار قريش ، فأمناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، فأخذ بهما طريق السواحل »[3] .

---

(١) يكتادان: يطلب لهما فيه المكروه ، وهو من الكيد .

(٢) رضيفهما: اللبن الموضوف: أي الذي وضعت فيه الحجارة المحماة بالشمس والنار لينعقد وتزول رخاوته .

(٣) سبق تخريجه رقم الحديث: ١١٩ـ وقد رواه البخاري

المبحث الثالث: ما يذكر عن أسماء في الهجرة

١ـ ذات النطاق

١٦١ـ قالت عائشة رضي الله عنها: « فجهزناهما (الراحلتين) احث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها ، فربطت به على فم الجراب ، فبذلك سميت ذات النطاق»[١].

٢ـ قصة أسماء مع جدها وتعليله بالحجارة عن النقود

١٦٢ـ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: « لما خرج رسول الله ﷺ وخرج معه أبو بكر احتمل أبو بكر ماله كله معه ، خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم ، قالت: وانطلق بها معه ، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره ، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه .

قالت: قلت كلا يا أبت إنه قد ترك خيراً كثيراً ، قالت: فأخذت احجاراً فتركتها فوضعتها في كوة ببيت كان أبي يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده فقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال ، قالت: فوضع يده عليه فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا لكم بلاغ ، قالت: لا والله ما ترك لنا شيئاً ، ولكني أردت أن أسكن الشيخ »[٢] .

المبحث الرابع: في الطريق إلى المدينة

١ـ استراحة في القائلة وشربة لبن

١٦٣ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « اشترى أبو بكر رضي الله عنه من عازب رحلاً بثلاثة عشر درهما ، فقال أبو بكر لعازب: مر البراء فليحمل إليَّ رحلي ، فقال عازب: لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت أنت ورسول الله ﷺ حين خرجتما من مكة والمشركون يطلبونكم .

---

(١) الحديث السابق

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٥ـ ٦ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، واحمد انظر الفتح الرباني: ٢٠/٢٨٢ ، وابن هشام في السيرة ورجاله ثقات: ١/٤٨٨ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٥٩ رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

قال: ارتحلنا من مكة فأحيينا - أو سرينا - ليلتنا ويومنا حتى أظهرنا ، وقام قائم الظهيرة ، فرميت ببصري هل أرى من ظل فآوي إليه ، فإذا صخرة أتيتها ، فنظرت بقية ظل لها فسويته ،ثم فرشت للنبي ﷺ فيه ، ثم قلت له: اضطجع يا نبي الله ، فاضطجع النبي ﷺ ، ثم انطلقت أنظر ما حولي: هل أرى من الطلب أحدا ؟ فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة ، يريد منها الذي أردنا ، فسألته ، لمن أنت يا غلام ؟ فقال لرجل من قريش سماه فعرفته ، فقلت : هل في غنمك من لبن ؟ قال: نعم . قلت: فهل أنت حالب لنا . قال: نعم ، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه ، ثم أمرته أن ينفض ضرعها من الغبار ، ثم أمرته أن ينفض كفيه ، فقال: هكذا ، ضرب إحدى كفيه بالأخرى فحلب لي كثبة من لبن .

وقد جعلت لرسول الله ﷺ أداوة على فمها خرقها ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ، فانطلقت به إلى النبي ﷺ فوافقته قد استيقظ ، فقلت: اشرب يا رسول الله ، فشرب حتى رضيت ،ثم قلت: قد آن الرحيل يا رسول الله ، قال: (بلى) فارتحلنا والقوم يطلبوننا ، فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له: فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، فقال: (لا تحزن ، إن الله معنا) [(1)] .

١٦٤- ومن حديث قيس بن النعمان رضي الله عنه قال: « لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر مستخفين مرا بعبد يرعى غنماً ، فاستسقياه من اللبن ، فقال: ما عندي شاة تحلب غير أن ها هنا عناقا حملت أول الشتاء ، وقد أخدجت وما بقي لها لبن ، فقال: (ادع بها) فدعا بها ، فاعتقلها النبي ﷺ ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت ، قال: وجاء أبو بكر رضي الله عنه بمجن فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي: بالله من أنت ؟ فوالله ما رأيت مثلك قط ! قال: (أوتراك تكتم علي حتى أخبرك ؟) قال: نعم. قال: (فإني محمد رسول الله). فقال: أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ ، قال (إنهم ليقولون ذلك) . قال:

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مناقب المهاجرين وفضلهم ومنهم ابو بكر رقم: ٣٦٥٢ ، فتح الباري: ٨/٧ ، وانظر: ٣٤٣٩، ٣٦١٥، ٣٩١٧، مسلم في صحيحه كتاب الزهد باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرحل رقم: ٢٠٠٩ صفحة: ٢٣٠٩/٤ - ٢٣١٠ ، واحمد في المسند: ٢/١-٣ .

★ أخدجت: ألقت ولدها .

فاشهد أنك نبي ، وأشهد أن ما جئت به حق ، وأنه لا يفعل ما فعلت إلا نبي ، وأنا متبعك ، قال: (إنك لا تستطيع ذلك يومك ، فإذا بلغك أني قد ظهرت فأتنا) [1] .

٢ـ حديث سراقة بن مالك

١٦٥ـ من حديث سراقة بن مالك بن جعشم رضي الله عنه قال: « جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج ، إذا أقبل رجل منهم ، حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراهما محمداً وأصحابه ، قال سراقة: فعرفت أنهم هم ، فقلت: إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا .

ثم لبثت في المجلس ساعة ،ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي ـ وهي من وراء أكمة ـ فتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي ، فركبتها ، فرفعتها تقرب لي ، حتى دنوت فعثرت بي فرسي فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها: أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره .

فركبت فرسي ـ وعصيت الأزلام ـ تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ ، وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها ، فنهضت فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا ، فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له:

إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ،

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٨/٣ ـ ٩ ، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال: صحيح ، المطالب العالية رقم: ٤٢٩٥ ، رواه أبو يعلى بإسناد رواته ثقات كذا قال البوصيري ، وقال الهيثمي في المجمع: ٥٨/٦ رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٤٣

وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ، ولم يسألاني إلا أن قال: (اخف عنا). فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ[1].

ذكاء أبي بكر حين سئل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

١٦٦ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: (أقبل نبي الله ﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ، ونبي الله ﷺ شاب لا يعرف ، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك ؟

فيقول: هذا الرجل يهديني السبيل ، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق، وإنما يعني سبيل الخير . فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت نبي الله ﷺ فقال: (اللهم اصرعه) ، فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم ، فقال: يا نبي الله مرني بما شئت. قال: (فقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا) ، قال فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ﷺ ، وكان آخر النهار مسلمة له»[2].

٣ـ حديث أم معبد الخزاعية

١٦٧ـ من حديث هشام بن حبيش عن أبيه حبيش بن خالد صاحب رسول الله ﷺ: « أن رسول الله ﷺ خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ، وأبو بكر رضي الله عنه ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة ، ودليلهما الليثي عبدالله بن أريقط مروا على خيمتي أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة برزة جلدة ، تحتبي بفناء الخيمة ، ثم تسقي وتطعم .

فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وكان القوم مرملين مسنتين ، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة ، فقال: (ما

---

(١) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ حديث رقم: ٣٩٠٦ ، فتح الباري: ٧/٢٣٨ ، ومسلم في الزهد باب حديث الهجرة: ٢٠٠٩ ، وابن سعد في الطبقات مختصراً: ١/٢٣٢ ، وأحمد في المسند: ٤/١٧٦ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٥/٣٩٢ـ٣٩٤ . والبيهقي في الدلائل: ٢/٤٨٤ ، والحاكم في المستدرك: ٣/٦ـ٧ . وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي . وأشار إلى أن البخاري ومسلم قد أخرجاه ، وابن هشام في السيرة: ١/٤٨٩ .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ حديث رقم: ٣٩١١ فتح الباري: ٧/٢٤٩ ، وأحمد كما في الفتح الرباني: ٢٠/٢٨٨ .

هذه الشاة يا أم معبد؟) قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم. قال: (هل بها من لبن ؟) قالت: هي أجهد من ذلك ، قال: (أتأذنين لي أن أحلبها ؟) قالت: بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلباً فاحلبها .

فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح بيده ضرعها ، وسمى الله تعالى ودعا لها في شاتها فتفاجت عليه ودرت ، فاجترت[١] فدعا بإناء يربض[٢] الرهط ، فحلب فيه ثجاً حتى علاه البهاء ، ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب آخرهم حتى أراضوا[٣] ثم حلب فيه الثانية على بدء حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ، ثم بايعها - يعني على الإسلام - ثم ارتحلوا عنها ، فقل ما لبثت حتى جاءها زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً ، يتساوكن هزالاً مخهن قليل .

فلما رأى أبو معبد اللبن أعجبه قال: « من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاء عازب حائل ولا حلوب في البيت ؟ » قالت: لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: « صفيه لي يا أم معبد ؟ »

قالت: « رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة أبلج الوجه ، حسن الخلق لم تعبه ثجلة ، ولم تزريه صعلة ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صهل ، وفي عنقه سطع ، وفي لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار ، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحسنه وأجمله من قريب . حلو المنطق ، فصلاً لا نزر ولا هذر ، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا تشناه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً ، وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفون به ، إن قال سمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا مفند .

قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولقد هممت أن أصاحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً ، وأصبح صوت بمكة عالياً ، يسمعون الصوت ، ولا يدرون صاحبه ، وهو يقول:

---

(١) تفاجت: فرجت رجليها للحلب .

(٢) يربض الرهط: يبالغ في ريهم ويقلهم حتى يلصقهم بالأرض .

(٣) أراضوا: كرروا الشرب حتى بالغوا في الري .

جـزى الله رب الـنـاس خير جزائه رفيـقـين حــلا خيـمـتي أم مــعبد
هـمـا نـزلاهـا بـالـهدى واهتـدت به فـقـد فـاز مــن أمــسى رفيق مـحمد
فيـا لـقـصـي مــا زوى الله عنكـم به مــن فعـال لا تـجـازى وســؤدد
لـيهــن أبا بـكـر سعــادة جــده بصـحـبتـه مــن يسـعـد الله يسعـد
ولـيهـن بني كعب مقام فتاتهـم ومـقـعـدها للـمــؤمنين بمرصــد
سلـوا أختكـم عـن شـاتها وإنائهـا فإنكـم إن تـسـألـوا الـشـاة تـشهد
دعـــاها بشـاة حائـل فتحـلبت علـيـه صريمــا ضـرة الـشـاة مـزبد
فـغـادره رهـنـا لــديهـا لـحـالب يـرددها فـي مـصدر بعد مــورد[1][2]

كسوة الزبير رضي الله عنه للنبي وأبي بكر رضي الله عنه:

١٦٨ـ قـال ابن شـهـاب الزهري أخبـرني عـروة بن الزبير « أن رسـول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله ﷺ ثياب بياض »[3]

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٩ـ١٠ وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال صحيح » وعزاه ابن حجر في الإصابة: ١/٣٠٩ للبغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منده وغيرهم ، وأخرجه الطبراني في الكبير: ٣٦٠٥ وابو نعيم في الدلائل: ص٢٨٢ـ٢٨٧ .واللالكائي في اعتقاد أهل السنة والجماعة: ١٤٣٤ ـ١٤٣٧ .

وللحديث شواهد من حديث جابر رواه البزار كما في كشف الأستار: ١٧٤٢ .

وابي معبد الخزاعي رواه البيهقي ذكرهما الحافظ ابن كثير في السيرة: ٢/٢٥٨ ـ٢٦٢ ابن سعد في الطبقات: ١/٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

وله شاهد ثالث من حديث أبي بكر دون ذكر اسم أم معبد ذكره البيهقي في الدلائل: ٢/٤٩١ ، وإسناده حسن ، كما قال ابن كثير ، وقال البيهقي: هذه القصة شبيهة بقصة أم معبد والظاهر أنها هي والله أعلم قلت: وبهذه الشواهد يكون الحديث حسناً إن شاء الله تعالى .

(٢) انظر شرح غريب الحديث في السيرة النبوية لابن هشام بتعليق الخشني تحقيق الدكتور همام سعيد ، ومحمد أبو صعليك: ٢/١٤٦ـ١٥٠.

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ: ٣٩٠٦ ، وقال الحافظ: وصورته مرسل لكن وصله الحاكم من طريق معمر عن الزهري: ٣/١١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال: أخرجه البخاري ، وأخرجه ابن هشام في السيرة: ١/٤٩٢ .

الباب الرابع

المرحلة المدنية

الفصل الأول

الأحداث والوقائع من قدوم النبي المدينة إلى غزوة بدر

المبحث الأول: قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ـ المدينة

١٦٩ـ من حديث ابن شهاب عن عروة بن الزبير: « أن رسول الله ﷺ لقي الزبير في ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول الله وأبا بكر ثياب بياض ، ويسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول الله ﷺ من مكة ، فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة ، فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانطلقوا أيضاً بعدما أطالوا انتظارهم .

فلما آووا إلى بيوتهم ، أوفى رجل من اليهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول الله وأصحابه مبيضين، يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب ، هذا جدكم الذي تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح ، فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل في بني عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول. فقام أبو بكر للناس ، وجلس رسول الله ﷺ صامتاً ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ ، يحيي أبا بكر ، حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه ، فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك .

فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وأسس المسجد الذي أسس على التقوى ، وصلى فيه رسول الله ﷺ ، ثم ركب راحلته، فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة ، وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربداً للتمر لسهيل وسهل غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة .

فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل ، ثم دعا

رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً ، فقالا: لا ، بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجداً ، وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ، ويقول ـ وهو ينقل اللبن:

هذا الحمال لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول:

اللهم إن الأجر أجر الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي » . قال ابن شهاب: ولم يبلغنا في الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات [1] .

المبحث الثاني: نزوله بفناء أبي أيوب وبناء المسجد

١٧٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل في علو المدينة ، في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف ، قال: فأقام فيهم أربع عشرة ليلة ، ثم أرسل إلى ملأ بني النجار ، قال: فجاءوا متقلدي سيوفهم ، قال: وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ على راحلته وأبو بكر ردفه وملأ بني النجار حوله ، حتى ألقى بفناء أبي أيوب ، قال: فكان يصلي حيث أدركته الصلاة ، ويصلي في مرابض الغنم .

قال: ثم إنه أمر ببناء المسجد ، فأرسل إلى ملأ بني النجار فجاءوا . فقال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا ، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال: فكان فيه ما أقول لكم: كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرب ، وكان فيه نخيل .

فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين وبالخرب فسويت ، وبالنخل فقطعت ، قال: فصفوا النخل قبلة المسجد ، قال وجعلوا عضادتيه حجارة ، وجعلوا ينقلون الصخر، وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون:

اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة [2]

---

(١) قد جاء جزء منه حديث رقم: ١٦٥ وحديث رقم: ١٦٨ ، فانظر تخريجه هناك ـ وقد جاء من حديث عبدالرحمن بن عويم بن ساعدة عند ابن هشام في السيرة بإسناد رجاله ثقات نحو هذا: ١/ ٤٩٢

(٢) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: ٣٩٣٢ فتح الباري: / ٢٦٥ ٧، وفي المساجد باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ، وفي فضائل المدينة باب

المبحث الثالث

فرح أهل المدينة بمقدم الرسول صلى الله عليه وسلم

١ـ خروج الناس لاستقبال الرسول عليه السلام حين قدم المدينة

١٧١ـ من حديث البراء عن أبي بكر في حديث الهجرة فقال: (فقدمنا المدينة ليلاً ، فتنازعوا أيهم ينزل عليه رسول الله ﷺ فقال: (أنزل على بني النجار ، أخوال عبدالمطلب ، أكرمهم بذلك) فصعد الرجال والنساء فوق البيوت وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون: يا محمد ! يا رسول الله ! يا محمد ! يا رسول الله » [١] .

٢ـ إضاءة المدينة لمقدمه صلى الله عليه وسلم وإظلامها لوفاته

١٧٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « فما رأيت يوماً قط أنور ولا أحسن من يوم دخل رسول الله ﷺ وأبو بكر المدينة ، وشهدت وفاته فما رأيت يوماً قط أظلم ولا أقبح من اليوم الذي توفي رسول الله ﷺ فيه » [٢] .

٣ـ لعب الحبشة بحرابها فرحاً بالرسول صلى الله عليه وسلم

١٧٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: لما قدم رسول الله لعبت الحبشة بحرابهم فرحاً لقدومه » [٣] .

حرم المدينة ، وفي البيوع باب صاحب السلعة أحق بالسوم ، ومسلم في المساجد باب ابتناء مسجد النبي ﷺ رقم: ٥٢٤ ـ أبو داود في الصلاة باب بناء المسجد: ٤٥٤ ، النسائي في المساجد باب نبش القبور واتخاذ اراضيها مساجد: ٢/ ٣٩ ـ ٤٠ ، ابن ماجه في المساجد باب أين يجوز بناء المساجد: ٧٤٢، واحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٢١/ ٥ـ٦ ، ابن سعد في الطبقات: ١/ ٢٣٩ ـ ٢٤١ ، البيهقي في الدلائل: ٢/ ٥٣٩ ـ ٥٤٠ ، الطيالسي في المسند في منحة المعبود: ٢/ ٩٤ ـ ٩٥ .

(١) اخرجه البخاري في مناقب الصحابة باب مناقب المهاجرين: ٣٦٥٢ فتح الباري: ٧/ ٨ ، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي الأشربة باب شرب اللبن ، وفي اللقطة: باب من عرف اللقطة ولم يدفعها إلى السلطان ، ومسلم: ٢٠٠٩ ، ٤/ ٢٣٠٩ في الزهد والرقائق: باب في حديث الهجرة .

(٢) اخرجه احمد في المسند: ٣/ ١٢٢ ، والدارمي: ١/ ٤١ في المقدمة وإسناده صحيح ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١٢ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٥٩ـ٦٠ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) اخرجه أبو داود في الأدب باب في الغناء: ٤٩٢٣ ، الفتح الرباني: ٢٠/ ٢٩٠ ـ٢٩١ وسنده صحيح رجاله رجال الصحيح .

المبحث الرابع: مسائل عبدالله بن سلام حبر اليهود وإسلامه

١٧٤ـ من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ نزل عليه ، فنزل النبي في السفل وأبو أيوب في العلو .قال: فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ، فتنحوا ، فباتوا في جانب ، ثم قال للنبي ﷺ . فقال النبي ﷺ (السفل أرفق) فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها ، فتحول النبي ﷺ في العلو وأبو أيوب في السفل . فكان يصنع للنبي ﷺ طعاماً . فإذا جيء به إليه سأل عن موضع أصابعه ، فيتتبع موضع أصابعه ، فصنع له طعاماً فيه ثوم ، فلما رد إليه سأل عن موضع أصابع النبي ﷺ ، فقيل له: لم يأكل ففزع وصعد إليه . فقال: أحرام هو ؟ فقال النبي ﷺ: (لا ولكني أكرهه) قال: فإني أكره ما تكره ، أو ما كرهت ، قال: وكان النبي ﷺ يؤتى؟!! »[١] .

١٧٥ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن عبدالله بن سلام بلغه مقدم النبي ﷺ المدينة ، فأتاه يسأله عن أشياء فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال: أخبرني به جبريل آنفاً. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، قال: أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت ، وأما الولد فإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد إلى أبيه ، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد إلى أمه . قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي، فجاءت اليهود. فقال النبي ﷺ: أي رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا ، فقال النبي ﷺ: أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام ؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك . فأعاد عليهم فقالوا مثل ذلك. فخرج إليهم عبدالله . فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله»[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه رقم: ٢٠٥٣ ـ الترمذي كتاب الاطعمة باب كراهة أكل الثوم: ١٨٠٧ ، أحمد في المسند: ٥/ ٩٤ ـ٩٥، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، البيهقي في الدلائل: ١٠/ ٥٠٩ ـ ٥١٠ .

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب كيف آخى النبي بين أصحابه رقم ٣٩٣٨ فتح الباري: ٧/ ٢٧٢ ، وكتاب مناقب الأنصار باب الهجرة رقم: ٣٩١١ فتح الباري: ٧/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠ .

المبحث الخامس

أول جمعة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم

من حديث ابن إسحاق قال: « نزل رسول الله ﷺ بقباء على كلثوم بن الهدم أخي بني عمرو بن عوف، ويقال بل نزل على سعد بن خيثم، فأقام في بني عمرو بن عوف وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف، فصلى الجمعة الكبرى في المسجد ببطن الوادي، قال ابن إسحاق: ثم نزل رسول الله على أبي أيوب، وأمر رسول الله ﷺ ببناء مسجده في تلك السنة »[1].

المبحث السادس: متى دخل النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة

١٧٦- من حديث عاصم بن عدي رضي الله عنه قال: « قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول فأقام بالمدينة عشر سنين »[2].

المبحث السابع: المشاركة في بناء المسجد

١٧٧- من حديث سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: « لما بنى رسول الله ﷺ المسجد، جاء أبو بكر رضي الله عنه بحجر فوضعه، ثم جاء عمر بحجر فوضعه، ثم جاء عثمان بحجر فوضعه، فقال رسول الله ﷺ: (هؤلاء ولاة الأمر من بعدي)[3].

١٧٨- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نحمل لبنة لبنة، وعمار لبنتين لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار). قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن »[4].

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٦٢ - ٦٣، رواه الطبراني ورجاله ثقات ؛ وانظر السيرة النبوية بتعليق الخشني: ٢/ ١٥٩.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٦٣ رواه الطبراني ورجاله ثقات، الطبراني في الكبير: ١٧/ ١٧٢

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ١٣، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال صحيح.

(٤) اخرجه البخاري في الصلاة باب التعاون في بناء المسجد رقم: ٤٤٧ فتح الباري: ١/ ٥٤١ ورقم: ٢٨١٢ في الجهاد. وانظر الفتح الرباني: ٢٣/ ٢٧٤ - مسلم في الفتن رقم: ٢٩١٥ - احمد في المسند: ٣/ ٥ البيهقي في الدلائل: ٢/ ٥٤٨.

صفة مسجده:

١٧٩ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان المسجد على عهد رسول الله ﷺ مبنياً باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل » فلم يزد فيه أبو بكر شيئاً ، وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهد رسول الله ﷺ باللبن والجريد وأعاد عمده خشباً ، ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة ، وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج»[١].

المبحث الثامن: ما أصاب المهاجرين من حمى المدينة

١٨٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « قدمنا المدينة وهي وبيئة ، فاشتكى أبو بكر ، واشتكى بلال ، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه قال: (اللهم حبب إلينا المدينة ، كما حببت مكة أو أشد وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدها ، وحول حماها إلى الجحفة) [٢].

١٨١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك أبو بكر وبلال ، قالت: فدخلت عليهما ، فقلت: يا أبت كيف تجدك ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت: فكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أخذته الحمى يقول:

كل امرئ مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا اقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد وحولي أذخر وجليل

وهل أردن يوماً مياه مجنة ... وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها ،وبارك لنا في صاعها ومدها ، وانقل حماها ،

---

(١) اخرجه البخاري في الصلاة باب بنيان المسجد رقم: ٤٤٦ فتح الباري: ١/٥٤٠ ، وانظر الفتح الرباني: ٢٣/٢٧٦ .

(٢) اخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مقدم النبي وأصحابه المدينة رقم: ٣٩٢٦ فتح الباري: ٧/٢٦٢ وفي الدعوات باب الدعاء برفع الوباء والوجع ، وفي فضائل المدينة باب حدثنا مسدد عن يحيى عن عبيدالله بن عمر ، وفي المرضى باب عيادة النساء الرجال ، وباب من دعا برفع الوباء والحمى ، ومسلم في صحيحه الحج باب الترغيب في سكنى المدينة رقم: ١٣٧٦ ، والفتح الرباني: ٢١/١٢ ـ ١٣ .

فاجعلها بالجحفة) .

وفي رواية للبخاري: « أن بلالاً قال بعد شعره « اللهم العن شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف ، كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء ، ثم قال رسول الله ﷺ: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا وصححها لنا ، وانقل حماها إلى الجحفة) . قالت: وقدمنا المدينة وهي أوبأ أرض الله ، قالت: فكان بطحان يجري نجلا ، تعني ماء آجناً »[(١)] .

١٨٢- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كأن امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة ، حتى قامت بهيعة وهي الجحفة، فأولت أن وباء المدينة نقل إليها)[(٢)] .

مرض عائشة بالحمى:

١٨٣- من حديث البراء عن أبي بكر رضي الله عنهما قال البراء: « فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى ، فرأيت أباها يقبل خدها ، وقال: كيف أنت يا بنية »[(٣)] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل المدينة باب حدثنا مسدد عن يحيى عن عبيدالله بن عمر رقم: ١٨٨٩ وانظر التعليق السابق .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التعبير باب إذا رأى أنه أخرج الشيء من كوة وأسكنها موضعاً آخر ، وباب المرأة السوداء: ١٢/ ٤٢٥ - ٤٢٦ ، رقم ٧٠٣٨ ، ٧٠٣٩، ٧٠٤٠ ، والترمذي كتاب الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي الميزان والدلو رقم: ٢٢٩٠ : وقال حسن صحيح غريب ، وابن ماجه في التعبير باب تعبير الرؤيا رقم: ٣٩٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه رقم: ٣٩١٨ فتح الباري: ٧/ ٢٥٥ .

المبحث التاسع: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال السهيلي: « آخى بين أصحابه ليذهب عنهم وحشة الغربة ،ويتأنسوا من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد بعضهم أزر بعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث ، وجعل المؤمنين كلهم إخوة ، وأنزل ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ يعني في التوادد وشمول الدعوة ، واختلفوا في ابتدائها: فقيل بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل: بتسعة ، وقيل: وهو يبني المسجد »[1] .

١٨٤ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قد حالف رسول الله ﷺ بين قريش والأنصار في داري »[2] .

١٨٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « كتب النبي ﷺ على كل بطن عقوله ثم كتب (أنه لا يحل لمسلم أن يتولى مولى رجل مسلم بغير إذنه) ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك »[3] .

١٨٦ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ: « كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار أن يعقلوا معاقلهم ، وأن يفدوا عانيهم بالمعروف ، والإصلاح بين المسلمين »[4] .

١٨٧ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ **ولكل جعلنا موالي** ﴾ قال: ورثة ﴿ **والذين عاقدت أيمانكم** ﴾ قال: كان المهاجرين لما قدموا على النبي ﷺ المدينة ورث المهاجر الأنصاري دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٢٧٠

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الكفالة ، باب قوله تعالى: ﴿ والذين عاقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ، رقم: ٢٢٩٤ ، وجاء أيضاً بأرقام: ٦٠٨٣ ، ٧٣٤٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي بين أصحابه رقم: ٢٥٢٨

(٣) أخرجه مسلم في كتاب العتق باب تحريم تولي العتيق غير مواليه رقم: ١٥٠٧ ، النسائي في القسامة باب صفة شبه العمد: ٨/٥٢ ، أحمد في المسند: ٣/٣٢١ ، ٣٤٢ ،٣٤٩

★ معاقلهم: المعاقل: الديات ، العاني: الأسير ، عقوله: العقول: الديات ، والهاء ضمير البطن .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٢٧١ ، ٢/ ٢٠٤ ، الفتح الرباني: ٢١/ ١٠ ، وقال الساعاتي: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وسنده صحيح ، واورده الحافظ في تاريخه وقال: تفرد به أحمد ، السيرة ابن كثير: ٢/ ٣٢٠ قلت: فيه حجاج بن أرطاة صدوق كثير الخطأ يدلس فالحديث إذن ليس كما قال الشيخ الساعاتي وإنما هو بشاهده عن جابر حسن . وأحاديث عمرو بن شعيب جلها حسنة إذا صح الإسناد إليه.

ﷺ بينهم، فلما نزلت ﴿ ولكل جعلنا موالي ﴾ نسخت. ثم قال: ﴿ والذي عاقدت أيمانكم ﴾ إلا النصر والرفادة والنّصيحة ـ وقد ذهب الميراث ـ ويوصي له»[1].

١٨٨ـ من حديث أنس رضي الله عنه: قال: « قالت المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير ، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ ، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال: فقال رسول الله ﷺ: (كلا ما أثنيتم عليهم به ، ودعوتم الله ـ عزّ وجلّ ـ لهم)[2] .

١٨٩ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قالت الأنصار: اقسم بيننا وبينهم النخيل ، قال: (لا). قال: يكفوننا المئونة ، ويشركوننا في الثمر ، قالوا: سمعنا وأطعنا »[3] .

١٩٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قدم عبدالرحمن بن عوف فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري ، فعرض عليه أن يناصفه أهله وماله، فقال عبدالرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك ، دلني على السوق ، فربح شيئاً من أقط وسمن ، فرآه النبي ﷺ بعد أيام وعليه وضر من صفرة ، فقال النبي ﷺ: (مهيم يا عبدالرحمن ؟) قال: يا رسول الله تزوجت امرأة من الأنصار ، قال: (فما سقت فيها ؟) فقال: وزن نواة من ذهب . فقال النبي ﷺ: (أولم ولو بشاة) »[4] .

---

(١) أخرجه البخاري الكفالة باب قوله تعالى ﴿ والذين عاقدت أيمانكم ﴾ رقم: ٢٢٩٢ وأرقام: ٤٥٨٠ ، ٦٧٤٧

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/٢٠٤ وهو من ثلاثياته وسنده صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه الترمذي في صفة القيامة برقم: ٢٤٨٧ ، وأبو داود في الأدب باب في شكر المعروف: ٤٨١٢ ، والبيهقي في السنن: ٦/١٨٣ ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار رقم: ٣٧٨٢ .

(٤) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار رقم: ٣٧٨١ ، وباب كيف آخى النبي بين أصحابه رقم: ٣٩٣٧ ، مسلم النكاح رقم: ١٤٢٧ ، أبو داود في النكاح باب قلة المهر: ٢١٠٩ ، الترمذي في البر والصلة باب ما جاء في مواساة الأخ: ١٩٣٤ ، والنسائي في النكاح باب الهدية لمن عرس: ٦/١٣٧ ، والبيهقي في السنن: ٧/٢٣٦ ، ٢٣٧ ، وعبدالرزاق: ١٠٤١٠ ، وابن ماجه في النكاح باب الوليمة: ١٩٠٧ ، والدارمي: ٢/١٤٣ والحميدي: ١٢١٨ . أحمد في المسند: ٣/١٥٢ ، ٣/١٩٠ ، ٢٠٤ ، ٢٧١ ، وقد جاء من حديث إبراهيم بن سعد بن عبدالرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عند البخاري رقم: ٣٧٨٠ باب إخاء النبي بين المهاجرين والأنصار .

١٩١ـ من حديث أنس قال: « آخى النبي بين أبي عبيدة وبين أبي طلحة »[١].

١٩٢ـ « آخى النبي سلمان وأبي الدرداء » من حديث أبي جحيفة[٢].

١٩٣ـ ومن حديث الزبير بن العوام قال: أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فينا خاصة معشر قريش والأنصار ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان ، فواخيناهم ، ووارثناهم ، فآخى أبو بكر رضي الله عنه خارجة بن زيد ، وآخى عمر رضي الله عنه فلانا ، وآخى عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً من بني زريق بن سعد الزرقي ، ويقول بعض الناس غيره ، قال الزبير رضي الله عنه: وآخيت أنا كعب بن مالك ، فجئته فابتعلته ، فوجدت السلاح قد ثقله فيما يرى فوالله ، يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا »[٣] .

المبحث العاشر: الوثيقة التي كتبها النبي في المدينة

لقد نظم النبي ﷺ العلاقات بين سكان المدينة ، وكتب في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية ، واستهدف هذا الكتاب أو الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة ، وتحديد الحقوق والواجبات ، وقد سميت في المصادر القديمة بالكتاب أو الصحيفة ، وأطلقت عليها الأبحاث الحديثة لفظ الدستور والوثيقة.

أـ طرق ورود الوثيقة « الصحيفة » .

ونظراً لأهمية الوثيقة التشريعية إلى جانب أهميتها التاريخية ، فلا بد من تحكيم مقاييس أهل الحديث فيها لبيان درجة قوتها أو ضعفها ، وما ينبغي أن يتساهل فيها كما يفعل مع الروايات والأخبار التاريخية الأخرى .

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب مؤاخاة النبي بين أصحابه رقم: ٢٥٢٨ ـ وأحمد في المسند: ١٥٢/٣، وأبو يعلى: ٣٣٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في الصوم باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع رقم: ١٩٦٨ ، وفي الأدب باب صنع الطعام والتكلف للضيف: ٦١٣٩ ، والترمذي في الزهد باب أعط كل ذي حق حقه: ٢٤١٥ ، وأبو يعلى: ٨٩٨ .

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٦٨/٣ في سورة الأحزاب آية: ٦ عن ابن أبي حاتم بسنده إلى الزبير وإسناده حسن.

ان أقدم من أورد نص الوثيقة كاملاً هو محمد بن إسحاق لكنه أوردها دون إسناد ، ونقلها عنه ابن كثير وابن سيد الناس ، وقد ذكر البيهقي إسناد ابن إسحاق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون البنود التي تتعلق باليهود ، لذلك لا يمكن الجزم بأنه أخذها من نفس الطريق أيضاً .

وقد ذكر ابن سيد الناس أن ابن أبي خيثمة أورد الكتاب (الوثيقة) ، فأسنده بهذا الإسناد ، وحدثنا أحمد بن خباب أبو الوليد ، حدثنا عيسى بن يوسف ، حدثنا كثير بن عبدالله بن عمرو المزني ، عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار فذكر بنحوه - أي بنحو الكتاب الذي أورده ابن إسحاق ، ولكن يبدو أن الوثيقة وردت في القسم المفقود من تاريخ ابن أبي خيثمة إذ لا وجود لها فيما وصل إلينا منه .

كذلك وردت الوثيقة في كتاب الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام بإسناد آخر هو حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير ، وعبدالله بن صالح ، قالا: حدثنا الليث ابن سعد ، قال: حدثنا عقيل بن خالد ، عن ابن شهاب أنه قال: بلغني أن رسول الله ﷺ كتب هذا الكتاب . .) وسرده .

كما وردت الوثيقة في كتاب الأموال لابن زنجويه من طريق الزهري أيضاً.

هذه هي الطرق التي وردت منها الوثيقة بنصها الكامل ، والتطابق الكبير بين سائر الروايات سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات ، أو اختلاف بعض المفردات ، أو زيادة بنود قليلة ، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام .

ب - مدى صحة الوثيقة:

اعتمد عدد من الباحثين المعاصرين على الوثيقة فبنوا عليها دراساتهم ، في حين ذهب الأستاذ يوسف العش إلى أن الوثيقة موضوعة فهو يقول: إنها لم ترد في كتب الفقه والحديث الصحيح رغم أهميتها التشريعية ، بل رواها ابن إسحاق بدون إسناد ، ونقلها عنه ابن سيد الناس ، وأضاف أن كثير بن عبدالله بن عمرو والمزني روى هذا الكتاب عن أبيه عن جده ، وقد ذكر ابن حبان البستي: ان كثير المزني روى عن أبيه عن جده نسخة موضوعة لا يحل ذكرها في الكتب ، ولا الرواية عنها إلا على جهة التعجب » ويرى العش أن ابن إسحاق اعتمد على رواية كثير لكنه تعمد حذف الإسناد .

لقد ذهب الأستاذ العش إلى ذلك لأنه تصور أن الوثيقة لم يروها غير ابن إسحاق ، ولم يعثر على إسناد لها سوى ما ذكر ابن سيد الناس من رواية ابن أبي خيثمة لها من طريق كثير المزني .

لكن أبا عبيد القاسم بن سلام أورد الوثيقة من طريق الزهري وهي طريق مستقلة لا صلة لها بكثير المزني . ونظراً لكون ابن إسحاق من ابرز تلاميذ الزهري، فإن ثمة احتمال لأن يكون أورد الوثيقة من طريقه ، لولا أن البيهقي ذكر إسناد ابن إسحاق للوثيقة التي تحدد العلاقات بين المهاجرين والأنصار دون أن تتناول البنود المتعلقة بيهود ، ولا يمكن الجزم بأن ابن إسحاق أخذ البنود المتعلقة بيهود من هذه الطريق أو من طريق أخرى .

قال البيهقي: « أخبرني أبو عبدالله الحافظ ، حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبدالجبار ، حدثنا يونس بن بكير ، عن ابن إسحاق ، قال: حدثني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس بن شريق قال: اخذت من آل عمر بن الخطاب هذا الكتاب كان مقرونا بكتاب الصدقة » .

والحديث بهذا الإسناد ضعيف ، لأن عثمان تحملها وجادة ، وفي الإسناد رجال فيهم ضعف مثل عثمان ، فهو صدوق له أوهام ، ويونس بن بكير يخطىء، والعطار ضعيف وتحمله للسيرة صحيح ، فالرواية على ضعفها صالحة للاعتبار وقد توبعت وأن هذا النص يهدم الأساس الذي بنى عليه الأستاذ العش رايه. كما انه لا يمكن الحكم على الوثيقة بأنها موضوعة لأن كتب الحديث لم ترو نصاً كاملاً !! فقد أوردت كتب الحديث مقتطفات كثيرة منها تغطي عدداً كبيراً من بنودها .

وبذلك يتبين أن الحكم بوضع الوثيقة مجازفة ، ولكن الوثيقة لا ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة . فابن إسحاق في سيرته رواها دون إسناد مما يجعل روايته ضعيفه ، وأوردها البيهقي من طريق ابن إسحاق ايضاً بإسناد فيه سعد بن المنذر وهو مقبول فقط ، وابن أبي خيثمة أوردها من طريق كثير بن عبدالله المزني وهو يروي الموضوعات ، وأبو عبيد القاسم بن سلام رواها بإسناد منقطع يقف عند الزهري ، وهو من صغار التابعين فلا يحتج بمراسيله » .

ولكن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة وبعضها أوردها البخاري ومسلم ، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح وقد احتج بها

الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم . كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد ، وسنن أبي داود ، وابن ماجه والترمذي ، وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة .

وإذا كانت الوثيقة بمجموعها لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية ، سوى ما ورد منها من كتب الحديث الصحيح ، فإنها تصلح أساساً للدراسة التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية ، خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة ، كما وأن الزهري علم كبير من الرواد الأوائل في كتابة السيرة النبوية ، ثم إن أهم كتب السيرة والمصادر التاريخية ذكرت موادعة النبي ﷺ لليهود ، وكتابته بينه وبينهم كتاباً ، كما ذكرت كتابته كتاباً بين المهاجرين والأنصار .

وقد جاء عند ابن كثير في البداية والنهاية: ٤/ ١٠٣ ـ ١٠٤ نقلاً عن موسى ابن عقبة: « وفيه أن بني قريظة مزقوا الصحيفة التي كان فيها العقد ». والأثر موقوف عليه بدون إسناد ، ولكن مجموع الآثار يتقوى بعضها ببعض وتصل إلى درجة الحسن لغيره .

كذلك فإن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها ، فنصوصها مكونة من جمل قصيرة بسيطة وغير معقدة التركيب ، ويكثر فيها التكرار ، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول عليه السلام ، ثم قل استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة ، وليس في هذه الوثيقة نصوص تمدح ، أو تقدح فرداً ، أو جماعة ، أو تخص بالإطراء ، أو الذم ، لذلك يمكن القول بأنها وثيقة أصلية وغير مزورة ، ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة ، وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها توثيقاً آخر »[1] .

ميثاق التحالف الإسلامي:

وكما سبق ذكره تبين لنا أن رسول الله ﷺ قد عقد حلفاً بين المهاجرين والأنصار ، وسأذكر بنود هذا الحلف من خلال الأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الحلف:

---

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة للدكتور أكرم ضياء العمري من صفحة: ١٠٧ـ ١١٢ بتصرف قليل .

١٩٤ـ من حديث علي رضي الله عنه من روايات متعددة عنه من طرق عن عدد من التابعين وكل واحد منهم روى بعضها وكل ما ذكروه وارد فيها « الوثيقة أو الحلف » .

من طريق إبراهيم التيمي ، عن أبيه يزيد التيمي عن علي بن أبي طالب ان رسول الله ﷺ قال: (المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل) وقال: (وذمة المسلمين واحدة ، فمن أخفر مسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل » [(١)] .

١٩٥ـ ومن طريق أبي جحيفة عن علي قال: فيها (الصحيفة) العقل وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر) [(٢)] .

١٩٦ـ ومن طريق أبي حسان الأعرج « بعد أن ذكر الحديث زاد (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم ، ألا لا يقتل مؤمن بكافر ، ولا ذو عهد بعهده) وزاد أحمد: (إن إبراهيم حرم مكة ، وإني أحرم ما بين حرتيها وحماها كله ، لا يختلي خلاها ولا ينفر صيدها ولا تلتقط لقطتها، ولا يقطع منها شجرة إلا أن يعلف رجل بعيره، ولا يحمل فيها السلاح لقتال) [(٣)] .

١٩٧ـ ومن طريق أبي الطفيل (لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً) [(٤)] .

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل المدينة باب حرم المدينة رقم: ١٨٧٠ ، ٣١٧٢ ،٣١٧٦ ، ٦٧٥٥ ،٧٣٠٠ ، ومسلم في الحج باب ضل المدينة: ١٣٧٠ ، أبو داود: المناسك باب في تحريم المدينة: ٢٠٣٤ ، والترمذي في الولاء باب ما جاء فيمن تولى غير مواليه: ٢١٢٨ واحمد في المسند: ١/ ٨١ ، ١٢٦ .

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب كتابة العلم: ١١١ ، الجهاد ، باب فكاك الأسير: ٣٠٤٧ ، الديات باب لا يقتل المسلم بالكافرة: ٦٩١٥ ، ٦٧٥٥، الترمذي الديات باب ما جاء لا يقتل مسلم بكافر: ١٤١٢ ، وابن ماجه: في الديات: ٢٦٥٨ ، النسائي في القسامة باب سقوط القود من المسلم للكافر: ٨/ ٢٤ ، والحميدي رقم: ٤٠ ، واحمد: ١/ ٧٩ ، والطحاوي شرح معاني الآثار: ٣/ ١٩٢ .

(٣) أخرجه احمد في المسند: ١/ ١١٩ ، والنسائي القسامة باب القود بين المماليك والأحرار: ٨/ ٢٠ بدون قوله: إن إبراهيم) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله ولعن فاعله حديث رقم: ١٩٧٨ .

١٩٨- ومن طريق لإبراهيم التيمي قال: (فيها الجراحات وأسنان الإبل)[١].

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

والجمع بين هذه الأخبار أن الصحيفة المذكورة كانت مشتملة على مجموع ما ذكره ، فنقل كل راو بعضها ، وأتمها سياقاً طريق أبي حسان كما ترى والله أعلم[٢] .

ومن الواضح أن هذه المقتطفات معظمها يطابق - نصاً - ما ورد في الوثيقة: كما أنها تغطي معظم بنود الوثيقة المتعلقة بالتزامات المسلمين من المهاجرين والأنصار بعضهم تجاه بعض ، ولكن ليس فيها إشارة إلى البنود المتعلقة بموادعة اليهود ، مما يرجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان ، وأن الصحيفة التي كانت معلقة بسيف رسول الله ﷺ ثم صارت عند علي رضي الله عنه هي نفس الكتاب بين المهاجرين والأنصار[٣] .

وهكذا يتبين أن الرسول عليه السلام قد حالف بين الأنصار والمهاجرين في وثيقة خاصة بهم ، ووادع اليهود في وثيقة أخرى ، الأولى بعد بدر حدد فيها التزاماتهم بعضهم تجاه بعض ، والثانية قبل بدر أول قدوم النبي المدينة ، لكن المؤرخين جمعوا بين الوثيقتين »[٤] .

وسأنقل نص الوثيقة كاملة وقد سبق التكلم عن صحتها وقوتها:

جـ - نص الوثيقة:

١- هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تابعهم فلحق بهم وجاهد معهم .

٢- إنهم أمة واحدة من دون الناس .

٣- المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب الجزية والموادعة باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة رقم: ٣١٧٢

(٢) فتح الباري: ٤/ ٨٥

(٣) المجتمع المدني: ٤/ ٨٥

(٤) المصدر السابق: ص١١٧ ببعض التصرف

٤- وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٥- وبنو الحارث « بن الخزرج » على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف .

٦- وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٧- وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٨- وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

٩- وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٠- بنو النّبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١١- وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

١٢- وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً [١] بينهم أن يعطوه بالمعروف من فداء أو عقل.
(١٢ ب) وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه .

١٣- وأن المؤمنين المتقين (أيديهم) على كل من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم[٢] ، أو إثما ، أو عدواناً أو فساداً بين المؤمنين ، وإن أيديهم عليهم جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .

١٤- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن .

١٥- وإن ذمة الله واحدة يجير أدناهم ،وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

١٦- وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصرة والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصر

---

(١) المفرح: المثقل بالدين وكثير العيال .

(٢) دسيعة ظلم: الدسيعة هي العظيمة وهي ما يخرج من حلق البعير إذا رغا ومعناه هنا: ما ينال منهم من ظلم .

عليهم .

١٧ـ وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

١٨ـ وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً .

١٩ـ وإن المؤمنين يبيء[1] بعضهم عن بعض بما نال دماءهم في سبيل الله .

٢٠ـ وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه

٢٠ ب ـ وأنه لا يجير مشرك مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن .

٢١ـ وإنه من اعتبط[2] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به ، إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل) ، وأن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

٢٢ـ وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وأن من نصره فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٢٣ـ وإنه مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى محمد .

٢٤ـ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٢٥ـ وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم لا يوتغ [3] إلا نفسه وأهل بيته .

٢٦ـ وإن يهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف .

٢٧ـ وإن ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف .

٢٨ـ وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف .

٢٩ـ وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف .

٣٠ـ وإن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف .

٣١ـ وإن ليهود بني ثعلبة ماليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته .

٣٢ـ وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم .

---

(١) يبيء: يمنع ويكف .

(٢) اعتبط: قتل مؤمنا من غير شيء يوجب قتله .

(٣) يوتغ: يهلك

٣٣- وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وأن البر دون الإثم .

٣٤- وان موالي ثعلبة كأنفسهم .

٣٥- وإن بطانة يهود كأنفسهم .

٣٦- وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد .

٣٦ب - وإنه لا ينحجز على ثار جرح ، وإنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم وأن الله على أبر هذا .

٣٧- وإن على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والبر دون الإثم .

٣٧ب - وإنه لا يأثم أمر بحليفه وإن النصر للمظلوم .

٣٨- وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين .

٣٩- وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة .

٤٠- وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

٤١- وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها .

٤٢- وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث ، أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله ﷺ ، وإن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٣- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها .

٤٤- وإن بينهم النصر على من دهم يثرب .

٤٥- وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فإن لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين .

٤٥ب - على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم .

٤٦- وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة ، وإن البر دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه ، وإن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره .

٤٧- وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم ، وأنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، إلا من ظلم وأثم ، وإن الله جار عن بر وتقي ، ومحمد

رسول الله [1] .

ولقد حلل الأستاذ أكرم ضياء العمري حفظه الله هذه الوثيقة تحليلاً طيباً ، وكتب حولها بحثاً قيماً في كتابه المجتمع المدني نقلت جزءاً كبيراً منه لنفاسته وجودته ، والله الموفق .

المبحث الحادي عشر: عبدالله بن الزبير « أول مولود بعد الهجرة »

١٩٩ـ من حديث أسماء رضي الله عنها أنها حملت بعبدالله بن الزبير ، قالت: فخرجت وأنا متم ، فأتيت المدينة ، فنزلت بقباء فولدته بقباء ، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره ،ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم حنكه بتمرة ، ثم دعا له وبرك عليه ، وكان أول مولود ولد في الإسلام » [2] .

دخوله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها

٢٠٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: « تزوجني النبي وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج ، فوعكت فتمزق شعري ، فوفي جميمة ، فأتتني أمي أم رومان ـ وإني لفي أرجوحة ومعي صواحب لي ، فصرخت بي فأتيتها ، لا أدري ما تريد بي ، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار ، وإني لأنهج حتى سكن بعض نفسي ، ثم اخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي وراسي ،ثم أدخلتني الدار ، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتني إليهن ، فأصلحن من شأني ، فلم يرعني إلا رسول الله ﷺ ضحى ، فأسلمتني إليه ، وأنا يومئذ بنت تسع سنين » [3].

٢٠١ـ وقد دخل النبي في شوال كما جاء ذلك عنها [4] .

---

(١) المجتمع المدني: ص١١٩ ـ ١٢٢

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي واصحابه رقم: ٣٩٠٩ ، ومسلم في الأدب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته حديث: ٢١٤٦ وقد جاء أيضاً من حديث عائشة عند البخاري رقم: ٣٩١٠ ومسلم: ٢١٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب تزويج النبي عائشة رقم: ٣٨٩٤ وجاء بأرقام: ٣٨٩٦ ، ٥١٣٣، ٥١٣٤، ٥١٥٦، ٥١٥٨، ٥١٦٠ ، ومسلم في النكاح باب تزويج الأب البكر الصغيرة: ١٤٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم في النكاح باب استحباب التزويج في شوال: ١٤٢٣ ، الترمذي النكاح باب ما جاء في

المبحث الثاني عشر

قصة الأذان ومشروعيته

٢٠٢ـ من حديث عبدالله بن زيد قال: « لما أمر رسول الله وسلم بالناقوس ليضرب به للناس لجمع الصلاة ، طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوساً: فقلت: يا عبدالله أتبيع الناقوس ؟ فقال: وما تصنع به ؟ فقلت: ندعو به إلى الصلاة . قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ فقلت: بلى فقال: تقول الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ،حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله.

قال: ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال: وتقول إذا قمت إلى الصلاة: الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، فلما أصبحت أتيت رسول الله ﷺ فأخبرته بما رأيت ، فقال: (إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال ، فالق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتاً منك) .

وزاد أحمد في رواية « فقمت مع بلال ، فجعلت ألقيه عليه ، ويؤذن به ، قال: فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته ، فخرج يجر رداءه ويقول: والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى ، فقال رسول الله ﷺ: (فلله الحمد) »[1].

الأوقات التي يستحب فيها النكاح رقم: ١٠٩٣ ، وابن ماجه النكاح باب متى يستحب البناء بالنساء: ١٩٩٠ .

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة باب كيف الأذان: ٤٩٩ الدارمي: ١/٢٦٩ ، الصلاة باب في بدء الأذان ، ابن ماجه الأذان باب بدء الأذان رقم: ٧٠٦ ، البيهقي ١/٣٩١ ، أحمد في المسند: ٤/٤٣ ، الترمذي في الصلاة باب ما جاء في بدء الأذان رقم: ١٨٩ وقال حسن صحيح ، والبخاري في خلق أفعال العباد ص: ٣٤ ـ ٣٥ ، وابن الجارود: ١٥٨ ، والدار قطني: ١/٣٤١ ، والسيرة النبوية لابن هشام: ١٧٧/ ٢ ، ١٧٨ ، وابن خزيمة: ٣٧١ ، وعبدالرزاق: ١٧٨٧ . وقد صححه جماعة من الأئمة كالبخاري والذهبي والنووي وغيرهم ـ انظر نصب الراية: ١/٢٥٩ ـ ٢٦٠ .

المبحث الثالث عشر

عبدالله بن أبي وإيذاؤه للنبي صلى الله عليه وسلم

٢٠٣ـ من حديث أسامة بن زيد قال: « إن النبي ﷺ ركب حماراً ، عليه إكاف تحته قطيفة فدكيه ، وأردف وراءه أسامة ، وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج . وذاك قبل وقعة بدر ، حتى مر بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، واليهود ، فيهم عبدالله بن أبي ، وفي المجلس عبدالله بن رواحة ، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة ، خمَّر عبدالله بن أبي أنفه بردائه ثم قال: لا تغبروا علينا .

فسلم عليهم النبي ﷺ ثم وقف فنزل ، فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن. فقال عبدالله بن أبي: أيها المرء ! لا أحسن من هذا ، إن كان ما تقول حقاً ، فلا تؤذنا في مجالسنا ، وارجع إلى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه .

فقال عبدالله بن رواحة: اغشنا في مجالسنا ، فإنا نحب ذلك ، قال: فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، حتى هموا أن يتواثبوا . فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم ، ثم ركب دابته حتى دخل على سعد بن عبادة ، فقال: (أي سعد ألم تسمع إلى ما قال أبو حباب ؟) ـ ويريد عبدالله بن أبي ـ (قال كذا وكذا) قال: اعف عنه يا رسول الله واصفح . فوالله ! لقد أعطاك الله الذي أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة أن يتوجوه ، فيعصبوه بالعصابة ، فلما رد الله ذلك بالحق الذي أعطاكه ، شرق بذلك ، فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه النبي ﷺ»[1] .

---

(١) اخرجه البخاري في التفسير باب ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب . . . رقم: ٤٥٦٦ ، ومسلم في الجهاد والسير باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين رقم: ١٧٩٨ .

★ اكاف: هو للحمار بمنزلة السرج للفرس ، قطيفة: دثار مخمل .

★ عجاجة الدابة: ما ارتفع من غبار حوافرها . خمَّر انفه: غطاه . يخفضهم: يسكنهم ويسهل الأمر بينهم شرق بذلك: غص ومعناه حسد النبي .

المحبث الرابع عشر: الإذن بالقتال

٢٠٤ـ قال الزهري أول آية نزلت في القتال كما أخبرني عروة عن عائشة رضي الله عنها ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ [١] .

٢٠٥ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما خرج رسول الله ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ [٢] وهي أول آية نزلت في القتال » [٣].

المبحث الخامس عشر: غزوة الأبواء

قال البخاري رحمه الله: « قال ابن إسحاق أول ما غزا رسول الله ﷺ الأبواء ثم بواط ثم العشيرة » [٤].

الأبواء: قرية من أعمال الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلا[٥].

أو ودان: قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع [٦] . والأبواء وودان: مكانان متقاربان ليس بينهما إلا ستة أميال أو ثمانية أميال .

وكان خروجه عليه السلام إلى الأبواء في صفر على رأس اثني عشر شهراً من مهاجره [٧] .

وقبل هذ الغزوة كان رسول الله ﷺ قد أرسل بعض السرايا وهي:

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٢٨٠ ، وقال أخرجه النسائي وإسناده صحيح ،انظر السنن الكبرى ، للنسائي التفسير باب قوله تعالى: ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ رقم: ١١٣٤٦ .

(٢) سورة الحج: ٣٩

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب سورة الحج رقم: ٣١٧٠ ، والنسائي الجهاد باب وجوب الجهاد: ٦/ ٢ ، وفي الكبرى رقم: ١١٣٤٥ ، أحمد في المسند: ٢١٦/١ ، الحاكم في المستدرك: ٦٦/٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة العشيرة أو العسيرة: ٣٩٤٩ من ضمن الترجمة للباب .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي: ٩/٣

(٦) السيرة النبوية ابن هشام: ٥٩١/١ .

(٧) السيرة ابن هشام: ٥٩١/١

١ـ سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر من جهينه ، فلقوا أبا جهل بن هشام فحجز بينهم مخشي بن عمرو الجهني وكان حليفاً للفريقين [(١)].

٢ـ سرية عبيدة بن الحارث حتى بلغ ثنية المرة ، فوجد هناك جمعاً للمشركين، ولم يكن بينهم قتال إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رمي في الإسلام ، وفي هذه السرية فر من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو ، وعتبة بن غزوان وكانا قد حبسا من قبل المشركين [(٢)].

واختلف أهل السير: أي البعثين كان أول: أبعث حمزة ، أو بعث عبيدة. فقال ابن إسحاق أول راية عقدها رسول الله ﷺ وأول سرية بعثها عبيدة بن الحارث[(٣)]، قال ابن إسحاق: وبعض الناس يزعمون أن راية حمزة أول راية عقدها رسول الله ﷺ [(٤)].

وقال المدائني « أول سرية بعثها رسول الله ﷺ: حمزة بن عبدالمطلب في ربيع الأول من سنة اثنتين إلى سيف البحر من أرض جهينة »[(٥)].

ويقول ابن إسحاق: « ويقول بعض الناس: كانت راية حمزة أول راية عقدها ﷺ لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث عبيدة كانا معاً ، فشبه ذلك على الناس» [(٦)].

---

(١) ابن هشام: ١/ ٥٩٥ ، ابن سعد: ٢/ ٦ ، الطبري: ٢/ ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ابن كثير: ٢/ ٣٣٨ ابن سيد الناس: ١/ ٢٢٤ .

(٢) ابن هشام: ١/ ٥٩١ ابن سعد: ٢/ ٧ ابن كثير: ٢/ ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ابن جرير: ٢/ ٢٦١

(٣) أخرجه ابن هشام: ١/ ٥٩١

(٤) ابن هشام: ١/ ٥٩٥ .

(٥) دلائل النبوة للبيهقي: ٣/ ١٠ نقلا عن المدائني ، ابن هشام: ٢/ ٢٢٨ ـ ٢٣٠ ، بينما هي في المغازي في رمضان من السنة الأولى للهجرة: مغازي الواقدي: ١/ ٢ البيهقي الدلائل: ٣/ ١٥

(٦) أخرجه ابن هشام: ١/ ٥٩٥ ـ ٥٩٦ .

المبحث السادس عشر: غزوة بواط

٢٠٧ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال:

« سرنا مع رسول الله ﷺ في غزوة بطن بواط ، وهو يطلب المجدي بن عمرو الجهني ، وكان الناضح يعقبه منا الخمسة والستة والسبعة ، فدار عقبة رجل من الأنصار على ناضح له ، فأناخه فركبه ثم بعثه فتلدن عليه بعض التلدن ، فقال له: شأ لعنك الله . فقال رسول الله ﷺ: (من هذا اللاعن بعيره) فقال: أنا يا رسول الله . قال: (أنزل عنه ، فلا تصحبنا بملعون ، لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء ، فيستجيب لكم) »[1] .

وهي على رأس ثلاثة عشر شهراً من مهاجره .

المبحث السابع عشر: غزوة العشيرة

٢٠٨ـ عن أبي إسحاق قال: « كنت إلى جنب زيد بن أرقم ، فقيل له: كم غزا النبي ﷺ من غزوة ؟ قال: تسع عشرة ، قال: كم غزوت أنت معه ؟ قال سبع عشرة . قلت فأيهم كان أول ؟ قال: العشير أو العشيرة ، فذكرت ذلك لقتادة فقال العشيرة »[2] .

وعند الإمام أحمد لفظ آخر « عن أبي إسحاق قال: سألت زيد بن أرقم رضي الله عنه كم غزا النبي ﷺ قال: تسع عشرة غزوة وغزوت معه سبع عشرة وسبقني بغزوتين »[3] .

قال الحافظ في الفتح: ٧/ ٢٨٠ـ٢٨١ : كذا قال ، ومراده الغزوات التي خرج النبي ﷺ فيها بنفسه سواء قاتل أو لم يقاتل ، لكن روى أبو يعلى من طريق أبي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب حديث جابر الطويل رقم: ٣٠٠٩ .

★ بطن بواط: قال القاضي رحمه الله قال أهل اللغة وهو بالضم وهي رواية أكثر المحدثين ، وهو جبل من جبال جهينة ، الناضح: البعير الذي يستقي عليه . يعقبه: يركبه . التلدن: التوقف التلكأ . شأ: كلمة زجر للبعير .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي: باب غزوة العشيرة أو العسيرة: رقم: ٣٩٤٩ ، ومسلم: ١٢٥٤ في الجهاد والسيرة باب غزاوات النبي ﷺ .

(٣) الفتح الرباني: ٢١/ ٢٢ وقال الساعاتي أخرجه الشيخان وغيرهما .

الزبير عن جابر أن عدد الغزوات إحدى وعشرون ، وأصله في مسلم: ١٨١٣ ، فعلى هذا ففات زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلهما الأبواء وبواط ، وكان ذلك خفي عليه لصغره ، ويؤيد ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ « قلت ما أول غزوة غزاها ؟ قال: ذات العشير أو العشيرة » والعشيرة كما تقدم هي الثالثة .

وأما قول ابن التين: يحمل قول زيد بن أرقم على أن العشيرة أول ما غزا هو أي زيد بن أرقم ، والتقدير: فقلت: ما أول غزوة غزاها أي وأنت معه ؟ قال: العشير فهو محتمل أيضاً ، ويكون قد خفي عليه ثنتان مما بعد ذلك ، أو عد الغزوتين واحدة ، فقد قال موسى بن عقبة: قاتل رسول الله ﷺ بنفسه في ثمان: بدر ، ثم أحد ثم الأحزاب ، ثم المصطلق ، ثم خيبر ، ثم مكة ، ثم حنين، ثم الطائف وأهمل غزوة قريظة لأنه ضمها إلى الأحزاب، فكونها كانت في إثرها وأفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الأحزاب ، وكذا وقع لغيره عن الطائف وحنين واحدة لتقاربهما، فيجتمع على هذا أقوال زيد بن أرقم وقول جابر.

المبحث الثامن عشر: سرية عبدالله بن جحش

٢٠٩- عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه: « عن النبي ﷺ أنه بعث رهطاً وبعث عليهم أبا عبيدة فلما ذهب لينطلق بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ ، فجلس، فبعث عليهم عبدالله بن جحش مكانه ، وكتب له كتاباً وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا ، وقال: (لا تكرهن أحداً من أصحابك على المسير معك) .

فلما قرأ الكتاب ، استرجع وقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله ، فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان ، ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى ، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام** ﴾ الآية ، فقال بعضهم: إن لم يكونوا أصابوا وزراً فليس لهم أجر فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم** ﴾ [(١)].

---

(١) أخرجه البيهقي: ٩/١١ - ١٢ والطبري في التفسير: ٣٤٩/٢ - ٣٥٠ ، وأبو يعلى: ١٥٣٤ والطبراني في الكبير: ١٦٧٠ ، وقال البيهقي: سنده صحيح إن كان الحضرمي هو ابن لاحق .
وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٩٨/٦ ، وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

المبحث التاسع عشر
حادثة تحويل القبلة

٢١٠ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما: « أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده ـ أو قال أخواله ـ من الأنصار ، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن صلى معه ، فمر على أهل مسجد وهم راكعون ، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة ، فداروا ـ كما هم ـ قبل البيت ، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس ، وأهل الكتاب ، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك » .

قال زهير ، حدثنا إسحاق عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا ، فلم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله تعالى ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ [(١)] .

٢١١ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما وجه النبي ﷺ إلى الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم** ﴾ الآية » [(٢)] .

٢١٢ـ ومن حديث أنس قال: أن رسول الله ﷺ كان يصلي نحو بيت المقدس، فنزلت: ﴿ **قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول**

وقد جاء من حديث سعد بن أبي وقاص أخرجه ابن أبي شيبة: ٣٥١/١٤ وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٢٥/٢١ ـ ٢٦ ، وقال أبو زرعة: فيه زياد بن علاقة لم يسمع من سعد بن أبي وقاص شيئاً كما في المراسيل: ٥٧ فيكون سند أحمد منقطعاً ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ١٧/٣ ـ ٢١ مره من طريق ابن إسحاق مرسلاً عن عروة وقد صرح بالسماع ، ومره عن الزهري مرسلاً عن عروة أيضاً وأخرجه في السنن: ٥٥/٩ ـ ٥٩ وابن سعد في الطبقات: ١٠/٢ ـ ١١

(١) أخرجه البخاري في الإيمان باب الصلاة من الإيمان حديث رقم: ٤٠ ، وجاء بأرقام: ٣٩٩، ٤٤٨٦، ٤٤٩٢، ٧٢٥٢ ، الترمذي حديث: ٢٩٦٢ وقال حسن صحيح ، ابن ماجه: ١٠١٠ ، أحمد: ٢٧٤/٤ أبو داود والطيالسي: ٨٥/١ ، مسلم في الصحيح كتاب المساجد باب تحويل القبلة رقم: ٥٢٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة حديث: ٢٩٦٤ ، وقال حسن صحيح ، الطيالسي: ١٩٤٤ ، والحاكم: ٢٦٩/٢ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ [1] فمر رجل من بني سلمة وهم ركوع في صلاة الفجر وقد صلوا ركعة: فنادى ألا إن القبلة قد حولت. فمالوا كما هم نحو القبلة»[2].

٢١٣ـ ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة ، وقد أمر أن يستقبل القبلة ، فاستقبلوها ، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة » [3].

---

(١) سورة البقرة: ١٤٤

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة رقم: ٥٢٧ .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب المساجد باب تحويل القبلة رقم: ٥٢٦ ، قلت: والظاهر أن القول والتحويل قد تكرر من عده رجال كما جاء من مجموع هذه الأحاديث .

الفصل الثاني

غزوة بدر الكبرى

المبحث الأول: تاريخ الغزوة وأسبابها

٢١٤ـ حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « التمسوها (يعني ليلة القدر) في سبع عشرة ، وتلا هذه الآية (يوم التقى الجمعان) يوم بدر ، قال: أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين »[(١)] .

٢١٥ـ ومن حديث ابن مسعود أيضاً: قال في ليلة القدر (تحروها لإحدى عشرة يقين صبيحتها يوم بدر) .

قال ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « أما غزوة بدر فمتفق عليه بين أهل السير: ابن إسحاق وموسى بن عقبة وأبو الأسود وغيرهم ، واتفقوا على أنها كانت في رمضان ، قال ابن عساكر: والمحفوظ أنها كانت في يوم الجمعة ، وروي أنها كانت في يوم الاثنين وهو شاذ ، ثم الجمهور على أنها كانت سابع عشرة ، وقيل ثاني عشرة ، وجمع بينهما بأن الثاني ابتداء الخروج والسابع عشر يوم الوقعة»[(٢)] .

قلت: وخلاصة الأمر كما جاء في قول ابن حجر أن الخروج كان في الثاني عشر ، والسابع عشر يوم الوقفة ، والتاسع عشر كما في قول ابن مسعود الثاني هو انتهاء الغزوة وخاصة أن الرسول عليه السلام كان يقيم في عرصة أي قوم يغزوهم ثلاثاً ، وكذا فعل في بدر كما سيأتي بيانه » .

---

(١) اخرجه أبو داود في الصلاة باب من روى انها ليلة سبع عشرة: ١٣٨٤ والبيهقي: ٤/ ٣١٠ وابن أبي شيبة: ٣/ ٧٥ ـ ٧٦ ، والطبراني في الكبير: ٩٠٧٤: ٩٥٧٩ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٧٦٩٧ والطحاوي: ٢/ ٥٤ ، وابن نصر المروزي في مختصر قيام رمضان ص: ١٠٨ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٢٠ـ٢١ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وأخرجه الطبري في التاريخ: ٢/ ٢٦٦ بإسناد صحيح ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٣٧٦ ، إلى سعيد بن منصور وابن مردويه .

(٢) التلخيص الحبير: ٤/ ٨٩ رقم الحديث: ١٨٢٦ .

المبحث الثاني

مرحلة ما قبل المعركة

١ـ إرسال العيون للتجسس على قوافل قريش

٢١٦ـ من حديث أنس: قال: « بعث رسول الله ﷺ بسبسة عيناً ينظر ما صنعت عير أبي سفيان ، فجاء وما في البيت أحد غيري وغير رسول الله (قال: لا أدري ما استثنى بعض نسائه) قال: فحدثه الحديث قال: فخرج رسول الله ﷺ فتكلم فقال: (إن لنا طلبة فمن كان ظهره حاضراً فليركب معنا) فجعل رجال يستأذنونه في ظهرانهم في علو المدينة فقال:(لا إلا من كان ظهره حاضراً) »[1].

٢ـ المشاورة الأولى من الرسول لأصحابه في المدينة

٢١٧ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر فأعرض عنه ، فقام سعد بن عبادة ، فقال: إيانا تريد يا رسول الله ؟ والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها ، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا ، قال: فندب رسول الله الناس فانطلقوا . .) الحديث[2] .

٣ـ دعوة الرسول عليه السلام الناس للخروج

٢١٨ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلاً من الشام: ندب المسلمين إليهم وقال: (هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها ، فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حرباً .

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ، ويسال من لقي من الركبان خوفاً على أمر الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركبان: أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك . فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٩٠١ أحمد في المسند: ١٣٦/٣ .

★ يعني الخيل أي لو أمرتنا بإدخال خيولنا في البحر وغشيتنا اياها فيه لفعلنا .

(٢) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة بدر رقم: ١٧٧٩ وأحمد في المسند: ١٨٨/٣، ١٠٠/٣ ، ٢٢٨/٤، ٢٩/٦

فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ، فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة[1] .

٤ـ قلة المراكب من الجمال والخيول

٢١٩ـ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير ، كان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال: وقال: وكانت عقبة رسول الله ﷺ قال: فقالا: نحن نمشي عنك .

فقال: (ما أنتما بأقوى مني ، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما) [2] .

٢٢٠ـ ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

« قال: لقد أتينا ليلة بدر وما فينا إلا نائم إلا النبي ﷺ فإنه كان يصلي إلى شجرة ويدعو ، وما كان فينا فارس إلا المقداد »[3] .

٥ـ عدد المسلمين في غزوة بدر

٢٢١ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ، ولم يجاوز معه إلا مؤمن بضعة عشر وثلاثمائة » [4] .

٢٢٢ـ ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « كان عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت يوم جالوت ثلثمائة وسبعة عشر » [5] .

٢٢٣ـ ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: « خرج

---

(١) أخرجه ابن هشام من طريق ابن إسحاق: ٢/٦٠٦ـ٦٠٧، بسند صحيح فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١/٤١١ ، طبعة لبنان رقم: ٣٩٠١ ، طبعة أحمد شاكر ، ابن حبان: ١٦٨٨ ، والحاكم: ٣/٢٠ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٦٩ ، رواه أحمد والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وحديث حسن وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ، وحسنه الشيخ أحمد شاكر .

(٣) الفتح الرباني: ٢١/٣٦ والطيالسي: ٢٣٤٢ وأبو يعلى والحديث سنده صحيح .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب عدة أصحاب بدر رقم: ٣٩٥٨ ، الترمذي في السير باب ما جاء في عدة أصحاب بدر رقم: ١٥٩٨ وقال حديث حسن صحيح .

(٥) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم: ١٧٨٤ وقال الهيثمي: ٦/٩٣ رواه البزار ورجاله ثقات .

رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه .. فذكر الحديث »[1] .

وهذه الرواية لا تنافي التي قبلها لاحتمال أن تكون هذه الرواية لم يعد فيها النبي ﷺ ولا الرجل الذي لحق بهم .

٦ـ عدم السماح لمن لم يبلغ بالخروج

٢٢٤ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « استصغرت أنا وابن عمر يوم بدر ، وكان المهاجرون يوم بدر نيفاً على ستين ، والأنصار نيفاً وأربعين ومائتين »[2] .

٢٢٥ـ ومن حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ نظر إلى عمير بن أبي وقاص ، فاستصغره حين خرج إلى بدر ، ثم أجازه قال سعد: فيقال: أنه خانه سيفه قال عبدالله بن جعفر قتل يوم بدر »[3] .

٧ـ رفضه الاستعانة بالمشركين

٢٢٦ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « خرج رسول الله ﷺ قبل بدر ، فلما كان بحرة الوبرة أدركه رجل قد كان يذكر منه جراة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك وأصيب معك ، قال له رسول الله ﷺ: (تؤمن بالله ورسوله ؟) .

قال: لا: قال: (فارجع فلن أستعين بمشرك) .

قالت: ثم مضى ، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل . فقال له كما قال أول مرة ، فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة: قال:(فارجع فلن أستعين بمشرك) قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء . فقال له كما قال أول مرة:(تؤمن بالله ورسوله)

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في نفل السرية تخرج من العسكر رقم: ٢٧٤٧ ، والحاكم: ١٤٥/٢ وقال صحيح على شرط مسلم ، والبيهقي: ٥٧/٩ ، وحسنه الحافظ في الفتح: ٢٩٢/٧ والحديث حسن والله أعلم .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب عدة أصحاب بدر رقم: ٣٩٥٦ .

(٣) كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٧٧٠ قال الهيثمي في المجمع: ٦٩/٦ ، رواه البزار ورجاله ثقات .

قال: نعم . فقال له رسول الله ﷺ: (فانطلق)[1] .

٨ـ رؤيا عاتكة وإنذار ضمضم لقريش

سبق وأن ذكرت في حديث ابن عباس رقم: ٢١٨ ، أن أبا سفيان كان يتحسس الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه ، وأنه كان يخاف أن يقوم النبي ﷺ وأصحابه بقطع الطريق على قافلته ، وسلب ما معه من أموال قريش .

فلما سمع من بعض الركبان بخروج رسول الله وأصحابه لاعتراض القافلة ، استأجر رجلاً من بني غفار واسمه ضمضم بن عمرو الغفاري لينذر قريشاً من أجل أن تخرج لحماية قافلتها ، وقبل أن يصل النذير مكة رأت عاتكة بنت عبدالمطلب رؤيا أولت بأن مصاباً سيحل في مكة ، سيؤدي إلى قتل عدد من زعماء قريش ، مما أثار حفيظة بعض زعماء الشرك ، ولنترك المجال لراوي الحدث ليخبرنا بالتفصيلات:

٢٢٧ـ قال ابن إسحاق وحدثني يزيد بن رومان[2] عن عروة بن الزبير قال: «وقد رأت عاتكة بنت عبدالمطلب رضي الله عنها قبل قدوم ضمضم (الغفاري) مكة بثلاث ليال ، رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب ، فقالت له: يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني ، وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة ، فاكتم عني ما أحدثك به ، فقال لها: وما رأيت ؟

قالت: رأيت راكباً أقبل على بعير له ، حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته: ألا انفروا ياغُدُر لمصارعكم في ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها ، ألا انفروا يا لغدر لمصارعكم في ثلاث ، ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس ، فصرخ بمثلها . ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت ، فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار إلا

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب كراهة الاستعانة في الغزو بالكافر رقم: ١٨١٧ ، أبو داود في الجهاد والسير باب في المشرك يسهم له: ٢٧٣٢ ، والترمذي في السير ما جاء في أهل الذمة يغزون مع المسلمين هل يسهم لهم: ١٥٥٨ ، وقال حسن غريب ، والدارمي: ٢/٢٣٣ وأحمد: ٦/٦٧، ٤٩ .
يحتمل أن عائشة كانت مع المودعين فرأت ذلك ، ويحتمل أنها أرادت بقولها: كنا ، كان المسلمون ، كذا قال النووي في شرح مسلم: ١٢/١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٢) يزيد بن رومان ثقة من الخامسة ، تقريب: ٢/٣٦٤

دخلتها منها فلقه ، قال العباس: والله إن هذه لرؤيا ! وأنت فاكتميها ، ولا تذكريها لأحد . ثم خرج العباس ، فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها له ، واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث بمكة ، حتى تحدثت به قريش في أنديتها .

قال العباس: فغدوت لأطوف بالبيت ، وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة ، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل ، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا .

فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبيّة ؟ قال: قلت: وما ذاك ؟ قال: تلك الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال: فقلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبدالمطلب ، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساءكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يك حقاً ما تقول فسيكون ، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ، نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب . قال العباس: فوالله ما كان مني إليه كبير ، إلا أني جحدت ذلك ، وأنكرت أن تكون رأت شيئاً قال: ثم تفرقنا.

فلما أمسيت ، لم تبق امرأة من بني عبدالمطلب إلا أتتني ، فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيرٌ لشيء مما سمعت ! ، قال: قلت: قد والله فعلت ، ما كان مني إليه من كبير ، وأيم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفيَّنكُنَّه .

قال: فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه .

قال: فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به ، وكان رجلاً خفيفاً ، حديد الوجه ، حديد اللسان ، حديد النظر. قال: إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال: فقلت في نفسي ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقٌ مني أن أشاتمه !

قال: وإذا هو قد سمع مالم أسمع: صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدع بعيره ، وحول رحله ، وشق

قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة ، أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ، الغوث الغوث: قال: فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر »[(1)] .

٩ـ إجارة الشيطان قريشاً

٢٢٨ـ قال ابن إسحاق: وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال: « لما أجمعت قريش المسير ذكرت ما كان بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك يثنيهم ، فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه ، فخرجوا سراعاً »[(2)] .

١٠ـ تخوف بعض أئمة الكفر من الخروج

أمية بن خلف وقصته مع سعد بن معاذ .

٢٢٩ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه حدث عن سعد بن معاذ أنه قال: « كان صديقاً لأمية بن خلف ، وكان أمية إذا مر بالمدينة نزل على سعد ، وكان سعد إذا مر بمكة نزل على أمية ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة انطلق سعد معتمراً ، فنزل على أمية بمكة ، فقال لأمية: انظرني ساعة خلوة لعلي أن أطوف بالبيت ، فخرج به قريباً من نصف النهار ، فلقيهما أبو جهل فقال: يا أبا صفوان من هذا معك ؟

فقال: هذا سعد . فقال له أبو جهل: الا أراك تطوف بمكة آمناً وقد آويتم الصباة ، وزعمتم أنكم تنصرونهم وتعينونهم . أما والله لولا أنك مع أبي صفوان ما

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/٦٠٧ ، وسنده صحيح إلا انه مرسل ، وقد جاءت حادثة عاتكة من طرق متعددة ـ من حديث ابن عباس عند الحاكم: ٣/١٩ إلا أن سنده ضعيف ، ورواه الطبراني بإسنادين أحدهما مرسل ، والأخر مرفوع من حديث مصعب بن عبدالله وفيهما ابن لهيعة وحديثه حسن كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/٧٣٢ ، وله سند آخر عند ابن إسحاق عن ابن عباس ولكنه ضعيف »، وأورده ابن منده بسنده عن عاتكة بنت عبدالمطلب وسنده ضعيف كما قال ابن حجر في الإصابة: ٤/٣٤٧ وبهذه الطرق يتقوى الحديث فيرتفع الحديث إلى درجة الحسن لغيره والله أعلم .

★ أفظعتني: اشتدت علي .

★ يا لغدر: يا أهل غدر ، يا آل غدر ، مثل به: قام به ، ارفضت: تفتتت ، جدع بعيره: قطع أنفه ، اللطيمة: الإبل التي تحمل البر والطيب .

(٢) ابن هشام في السيرة: ١/٦١٢ ، وسنده صحيح لكنه مرسل ، ابن كثير من طريقه: ٢/٤٣٢ .

رجعت إلى أهلك سالماً ، فقال له سعد ـ ورفع صوته عليه ـ: أما والله لئن منعتني هذا لأمنعنك ما هو أشد عليك منه: طريقك على المدينة ، فقال له أمية: لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم سيد أهل الوادي . فقال سعد: دعنا عنك يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:(إنهم قاتلوك). قال: بمكة ؟ قال: لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً . فلما رجع أمية إلى أهله قال: يا أم صفوان ، الم تري ما قال لي سعد ؟ قالت: وما قال لك ؟ قال: زعم أن محمداً أخبرهم أنهم قاتلي . فقلت له: بمكة ؟ قال: لا أدري. فقال أمية: والله لا أخرج من مكة .

فلما كان يوم بدر استنفر أبو جهل الناس قال: أدركوا عيركم ، فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال: يا أبا صفوان إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي تخلفوا معك ، فلم يزل به أبو جهل حتى قال: أما إذا غلبتني فوالله لأشترين أجود بعير بمكة . ثم قال أمية: يا أم صفوان جهزيني . فقالت له: يا أبا صفوان وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال: لا ما أريد أن أجوز معهم إلا قريباً . فلما خرج أمية أخذ لا يترك منزلاً إلا عقل بعيره . فلم يزل بذلك حتى قتله الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ببدر »[1] .

١١ـ عدد المشركين في بدر

٢٣٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه ، وهو تتمة لما جاء في حديث المشورة رقم: ٢١٧ : قال:« فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بدراً ، ووردت عليهم روايا قريش ، وفيهم غلام أسود لبني الحجاج ، فأخذوه ، فكان أصحاب رسول الله ﷺ يسألونه عن أبي سفيان وأصحابه: فيقول: ما لي علم بأبي سفيان ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف ، فإذا قال ذلك ضربوه، فقال: نعم: أنا أخبركم هذا أبو سفيان ، فإذا تركوه فسألوه فقال: ما لي بأبي سفيان علم ، ولكن هذا أبو جهل وعتبة وشيبة وأمية بن خلف في أناس ، فإذا قال هذا أيضاً ضربوه ، ورسول الله ﷺ قائم يصلي ، فلما رأى ذلك انصرف وقال: والذي نفسي بيده لتضربوه إذا صدقكم ، وتتركوه إذا كذبكم »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ذكر النبي من يقتل ببدر رقم: ٣٩٥٠ ، واحمد في المسند: (١/ ٤٠٠) انظر الفتح الرباني: ٢١/ ٤٢) .

(٢) انظر حديث: ٢١٧ ، وتخريجه هناك .

٢٣١ـ ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: « لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها فاجتويناها ، فأصابنا بها وعك ، فكان النبي ﷺ يتخبر عن بدر ، فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله ﷺ إلى بدر ، وبدر بئر ، فسبقنا المشركون إليها ، فوجدنا فيها رجلين منهم رجل من قريش ومولى لعقبة بن أبي معيط ، فأما القريشي فانفلت ، وأما مولى عقبة فأخذناه ، فجعلنا نقول له: كم القوم ؟ فيقول: هم والله كثير عددهم ، شديد بأسهم ، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى النبي ﷺ فقال: له النبي ﷺ: (كم القوم ؟) ، فقال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم ، فجهد رسول الله ﷺ أن يخبره فأبى ، ثم ان النبي ﷺ سأله: كم ينحرون من الجزر ؟ قال: عشر لكل يوم ، فقال رسول الله ﷺ: (القوم ألف كل جزور لمائة ونيفها) »[1] .

١٢ـ تحديد مصارع القوم

٢٣٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « كنا مع عمر بين مكة والمدينة فتراءينا الهلال» . . . إلى أن قال: « ثم أنشأ يحدثنا عن أهل بدر فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول (هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله) قال: فقال عمر: فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله ﷺ »[2] .

١٣ـ الاستشارة الثانية من الرسول عليه السلام لأصحابه

وقد استشار الرسول ﷺ أصحابه رضوان الله عليهم المرة الثانية ليبين للأمة الإسلامية أهمية مبدأ الشورى في الإسلام ، ولأن الأنصار رضوان الله عليهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من جيشه ﷺ ، وبذلك يبنى القرار الذي يتخذ على رأيهم وأكثريتهم ، ولأنهم أصحاب الأرض التي انطلقت منها القوة المؤمنة فلا بد

---

(١) اخرجه احمد في المسند: ١/١١٧ ، وابو داود: ٢٦٦٥ ، في الجهاد باب في المبارزة من حديث علي وإسناده صحيح ، وأخرجه الحاكم: ٣/١٨٧ ـ ١٨٨ ، عن ابن عباس وسنده حسن وقال الهيثمي في حديث علي: ٦/٧٦ احمد والبزار ورجال احمد رجال الصحيح غير حارثه بن مضرب وهو ثقة وانظر كشف الأستار: ١٧٦١ .

★ اجتويناها: أصابهم الجوى وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول وذلك إذا لم يوافقهم هواؤها واستوخموها .

(٢) اخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها واهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم: ٢٨٧٣ ، واحمد في المسند: ١/٢٦ ، والنسائي في الجنائز باب أرواح المؤمنين: ٤/١٠٨ .

من أخذ رأيهم وسأنقل وصف مشهد المشاورة كما وصفها الصحابة رضوان الله عليهم .

٢٣٣ـ من طريق ابن إسحاق بسنده الصحيح إلى ابن عباس في رواية أحداث بدر يقول ابن عباس رضي الله عنهما: « ... وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم ، فاستشار الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق ، فقال وأحسن . ثم قام عمر بن الخطاب ، فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال: يا رسول الله ، امضي لما أراك الله ، فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ **اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له رسول الله خيراً ، ودعا له به .

ثم قال رسول الله ﷺ:(أشيروا علي أيها الناس) ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس ، وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: يا رسول الله: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ، فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ، فكان رسول الله ﷺ يتخوف الا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في بلادهم .

فلما قال ذلك رسول الله ﷺ ، قال سعد بن معاذ: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال:(أجل) . قال: فقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا ، على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق ، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ونشطه ذلك ، ثم قال:(سيروا وابشروا ، فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ،والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم)[1] .

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ١/٦١٤ ـ ٦١٥ ، بإسناد صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالسماع، وأخرجه الطبراني وإسناده حسن كما في المجمع: ٦/٧٣ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣/٣٢ ، وقال ابن

٢٣٤ـ حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً ، لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى ﴿ **اذهب انت وربك فقاتلا** ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك ، وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، فرأيت النبي ﷺ أشرق وجهه وسر . يعني قوله »[1] .

ويقول الحافظ في فتح الباري:« ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى: وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان ، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه « أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان والثانية كانت بعد أن خرج »[2] .

١٤ـ الانشقاق في صفوف المشركين حين وصولهم بدر

٢٣٥ـ ومن حديث علي كرم الله وجهه في تكملة حديث رقم: ٢٣١ قال رضي الله عنه:

« فلما دنا القوم منا وصافناهم إذا رجل منهم على جمل أحمر ، يسير في القوم ، فقال رسول الله ﷺ: (يا علي ناد حمزة) ، وكان أقربهم من المشركين من صاحب الجمل الأحمر وماذا يقول لهم ، ثم قال رسول الله ﷺ: (إن يكن في القوم أحد يأمر بخير فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر) ، قال: هو عتبة بن ربيعة ، وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم: يا قوم: إني أرى قوماً مستميتين لا تصلون إليهم ، وفيكم خير ، يا قوم ، اعصبوها اليوم برأسي وقولوا جبن عتبة بن ربيعة ، وقد علمتم أني لست بأجبنكم ، فسمع ذلك أبو جهل فقال: أنت تقول هذا ، والله لو غيرك يقول لأعضضته ، قد ملأت رئتك جوفك

كثير في البداية: ٣/٢٦٢ ـ ٢٦٣ هكذا رواه ابن إسحاق رحمه الله ، وله شواهد من وجوه كثيرة من ، ذلك رواية البخاري والنسائي وأحمد .

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ رقم: ٣٩٥٢ ، أحمد في المسند: ٣٩٠ ـ ٤٢٨ ، الحاكم في المستدرك: ٣/٣٤٩ ، وصححه ووافقه الذهبي .
وقد جاء مثل هذا القول دون ذكر اسم المقداد من حديث عتبة بن عبدالسلمي قال الهيثمي في المجمع: ٦/٧٥ ، رواه أحمد ورجاله ثقات ، وجاء أيضاً من حديث أبي أيوب الأنصاري عند الطبراني بإسناد حسن كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/٧٣ ـ ٧٤ .

(٢) فتح الباري: ٧/٢٨٨

رعباً ، فقال عتبة: إياي تعني يا مصفر إسته ، ستعلم اليوم أينا الجبان »[1] .

٢٣٦ـ وقد جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما نزل المسلمون وأقبل المشركون ، نظر رسول الله ﷺ إلى عتبة بن ربيعة وهو على جمل أحمر فقال: (إن يكن عند أحد من القوم خير فهو عند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا) وهو يقول:

« يا قوم أطيعوني في هؤلاء القوم ، فإنكم إن فعلتم لن يزال ذلك في قلوبكم، ينظر كل رجل إلى قاتل أخيه ، وقاتل أبيه ، فاجعلوا حقها برأسي وارجعوا ، فقال أبو جهل: انتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، إنما محمد وأصحابه كأكلة جزور ولو قد التقينا ، فقال عتبة: ستعلم من الجبان المفسد لقومه، أما والله إني لأرى قوماً يضربونكم ضرباً ، أما ترون كأن رؤسهم الأفاعي، وكأن وجوههم السيوف ، ثم دعا أخاه وابنه ، فخرج يمشي بينهما ودعا بالمبارزة »[2] .

١٥ـ مناجاة ودعاء ، ومطر ونقاء

٢٣٧ـ من حديث علي السابق الذكر رقم: ٢٣١: قال: « أصابنا من الليل طش من المطر ـ يعني الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر ـ فانطلقنا تحت الشجر والحجف ، نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله ﷺ يدعو ربه ويقول: (اللهم إن تهلك هذه الفئة لا تعبد) قال: فلما تطلع الفجر نادى: (الصلاة عباد الله) فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله وحض على القتال »[3] .

٢٣٨ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلى المشركين وهم الف ، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً ، فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة ثم مد يديه فجعل يهتف بربه (اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم آت ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

---

(١) انظر تخريج الحديث رقم: ٢٣١

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٧٦/٦ رواه البزار ورجاله ثقات ، وانظر كشف الأستار: ١٧٦٢ ، والحاكم: ١٨٧/٣، ١٨٨ ، وسنده حسن .

★ الطش: المطر الضعيف وهو فوق الرذاذ ، الحجفة: الترس الصغير .

(٣) انظر التخريج حديث رقم: ٢٣١

★ يهتف بربه: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء .

لا تعبد في الأرض) ، فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه .

فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، وقال: «يا نبي الله ، كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك ، فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾[1] فأمده الله بالملائكة »[2] .

٢٣٨ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال النبي ﷺ يوم بدر (اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن شئت لم تعبد) فأخذ أبو بكر بيده، فقال حسبك فخرج وهو يقول: (سيهزم الجمع ويولون الدبر) »[3] .

٢٣٩ـ ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « خرج رسول الله ﷺ يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر رجلاً من أصحابه ، فلما انتهى إليها قال (اللهم إنهم جياع فأشبعهم ، اللهم إنهم حفاة فاحملهم ، اللهم إنهم عراة فاكسهم) ففتح الله له يوم بدر ، فانقلبوا حين انقلبوا ، وما منهم رجل إلا وقد رجع بحمل أو حملين واكتسوا وشبعوا »[4] .

١٦ـ استفتاح أبي جهل ودعاؤه يوم بدر

٢٤٠ـ أ ـ من حديث عبدالله بن ثعلبة بن صعير قال: « كان المستفتح يوم بدر أبا جهل قال: اللهم " أقطعنا للرحم وآتانا بما لم يُعرف فأحنه الغداة " فبينما هم على تلك الحال ، وقد شجع الله المسلمين على لقاء عدوهم ، وقللهم في أعينهم حتى طمعوا فيهم ، خفق رسول الله ﷺ خفقة في العريش ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر هذا جبريل معتجر بعمامته ، آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع، أتاك نصر الله وَعِدتُه)[5] .

---

(١) سورة الأنفال: ٩

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر رقم: ١٧٦٣ ، واحمد في المسند: ١/ ٣٠ ـ٣٢ .

(٣) اخرجه البخاري في المغازي باب: (إذ تستغيثون ربكم ...) رقم: ٣٩٥٣ .

(٤) انظر تخريج الحديث رقم: ٢٢٣ .

(٥) اخرجه احمد في المسند: ٥/ ٤٣١ ، الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٢٨، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي ، ابن كثير في السيرة: ٢/ ٤٣٤ وسنده حسن ، وفي التفسير: ٢٩٦/

٢٤٠ـ ب ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فنزلت (١): ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** ﴾ (٢) (٣).

١٧ـ نزول جبريل عليه السلام يوم بدر

٢٤١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب) (٤).

١٨ـ أسلوب القتال

٢٤٢ـ من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: « غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم بدر » (٥).

وهذا المبدأ « قتال الصف » قرره الإسلام وحث عليه في قول الله تعالى: ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾ (٦).

فأسلوب القتال هذا الذي ذكره القرآن يعطي القائد القدرة الفائقة للسيطرة على الجند .

---

٢ وعزاه للنسائي ، وانظر سيرة ابن هشام: ١/ ٦٢٦ـ٦٢٧ ، البيهقي في الدلائل: ٣/ ٧٤ .

(١) الآية: ٣٢ سورة الأنفال

(٢) سورة الأنفال آية: ٣٣

(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الأنفال باب وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم رقم: ٤٦٤٩ فتح الباري: ٣٠٩٨ ، مسلم في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب قوله تعالى: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ﴾، الآية حديث رقم: ٢٧٩٦ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدراً رقم: ٣٩٩٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند الفتح الرباني: ٢١/ ٤٣ ، وإسناده صحيح كما قال شاكر في تحقيقه للمسند: ٣٩/٤ حديث رقم: ٢١٩٧ ـ ٢١٩٨ ورجال هذا الإسناد ثقات ، وقد جاء ايضا من حديث أبي أسيد الساعدي أخرجه أبو داود: ٢٦٦٣ بسند حسن .

(٦) سورة الصف: ٤

١٩ـ تسويته الصفوف وقصته مع سواد:

٢٤٣ـ من حديث محمد بن علي بن الحسين أبي جعفر الباقر: « أن النبي ﷺ كان يتخطى بعرجون فأصاب به سواد بن غزية الأنصاري فقال: « يا رسول الله أوجعتني ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني »، فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه فقال: (استقد) قال: فاعتنقه فقبل بطنه ، فقال: (ما حملك على هذا يا سواد ؟) .

قال يا رسول الله: « حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يحس جلدي جلدك ، فدعا له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً» [١] .

٢٠ـ عريش القيادة النبوية يوم بدر

ثبت أن النبي ﷺ كان له عريش يدير منه المعركة يوم بدر ، وقد شارك أيضاً صلوات الله عليه في الحرب والمعركة ونزل إلى ساحة القتال.

٢٤٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر .. وذكر دعاء النبي ﷺ [٢] .

٢٤٥ـ ومن طريق ابن إسحاق: أن رسول الله ﷺ لما حرض أصحابه على القتال ، ورمى المشركين بما رماهم به من التراب ، وهزمهم الله تعالى صعد إلى العريش أيضاً ومعه أبو بكر ، ووقف سعد بن معاذ ومن معه من الأنصار على باب العريش ، ومعهم السيوف خشية أن تكر راجعة من المشركين إلى النبي ﷺ [٣] .

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٩٥ ، وسنده حسن إلا أنه مرسل ، ويسنده ما جاء عن عبدالله بن جبير الخزاعي في مجمع الزوائد: ٦/ ٢٨٩ ، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات على ما في عبدالله بن جبير من ضعف كما جاء في التهذيب: ٥/ ١٦٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ تستغيثون ربكم ... رقم: ٣٩٥٣ من طرق متعددة .

(٣) البداية والنهاية: ٣/ ٢٨٤ ، وانظر سيرة ابن هشام: ١/ ٦٢٠ ، والطبري في التاريخ: ٢/ ٤٤٠ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٤٤ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق من مرسل عبدالله بن أبي بكر .

المبحث الثالث: المرحلة الثانية: أحداث المعركة

١ـ المبارزة بين المسلمين والمشركين

٢٤٦ـ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، وقال قيس بن عباد: وفيهم أنزلت ﴿ **هذان خصمان اختصموا في ربهم** ﴾ قال: هم الذين تبارزوا يوم بدر ، حمزة ، وعلي، وعبيدة ، أو أبو عبيدة بن الحارث ، وشيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة »[1] .

٢٤٧ـ ومن طريق ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال:

« ثم خرج عتبة بن ربيعة ، بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة ، وهم عوف ، ومعوذ ، أبناء الحارث ـ وأمهما عفراء ـ ورجل آخر يقال: هو عبدالله بن رواحة فقالوا: من أنتم ؟ فقالوا: رهط من الأنصار . قالوا: ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم: يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا .

فقال رسول الله ﷺ: قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا حمزة ، قم يا علي ، فلما قاموا ودنوا منهم .

قالوا: من أنتم ؟ قال عبيدة: عبيدة ، وقال حمزة: حمزة ، وقال علي: علي، قالوا: نعم ، أكفاء كرام .

فبارز عبيدة ـ وكان أسن القوم ، عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة، وبارز علي الوليد بن عتبة .

فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكر حمزة وعلي

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٦٥ ، وقد جاء هذا الحديث أيضا من طريق أبي ذر رضي الله عنه عند البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل رقم: ٣٩٦٦، ومسلم بشرح النووي: ١٦٦/١٨ ، وابن ماجه برقم: ٢٨٣٥ ، الطيالسي: ٢١/٢ ، والطبراني في الكبير: ١٦٤/٣ ، وقال الحاكم: ٣٨٦/٢ عن حديث علي: لقد صح الحديث بهذه الروايات من طريق علي ، كما صح من طريق أبي ذر .

بأسيافهما على عتبة فذففا عليه ، واحتملا صاحبهما ، فحازاه إلى أصحابه [1].

٢٤٨ـ من حديث علي بن أبي طالب قال: « تقدم يعني عتبة بن ربيعة ، وتبعه ابنه وأخوه ، فنادى من يبارز فانتدب له شباب من الأنصار ، فقال: من أنتم ؟ فأخبروه فقال: لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بني عمنا ، فقال رسول الله ﷺ: (قم يا حمزة ، قم يا علي ، قم يا عبيده بن الحارث) فأقبل حمزه إلى عتبة ، وأقبلت إلى شيبة ، واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان ، فأثخن كل واحد منهما صاحبه ، ثم ملنا على الوليد فقتلناه ، واحتملنا عبيدة » [2].

وقد وافقت رواية حديث علي هذه بأنه قتل شيبة وحمزة قتل عتبة ثم أعانا عبيدة على الوليد ما رواه الطبراني بإسناد حسن عن علي قال: « أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحارث على الوليد بن عتبة ، فلم يعب النبي ﷺ ذلك علينا » [3].

وقال ابن حجر (بعد أن ذكر حديث علي الذي رواه أبو داود): وهذا أصح الروايات ، لكن الذي في السير أن الذي بارز علي هو الوليد ، وهو المشهور ، وهو اللائق بالمقام لأن عبيدة وشيبة كانا شيخين كعتبة وحمزة ، بخلاف الوليد وعلي فكانا شابين » [4] .

ولمن أراد زيادة تفصيل في هذا الأمر فليراجع كتاب مرويات غزوة بدر ومناقشة الأقوال في بيان من بارز كل واحد من الثلاثة من المشركين الثلاثة أيضاً ، والأظهر والله أعلم ما جاء في حديث أبي داود عن علي كرم الله وجهه ، لأنه أصح الروايات كما قال ابن حجر رحمه الله تعالى .

٢ـ أوامر القائد الأعلى بالنضح بالنبل

٢٤٩ـ من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: « قال لنا رسول الله

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة بإسناد حسن عن ابن إسحاق: ١/ ٦٢٥ ولكنه مرسل ، وفتح الباري: ٧/ ٢٩٨ ، وقد أخرجه الإمام أحمد بتحقيق أحمد شاكر: ٢/ ١٩٣ من حديث علي وإسناده صحيح .

★ فذففا: أسرعا قتله

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في المبارزة رقم: ٢٦٦٥ وإسناده صحيح كما قال ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٢٩٨ ، وأحمد: ١/ ١١٧ ، وأخرجه الحاكم: ٣/ ١٨٧ـ ١٨٨ ، عن ابن عباس وسنده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٣) فتح الباري: ٧/ ٢٩٨ .

(٤) فتح الباري: ٧/ ٢٩٨ .

ﷺ يوم بدر: (إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم) »[1].

وفي رواية أبي داود زيادة (إذا اكثبوكم فارموهم بالنبل ، ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم »[2] .

٣ـ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى

٢٥٠ـ من حديث ابن عباس قال: « قال رسول الله ﷺ لعلي: (ناولني كفاً من حصى) فناوله ، فرمى بها وجوه القوم ، فما بقى أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء ، فنزلت ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى** ﴾[3] .

٢٥١ـ ومن حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر أمر رسول الله ﷺ فأخذ كفاً من الحصى ، فاستقبلنا به فرمى بها وقال: (شاهت الوجوه) فانهزمنا فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ **وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى**﴾[4] .

٤ـ مشاهد وأحداث من المعركة

أـ عمير بن الحمام والتمرات

٢٥٢ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « ... فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر ، وجاء المشركون ، فقال رسول الله ﷺ (لا يقدمَنَّ أحد منكم إلى شيء ، حتى أكون أنا دونه) فدنا المشركون فقال رسول الله ﷺ (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) .

قال: يقول عمير ابن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟ قال: « نعم » قال: بخ بخ ، فقال رسول الله ﷺ: (ما يحملك على قولك بخ بخ ؟) قال: لا . والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب من شهد بدراً رقم: ٣٩٨٤، ٣٩٨٥ أحمد انظر الفتح الرباني: ٤٢/٢١ والبيهقي في الدلائل: ٧٠/٣ .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن طبعة الساعاتي: ٤٨/٢ وسكت عنه المنذري والإسناد ضعيف والله أعلم ، وفي إسناده إسحاق بن نجيح قال في التقريب: ٦١/١ ، مجهول ، ومالك بن حمزة بن أبي اسيد: التقريب: ٢٢٤/٢ ، مقبول ، ولكنه اخرجه بإسناد آخر وهو سند حسن في نفس الصفحة .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٨٤/٦ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر الطبراني: ١١٧٥٠ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٨٤/٦ رواه الطبراني وسنده حسن ، انظر الطبراني في الكبير: ٣١٢٧، ٣١٢٨ ، ورواه الطبراني في الأوسط كما في مجمع البحرين: ٢٣٧ .

أهلها، قال: (فإنك من أهلها) فأخرج تمرات من قرنه ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، قال: فرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قتل»[1].

ب ـ مصرع أبي جهل لعنه الله:

٢٥٣ـ من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: قال: « بينما أنا واقف في الصف يوم بدر ، نظرت عن يميني وشمالي ، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما ، تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال: يا عم هل تعرف أبا جهل ؟ قال: قلت: نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي ؟ قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ ، والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده ، حتى يموت الأعجل منا . قال: فتعجبت لذلك ، فغمزني الآخر فقال مثلها .

قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يزول في الناس فقلت: ألا تريان ؟ هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ، قال: فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه ، ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه ، فقال: (أيكما قتله ؟) فقال كل واحد منهما: أنا قتلته ، فقال: (هل مسحتما سيفيكما ؟) قالا: لا: فنظر في السيفين فقال: (كلاكما قتله) ، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح . والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء »[2].

٢٥٤ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (من ينظر ما صنع أبو جهل ؟) فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه « أبناء عفراء حتى برد ، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبو جهل ، قال: وهل فوق رجل قتله قومه أو قال: قتلتموه » [3].

---

(١) اخرجه مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد: رقم: ١٩٠١، احمد في المسند: ٣/ ١٣٦ ـ١٣٧ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٢٦ ـ وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٢٥ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ٤٣ .

★ بخ بخ: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمة في الخير
قرنه: جعبة النشاب .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً رقم: ٣٩٨٨، ومسلم في الجهاد والسيرة باب استحقاق القاتل سلب القتيل: ١٧٥٢ ، الحاكم: ٣/ ٤٢٥ ـ والطبري في التاريخ: ٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٨٣ ـ ٨٥ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل رقم: ٣٩٦٣ ، مسلم في الجهاد ، باب قتل أبي جهل

٢٥٥ـ ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « أدركت أبا جهل يوم بدر صريعاً ، فقلت: أي عدو الله قد أخزاك الله ؟

قال: وبما أخزاني: من رجل قتلتموه ، ومعي سيف لي ، فجعلت أضربه ولا يحتك فيه شيء ، ومعه سيف له جيد ، فضربت يده فوقع السيف من يده فأخذته، ثم كشفت المغفر عن رأسه فضربت عنقه ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال: (الله الذي لا إله إلا هو) .

قلت: الله الذي لا إله إلا هو .

قال: فانطلق فاستثبت فانطلقت وأنا أسعى مثل الطائر ، ثم جئت وأنا أسعى مثل الطائر أضحك فأخبرته .

فقال رسول الله ﷺ: (انطلق) فانطلقت معه فأريته ، فلما وقف عليه ﷺ قال: (هذا فرعون هذه الأمة) »[1].

جـ ـ مصرع أمية بن خلف:

٢٥٦ـ من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: « كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي[2] بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت « الرحمن » قال: لا أعرف الرحمن ، كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فكاتبته (عبد عمرو) .

فلما كان في يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزَه حين نام الناس ، فأبصره بلال، فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار ، فقال: أمية بن خلف لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم فقتلوه ، ثم أبوا حتى يتبعونا ـ وكان رجلاً ثقيلاً

رقم: ١٨٠٠ ، أبو داود في الجهاد باب خصة في السلاح يقاتل به في المعركة رقم: ٢٧٠٩ ، أحمد في المسند: ٣/ ١١٥، ١٢٩، ٢٣٦ .

(١) أخرجه الهيثمي في المجمع: ٦/ ٧٩ وقال رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب بن أبي كريمة وهو ثقة ، قال عنه في التقريب: ٢/ ٢١٦ ، صدوق من العاشرة فيكون الحديث حسناً والله أعلم ، وانظر الطبراني من حديث: ٨٤٦٨ـ ٨٤٧٦، والبيهقي في الدلائل: ٢/ ٢٦١ـ٢٦٢، والبزار كما في الكشف: ١/ ٢٨٨ ـ أحمد كما في الفتح الرباني: ٢١/ ٣٨ .

(٢) الصاغية: صاغية الرجل: ما يميل إليه ، ويطلق على الأهل والمال .

ـ فلما أدركونا قلت له: ابرك ، فبرك ، فألقيت عليه نفسي لأمنعه ، فتجللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه ، وكان عبدالرحمن ابن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه »[1] .

٢٥٧ـ ومن حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: « كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة، وكان اسمي عبد عمرو فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن، ونحن بمكة ، فكان يلقاني إذ نحن بمكة فيقول: يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماك أبوك ؟ قال: فأقول: نعم .

قال: فإني لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أما أنت فلا تجبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف ! .

قال: وكان إذا دعاني يا عبد عمرو لم أجبه ، قال: فقلت: يا أبا علي اجعل ما شئت ، قال: فأنت عبد الإله ، قال: قلت نعم .

قال: فكنت إذا مررت به قال: يا عبدالإله فأجبته فأتحدث معه ، حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه علي ، وهو آخذ بيده قال: ومعي أدراع لي قد استلبتها ، فأنا أحملها ، فلما رآني قال: يا عبد عمرو فلم أجبه ، فقال: يا عبدالإله ، فقلت: نعم ، قال: هل لك فيَّ فأنا خير لك من هذه الأدراع التي معك ؟ قال: قلت: نعم ها الله ؟

قال: فطرحت الأدراع من يدي ، وأخذت بيده وبيد ابنه وهو يقول: ما رأيت كاليوم قط ، أما لكم حاجة في اللبن ؟ ثم خرجت أمشي بهما .

قال ابن هشام: يريد باللبن أن من أسرني افتديت منه بإبل كثيرة اللبن »[2].

د ـ مصرع عبيد بن سعيد بن العاص على يد الزبير .

٢٥٨ـ من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « لقيت يوم بدر عبيد ابن سعيد بن العاص وهو مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وهو يكنى أبا ذات

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب الوكالة باب إذا وكل المسلم حربياً في دار الحرب رقم: ٢٣٠١، فتح الباري: ٤/ ٤٨٠ ، ابن هشام في السيرة ، ١/ ٦٣٢ ، باسناد حسن والطبري في التاريخ: ٢/ ٤٥١ـ٤٥٣ ، مسلم برقم: ١٧٥٢.

(٢) السيرة النبوية ابن هشام: ١/ ٦٣١، وسنده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

الكرش ، فقال: أنا أبو ذات الكرش ، فحملت عليه فطعنته في عينه فمات » .
قال هشام ، فأخبرت أن الزبير قال: « لقد وضعت رجلي عليه ثم تمطأت فكان الجهد أن نزعتها وقد انثنى طرفاها » .

قال عروة: « فسأله إياها رسول الله ﷺ فأعطاه ، فلما قبض رسول الله ﷺ أخذها، ثم طلبها أبو بكر فأعطاه ، فلما قبض أبو بكر سأله إياها عمر فأعطاه إياها ، فلما قبض عمر أخذها ، ثم طلبها عثمان منه فأعطاه إياها ، فلما قتل عثمان وقعت عند آل علي ، فطلبها عبدالله بن الزبير، فكانت عنده حتى قتل»[1].

هـ ـ استشهاد حارثة بن سراقة:

٢٥٩ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « أصيب حارثة يوم بدر وهو غلام ، فجاءت أمه إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ، قد عرفت منزلة حارثة مني ، فإن يكن في الجنة أصبر واحتسب ، وإن تكن الأخرى تر ما أصنع؟ . فقال: (ويحك ـ أوهبلت ـ أوجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في جنة الفردوس) [2] .

و ـ عوف بن الحارث وسؤاله: ما يضحك الرب من عبده:

٢٦٠ـ قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: « أن عوف بن مالك وهو الحارث بن عفراء ،قال: يا رسول الله ، ما يضحك الرب من عبده ؟ قال: (غمسه يده في العدو حاسراً) ، فنزع درعاً كانت عليه فقذفها ، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل » [3].

ز ـ شجاعة الرسول صلى الله عليه وسلم:

٢٦١ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

« قال: لقد رأيتنا يوم بدر ، ونحن برسول الله ﷺ وهو أقربنا من العدو ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب شهود الملائكة بدراً حديث رقم: ٣٩٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً حديث رقم: ٣٩٨٢ .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٦٢٧/١ـ ٦٢٨ والبيهقي في السنن: ٩٩/٦ ـ ١٠٠ ، الطبري في التاريخ: ٤٤٨/٢ ـ ٤٤٩ من طريق ابن إسحاق وصرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده حسن ولكنه مرسل .

وكان من أشد الناس يومئذ بأساً »[1].

٢٦٢ـ ومن حديث أنس رضي الله عنه قال: « فانطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: (لا يقومن أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دونه ...) فذكر الحديث وفيه قصة عمير بن الحمام[2].

حـ ـ مشاركة الملائكة يوم بدر:

٢٦٣ـ من حديث ابن عباس قال: « بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في إثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقياً، فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة)[3].

٢٦٤ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال: « إن النبي ﷺ قال يوم بدر: (هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)[4].

٢٦٥ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبدالمطلب أسيراً، فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني، لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله فقال: (اسكت فقد أيدك الله بملك كريم)[5].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٨٦/١، وأبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ: ص: ٥٧، من طريق وكيع حدثنا اسرائيل عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب به، وهذا إسناد صحيح فقد صحح الشيخان رواية إسرائيل عن جده، وانظر مجمع الزوائد: ١٢/٩، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند: ٢٢٨/ ٢، ويشهد له حديث البراء عند مسلم: ١٧٧٦، الجهاد باب في غزوة حنين

(٢) انظر تخريج الحديث: ٢٥٢، فإنه قطعة منه.

★ خطم: الخطم الأثر على الأنف. حيزوم: اسم الفرس الذي يركبه الملك.

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد باب الإمداد بالملائكة من حديث عمر الذي حدثه ابن عمر رقم: ١٧٦٣. انظر شرح مسلم للنووي: ٨٥/١٢ـ٨٦.

(٤) رواه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً رقم: ٣٩٩٥.

(٥) تقدم تخريجه حديث رقم: ٢٤٨.

٢٦٦ـ ومن حديث أبي داود المازني: قال: « إني لأتبع رجلاً من المشركين لأضربه إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي فعرفت أنه قتله غيري»[١] .

٢٦٧ـ ومن حديث البراء قال: « جاء رجل من الأنصار بالعباس قد أسره ، فقال العباس، يا رسول الله ليس هذا من أسرني ، أسرني رجل من القوم أنزع من هيئته كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ: (قد آزرك الله بملك كريم)[٢] .

٢٦٨ـ ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « قال لي النبي ﷺ ولأبي بكر يوم بدر (مع أحدكما جبريل ، ومع الآخر ميكائيل ، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال ، أو يكون في الصف)[٣] .

قال الحافظ في الفتح: « قال الشيخ تقي الدين السبكي:

« سئلت عن الحكمة في قتال الملائكة مع النبي ﷺ مع أن جبريل قادر على أن يدفع الكفار بريشة من جناحه ؟

فقلت: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي وأصحابه ، وتكون الملائكة مدداً على عادة مدد الجيوش ، رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده ، والله تعالى هو فاعل الجميع والله أعلم »[٤] .

ط ـ قتال سعد بن أبي وقاص

٢٦٩ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كان سعد يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم بدر ، قتال الفارس والراجل »[٥] .

---

(١) أخرجه ابن هشام: ١/٦٣٣ ، وأحمد في المسند: ٥/٤٥٠ من طريق ابن إسحاق حدثني أبي إسحاق بن يسار عن رجال من بني مازن عن أبي داود المازني وسنده حسن ـ والبيهقي في الدلائل: ٣/٥٦ ، والطبري في التاريخ: ٢/٤٥١

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/٨٣ ، رواه أحمد وفيه رجل لم يسم .

(٢) قال الهيثمي: ٦/٨٥ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/٨٢ ، رواه أحمد بنحوه والبزار واللفظ له ورجالهما رجال الصحيح، ورواه أبو يعلى » كشف الأستار رقم: ١٤٦٧ ، ١٧٦٢ ، أحمد: ١/١٤٧ ، أبو يعلى رقم: ٣٤٠ ، الحاكم: ٣/١٣٤، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي والحديث إسناده صحيح .

(٤) فتح الباري: ٧/٣١٣ ، في التعليق على حديث رقم: ٣٩٩٥ .

(٥) كشف الأستار: ١٧٦٨ـ١٧٦٩ ، وكان الهيثمي في المجمع: ٦/٨٢ ، رواه البزار بإسنادين احدهما متصل والآخر مرسل ورجالهما ثقات .

ك ـ شدة بأس علي بن أبي طالب يوم بدر

٢٧٠ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كنت على بئر فكنت يوم بدر أميح وأمتح منه ، فجاءت ريح شديدة ، ثم جاءت ريح شديدة ، فلم أر ريحاً أشد منها إلا التي كانت قبلها ، ثم جاءت ريح شديدة ، فكانت الأولى ميكائيل في ألف من الملائكة عن يمين النبي ﷺ ، والثانية إسرافيل في ألف من الملائكة عن يسار النبي ﷺ ، والثالثة جبريل في ألف من الملائكة ، وكان أبو بكر عن يمينه ، وكنت عن يساره ، فلما هزم الله الكفار حملني رسول الله ﷺ على فرسه ، فلما استويت عليه حمل بي ، فصرت على عنقه فدعوت الله فثبتني عليه ، فطعنت برمحي حتى بلغ الدم إبطي »[(١)] .

ل ـ الريح العقيم التي أرسلت على المشركين يوم بدر

٢٧١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أخذتهم ريح عقيم يوم بدر »[(٢)] .

م ـ قذف قتلى أئمة الكفر في القليب

٢٧٢ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن أبي طلحة رضي الله عنه: « أن نبي الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ، فلما كان ببدر اليوم الثالث: أمر براحلته فشدت عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ، حتى قام على شفى الركي فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: (يا فلان بن فلان، ويا فلان بن فلان ، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ؟ فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) .

قال: فقال: عمر يا رسول الله ، ما تكلم من أجساد لا أرواح لها .

فقال: رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول

★ متح الدلو جذبها متسقيا لها .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٧٧/٦ ، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٧٨/٦ رواه البزار ورجاله ثقات ، وانظر كشف الأستار رقم: ١٧٨٢ .

منهم) .

قال قتادة. « أحياهم الله حتى أسمعهم قوله ، توبيخا وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً »[(١)] .

٢٧٣ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « وقف النبي ﷺ على قليب بدر فقال: (هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟) ثم قال: (إنهم الآن يسمعون) ، فذكر لعائشة ، فقالت: إنما قال النبي ﷺ: (إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق) . ثم قرأت ﴿ **إنك لا تسمع الموتى** ﴾ حتى قرأتْ الآية . . [(٢)] .

٢٧٤ـ ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ ترك قتلى بدر ثلاثاً ، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال: (يا أبا جهل بن هشام ! يا أمية بن خلف ! يا عتبة بن ربيعة ! يا شيبة بن ربيعة ! أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً) فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنىً يجيبوا وقد جيفوا قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما اقول منهم ، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا) ثم أمربهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر »[(٣)] .

ولمن أراد التوسع في هذه المسألة والآراء المعروضة فيها فليراجع فتح الباري وأقوال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في تعليقه على حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق وقول ابن كثير رحمه الله في التفسير: (٣/ ٤٣٨) فإن في ذلك فائدة جيدة والله أعلم .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٧٦ ، مسلم في الجنة باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه رقم: ٢٨٧٤ـ٢٨٧٥، والنسائي: ٤/١٠٩ ـ ١١٠ ، وأحمد في المسند: ٣/ ١٠٤ـ١٨٢ من طريق حميد به .
الركي: البئر .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي جهل حديث رقم: ٣٩٨٠ـ٣٩٨١ ، النسائي: ٤/١١١، أحمد في المسند: ٢/ ١٣١ ، ورجال أحمد رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٩١.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها رقم: ٢٨٧٤ ، وأحمد في المسند: ٣/ ٢٨٧
★ جيفوا: أنتنوا وصاروا جيفاً .

ن ـ أسرى بني عبدالمطلب وخروجهم كرهاً:

٢٧٤ـ من حديث علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: (إن استطعتم أن تأسروا من بني عبدالمطلب فإنهم خرجوا كرهاً)[١].

س ـ إقامة الرسول عليه السلام في بدر ثلاثاً

وقد ثبت في الصحيح أنه مكث ثلاثة أيام في بدر.

من حديث أنس رقم: ٢٧٢، وهو في الصحيح «أنه ﷺ كان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ..».

٢٧٥ـ ومن حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا ظهر على قوم أقام بعرصتهم ثلاثاً»[٢].

ع ـ عدد القتلى من المشركين والشهداء من المسلمين:

٢٧٦ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «جعل النبي ﷺ على الرماة يوم أحد عبدالله بن جبير، فأصابوا منا سبعين، وكان النبي ﷺ وأصحابه أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة، سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً، قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال»[٣].

٢٧٧ـ من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة، فبينما هم كذلك إذ اطلع عليهم اطلاعة فقال: يا عبادي ماذا تشتهون؟، فقالوا: يا ربنا هل فوق هذا شيء؟ قال: فيقول: عبادي ماذا تشتهون؟، فيقولون في الرابعة: ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا»[٤].

---

(١) تقدم تخريجه رقم: ٢٤٨.

(٢) أخرجه الترمذي في السير باب في البيات والغارات وقال حسن صحيح رقم: ١٥٥١

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب: حديث رقم: ٣٩٨٦.

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٦/٩٠، رواه الطبراني ورجاله ثقات، وانظر الطبراني في الكبير: ١٠٤٦٦.

المبحث الرابع: أحداث ما بعد المعركة

١ـ الغنائم:

٢٧٨ـ من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراً ، فالتقى الناس فهزم الله تبارك وتعالى العدو ، فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون ، فأكبت طائفة على المعسكر يحوونه ويجمعونه، وأحدقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة ، حتى إذا كان الليل ، وفاء الناس بعضهم إلى بعض ، قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نفينا العدو وهزمناهم ، وقال الذي أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحق بها منا ، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به فنزلت ﴿ **يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾ فقسمها رسول الله ﷺ على وفاق بين المسلمين »[(١)] .

٢٧٩ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: أن النبي ﷺ قال: (من أتى مكان كذا وكذا فله كذا وكذا ، أو فعل كذا وكذا فله كذا وكذا) ، فتسارع إليه الشبان وبقي الشيوخ عند الرايات فلما فتح الله عليهم ، جاءوا يطلبون ما جعل لهم النبي ﷺ فقال لهم الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا فأنزل الله تعالى ﴿**فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم** ﴾[(٢)] .

---

(١) اخرجه احمد في المسند: ٥/ ٣٢٤، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٩٢ رجاله ثقات ، وفي: ٧/ ٢٦ ، قال رجال الطريقين ثقات وابن حبان رقم: ١٦٩٣، موارد ، وابن جرير في التفسير: ٩/ ١٧٢ ، والحاكم: ٢/ ١٣٥،١٣٦،٣٢٦ ، وقال على شرط مسلم وأقره الذهبي في الموضعين ، والبيهقي في السنن: ٦/ ٢٩٢ ، وهذا لفظ أحمد . وقال الساعاتي: ١٤/ ٧٣ ، قال الترمذي هذا حديث صحيح ، ثم قال: واورده الهيثمي وقال رجال أحمد ثقات ، ورواه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن الجهاد باب في النفل رقم: ٢٧٣٧ ، وابن حبان في الموارد رقم: ١٧٤٣، والحاكم في المستدرك: ٢/ ١٣٢،٢٢١،٣٢٦، وصححه في المواضع الثلاث ووافقه الذهبي ،و ابن جرير: ١٣/ ٣٦٧،٣٦٨ ، وصححه أحمد شاكر في تحقيقه الكتاب ، والبيهقي: ٦/ ٣١٥ وابن كثير في التفسير: ٢/ ٢٨٤، وزاد نسبته إلى النسائي وابن مردويه .

٢٨٠ـ ومن حديث مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت: يا رسول الله ﷺ إن الله قد شفى صدري من المشركين أو نحو هذا ، هب لي هذا السيف فقال: (هذا ليس لي ولا لك) ، فقلت: عسى أن يعطى هذا من لم يبلي بلائي ، فجاءني رسول الله ﷺ ، فقال: (إنك سألتني وليس لي ، وإنه قد صار لي وهو لك) قال: فنزلت ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ الآية [(١)].

٢٨١ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله ﷺ: (إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم) وكان النبي وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها، فأنزل الله هذه الآية ﴿ **لولا كتاب من الله سبق** ﴾ إلى آخر الآيتين » [(٢)].

٢ ـ الاختلاف في الأسرى:

٢٨٢ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الذي رواه عنه ابن عباس رضي الله عنهما قال:

فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين قال أبو زميل: قال ابن عباس: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر وعلي وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى ؟

فقال أبو بكر: يا نبي الله ! هم بنو العم والعشيرة ، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار ، فعسى الله أن يهديهم للإسلام .

فقال رسول الله: ما ترى يا ابن الخطاب ؟

قال: لا والله ، يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم ، فتمكن علياً من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكني من فلان

---

(١) اخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب الأنفال رقم: ١٧٤٨ ، وابو داود الطيالسي في مسنده: ١/٢٣٨ـ٢٣٩ رقم: ٢٠٦٦، والحاكم: ٢/ ١٣٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، واحمد في المسند: ١/ ١٨١،١٨٦ ، وابو نعيم: ٨/ ٣١٢ ، والبيهقي: ٦/ ٢٢٩ .

(٢) اخرجه الترمذي في التفسير تفسير سورة الأنفال رقم: ٣٠٨٥ ، وقال حديث حسن صحيح غريب ، وابو داود الطيالسي في مسنده: ٢/ ١٩،وابن حبان في الموارد: ١٦٦٨ ، والبيهقي: ٦/ ٢٩٠ وهو كما قال الترمذي .

(نسيباً لعمر) فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها .

فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت . فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يبكيان .

قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما » .

فقال رسول الله ﷺ: (أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة) ـ شجرة قريبة من النبي ﷺ وأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم»[1].

٢٨٣ـ ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: استشار رسول الله ﷺ في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم ، فاستشار عمر فقال: اقتلهم ، قال: ففداهم رسول الله ﷺ فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ **ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** ﴾ إلى قوله: ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً** ﴾ ، قال: فلقي النبي ﷺ عمر قال: (كاد أن يصيبنا بلاء في خلافك)[2] .

٢٨٤ـ وقد جاء من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه بإسناد صحيح ببعض زيادة في وصف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما الذي وصفهما به رسول الله فمن أحب الزيادة فلينظر الحديث في مكانه[3].

٣ـ زيد يحمل بشارة النصر إلى المدينة المنورة:

٢٨٥ـ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ خلف

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجهاد والسيرة باب الإمداد بالملائكة حديث رقم: ١٧٦٣ ، أحمد في المسند: ١/ ٣٠ـ٣١ ، والطبري في التفسير: ١٠/ ٤٤ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٢٩ ، وقال الحاكم حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي قلت: على شرط مسلم .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الجهاد باب في المشورة: ٤/ ٢١٣ ، وفي تفسير سورة الأنفال رقم: ٣٠٨٤ ، ٥/ ٢٧١ ، وفي مسند أحمد: ١/ ٣٨٣ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٢ ، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال ابن حجر في الإصابة: ٢/ ٩١ معلقاً عليه: رواه الطبراني بإسناد صحيح عن أبي عبيدة عن عبدالله بن مسعود ، وسبب إرساله ان ابا عبيدة بن عبدالله بن مسعود لم يسمع من أبيه . وقال شاكر إسناده منقطع: ٥/ ٢٢٩، حديث رقم: ٣٦٣٤ .

عثمان بن عفان ، وأسامة بن زيد على بنت رسول الله ﷺ ، فجاء زيد بن حارثة على العضباء ناقة رسول الله ﷺ بالبشارة قال أسامة: فسمعت الهيعة ، فخرجت فإذا زيد قد جاء بالبشارة ، فوالله ما صدقت حتى رأينا الأسارى وضرب رسول الله ﷺ لعثمان سهمه »[1].

٢٨٦ـ ومن حديث عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة رضي الله عنهما: قال: «قدم بالأسارى حين قدم بهم المدينة ، وسودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ عند آل عفراء في مناحتهم على عوف ومعوذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يضرب الحجاب.

قالت سودة: فوالله إني لعندهم إذ أتينا ، فقيل هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، فرجعت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، فإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ويداه مجموعتان إلى عنقه بحبل ، فوالله ما ملكت حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: « أبا يزيد أعطيتم بأيدكم الا مِتم كراماً ».

فما انتبهت إلا بقول رسول الله ﷺ من البيت: (يا سودة على الله وعلى رسوله) ، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما ملكت حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بالحبل أن قلت ما قلت »[2].

٤ـ قتل عقبة بن أبي معيط في الطريق إلى المدينة:

٢٨٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر ، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف ، وقتل عقبة بن أبي معيط قبل الفداء قام إليه علي بن أبي طالب فقتله صبراً ، قال: من للصبية يا رسول الله؟ قال: (النار) »[3].

---

(١) أخرجه البيهقي: ٩/ ١٧٤ ، بسند صحيح ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٢١٧ ، ٢١٨ ، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ١٣٠ـ١٣١، والطبري في التاريخ: ٢/ ٤٥٨، وقد رواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٣٦٨، مرسلاً عن عروة ، والحاكم: ٣/ ٤٨ ، عن الزهري مرسلاً ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٦٤٢ .

★ الهيعة: الصوت الذي تفرع منه وتخاف .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٢ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وابن جرير في التاريخ: ٢/ ٤٦٠ ، وابن هشام في السيرة: ١/ ٦٤٥ ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه الهيثمي في المجمع: ٦/ ٨٩ وقال رواه الطبراني في الكبير: ١٢١٥٢ ورجاله رجال الصحيح وانظر عبدالرزاق في المصنف: ٩٣٩٤ . .

٢٨٨ـ وعن مسروق أنه قال: ـ لابن أبي معيط ـ حدثنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وكان غير كذاب: « إن رسول الله ﷺ أمر بعنق أبيك أن تضرب صبراً ، ثم مر به فقال: من للصبية بعدي ؟ قال: (لهم النار) ، حسبك ما رضي لك رسول الله ﷺ »[1] .

٥ ـ كيف تلقت قريش نبأ الهزيمة

٢٨٩ـ وقال ابن إسحاق رحمه الله قال:

وكان أول من قدم بمكة بمصاب قريش الحيسمان بن عبدالله الخزاعي فقالوا له: ما وراءك ؟

قال: قتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمية ابن خلف ، وزمعة بن الأسود ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج ، وأبو البحتري بن هشام، فلما جعل يعدد أشراف قريش قال صفوان بن أمية: والله إن يعقل هذا فسلوه علي ؟

فقالوا: ما فعل صفوان بن أمية ؟

قال: هو ذاك جالس في الحجر ، قد والله رأيت أباه وأخاه حين قتلا»[2].

٦ ـ عمير يريد قتل الرسول فيكشف الرسول سرّه فيسلم

٢٩٠ـ من حديث عروة بن الزبير مرسلاً قال: « جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوانٍ بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدر بيسير وكان عمير ابن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وأصحابه، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان: « والله إن في العيش بعدهم خير » .

قال له عمير: صدقت ، أما والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال

---

(١) أخرجه ابو داود في سنة الجهاد باب في قبل الأسير صبراً رقم: ٢٦٨٦ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٥٩/٦ رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات . وسند أبي داود حسن .

(٢) إن كان أخرجه ابن إسحاق بسنده الصحيح الوارد في بداية غزوة بدر فالحادثة صحيحة والله أعلم وإلا فالحادثة بلا سند انظر سنده (ابن هشام في السيرة: ٦٠٦/١ .

أخشى عليهم الضيعة بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم .

قال: فاغتنمها صفوان بن أمية فقال:

عليَّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا ، لا يسعني شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير: فاكتم علي شأني وشأنك.

قال: سأفعل .

قال: ثم أمر عمير سيفه ، فشُحذ وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه ، فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشرّ وهو الذي حرش بيننا ، وحزرنا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه .

قال: فادخله علي ، قال: فاقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلببه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: ادخلوا على رسول الله ﷺ فاجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله ﷺ ، فلما رآه رسول الله ﷺ وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه قال: (أرسله يا عمر ، ادن يا عمير).

فدنا ثم قال: انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله (قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة) .

فقال: أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

قال: (فما جاء بك يا عمير ؟) قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه .

قال: (فما بال السيف في عنقك ؟) قال: قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت عنا شيئاً ؟

قال: (اصدقني ، ما الذي جئت له ؟) قال: ما جئت إلا لذلك .

قال: (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت: لولا دين عليَّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك وبين ذلك) .

قال عمير: أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمدلله الذي هداني للإسلام، وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق.

فقال رسول الله ﷺ: (فقهوا أخاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا أسيره ففعلوا) .

ثم قال: يارسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ، وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كماكنت أوذي أصحابك في دينهم . قال: فأذن له رسول الله ﷺ فلحق بمكة .

وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول: أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً » [١] .

٧ ـ عمليات الافتداء للأسرى

٢٩١ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « فادى رسول الله ﷺ أسارى بدر ، وكان فداء كل رجل منهم أربعة آلاف » [٢].

---

(١) ابن هشام في السيرة: ١/ ٦٦١ـ٦٦٣ عن ابن إسحاق بسند صحيح مرسلاً ، وقال ابن حجر في الإصابة: ٣/ ٣٦ قال موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب مرسلاً وذكر قصة عمير ، وقد أخرجه ابن منده من وجه آخر موصولاً ، من طريق أبي الأزهر عن عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن أبي عمران الجوني عن أنس أو غيره واسناد ابن مندة ظاهره أنه حسن .

(٢) مجمع الزوائد: ٦/ ٩٠ ، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله رجال الصحيح.

٢٩٢ـ من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: « كانت قريش ناحت قتلاها ثم ندمت ، وقالوا: لا تنوحوا عليهم ، فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه فيشمتوا بكم ، وكان في الأسرى أبو وداعة بن صبرة السهمي فقال رسول الله ﷺ: (إن له بمكة ابناً تاجراً كيسا ، ذا مال ، كأنكم قد جاءكم في فداء أبيه) فلما قالت قريش في الفداء ما قالت: قال المطلب: صدقتم والله لئن صدقتم ليثاربن عليكم ، ثم انسل في الليل ، فقدم المدينة ففدى أباه بأربعة آلاف درهم »[1].

٨ ـ أبو العاص بن الربيع وعفو الرسول عنه وإطلاقه:

٢٩٣ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت لخديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قال: فلما رآها رسول الله ﷺ . رق لها رقة شديدة وقال: (إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها ، وتردوا عليها الذي لها فافعلوا) ، فقالوا: « نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها » .

وهذا لفظ أحمد وفي رواية أبي داود زيادة نوردها فيما يلي:

« وكان رسول الله ﷺ أخذ عليه ، أو وعده ، أن يخلي سبيل زينب إليه ، وبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة ورجلاً من الأنصار فقال: (كونا ببطن يأجج حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتيا بها)[2] .

٩ـ تكليف من لا يجد فداء بتعليم أبناء المسلمين

٢٩٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:

« كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء ، فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة ، قال: فجاء يوماً غلام يبكي إلى أبيه فقال: ما شأنك ؟

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٩٠/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٧٦/٦، وأبو داود في الجهاد باب في فداء الأسير بالمال: ٢٦٩٢ ، الحاكم في المستدرك: ٣٣٦/٣ ، وسكت عليه الحاكم والذهبي ، وابن هشام في السيرة: ٦٥٣/١ وسنده صحيح رجاله كلهم ثقات ، وابن إسحاق صرح بالتحديث ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ١٠٠/١٤ ، أخرجه ابن إسحاق في سيرته وإسناده جيد .

قال: ضربني معلمي »

قال: الخبيث يطلب بذحل بدر والله لا تأتيه أبداً »[1].

١٠ـ حفظ النبي لجوار المطعم بن عدي في الأسرى:

٢٩٥ـ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لأسارى بدر: (لو كان مطعم بن عدي حياً ، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له)[2].

١١ـ العباس وقصته في الفداء:

٢٩٦ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إنَّ رجالاً من الأنصار استأذنوا رسول الله ﷺ فقالوا: ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه ، قال: (والله لا تذرون منه درهما) [3].

٢٩٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال العباس: فيَّ نزلت: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾ فأخبرت النبي ﷺ بإسلامي ، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذت معي ، فأعطاني بها عشرين عبداً كلهم قد تاجر بمال في يده ، مع ما أرجو من مغفرة الله تعالى »[4].

١٢ ـ منزلة من شهد بدراً من الصحابة رضوان الله عليهم:

٢٩٨ـ من حديث رفاعة بن رافع الزرقي رضي الله عنه قال: « جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال: (من أفضل المسلمين) ـ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/٤٧ ، تحقيق أحمد شاكر وقال: إسناده صحيح وقال البنافي الفتح الرباني: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد وفي إسناده علي بن عاصم فيه كلام لكن وثقه الإمام أحمد ، ذحل بدر: ثأر بدر.

(٢) أخرجه أبو داود في الجهاد باب المن على الأسير رقم: ٢٦٨٩ ، وإسناده صحيح البخاري في المغازي باب: ١٢ حديث رقم: ٤٠٢٤ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢ ، حديث رقم: ٤٠١٨ .

(٤) المطالب العالية: ٤٣٠٠ وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح ، رواه ابن مردويه في التفسير والمسند ، عن أحمد بن الحسن عن عبدالله بن محمد عن ابن إسحاق هكذا ، وأخرجه الطبراني من حديث يزيد بن هارون عن ابن إسحاق ، وقال البوصيري: رواه ابن راهويه بسند صحيح ، وابن مردويه في تفسيره ، والطبراني » قلت: وأخرجه ابن جرير الطبري في التفسير: ١٤/٧٣ ، تحقيق أحمد شاكر ، واسناد هذا الحديث صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع: ٧/٢٨ ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع .

وكلمة نحوها ـ قال: (وكذلك ما شهد بدراً من الملائكة)[1].

٢٩٩ـ من حديث علي بن أبي طالب الطويل في قصة حاطب بن بلتعة قال فيه رسول الله ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم »[2].

٣٠٠ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لن يدخل النار رجل شهد بدراً أو الحديبية)[3].

١٣ ـ أسماء من شهد بدراً من الصحابة:

قال الحافظ في الفتح: قلت فجملة من ذكر من أهل بدر هنا أربعة وأربعون رجلاً، وقد سبق البخاري إلى ترتيب أهل بدر على حروف المعجم وهو أضبط لاستيعاب أسمائهم، ولكنه اقتصر على ما وقع عنده منهم، واستوعبهم الحافظ ضياء الدين المقدسي في (كتاب الأحكام)، وبين اختلاف أهل السير في بعضهم اختلاف غير فاحش، وأورد ابن سيد الناس أسماءهم في (عيون الأثر)، لكن على القبائل كما صنع ابن إسحاق وغيره، واستوعب ما وقع له من ذلك فزادوا ـ على ثلاثمائة وثلاثة عشر ـ خمسين رجلاً قال: وسبب الزيادة الاختلاف في بعض الأسماء. قلت: ولولا خشية التطويل لسردت أسماءَهُم مفصلاً مبينا للراجح، لكن في هذه الإشارة كفاية والله المستعان »[4].

قلت: وانظر أيضاً سيرة ابن كثير رحمه الله فقد أورد أسماءهم هناك[5].

وذكرهم الهيثمي أيضاً في مجمع الزوائد: (٦/ ٩٣ـ ١٠٦) وبين مواضع ذكرهم وأسانيده في ذلك مرتباً لتلك الأسانيد من صفحة: (٩٣ـ٩٧) بإسناد واحد إلى ابن شهاب الزهري ورجاله رجال الصحيح.

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدراً رقم: ٣٩٩٢.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً رقم: ٣٩٨٣.

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب حديث: ٣٨٦٤، ٥/ ٦٩٧، وقال حسن صحيح، ومسلم في فضائل الصحابة، باب أهل الشجرة رقم: ٢٤٩٦، وابن ماجه رقم: ٤٢٨١.

(٤) فتح الباري: ٧/ ٣٢٨ـ٣٢٩ في التعليق على الباب الثالث عشر من المغازي باب تسمية من سمى من أهل بدر.

(٥) سيرة ابن كثير ٢/ ٤٨٩.

الفصل الثالث

الأحداث ما بين بدر وأحد

المبحث الأول

زواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحفصه بنت عمر

٣٠١ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفي في المدينة ، فقال عمر « أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر ، قال: فقلت: إن شئت أنكحتك حفصة ، فقال: سأنظر في أمري ، فلبثت ليالٍ ، ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا.

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق ، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر رضي الله عنه فلم يرجع إليَّ شيئاً ، فكنت عليه أوجد مني على عثمان .

فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه ، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً ؟ قال عمر: نعم ، قال: فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضت علي ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ، ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها » [1] .

المبحث الثاني: زواج علي وفاطمة رضوان الله عليهما

٣٠٢ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر ، وكان النبي ﷺ أعطاني مما أفاء الله عليه من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ، واعدت رجلاً صواغاً في بني قينقاع أن يرتحل معي فناتي بإذخر ، فأردت أن أبيعه

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير الحديث: ٥١٢٢ ، فتح الباري: ٩/ ١٧٥ـ١٧٦ ، النسائي: ٢/ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ، وأحمد في المسند رقم: ٧٤ ، تحقيق أحمد شاكر .

من الصواغين فنستعين به في وليمة عرسي ، فبينما أنا أجمع لشارفيَّ من الأقتاب والغرائر والحبال ، وشارفاي مناخان إلى جنب حجرة رجل من الأنصار حتى جمعت ما جمعت ، فإذا أنا بشارفي قد أجبت أسنمتهما ، وبقرت خواصرهما ، واخذت من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت المنظر قلت: من فعل هذا . قالوا: حمزة بن عبدالمطلب ... » فذكر الحديث [(١)].

٣٠٣ـ من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ ؟ قلت: لا ، قالت: فقد خطبت ، فما يمنعك أن تأتي رسول الله ﷺ فيزوجك . فقلت: وعندي شيء أتزوج به ! فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك .

قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ فلما أن قعدت بين يديه أفحمت ، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة.

فقال رسول الله ﷺ: (ما جاء بك ؟ ألك حاجة ؟) فسكت ، فقال: (لعلك جئت تخطب فاطمة ؟) فقلت: نعم ، فقال: (وهل عندك من شيء تستحلها به ؟) فقلت: لا والله يا رسول الله . فقال: (ما فعلت درع سلحتكها)؟

فوالذي نفس علي بيده إنها لحطمية ما قيمتها أربعة دراهم ، فقلت: عندي . فقال: (قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها) فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ [(٢)].

جهاز فاطمة عليها رضوان الله عليها

٣٠٤ـ من حديث علي كرم الله وجهه قال: « جهز رسول الله ﷺ فاطمة في

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٢ حديث رقم: ٤٠٠٣ ، مسلم في أول كتاب الاشربة حديث رقم: ١٩٧٩ ، والفتح الرباني: ٣١/ ٤٥ـ٤٧ .

★ الشارف: الناقة .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٣/ ١٦٠ ، وإسناده حسن وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، سيرة ابن كثير: ٢/ ٥٤٤ .

خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر »[1] .

وقد روى البيهقي عن ابن منده في كتاب المعرفة « أن عليا تزوج فاطمة بالمدينة بعد سنة من الهجرة ، وابتنى بها بعد ذلك بنحو من سنة ،وولدت لعلي الحسن ، والحسين ، ومحسناً ، وأم كلثوم الكبرى ، وزينب الكبرى »[2] .

وعلق على ذلك ابن كثير رحمه الله فقال: « قلت: فعلى هذا يكون دخوله بها في أوائل السنة الثالثة من الهجرة ، فظاهر سياقه حديث الشارفين يقتضي أن ذلك عقب وقعة بدر بيسير ، فيكون ذلك كما ذكرناه في آخر السنة الثانية والله أعلم»[3] .

المبحث الثالث: إجلاء بني قينقاع

٣٠٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان من حديث بني قينقاع أن رسول الله ﷺ جمعهم بسوق بني قينقاع ثم قال: يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم قالوا: يا محمد إنك ترى أنا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قوماً لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس .

ثم قال ابن عباس: فأنزل هؤلاء الآيات إلا فيهم **﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد ، قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾**[4] [5] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ١٤ ، ابن ماجه في السنن والزهد باب ضجاع آل محمد رقم: ٤١٥٢ ، البيهقي في الدلائل: ٣/ ١٦١ ، والحديث إسناده صحيح .

★ خميل: القطيفة: الأدم: الجلد . الأذخر: حشيشة رطبة طيبة الرائحة .

(٢) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٣/ ١٦٢ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ٢/ ٥٤٥ .

(٤) آل عمران آية: ١٢ـ ١٣ .

(٥) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة رقم: ٣٠٠١ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٤٧ ، بسند ابن إسحاق ، وحسن إسناده الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٣٣٢ .

المبحث الرابع: موقف عبدالله بن أبي زعيم المنافقين من أوليائه اليهود

من طريق ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة: « أن بني قينقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه ، فقام عبدالله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله ﷺ حين أمكنه الله تعالى منهم ، فقال: يا محمد ، أحسن في موالي) فأعرض عنه ، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ: (أرسلني) وغضب حتى رؤي لوجه رسول الله ﷺ ظلال، فقال له: (ويحك أرسلني) . فقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي ، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع منعوني من الأحمر والأسود ، تحصدهم في غداة واحدة ، أي والله إني لامرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله ﷺ: (هم لك) »[1] .

٣٠٦ـ ومن طريق ابن إسحاق أيضاً قال: حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال: « لما حاربت بنو قينقاع رسول الله ﷺ تشبث بأمرهم عبدالله بن أبي ، وقام دونهم ، فمشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله ﷺ وكان أحد بني عوف بن الخزرج لهم من حلفهم مثل الذي لهم من حلف عبدالله بن أبي ، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ وتبرأ إلى الله وإلى رسول الله ﷺ من حلفهم ، فقال: « يا رسول الله أتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم ، وأتولى الله ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم .

ففيه وفي عبدالله بن أبي نزلت الآيات في المائدة ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض** ﴾ يعني عبدالله بن أبي لقوله: إني أخشى الدوائر ، ﴿ **يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة** ﴾ ـ حتى بلغ قوله ـ ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** ﴾ لقول عبادة: أتولى الله ورسوله والذين آمنوا وتبريه من بني قينقاع وحلفهم وولايتهم إلى قوله ﴿ **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾ »[2] .

---

(١) السيرة النبوية ابن هشام: ٤٨/٢ وإسناده صحيح وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ولكنه مرسل ، ودلائل البيهقي: ١٧٤/٣ ، الطبري في التاريخ: ٤٨٠/٢ .

(٢) السيرة النبوية ابن هشام: ٤٩/٢ـ٥٠ ، وإسناده صحيح وقد صرح بالتحديث وهو مرسل ، ودلائل

المبحث الخامس: مقتل كعب بن الأشرف

٣٠٧ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: (من لكعب بن الأشرف ؟ فإنه قد آذى الله ورسوله). فقام محمد بن مسلمة فقال: يا رسول الله أتحب أن أقتله ؟ قال: (نعم) . قال: فأذن لي رسول الله أن أقول شيئاً . قال: (قل). فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة ، وإنه قد عنَّانا ، وإني قد أتيتك أستسلفك ، قال: وأيضاً والله لتملنه .

قال: إنا قد اتبعناه ، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين ـ وحدثنا عمرو غير مرة فلم يذكر (وسقا أو وسقين) فقلت له: فيه (وسقاً أو وسقين) ، فقال: أرى فيه (وسقاً أو وسقين) فقال: نعم ارهنوني ، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ؟ قال: ارهنوني أبناءكم ، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال: رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ، ولكنا نرهنك اللامة . . قال سفيان: يعني السلاح .

فواعده أن يأتيه فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ فدعاهم إلى الحصن ، فنزل إليهم فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة ؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة . وقال غير عمرو: قالت أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم . قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لودعي إلى طعنة بليل لأجاب .

قال: ويُدخل مُحمد بن مسلمة معه رجلين ـ قيل لسفيان: سماهم عمرو؟ قال: سمى بعضهم قال عمرو: جاء معه برجلين وقال غير عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس ، وعباد بن بشر ـ قال عمرو جاء معه برجلين .

فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه ، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه ، قال مرة: ثم أشِمُكم ، فنزل إليهم متوشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب ، فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً ـ أي أطيب ـ وقال غير عمرو قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب . قال عمرو فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك

البيهقي: ٣/ ١٧٤ـ١٧٥ ، الآيات من: ٥١ـ٥٦ ، سورة المائدة .

قال: نعم فشمه ، ثم أشم أصحابه ثم قال: أتأذن لي ؟ قال: نعم فلما استمكن منه قال: دونكم ، فقتلوه ، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه »[1] .

تشييع النبي للصحابة الذين ذهبوا لقتل كعب بن الأشرف:

٣٠٨ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ مشى معهم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم فقال: (انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم)[2] .

وذكر في بقية الحديث كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

سبب قتله: إيذاء كعب بن الأشرف للمسلمين بهجائه لهم في شعره:

٣٠٩ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال: « إن كعب بن الأشرف اليهودي كان شاعراً وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض عليه كفار قريش في شعره ، وكان رسول الله ﷺ ، قدم المدينة وأهلها أخلاط منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوة رسول الله ﷺ ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة والحصون ، وهم حلفاء للحيين الأوس والخزرج، فأراد رسول الله ﷺ حين قدم المدينة استصلاحهم كلهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، والرجل يكون مسلماً وأخوه مشرك .

وكان المشركون واليهود من أهل المدينة حين قدم رسول الله ﷺ يؤذون رسول الله ﷺ وأصحابه أشد الأذى ، فأمر الله تعالى رسوله والمسلمين بالصبر على ذلك، والعفو عنهم ، ففيهم أنزل الله جل ثناؤه ﴿ **ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب**

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل كعب بن الأشرف رقم: ٤٠٣٧ ، فتح الباري: ٧/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧ . مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب قتل كعب بن الأشرف حديث رقم: ١٨٠١، ص: ١٤٢٥ـ١٤٢٦ وأبو داود في سننه كتاب الجهاد باب في العدو يؤخذ على حين غرة حديث رقم: ٢٧٦٨ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ١٩٥ ـ ١٩٦ . ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥١ـ٥٨ ، وابن كثير: ٣/ ٩ـ١٧ ، ابن سعد: ٢/ ٣١ ـ ٣٤ .

(٢) المطالب العالية: ٤٣١٢ ، وقال أخرجه إسحاق بن راهوية وإسناده حسن متصل ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٢١/ ٤٩ ، البزار كما في كشف الأستار: ٢/ ٣٣٠ـ٣٣١، والطبراني في الكبير: ١١/ ٢٢١ برقم: ١١٥٥٤ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٦ ، رواه أحمد والبزار والطبراني وفيه ابن إسحاق وهو مدلس وبقية رجاله ثقات ، قلت: وحسن إسناده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح: ٧/ ٣٣٨ ، وقال: وعند ابن إسحاق بسند حسن ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٥ـ٥٦ ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فزال التدليس .

من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ﴾[1].

وفيهم أنزل الله ﴿ ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره﴾[2].

فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى رسول الله ﷺ ، وأذى المسلمين. وأمر رسول الله ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رهطاً ليقتلوه ، فبعث إليه سعد . . .) .

وذكر نحواً من حديث جابر[3].

وهكذا طويت صفحة من صفحات الغدر ، ممثلة في هذا اليهودي الخبيث ، وارتاح المسلمون من عدو من ألد أعدائهم ، وأشدهم تحريضاً على الإسلام وأهله.

---

(١) الآية الكريمة: ١٨٦ من سورة آل عمران

(٢) الآية الكريمة: ١٠٩ من سورة البقرة .

(٣) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء (٣٠٠٠) ، والهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦، وقال رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، فتح الباري: ٧/ ٣٣٧ ، وعزاه إلى أبي داود والترمذي .

الفصل الرابع: غزوة أحد

المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة

١ـ تاريخ الغزوة

٣١٠ـ من طريق محمد بن إسحاق قال: « وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد ، فالتقوا يوم السبت في النصف من شوال »[1] .

٢ـ مشاورة النبي للصحابة للخروج وإخبارهم عن رؤياه:

٣١١ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (رأيت كأني في درع حصينة ، ورأيت بقراً منحرة ، فأولت أن الدرع الحصينة المدينة ، وأن البقر هو الله خير) قال: فقال لأصحابه: (لو أنا أقمنا بالمدينة فإن دخلوا علينا فيها قاتلناهم ؟ فقالوا: يا رسول الله ، والله ما دخل علينا فيها في الجاهلية ، فكيف يدخل علينا فيها في الإسلام ؟

قال عفان في حديثه: فقال: (شأنكم إذاً) ، قال: فلبس لأمته قال: فقالت الأنصار رددنا على رسول الله ﷺ رأيه فجاءوا فقالوا: يا نبي الله شأنك إذاً فقال: (إنه ليس لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل)[2] .

٣١٢ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « تنفل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، فقال: (رأيت في سيفي ذي الفقار فلاً ، فأولته فلاً يكون فيكم « أي انهزاماً » ورأيت أني مردف

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ١٢٤/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات.
★ البقر المذبوحة: يعني استشهاد اصحابه ﷺ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند:٣٥١/٣ ،الدارمي:١٢٩/٢ـ١٣٠، وعلق البخاري بعضه فتح الباري: ٢٨٤/١٣، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠٧/٦ ،رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقد جاء من مرسل عروة عند عبدالرزاق في المصنف:٣٦٤/٥ ومن مرسل الزهري وموسى بن عقبة في دلائل النبوة للبيهقي: ٢٠٨/٣.
★ ذا الفقار: سمي بذلك لأنه كانت فيه حفر حسان صغار ، والسيف المفقر الذي فيه حزوز مطمئنة عن متنه.
الفل: الثلم في السيف .

كبشاً ، فأولته كبش الكتيبة، ورأيت أني في درع حصينة ، فأولتها المدينة ،ورأيت بقراً تذبح، فَبقرٌ والله خير، فَبَقرٌ والله خير) فكان الذي قال رسول الله ﷺ»[1] .

٣١٣ـ ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (رأيت في رؤياي أني هززت سيفاً فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء به الله من الفتح واجتماع المؤمنين ، ورأيت فيها بقراً والله خير ، فإذا هم المؤمنون يوم أحد)[2] .

٣ـ مظاهرة النبي بين درعين وأخذه بالأسباب

٣١٤ـ من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: « إن النبي ﷺ يوم أحد أخذ درعين كأنه ظاهر بينهما »[3] .

٣١٥ـ ومن حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ حين ذهب لينهض إلى الصخرة وكان رسول الله ﷺ قد ظاهر بين درعين فلم يستطع أن ينهض . . . وذكر الحديث »[4].

٣١٦ـ وقد جاء أيضاً من طريق رجل من بني تيم يقال له معاذ: « أن رسول الله ﷺ ظاهر يوم أحد بين درعين »[5] .

---

(١) اخرجه الترمذي كتاب السير في النفل ضمن حديث رقم: ١٥٦١ ، وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في الجهاد باب السلاح رقم: ٢٨٠٨، واحمد في المسند: ١/ ٢٧١ ، والحاكم: ٢/ ١٢٨ـ٢٢١ وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي كما في البداية والنهاية: ٤/ ١١ ، بسند حسن ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ١٧/ ٢٢١: وسنده صحيح .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد حديث رقم: ٤٠٨١، ومسلم في كتاب الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم: ٢٢٧٢ ، وابن ماجه في سننه كتاب تعبير الرؤيا باب تعبير الرؤياحديث رقم: ٣٩٢١ ، وقد اورده البخاري مقطعاً ايضا: في كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة ، والتعبير باب إذا رأى بقراً تنحر ، واخرجه الدارمي: ٢/ ١٢٩ ، كتاب الرؤيا باب رؤية الرب ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٠٣ .

★ ظاهر: لبسهما فوق بعضهما.

(٣) اخرجه أبو داود في الجهاد باب لبس الدرع رقم: ٢٥٩٠ ، وابن ماجه في الجهاد باب في السلاح رقم: ٢٨٠٦ وقال البوصيري في الزوائد إسناده صحيح على شرط البخاري ، قلت: ورجال ابن ماجه كلهم ثقات .

(٤) اخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٥ ، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي والبيهقي في سننه: ٩/ ٤٦ .

(٥) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٠٨ ، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح .

٤ـ رجوع المنافقين وانخذالهم من أول الطريق

٣١٧ـ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « لما خرج رسول الله ﷺ إلى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه، وكان أصحاب النبي ﷺ فرقتين ، فرقة تقول نقاتلهم، وفرقة تقول: لا نقاتلهم . فنزلت ﴿ **فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا** ﴾ وقال: (إنها طيْبَةٌ تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الفضة)[(١)] .

٣١٨ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « نزلت هذه الآية فينا ﴿ **إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا** ﴾[(٢)] بنى سلمة وبني حارثة وما أحب أنها لم تنزل والله يقول ﴿ **والله وليهما** ﴾ »[(٣)].

٣١٩ـ وقد جاء من طريق ابن إسحاق قال: حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة ، وحصين بن عبدالرحمن . . . فذكر حديث الرؤيا حتى قال: « حتى خرج في ألف من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد ، انخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس وقال: أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ، و اتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام يقول:

« يا قوم ، أذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم عند من حضر من عدوهم ، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ، قال: فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف:

قال: أبعدكم الله ، أعداء الله ، فسيغني الله عنكم نبيه »[(٤)] .

٥ـ إعادة الكتيبة اليهودية التي خرجت لمساعدة المسلمين

٣٢٠ـ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « خرج رسول الله ﷺ يوم أحد حتى إذا خلف ثنية الوداع نظر وراءه فإذا كتيبة خشناء[(٥)] (قال: من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٥٠ ، ومسلم في صحيحه كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: ٢٧٧٦ ، والترمذي: ٨٩/٤ ، وقال حسن صحيح ، وأحمد: ٥/ ١٨٤ـ١٨٧ .

(٢) سورة آل عمران: ٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥١ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل الأنصار رقم: ٢٥٠٥ .

(٤) ابن هشام: ٢/ ٦٠ـ٦٤ وسنده حسن وهو مرسل .

(٥) خشناء كثيرة السلاح خشنة .

هذا ؟ قال: هو عبدالله بن أبي بن سلول في مواليه من اليهود من بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام فقال: أوقد أسلموا ؟ فقال: إنهم على دينهم قال: قل لهم فليرجعوا ، فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين) [(١)] .

٦ـ التنافس في الخروج بين صغار الشباب

استعرض الرسول ﷺ الشباب يوم خروجه إلى أحد ، فرد من استصغره منهم مثل ابن عمر والبراء وغيرهما ، وأجاز من رآه مطيقاً منهم مثل رافع بن خديج وسمرة ابن جندب ، وقيل إنما أجاز رسول الله ﷺ من أجاز لإطاقته ، ورد من رد لعدم إطاقته ، والصحيح أنه أجاز من أجاز لبلوغه بالسن خمس عشرة سنة ، ورد من رد لصغره عن سن البلوغ .

٣٢١ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن رسول الله ﷺ عرضني يوم أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني » [(٢)] .

٧ـ وضع الرماة على الجبل

٣٢٢ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « لقينا المشركين يومئذ ، وأجلس النبي ﷺ جيشاً من الرماة ، وأمر عليهم عبدالله وقال: (لا تبرحوا ، إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا ، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا) ، فلما لقينا هربوا ، حتى رأيت النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن قد بدت خلاخلهن ، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة فقال: عبدالله عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا ، فأبوا ، فلما أبوا صرف وجوههم ... فذكر الحديث » وسيأتي بقيته في مواطن أخرى يشار إليها هناك .

وقد جاء في لفظ أبي داود عنه « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد ـ وكانوا خمسين رجلاً ـ عبدالله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً ، وقال: (إن

---

(١) المطالب العالية: ٤٣١٩ ، وعزاه الحافظ ابن حجر لإسحاق بن راهويه وحسن إسناده ، وقال البوصيري: رواه إسحاق بإسناد حسن .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤٠٩٧ ، مسلم في الإمارة باب بيان سن البلوغ رقم: ١٨٦٨ ، أبو داود في سننه رقم: ٢٩٥٧ ، ٤٤٠٦ ، الترمذي رقم: ١٧١١ ، ١٣٦١ ، ابن ماجه رقم: ٢٥٤٣ ، النسائي: ٦/١٥٥ـ١٥٦ ، أحمد في المسند: ٢/١٧ ، الطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢/١٢٥ .

رأيتمونا تخطفنا الطير ، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) [١] .

٨ - من يأخذ هذا السيف بحقه:

٣٢٣- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أحد ، فقال: (من يأخذ مني هذا السيف بحقه ؟) فبسطوا أيديهم كل إنسان فيهم يقول: أنا أنا ، فقال: (من يأخذه بحقه ؟) فأحجم القوم فقال له سماك أبو دجانة: أنا آخذه بحقه ، قال فأخذه ففلق به هام المشركين » [٢] .

٣٢٤- وقد جاء من حديث الزبير رضي الله عنه قال: عرض رسول الله ﷺ سيفاً يوم أحد فقال: (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فقمت فقلت: أنا يا رسول الله ، فأعرض عني، ثم قال: (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فقمت فقلت: أنا يا رسول الله فأعرض عني ثم قال: من يأخذ هذا السيف بحقه ، فقام أبو دجانة سماك بن خرشة فقال: أنا آخذه يا رسول الله بحقه ؟ قال: (ألا تقتل به مسلماً ولا تغربه عن كافر) ، قال: فدفعه إليه وكان إذا أراد القتال أعْلَمَ بعصابة، قال: « لأنظرن إليه اليوم كيف يصنع، قال: فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ، حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل معهن دفوف لهن ، فيهن امرأة وهي تقول:

نحن بنات طارق ... نمشي على النمارق

ان تقبلوا نعانق ... ونبسط النمارق

إن تدبروا نفارق ... فراق غير وامق

قال: فأهوى بالسيف إلى امرأة ليضربها ، ثم كف عنها ، فلما انكشف القتال قلت له: كل عملك قد رأيت ما خلا رفعك السيف على المرأة ، ثم لم تضربها ، قال: أي والله أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أقتل به امرأة» [٣] .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي غزوة احد رقم: ٤٠٤٣ ، احمد: ٤/ ٢٩٣-٢٩٤ ، وابو داود في الجهاد في الكمناء رقم: ٢٦٦٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٢٩ - ٢٣٠ وقد جاء نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند احمد: ١/ ٢٨٧-٢٨٨ ، والحاكم: ٢/ ٢٩٦، ٢٩٧ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٢) اخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل ابي دجانة حديث رقم: ٢٤٧٠، احمد في المسند: ٣/ ١٢٣ والحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٣٠، وابن سعد في الطبقات: ٣/ ٥٥٦، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣ .

(٣) اخرجه البيهقي في دلائل النبوة: ٣/ ٢٣٣ ، والبزار انظر كشف الأستار رقم: ١٧٨٧ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٠٩ رواه البزار ورجاله ثقات .

المبحث الثاني: مشاهد من المعركة

١ـ هزيمة المشركين في بداية المعركة

٣٢٥ـ من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « والله لقد رأيتني أنظر إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير، إذ مالت الرماة إلى العسكر حين كشفنا القوم عنه، وخلوا ظهورنا للخيل، فأتينا من خلفنا، وصرخ صارخ ألا إن محمد قتل، فانكفأنا، وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنوا منه أحد من القوم »[١].

وقد جاء بزيادة في رواية إسحاق بن راهوية عن الزبير فقال: « والله إني لأنظر يومئذ إلى خدم النساء مشمرات يسعين حين انهزم القوم، وما أرى دون أخذهن شيئاً، وإنا لنحسبهم قتلى ما يرجع إلينا منهم أحد، ولقد أصيب أصحاب اللواء، وصبروا عنده حتى صار إلى عبد لهم حبشي يقال له (صواب)، ثم قتل صواب، فطرح اللواء فلم يقربه أحد من خلق الله، حتى وثبت إليه عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته لهم، وثاب إليه الناس، قال: الزبير: فوالله إنا لكذلك قد علوناهم وظهرنا عليهم، إذ خالفت الرماة عن أمر الرسول ﷺ فجعلوا يأخذون الأمتعة، فأتتنا الخيل فحطمتنا، وكر الناس منهزمين، فصرخ صارخ يرون أنه الشيطان: ألا إن محمداً قد قتل. فأعظم الناس وركب بعضهم بعضاً فصاروا أثلاثاً: ثلثاً جريحاً، وثلثاً مقتولاً، وثلثاً منهزماً، قد بلغت الحرب، وقد كانت الرماة اختلفوا فيما بينهم، فقالت طائفة: روا الناس وقعوا في الغنائم، وقد هزم الله المشركين وأخذ المسلمون الغنائم، فماذا تنتظرون ؟ وقالت طائفة: قد تقدم إليكم رسول الله ﷺ ونهاكم أن تفارقوا مكانكم إن كانت عليه أوله، فتنازعوا في ذلك، ثم إن الطائفة الأولى من الرماة أبت أن تلحق بالعسكر، فتفرق القوم، وتركوا مكانهم، فعند ذلك حملت خيل المشركين »[٢].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح انظر سيرة ابن هشام: ٢/ ٧٧، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٢٨، والطبري في تاريخه: ٢/ ٥١٣ من طريق ابن إسحاق به،

★ خدم: الخلاخيل روا: فعل أمر من رأى أي انظروا.

(٢) أخرجه إسحاق بن راهويه كما في المطالب العالية رقم: ٤٣١٣، وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله هذا إسناد صحيح له شاهد من حديث البراء في الصحيح.

٢ـ استشهاد حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله

٣٢٦ـ من حديث وحشي بن حرب الذي رواه عنه: جعفر بن عمرو بن أمية الضمْري قال: خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار إلى الشام فلما قدمنا حمص قال لي عبيدالله: هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت: نعم ، وكان وحشي يسكن حمص ، قال: فسألنا عنه فقيل لنا: هو ذاك في ظل قصره كأنه حميت.

قال: فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير ، فسلمنا ، فرد السلام ، قال: وعبيدالله معتجر بعمامته ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه ، فقال عبيدالله: يا وحشي أتعرفني ؟ قال: فنظر إليه ثم قال: لا والله ، إني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة فكنت استرضع له، فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكأني أنظر إلى قدميك ، قال: فكشف عبيدالله عن وجهه ثم قال: الا تخبرنا بقتل حمزة ؟

قال: نعم ؟ إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ، فقال لي مولاي جبير ابن مطعم ، إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ، قال: فلما أن خرج الناس عام عينين ـ وعينين جبل بحيال أحد ـ وبينه وبينه واد ـ خرجت مع الناس إلى القتال . فلما ، اصطفوا للقتال خرج سباع فقال: هل من مبارز ؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبدالمطلب ، فقال: يا سباع يا ابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحاد الله ورسوله ﷺ؟ قال: ثم شد عليه ، فكان كأمس الذاهب .

قال: وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثنته حتى خرجت من بين وركيه ، قال: فكان ذاك العهد به ، فلما رجع الناس رجعت معهم ، فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ رسلاً ، فقيل لي: إنه لا يهيج الرسل ، قال: فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ﷺ فلما رآني قال: (أنت وحشي)، قلت: نعم ، قال: (أنت قتلت حمزة ؟) قلت: قد كان من الأمر ما بلغك . قال: (فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني ؟) .

قال: فخرجت ، فلما قبض رسول الله ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب ، قلت: لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة ، قال: فخرجت مع الناس ،

فكان من امره ما كان ، قال: فإذا رجل قائم في ثلمة جدار كأنه جمل أورق ثائر الرأس ، قال فرميته بحربتي ، فاضعها بين ثديبه حتى خرجت من بين كتفيه، قال: ووثب رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته »[1] .

قال: قال عبدالله بن الفضل ، فاخبرني سليمان بن يسار أنه سمع عبدالله بن عمر يقول: « فقالت جارية على ظهر بيت ، امير المؤمنين قتله العبد الأسود » .

سؤال النبي عمن رأى مقتل حمزة:

٣٢٧ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ قال يوم احد: (من رأى مقتل حمزة ؟) فقال رجل أعزل: أنا رايت مقتله ، قال: (فانطلق أرناه) فخرج رسول الله ﷺ حتى وقف على حمزة ، فرآه وقد شق بطنه ، وقد مثل به ، فقال: يا رسول الله ، مثل به والله ، فكره رسول الله ﷺ أن ينظر إليه ، ووقف بين ظهراني القتلى فقال: (أنا شهيد على هؤلاء ، كفنوهم في دمائهم فإنه ليس جرح يجرح في الله إلا جاء يوم القيامة يدمي ، لونه لون الدم ، وريحه ريح المسك ، قدموا أكثرهم قرآناً فاجعلوه في اللحد)[2] .

تألم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمقتل حمزة:

٣٢٨ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « لما بلغ النبي ﷺ قتل حمزة بكى فلما نظر إليه شهق »[3] .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب قتل حمزة بن عبدالمطلب رقم: ٤٠٧٢ ، واحمد في المسند: ٣/٥٠١، ودلائل النبوة للبيهقي: ٣/٢٤١ والطبري في تاريخه مختصراً: ٢/٥١٦ ـ ٥١٧ .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٥ ، ونسبه إلى أبي بكر من أبي شيبة ، وقال البوصيري فيه: رواته ثقات كما في التعليق عليه ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١١٩ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ـ ومقطع الحديث (أنا شهيد على هؤلاء) أخرجه البخاري في المغازي باب من قتل من المسلمين بأحد: ٤٠٧٩ وابو داود في الجنائز باب في الشهيد يغسل: ٣١٣٨ الترمذي في الجنائز باب ترك الصلاة على الشهيد: ١٠٣٦ ، والنسائي في الجنائز باب ترك الصلاة عليهم: ٣/٦٢ ، وابن ماجه في الجنائز ، باب ما جاء في الصلاة على الشهداء: ١٥١٤ ، من حديث جابر به .

(٣) كشف الأستار: ١٧٩٤ ، وقال الهيثمي: ٦/١١٨ ، رواه البزار وفيه عبدالله بن محمد ابن عقيل وهو حسن الحديث على ضعفه

تكفين حمزة رضي الله عنه:

٣٢٩- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قتل حمزة يوم أحد وقتل رجل من الأنصار ، فجاءته صفية بنت عبدالمطلب بثوبين ليكفن فيهما حمزة، فلم يكن للأنصاري كفن فأسهم النبي ﷺ بين الثوبين ، ثم كفن كل واحد منهما في ثوب »[١].

٣٣٠- من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه قال: « أنا مع رسول الله ﷺ على قبر حمزة بن عبدالمطلب ، فجعلوا يجرون النمرة[٢] على وجهه فينكشف قدماه ، ويجرونها على قدميه فينكشف وجهه ، فقال رسول الله ﷺ: (اجعلوها على وجهه واجعلوا على قدميه من هذا الشجر) قال فرفع رسول الله ﷺ رأسه فإذا أصحابه يبكون فقال رسول الله ﷺ: (يأتي على الناس زمان يخرجون إلى الأرياف والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، لا يصبر على لأوائها[٣] وشدتها أحد إلا كنت له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة)[٤].

صبر صفية:

٣٣١- من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: « إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى حتى كادت أن تشرف على القتلى ، قال فكره النبي ﷺ أن تراهم فقال: المرأة المرأة .

قال الزبير فتوسمت أنها صفية قال: فخرجت أسعى إليها ، قال فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى . قال: فلدمت في صدري وكانت امرأة جلدة ، قالت: إليك عني لا أرض لك ، فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليك .

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٢٠ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، انظر الطبراني في المعجم الكبير: ١٢١٥٢ .

★ النمرة: الثوب المخطط من مآزر الأعراب .

(٢) لدمت: ضربت ودفعت

(٣) لأوائها: شدتها وضيق المعيشة فيها .

(٤) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٢ ، وعزاه إلى أبي بكر بن أبي شيبة وسكت عنه البوصيري وقال في المجمع: ٦/١١٩ رواه الطبراني ورجاله ثقات .

قال: فوقفت وأخرجت ثوبين معها فقالت: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة فقد بلغني مقتله ، فكفنوه فيهما قال فجئنا بالثوبين لنكفن فيهما حمزة فإذا إلى جنبه رجل من الأنصار قتيل فعل به كما فعل بحمزة ، قال: فوجدنا غضاضة وخنى أن يكفن حمزة في ثوبين والأنصاري لا كفن له ، فقلنا لحمزة ثوب وللأنصاري ثوب ، فقدرناهما فكان أحدهما أكبر من الآخر فأقرعنا بينهما ، فكفنا كل واحد منهما في الثوب الذي طار له »[1].

٣٣٢ـ من حديث ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم قالا: « لما رجع رسول الله ﷺ من أحد سمع نساء الأنصار يبكين فقال: (لكن حمزة لا بواكي له) فبلغ ذلك نساء الأنصار فبكين حمزة فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهن يبكين فقال: (يا ويحهن ما زلن يبكين منذ اليوم فليبكين ، ولا يبكين على هالك بعد اليوم)[2].

٣٣٣ـ من حديث وحشي قال: « أتيت النبي ﷺ فقال لي: (وحشي) قلت: نعم ، قال: (قتلت حمزة؟) ، قلت: نعم ، والحمدلله الذي أكرمه بيدي ولمْ يهني بيده ، فقالت له قريش: أتحبه وهو قاتل حمزة ؟ فقلت: يا رسول الله فاستغفر لي ، فتفل رسول الله ﷺ في الأرض ثلاثة ، ودفع في صدري ثلاثة وقال: (وحشي أخرج فقاتل في سبيل الله كما قاتلت لتصد عن سبيل الله)[3] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ١٦٥ ، والبزار كما في كشف الأستار رقم: ١٧٩٧ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١١٨ : رواه أحمد وأبو يعلى والبزار وفيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو ضعيف وقد وثق » وأخرجه البيهقي في السنن: ٤/ ٤٠١ ـ ٤٠٢ ، وفي الدلائل: ٣/ ٢٩٠ وأبو يعلى الموصلي رقم: ٦٨٦ ، واسناد هذا الحديث حسن فابن أبي الزناد قال ابن معين فيه: اثبت الناس في هشام بن عروة ، وقال ابن المديني: ما حدث بالمدينة فصحيح وما حدث ببغداد افسده البغداديون . تهذيب التهذيب: ٦/ ١٧١ ـ ١٧٢ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في البكاء على الميت: ١٥٩١ ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٧/ ١٠٦ ـ ١٠٧ وقال الساعاتي سنده جيد قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢٠ رواه أبو يعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح قلت: واسناد ابن ماجه على شرط مسلم .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢١ : رواه الطبراني وإسناده حسن ، انظر الطبراني في الكبير: ٢٢/ ١٣٩ رقم: ٣٧٠ .

٣ـ أنس بن النضر وشجاعته:

٣٣٤ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « عَمِّي الذي سميت به[١] لم يشهد مع رسول الله ﷺ بدراً . قال: فشق عليه . قال: أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غُيبت عنه ، وإن أراني الله مشهداً ، فيما بعد ، مع رسول الله ﷺ ليراني الله ما أصنع ، قال: فهاب أن يقول غيرها[٢] .

قال: فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال: فاستقبل سعد بن معاذ فقال له: يا أبا عمرو أين ؟ واهاً لريح الجنة أجده دون أحد . فقاتلهم حتى قتل . قال: فوجد في جسمه بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية ، قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه ، ونزلت هذه الآية ﴿رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾[٣] .

فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه » وهذا لفظ مسلم[٤] .

وفي لفظ البخاري زيادة أذكرها للفائدة: « فلقي يوم أحد فهزم الناس فقال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المسلمين ـ وأبرأ إليك مما جاء به المشركون ـ فتقدم بسيفه ، فلقي سعد بن معاذ فقال: أين يا سعد ؟ إني أجد ريح الجنة دون أحد فمضى فقتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بشامة ـ أو ببنانه ـ وبه بضع وثمانون: من طعنة وضربة ورمية بسهم » .

٣٣٥ـ ومن طريق ابن إسحاق قال: وحدثني القاسم بن عبدالرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار: « قال انتهى أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله ، في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم ، فقال ما يجلسكم ؟ قالوا: قتل رسول الله ﷺ . قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم استقبل القوم ، فقاتل حتى قتل »[٥] .

---

(١) عمي الذي سميت به: اي بإسمه وهو أنس بن النضر

(٢) مخافة ان يقول شيئاً يعجز عن فعله

(٣) الأحزاب آية: ٢٣ .

(٤) اخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٨ ، مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٩٠٣، الترمذي رقم: ٣١٩٨ ، ٣١٩٩، وقال حسن صحيح، وأحمد في المسند: ٣/ ١٩٤، ٢٠١، ٢٥٣، والطيالسي:٢/ ٢٢، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ١٢١، ابن جرير الطبري في التفسير:٢١/ ١٤٧، وابن كثير في التفسير: ٣/ ٤٧٥.

(٥) اخرجه ابن هشام في السيرة: ٢/ ٨٣ ، وصرح ابن إسحاق بالتحديث ، والقاسم بن عبدالرحمن ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ٧/ ١٣ ، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً ، واخرجه الطبري في تاريخه: ٢/ ٥١٧ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٤٥ من طريق ابن إسحاق به .

٤ـ أبو عامر الفاسق وتحريضه على المسلمين يوم أحد:

٣٣٦ـ من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني عاصم بن قتادة: « أن أبا عامر، عبد عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان، أحد بني ضبيعة، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعداً لرسول الله ﷺ، معه خمسون غلاماً من الأوس، وبعض الناس كان يقول: كانوا خمسة عشرة رجلاً، وكان يعد قريشاً أن لو قد لقي قومه لم يختلف عليه منهم رجلان، فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة، فنادى: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق ـ وكان أبو عامر يسمى في الجاهلية: الراهب، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق ـ فلما سمع ردهم عليه، قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ثم راضخهم بالحجارة »[1].

٥ـ رجل يستطيل حياته:

٣٣٧ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: قال رجل يوم أحد: يا رسول الله إن قتلت فأين أنا؟ قال: (في الجنة)، فألقى ثمرات في يده وقاتل حتى قتل »[2].

قال الحافظ في الفتح « وزعم ابن بشكوال أنه عمير بن الحمام، وسبقه إلى ذلك الخطيب، واحتج بما أخرجه مسلم من حديث أنس (أن عمير بن الحمام أخرج ثمرات فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل ثمراتي هذه إنها لحياة طويلة، ثم قاتل حتى قتل.

قلت: لكن وقع التصريح في حديث أنس أن ذلك كان يوم بدر، والقصة التي في الباب وقع التصريح في حديث جابر أنها كانت يوم أحد، فالذي يظهر أنهما قصتان وقعتا لرجلين، والله أعلم، وفيه (الحديث) ما كان عليه الصحابة من حب نصر الإسلام، والرغبة في الشهادة ابتغاء مرضاة الله »[3].

---

(١) أخرجه ابن هشام: ٦٧/٢ والطبري في تاريخه: ٥١٢/٢، وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٦، مسلم في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ١٨٩٩، النسائي في الجهاد باب ثواب من قتل في سبيل الله عزّ وجلّ: ٣٣/٦، أحمد في المسند: ٣٠٨/٣، الحميدي برقم: ١٢٤٩، دلائل النبوة للبيهقي: ٢٤٣/٣.

(٣) فتح الباري: ٣٥٤/٧.

٦ـ كافر تصيبه دعوته:

٣٣٨ـ من حديث بريدة رضي الله عنه قال: « أن رجلاً قال يوم أحد اللهم إن كان محمداً على الحق فاخسف بي قال فخسف به »[(١)] .

٧ـ حنظلة الغسيل:

٣٣٩ـ من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: « سمعت رسول الله ﷺ يقول عند قتل حنظلة بن أبي عامر بعد أن التقى هو وأبو سفيان حين علاه شداد بن الأسود بالسيف فقتله ، فقال رسول الله ﷺ: (إن صاحبكم تغسله الملائكة فاسألوا صاحبته) فقالت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال رسول الله ﷺ: (لذلك غسلته الملائكة) »[(٢)] .

٣٤٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أصيب حمزة بن عبدالمطلب ، وحنظلة بن الراهب ، وهما جنب فقال رسول الله ﷺ: (رأيت الملائكة تغسلهما) »[(٣)] .

٨ـ جرح الرسول عليه الصلاة والسلام يوم أحد:

٣٤١ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيهم ـ يشير إلى رباعيته ـ ، اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ﷺ) »[(٤)] .

٣٤٢ـ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « حين سئل عن جرح الرسول ﷺ يوم أحد ـ جرح وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته ،

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم: ١٧٩٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢٢ ، رواه البزار ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه الحاكم: ٣/ ٢٠٤ـ٢٠٥ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، والبيهقي: ٤/ ١٥ من حديث ابن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن جده وسنده صحيح ورواه الطبراني في الكبير وفي لفظه اختلاف انظر مجمع الزوائد: ٣/ ٢٣ ، وقال الهيثمي: وإسناده حسن، وله شاهد من حديث ابن عباس يأتي بعده .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٣/ ٢٣ ، رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد رقم: ٤٠٧٣ ، مسلم في الجهاد والسير باب اشتداد غضب الله تعالي على من قتله رسول الله رقم: ١٧٩٣ ، وأحمد في المسند: ٢/ ٢٥٥ .

وهشمت البيضة على رأسه ، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم ، وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجن ، فلما رأت فاطمة الماء لا يزيد الدم إلا كثرة ، أخذت قطعة من حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم » اللفظ لمسلم (1).

٣٤٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ويقول: (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله) فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ﴿ ليس لك من الأمر شيء ﴾ (2) (3).

وقد جاء أيضاً من حديث ابن عباس عند البخاري رقم: (٤٠٧٤ ، ٤٠٧٦)، وابن عمر رحمهما الله تعالى عند البخاري رقم: (٤٠٦٩ ، ٤٠٧٠) .

حال الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو يمسح الدم

٣٤٤ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه ،وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: (رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) (4) .

٩ـ شهيد لم يصل لله ركعة

٣٤٥ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن عمرو بن أقيش كان له رباً في الجاهلية ، فكره أن يسلم حتى يأخذه فجاء يوم أحد ، فقال: أين بنو

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم احد رقم: ٤٠٧٥ ، مسلم في الجهاد والسيرة غزوة أحد رقم: ١٧٩٠ ، وأحمد في المسند: ٥/ ٣٣٠ ، ٣٣٤، ابن ماجه في سننه كتاب الطب باب دواء الجراحة رقم: ٣٤٦٤ .

(٢) آل عمران: ١٢٨

(٣) اخرجه البخاري في المغازي باب ليس لك من الأمر شيء في ترجمة الباب معلقاً فتح الباري: ٧/ ٣٦٥، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم: ١٧٩١ ، والترمذي في كتاب التفسير باب ومن سورة آل عمران رقم: ٣٠٠١، ٣٠٠٢ وقال حديث حسن صحيح، وابن ماجه برقم: ٤٠٢٧، وأحمد في المسند: ٣/ ٩٩، ١٧٨ ، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٥٣، ٢٨٨ .

(٤) اخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء باب ٥٤، باب حديث بينما امرأة ترضع ابنها إذ مر بها راكب رقم: ٣٤٧٧ ، مسلم في الجهاد باب غزوة أحد رقم: ١٧٩٢ ، ابن ماجه في الفتن باب الصبر على البلاء رقم: ٤٠٢٥ .

عمي ؟ قالوا: بأحد ، قال: أين فلان قالوا: بأحد ، قال: أين فلان ؟ قالوا: بأحد . فلبس لأمته وركب فرسه ، ثم توجه قبلهم فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو ، قال: إني قد آمنت ، فقاتل حتى جرح ، فحمل إلى أهله جريحاً، فجاء سعد بن معاذ ، فقال لأخته: سليه حمية لقومك ، أو غضباً لهم ، أم غضباً لله عزّ وجلّ ، قال: بل غضباً لله - عزّ وجلّ - ورسوله ، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة»[1] .

١٠ـ مقتل اليمان والد حذيفة على يد المسلمين خطأ .

٣٤٦ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما كان يوم أحد هزم المسلمون ، فصرخ إبليس لعنة الله عليه: أي عباد الله ، أخراكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هي وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه اليمان فقال: أي عباد الله أبي أبي . قال: قالت: فوالله ما احتجزوا حتى قتلوه ، فقال حذيفة: يغفر الله لكم ، قال عروة: فوالله ما زالت في حذيفة بقية خير حتى لحق بالله »[2] .

وقد جاء زيادة عند ابن هشام عن ابن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد فقال حذيفة: « قتلتم أبي ! قتلتم أبي ! قالوا: والله ما عرفناه وصدقوا ، فقال حذيفة: يغفر الله لكم فأراد رسول الله ﷺ أن يديه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ، فزاده ذلك عند رسول الله ﷺ خيراً »[3] .

١١ـ عبدالله بن جحش وسعد ودعوتان مستجابتان:

٣٤٧ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن عبدالله بن جحش قال له يوم أحد الا تدعو الله، فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا لقيت

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله عزّ وجلّ رقم: ٢٥٣٧ ، وأحمد في المسند٥/ ٤٢٨ـ٤٢٩ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٤٧ - ٢٤٨ وابن هشام: ٢/ ٩٠ ، وسنده حسن ، وقد رواه أحمد وابن هشام بسند آخر عن أبي هريرة عن ابن إسحاق قال حدثني الحصين بن عبدالرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبي سفيان مولى أبي أحمد عن أبي هريرة هذا السند رجاله ثقات ، وقال الحافظ في الإصابة: ٢/ ٥١٩: هذا إسناد حسن .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٦٥ ، وفي المناقب الأنصار باب ذكر حذيفة بن اليمان رقم: ٣٧٢٤ ، ابن سعد: ٢/ ٤٥ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٧٩: والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٣٠ - ٢٣١ .

(٣) أخرجه ابن هشام: ٢/ ٨٧ - ٨٨ والطبري في تاريخه: ٢/ ٥٣٠ من طريق ابن إسحاق، وسنده حسن رجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث فسنده متصل .

العدو ، فلقني رجلاً شديداً بأسه ، شديداً حرده ، أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله ، وآخذ سلبه ، فأمن عبدالله بن جحش ، ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده ، شديداً بأسه ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتك غداً ، قلت: من جدع أنفك وأذنك ، فأقول: فيك وفي رسولك ، فتقول صدقت: قال سعد: يا بني كانت دعوة عبدالله بن جحش خيراً من دعوتي ، لقد رأيته آخرَ النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقان في خيط[1].

١٢ـ عمرو بن الجموح ورجاؤه أن يطأ في الجنة بعرجته:

٣٤٨ـ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: « أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة ؟ وكانت رجله عرجاء ، فقال: رسول الله ﷺ: (نعم) ، فقتلوا يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم ، فمر رسول الله ﷺ ، فقال: (كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة) فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد »[2].

وقد جاء بلفظ آخر من طريق ابن إسحاق قال: وحدثني أبي إسحاق بن يسار عن أشياخ من بني سلمة: أن عمرو بن الجموح كان رجلاً أعرج شديد العرج ، وكان له بنون أربعة مثل الأسد يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد عذرك ، فأتى رسول الله ﷺ (فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة ، فقال رسول الله ﷺ: أما أنت فقد عذرك الله ؛ فلا جهاد عليك) وقال لبنيه: (ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة) فخرج معه فقتل يوم أحد »[3].

---

(١) أخرجه الحاكم: ٣/١٩٩ـ ٢ ، وقال صحيح على شرطهما لولا إرساله ، ووافقه الذهبي وقال: صحيح مرسل وابن سعد: ٣/٦٣، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/٣٠١ ـ٣٠٢: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح ، وله شواهد متصلة من طريق إسحاق بن سعد بن أبي وقاص كما في الإصابة ترجمة رقم: ٤٥٨٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى: ٦/٣٠٧ ـ ٣٠٨ موصولاً من حديث إسحاق بن سعد .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٥/٢٩٩ وحسن إسناده الحافظ في الفتح، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/٣١٥: رجاله رجال الصحيح غير يحيى بن نصر الأنصاري وهو ثقة .

(٣) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٢/٩٠ـ ١٩ والبيهقي في الدلائل: ٣/٢٤٦ ، وسنده حسن إن كان الأشياخ من الصحابة وإلا فهو مرسل ورجاله ثقات .

١٣ـ سعد بن الربيع ووصيته:

٣٤٩ـ من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: « بعثني رسول الله ﷺ يوم أحد لطلب سعد بن الربيع ، وقال لي: (إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟) قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأصبته، وهو في آخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح ، وضربة بسيف، ورمية بسهم فقلت له: يا سعد ! إن رسول الله ﷺ يقرأ عليك السلام ويقول لك: اخبرني كيف تجدك؟ قال: على رسول الله ﷺ وعليك السلام ، قل له: يا رسول الله أجد ريح الجنة ، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم شفر[١] يطرف، قال: وفاضت نفسه رحمه الله »[٢] .

١٤ـ سعد بن أبي وقاص ودفاعه عن النبي يوم أحد:

٣٥٠ـ من حديث أبي عثمان النهدي قال: « لم يبق مع النبي ﷺ في تلك الأيام التي كان يقاتل بها رسول الله غير طلحة وسعد عن حديثهما»[٣] .

٣٥١ـ من حديث علي كرم الله وجهه: قال: « ما سمعت النبي ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد بن مالك ، فإني سمعته يقول يوم أحد: (يا سعد ارم فداك أبي وأمي) »[٤] .

٣٥٢ـ من حديث سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « نثل لي النبي ﷺ كنانته يوم أحد فقال: (ارم فداك أبي وأمي)»[٥] .

---

(١) شفر: العين .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٠١ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي من غير طريق ابن إسحاق ، وقد جاء في سيرة ابن هشام: ٢/ ٩٤ ـ ١٥ والطبري في تاريخه: ٢/ ٥٢٨ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٤٨ ، من طريق ابن إسحاق وقال حدثني محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي صعصعة المازني أخو بني النجار والإسناد صحيح إلا أنه مرسل ، وقد جاء في المطالب العالية رقم: ٤٣١٧، عن عمرو بن يحيى المازني وعزاه لإسحاق بن راهويه وصحح إسناده البوصيري إلا أنه مرسل وجاء أيضاً من مرسل يحيى بن سعيد أخرجه مالك في الجهاد وباب الترغيب في الجهاد: ٢/ ٢١ بهامش تنوير الحوالك ، ومن طريقه أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٣/ ٥٢٣ وبهذه الطرق يكون الحديث صحيحاً.

(٣) أخرجه البخاري في الفضائل: ٣٧٢٣ ، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٦٠ ، ٤٠٦١ ، ومسلم في الفضائل رقم: ٢٤١٤ .

(٤) أخرجه البخاري رقم: ٢٩٠٥ ، وفي المغازي إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا أرقام: ٤٠٥٨ ، ٤٠٥٩، وجاء أيضاً برقم: ٦١٨٤ ، مسلم في الفضائل رقم: ٢٤١١ ، الترمذي: ٣٧٥٦ ، وابن ماجه رقم: ١٢٩، المقدمة ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٩ ، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٧ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥٥ .
نثل: استخرج ما فيها من السهام .
الكنانة: جعبة السهام .

٣٥٣ـ من حديث سعيد بن المسيب عن سعد بن أبي وقاص قال: « جمع لي رسول الله ﷺ يوم أحد أبويه كليهما ـ يريد حين قال: (فداك أبي وأمي) ـ وهو يقاتل »[١].

١٥ـ طلحة بن عبيد الله ودفاعه عن رسول الله يوم أحد:

٣٥٤ـ من حديث قيس قال: « رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي يوم أحد شلاء »[٢].

٣٥٥ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد ، وولى الناس، كان رسول الله ﷺ في ناحية في اثنى عشر رجلاً منهم طلحة ، فأدركهم المشركون فقال النبي ﷺ: (من للقوم ؟) قال: طلحة: أنا ، قال: (كما أنت)، فقال رجل: أنا ، قال: (أنت) ، فقاتل حتى قتل ، ثم التفت فإذا المشركون ، فقال: (من لهم ؟) قال طلحة: أنا ، قال: (كما أنت) ، فقال رجل من الأنصار: أنا ، قال: (أنت) فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك حتى بقي مع نبي الله طلحة ، فقال: (من للقوم ؟) قال: طلحة: أنا ، فقاتل طلحة قتال الأحد عشر حتى قطعت أصابعه ، فقال: حسس ، فقال: رسول الله ﷺ: (لو قلت باسم الله ، لرفعتك الملائكة والناس ينظرون) ثم رد الله المشركين[٣].

٣٥٦ـ من حديث الزبير رضي الله عنه قال: « كان على النبي يوم أحد درعان، فنهض إلى الصخرة فلم يستطع ، فقعد طلحة تحته حتى استوى على الصخرة ، قال الزبير فسمعت النبي ﷺ يقول: (أوجب طلحة) »[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في الفضائل رقم: ٣٧٢٥ ، وفي المغازي إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا رقم: ٤٠٥٥، ٤٠٥٦ ، ٤٠٥٧ ، ومسلم في الفضائل رقم: ٢٤١٢ ، الترمذي: ٣٧٥٥ ، وابن ماجه رقم: ١٣٠ في المقدمة ، وأحمد في المسند: ١/ ١٧٤ـ ١٨٠ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب طلحة رقم: ٣٧٢٤ ، وفي المغازي باب إذ همت طائفتان رقم: ٤٠٦٣ ، وابن ماجه في المقدمة رقم: ١٢٨ ، وأحمد في المسند: ١/ ١٦١ .

(٣) أخرجه النسائي: ٦/ ٢٩ـ٣٠ في الجهاد باب ما يقول من يطعنه العدو ، ورجاله ثقات كما قال الذهبي وأخرج الحاكم معناه: ٣/ ٣٦٩.

(٤) أخرجه الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الدرع: ١٦٩٢ ، وفي المناقب باب مناقب طلحة رقم: ٣٧٣٩ ، وقال حسن غريب ، وأحمد: ١/ ١٦٥، وصححه الحاكم: ٣/ ٣٧٤ ، ووافقه الذهبي وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث في رواية أحمد ، فزالت شبهته تدليسه فالحديث بذلك صحيح والله أعلم .

١٦ـ أبو طلحة الأنصاري ودفاعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٥٧ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد انهزم ناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يديه مجوباً عليه بحجفة ، وكان رامياً شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل ، فيقول رسول الله ﷺ: (انثرها لأبي طلحة) ، ثم يشرف إلى القوم . فيقول أبو طلحة: يا نبي الله بأبي أنت، لا تشرف الا يصيبك سهم ، نحري دون نحرك»[1] .

١٧ـ مصعب بن عمير رضي الله عنه وعدم توفر كفن لدفنه

٣٥٨ـ من حديث خباب رضي الله عنه قال: « هاجرنا مع رسول الله ﷺ ونحن نبتغي وجه الله فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى بسبيله لم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه ، فقال رسول الله ﷺ: (غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الأذخر)، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها»[2] .

٣٥٩ـ من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه « أتى بطعام ، وكان صائماً ، فقال: قتل مصعب بن عمير ، وهو خير مني ، كفن في بردة ، إن غطي رأسه بدت رجلاه ، وإن غطي رجلاه بدا رأسه ، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني ، ثم بسط لنا من الدنيا أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الأنصار باب مناقب أبي طلحة رقم: ٣٨١١ ، وفي المغازي باب إذ همت طائفتان أن تفشلا رقم: ٤٠٦٤ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال رقم: ١٨١١ ، وأحمد في المسند: ٣/ ١٠٥، ٢٥٦ ، ٢٨٦ وعنده قوله أبو طلحة للنبي « إني جلد » .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب إذا لم يجد كفناً إلا ما يواري رأسه أو قدميه رقم: ١٢٨٦ ، في مناقب الأنصار باب هجرة النبي: ٣٨٩٧، ٣٩١٤ ، وفي المغازي باب غزوة أحد: ٤٠٤٧، باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٨٢، وفي الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا رقم: ٦٤٣٢ ، باب فضل الفقر: ٦٤٤٨ ، مسلم في الجنائز باب كفن الميت رقم: ٩٤٠، أبو داود: ٣١٥٥ ، في الجنائز الترمذي في المناقب: ٣٨٥٢، والنسائي في الجنائز، باب القميص من الكفن: ٤/ ٢٨ ، أحمد في المسند: ٥/ ١١٢.

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الكفن من جميع المال رقم: ١٢٧٤، ١٢٧٥، وفي المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٥ .

٣٦٠ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه ، فوقف عليه، ودعا له ، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً** ﴾[١] . ثم قال رسول الله ﷺ: (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة ، فأتوهم وزوروهم ، والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه) »[٢].

١٨ـ عبدالله بن عمرو بن حرام وإظلال الملائكة له:

٣٦١ـ من حديث جابر بن عبدالله قال: « لما قتل أبي يوم أحد ، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي ، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه ، فقال النبي ﷺ: (تبكيه ، أو لا تبكيه ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتى رفعتموه » [٣].

استخراجه وإعادة دفنه بعد ستة أشهر:

٣٦٢ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال أبي: «أرجو أن أكون في أول من يصاب غداً ، فأوصيك بناتي خيراً ، فأصيب ، فدفنته مع آخر ، فلم تدعني نفسي حتى استخرجته ودفنته وحده بعد ستة أشهر ، فإذا الأرض لم تأكل منه شيئاً إلا بعض شحمة أذنه »[٤] .

تكليم الله تعالى لعبدالله بن حرام كفاحاً:

٣٦٣ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: (ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً ، فقال: يا عبدي ! سلني أعطك ، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا فأقتل فيك ثانياً ، فقال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا

---

(١) الأحزاب: ٢٣ .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٠٠ ، وقال هذا حيث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت رقم: ١٢٤٤، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٨٠ ، مسلم في الفضائل باب من فضائل عبدالله بن عمرو بن حرام رقم: ٢٤٧١، والنسائي في الجنائز باب في البكاء على الميت: ٤/ ١٣، وأحمد في المسند: ٣/ ٢٩٨، ٣٠٧.

(٤) أخرجه البخاري في الجنائز باب هل يخرج الميت من القبر وللحد لعلة رقم: ١٣٥١، ١٣٥٢، الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٠٣ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وابن سعد: ٣/ ٢/ ١٠٦ .

يرجعون . قال: يارب! فأبلغ من ورائي ، فأنزل الله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾[1][2].

١٩ـ الأنصار السبعة الذين ضحوا بأنفسهم لحماية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٦٤ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: (أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش فلما رهقوه[3] ، قال: (من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة) ، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً ، فقال: (من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقي في الجنة) فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، فلم يزل كذلك ، حتى قتل السبعة ، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: (ما أنصفنا أصحابنا))[4] .

٢٠ ـ بطل إلى النار:

٣٦٥ـ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا ، فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، ومال الآخرون إلى عسكرهم ـ وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ـ فقيل: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار) ، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه . قال فخرج معه كلما وقف ، وقف معه ، وإذا أسرع أسرع معه ، قال: فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله ، قال: (وما ذاك ؟).

---

(١) آل عمران: ١٦٩ .

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة آل عمران رقم: ٣٠١٣ ، وقال حديث حسن ، وابن ماجه في المقدمة باب ما أنكرت الجهمية رقم: ١٩٠ ، وفي الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم: ٢٨٠٠ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٠٤ وصححه ووافقه الذهبي وابن جرير بسند صحيح في التفسير: ٤/ ١٧٣ ، وفي التاريخ: ٣/ ٣٦ .

(٣) رهقوه: غشوه وقربوا منه .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة أحد رقم: ١٧٨٩ ، وقد جاء من حديث جابر رضي الله عنه في قتال طلحة بن عبدالله برقم: ٣٥٥ ، فانظره هناك .
رهقوه: غشوه وقربوا منه وأدركوه .

قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً من أهل النار فأعظم الناس ذلك . فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه ، ثم جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه ، فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس ، وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) [1] .

وقد جاء عند ابن هشام في سيرته التصريح بأن هذا الرجل هو قزمان ، وأنه قتل نفسه يوم أحد ، كما ورد من طريق ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمر بن قتادة والإسناد حسن ورجاله ثقات ، إلا أنه مرسل وهو يعتد به كشاهد للمتابعة والله أعلم [2] .

وقال الحافظ في الفتح « جزم ابن الجوزي في مشكلة بأن القصة التي حكاها سهل بن سعد وقعت بأحد ، قال: واسم الرجل قزمان الظفري ، وكان قد تخلف عن المسلمين يوم أحد فعيره النساء ، فخرج حتى صار في الصف الأول ، فكان أول من رمى بسهم ، ثم صار إلى السيف ففعل العجائب ، فلما انكشف المسلمون كسر جفن سيفه وجعل يقول: الموت أحسن من الفرار ، فمر به قتادة بن النعمان فقال له: هنيئا لك الشهادة ، قال: والله إني ما قاتلت على دين ، وإنما قاتلت على حسب قومي ، ثم أقلقته الجراحة فقتل نفسه » .

وعقب الحافظ على ذلك بقوله: « قلت وهذا الذي نقله أخذه من مغازي الواقدي، وهو لا يحتج به إذا انفرد فكيف إذا خالف » [3] .

قلت: وقد سبق من طريق ابن إسحاق عند ابن هشام التصريح بأنه قزمان وبأنه قتل نفسه يوم أحد ، وقول الحافظ لا يعارض ذلك المروي خاصة وأنه مرسل وإسناده ثقات ، فالظاهر هو كما قال ابن الجوزي وابن إسحاق إمام أهل السير والله أعلم » .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٠٢ ، ومسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه رقم: ١١٢ـ وفي رواية عند مسلم وقع أن الغزوة « حنين » وفي رواية أخرى أبهمت ، وأخرجه أحمد في المسند: ٤/١٣٥ ، وفيه أن الغزوة هي خيبر .

(٢) ابن هشام في السيرة: ٢/٨٨ .

(٣) فتح الباري: ٧/٤٧٣ ، في التعليق على حديثه سهل السابق .

٢١- تصحيح الشعارات حتى في أحلك المواطن:

٣٦٦- من حديث عقبة مولى جبر بن عتيك الأنصاري رضي الله عنه قال: «شهدت أحداً مع مولاي، فضربت رجلاً من المشركين، فلما قتلته، قلت: خذها مني وأنا الرجل الفارسي، فبلغت رسول الله ﷺ فقال: (الا قال: خذها وأنا الرجل الأنصاري، فإن مولى القوم من أنفسهم)»[١].

٢٢- قتال الملائكة دفاعاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٦٧- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « رأيت رجلين عن يمين رسول الله ﷺ ويساره يوم أحد عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد »[٢].

٢٣- تغشية النعاس المسلمين يوم أحد:

٣٦٨- من حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: « غشينا ونحن في مصافنا يوم أحد، حدَّث أنه فيمن غشيه النعاس يومئذ قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط من يدي فآخذه، والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هم إلا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه، وأخذله للحق » وهذا اللفظ للترمذي[٣].

وفي لفظ آخر لأبي طلحة قال: « رفعت رأسي يوم أحد فجعلت أنظر، وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت حجفته من النعاس، فذلك قوله تعالى: ﴿ **ثم أنزل الله عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً** ﴾ »[٤].

٣٦٩- من حديث الزبير رضي الله عنه قال: « لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٩٥، أبو داود في الأدب: ٥١٢٣، باب في العصبية، وابن ماجه في الجهاد باب النية في القتال: ٢٧٨٤، وإسناده حسن وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١١٥، رواه أبو يعلى ورجاله ثقات، وانظر المطالب العالية رقم: ٤٣٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في اللباس باب الثياب البيض رقم: ٥٨٢٦، وفي المغازي باب قوله تعالى ﴿ وإذ همت طائفتان ﴾ رقم: ٤٠٥٤، مسلم في الفضائل باب قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد رقم: ٢٣٠٦، وأحمد في المسند: ١/ ١٧١، ١٧٧.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب ثم أنزل عليكم من بعد الغم نعاساً رقم: ٤٠٦٨، والترمذي في سننه كتاب تفسير سورة آل عمران رقم: ٣٠٠٨، وقال حديث حسن صحيح وأحمد في المسند: ٤/ ٢٩.

(٤) أخرجه الترمذي في تفسير القرآن باب ومن تفسير آل عمران رقم: ٣٠٠٧، وقال حديث حسن صحيح.

يوم أحد حين اشتد علينا الخوف ، وأرسل علينا النوم ، فما منا أحد إلا وذقنه - أو قال - ذقنه في صدره ، فوالله إني لأسمع كالحلم قول معتب بن قشير « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا » فحفظتها ، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿ **ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاساً** ﴾ ، إلى قوله: ﴿ **ما قتلنا ها هنا** ﴾ لقول معتب بن قشير ، قال: ﴿ **لو كنتم في بيوتكم** ﴾ حتى بلغ ﴿ **والله عليم بذات الصدور** ﴾ »[1].

٢٤ـ الحرب خدعة:

٣٧٠ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.

فأشار إلي بيده أن اسكت ، ثم ألبسني لامته ، ولبس لامتي ، فلقد ضربت حتى جرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحاً كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ »[2].

٢٥ـ ظن علي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد رفع:

٣٧١ـ من حديث علي كرم الله وجهه قال: « لما انجلى الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد نظرت إلى القتلى فلم أر رسول الله ﷺ فيهم ، فقلت: والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ، ولكن أرى الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه ﷺ ، فما فيَّ خير من أن أقاتل حتى أقتل ، فكسرت جفن سيفي ، ثم حملته على القوم فأفرجوا لي ، فإذا أنا برسول الله ﷺ بينهم »[3].

---

(١) المطالب العالية رقم: ٤٣١٥ ، ونسبه إلى إسحاق بن راهويه وسكت عليه البوصيري وإسناده جيد ، وقال الترمذي معلقاً على إسناده في تخريج الحديث السابق: ٣٠٠٧ وجاء في حديث الزبير وقال حديث حسن صحيح .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١١٢ ، رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط ثقات ، ورواه أبو نعيم في الدلائل: ٢/ ٤٨٢ من طريق ابن إسحاق وقد صرح عنده بالسماع وسنده متصل ، فالحديث صحيح .

★ لامته: درعه .

(٣) المطالب العالية: ٤٣٢٣ ، قال البوصيري رواه أبو يعلى برقم: ٥٤٦ ، بإسناد حسن ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١١٢ فيه محمد بن مروان العقيلي وثقه أبو داود وابن حبان وضعفه أبو زرعة وغيره » وإسناده حسن كما قال البوصيري والله أعلم .

٢٦ـ فخر أبي سفيان بعد المعركة:

٣٧٢ـ من حديث البراء رضي الله عنه قال: « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلاً ـ عبدالله بن جبير قال: ووضعهم موضعاً ، وقال: (إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ، إن رأيتمونا ظهرنا على العدو وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم) ، قال: فهزموهم .

قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت سوقهن وخلاخلهن ـ رافعات ثيابهن فقال أصحاب عبدالله بن جبير: الغنيمة ، أي قوم الغنيمة ، ظهر أصحابكم فما تنظرون ؟

قال عبدالله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ ، قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول ﷺ في أخراهم ، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلاً ، فأصابوا منا سبعين رجلاً ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه ، أصاب من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً .

فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ أفي القوم محمد ؟ ثلاثاً ، فنهاهم رسول الله ﷺ أن يجيبوه ، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ أفي القوم ابن الخطاب ؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم ، فما ملك عمر نفسه أن قال: كذبت والله يا عدو الله إن الذين عددت لأحياء كلهم ، وقد بقي لك ما يسوءك ، فقال: يوم بيوم بدر والحرب سجال ، إنكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ، ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز: اعل هبل . اعل هبل .

فقال رسول الله ﷺ: (ألا تجيبونه ؟) قالوا: يا رسول الله ما نقول ؟ قال: (قولوا الله أعلى وأجل) ، قال: أن العزى لنا ولا عزى لكم ، فقال رسول الله ﷺ: (ألا تجيبونه ؟) قالوا: يا رسول الله وما نقول ؟ قال: (قولوا الله مولانا ولا مولى لكم)[1] ».

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة أحد رقم: ٤٠٤٣ ، وأبو داود في الجهاد باب في الكمناء رقم: ٢٦٦٢ ، وأحمد في المسند: ٤/ ٢٩٣ ، أبو داود الطيالسي رقم: ٢٣٤٥ ، ٢/ ٩٨ـ٩٩ .

٢٧ـ رواية ابن عباس في أحد

٣٧٣ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ما نصر الله تبارك وتعالى في موطن كما نصر في يوم أحد فقال (ابن عتبة) فأنكرنا ذلك ، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتاب الله تبارك وتعالى ، إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ يقول في يوم أحد: ﴿ **ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه** ﴾ ، يقول ابن عباس والحس القتل ﴿ **حتى إذا فشلتم** ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ **ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين** ﴾ ، عني بهذا الرماة ، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع ثم قال: (احموا ظهورنا فإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا ، وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا) .

فلما غنم النبي ﷺ وأباحوا عسكر المشركين أكب الرماة جميعاً ، فدخلوا العسكر ينتهبون ، وقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ ، فهم كذا وشبك بين أصابع يديه والتبسوا ، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ ، فضرب بعضهم بعضاً والتبسوا ، وقتل من المسلمين ناس كثير .

وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار ، حتى قتل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعة، وجال المسلمون جولة نحو الجبل ، ولم يبلغوا حيث يقول الناس الغار ، وإنما كانوا تحت المهراس [١] وصاح الشيطان: قتل محمد فلم يشك فيه أنه حق ، فما زلنا كذلك نشك أنه قد قتل حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين [٢] نعرفه بتكفئه إذا مشى ، قالوا: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا.

قال: فرقى نحونا وهو يقول: (اشتد غضب الله على قوم دمّوا وجه رسوله)، قال ويقول مرة أخرى: (اللهم أنه ليس لهم أن يعلونا) حتى انتهى إلينا فمكث ساعة فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعل هبل مرتين يعني آلهته ، أين ابن أبي كبشة ؟ أين ابن أبي قحافة ؟ أين ابن الخطاب ؟

فقال عمر: يا رسول الله ألا أجيبه ؟ قال: بلى ، قال: فلما قال: اعل هبل، قال عمر: الله أعلى وأجل ، قال: فقال أبو سفيان يا ابن الخطاب إنه قد أنعمت عينها فعاد عنها أو فعال عنها، فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قحافة؟ أين

---

(١) المهراس: ماء بجبل أحد دفن بجواره حمزة عم رسول الله ﷺ .

(٢) السعدين: مكانان في ذاك الموضع والله أعلم .

ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله ﷺ، وهذا أبو بكر، وهذا أنا عمر.

قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر ، الأيام دول وان الحرب سجال [١] قال: فقال عمر: لا سواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار ، قال: إنكم لتزعمون ذلك ، لقد خبنا إذا وخسرنا ، ثم قال أبو سفيان: أما إنكم سوف تجدون في قتلاكم مثلاً [٢] ولم يكن ذاك عن رأي سراتنا [٣] قال: ثم أدركته حمية الجاهلية قال: فقال: أما إنه قد كان ذاك ولم نكرهه» [٤] .

٢٨ـ دور المسلمات في أحد:

وقد سبق من حديث أنس في دفاع أبي طلحة عن رسول الله ﷺ فانظره هناك وقد جاء أيضاً:

٣٧٤ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال ثعلبة بن أبي مالك: ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطاً بين نساء من نساء أهل المدينة ، فبقي منها مرط جيد ، فقال له بعض من عنده يا أمير المؤمنين: « أعط هذا بنت رسول الله ﷺ التي عندك ـ يريدون أم كلثوم بنت علي ، فقال عمر: أم سليط أحق منها ، وأم سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله ﷺ ، قال عمر: فإنها كانت تزفر لنا القرب يوم أحد » [٥] .

٢٩ـ ثناء النبي على ربه ودعاؤه بعد انتهاء المعركة:

٣٧٥ـ من حديث عبيدالله بن رفاعة الزرقي رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون قال رسول الله ﷺ: (استووا حتى أثني على ربي ، فصاروا خلفه صفوفاً فقال: اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هادي لما أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مبعد لما قربت ،

---

(١) سجال: أي مرة لنا ومرة علينا .

(٢) مثل: انكل بالقتل بجدع الأنف أو قطع الأذن .

(٣) السراة: الأشراف والكبراء .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ١/٢٨٧ ، ٢٨٨، ٤٦٣، والحاكم في المستدرك: ٢/٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب ذكر أم سليط رقم: ٤٠٧١ .

اللهم ابسط علينا من بركاتك ، ورحمتك ، وفضلك ، ورزقك ، اللهم إني أسالك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ، اللهم إني أسالك النعيم يوم الغلبة، والأمن يوم الخوف ، اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا ، وشر ما منعت منا، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين ، اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم زجرك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتو الكتاب ، إله الحق) [(١)].

٣٧٦ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يقول يوم أحد (اللهم إنك إن تشأ لا تعبد في الأرض) » [(٢)].

٣٠ـ ردوا القتلى إلى مضاجعهم:

٣٧٧ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « إن قتلى أحد حملوا من مكانهم فنادى منادي رسول الله ﷺ: (أن ردوا القتلى إلى مضاجعها) » [(٣)].

٣٧٨ـ وقد جاء عنه بلفظ آخر فقال: « استشهد أبي بأحد، فأرسلتني أخواتي إليه بناضح [(٤)] لهن، فقلن: اذهب فاحتمل أباك على هذا الجمل فادفنه في مقبرة بني سلمة، قال: فجئته وأعوان لي، فبلغ ذلك نبي الله وهو جالس بأحد فدعاني وقال: (والذي نفسي بيده لا يدفن إلا مع إخوته فدفن مع أصحابه بأحد) [(٥)] ».

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤١٤ ، والحاكم في المستدرك: ١/ ٥٠٧ ، ٣/ ٢٣، ٢٤ ، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وقد وافق الذهبي الحاكم في موطن على التصحيح ، وقال في موطن آخر: والحديث مع نظافة إسناده منكر ـ والحديث صحيح فقط فيه عبيد بن رفاعة لم يخرج له الشيخان ، وليس لقول الذهبي في تعليله وجه .
وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢١، ١٢٢ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو رقم: ١٧٤٣.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٠٨ ، أبو داود في الجنائز باب في الميت يحمل من أرض إلى أرض: ٣١٦٥ ، والنسائي في الجنائز باب أين يدفن الشهيد: ٤/ ٧٩ ، والترمذي في الجهاد باب ما جاء في دفن الشهداء: ١٧١٧ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الصلاة على الشهداء ودفنهم: ١٥١٦ ، وقال الترمذي حسن صحيح وصححه ابن حبان: ١٩٦، وسنده صحيح .

(٤) الناضح: البعير الذي يحمل الماء يسقي الزرع .

(٥) انظر التخريج في الحديث السابق ، وقال الشيخ الساعاتي: ٨/ ١٥٠ أخرجه الأربعة وغيرهم وصححه الترمذي .

٣١- صلاة النبي على شهداء أحد:

٣٧٩- من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: « صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات ، ثم طلع المنبر فقال: (إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وان موعدكم الحوض ، وإني لأنظر إليه من مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) ، قال: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ »[1].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (والخلاف في الصلاة على قتيل معركة الكفار مشهور ، قال الترمذي: « قال بعضهم يصلى على الشهيد وهو قول الكوفيين وإسحق ، وقال بعضهم لا يصلى عليه وهو قول المدنيين والشافعي واحمد ، وقال الشافعي في الأم: « جاءت الأخبار كأنها عيان من وجوه متواترة أن النبي ﷺ لم يصل على قتلى أحد ، وما روي انه صلى عليهم وكبر على حمزة سبعين تكبيرة لا يصح ، وقد كان ينبغي لمن عارض بذلك هذه الأحاديث الصحيحة أن يستحي على نفسه » انتهى ، ثم إن الخلاف في ذلك في منع الصلاة عليهم على الأصح عند الشافعية ، وفي وجه أن الخلاف في الاستحباب وهو المنقول عن الحنابلة .

قال الماوردي عن أحمد: الصلاة على الشهيد أجود ، وإن لم يصلوا عليه أجزأ، وقال الطحاوي: « معنى صلاته ﷺ عليهم لا يخلو من ثلاثة معان: إما أن يكون ناسخاً لما تقدم من ترك الصلاة عليهم ، أو يكون من سنتهم أن لا يصلي عليهم إلا بعد هذه المدة المذكورة ، أو تكون الصلاة عليهم جائزة بخلاف غيرهم فإنها واجبة ، وأيها كان فقد ثبت بصلاته عليهم الصلاة على الشهداء ، ثم كان الكلام بين المختلفين في عصرنا ، إنما هو في الصلاة عليهم قبل دفنهم ، وإذا ثبتت الصلاة عليهم بعد الدفن كانت قبل الدفن أولى » انتهى[2].

وقد وردت الأحاديث والسنن الصحيحة عن رسول الله ﷺ تدل على الصلاة

---

(١) اخرجه البخاري في الجنائز باب الصلاة على الشهيد رقم: ١٣٤٤ ، وفي المغازي باب غزوة احد رقم: ٤٠٤٢، ول اطراف ارقام: ٣٥٩٦ ،٤٠٨٥، ٦٤٢٦، ٦٥٩٠، مسلم في صحيحه في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ رقم:٢٢٩٦ ، وابو داود رقم: ٣٢٢٣، ٣٢٢٤، والنسائي: ٤/ ٦٢،٦١ احمد: ٤/ ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، البيهقي: ٤/ ١٤.

(٢) فتح الباري على صحيح البخاري: ٣/ ٢١٠-٢١١، في التعليق على حديث عقبة بن عامر المذكور آنفاً ، وانظر قول الطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٥٠٤ .

على الشهداء ، أورد بعضها هنا:

٣٨٠- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما كان يوم أحد مر رسول الله ﷺ بحمزة بن عبدالمطلب وقد جدع ومثل به ، فقال: لولا أن تجد صفية في نفسها تركته حتى تأكله العافية [١] ، حتى يحشره الله من بطون الطير والسباع ، فكفنه في نمرة ، وكانت إذا خمرت رأسه بدت رجلاه ، وإذا خمرت رجلاه بدا رأسه ، فخمر رأسه ، ولم يصل على أحد من الشهداء غيره » [٢] .

٣٨١- من حديث عبدالله بن الزبير قال: « أن رسول الله ﷺ أمر يوم أحد بحمزة فسجي ببردة ، ثم صلى عليه ، فكبر تسع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يصفون ، ويصلي عليهم ، وعليه معهم » [٣] .

وقد جاء من حديث ابن عباس [٤] وغيره انظرها في التعليق ، ولا يعارض هذان الحديثان وشواهدهما بحديث جابر بأنه لم يصل على شهداء أحد لأنه ناف، والمثبت مقدم على النافي ، ففي هذين الحديثين وشواهدهما ثبتت مشروعية الصلاة على الشهداء لا على سبيل الإيجاب ، لأن كثيراً من الصحابة استشهدوا يوم بدر، ولم ينقل عن النبي ﷺ الصلاة عليهم ، ولو فعل ذلك لنقل إلينا ، فدل ذلك على أن الصلاة عليهم غير واجبة ، ولذلك قال ابن القيم: « والصواب في المسألة أنه مخير بين الصلاة عليهم وتركها ، لمجيء الآثار بكل واحد من الأمرين ، وهذا إحدى الروايات عن الإمام أحمد ، وهو الأليق بأصوله ومذهبه » [٥] .

---

(١) العافية: السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها .

(٢) اخرجه أبو داود حديث رقم: ٣١٣٧، وأحمد في المسند: ٣/ ١٢٨ ، والبيهقي في السنن: ٤/ ١٠ ، ١١، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٥٠٢ - ٥٠٣ ،والحاكم في المستدرك: ١/ ٣٦٥ ، وقال صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي ورواه ابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٣٩١ ، ٣٩٢ ، وقال النووي في المجموع: ٥/ ٢٦٥ ، وعزاه لأبي داود وحده وقال: إسناده حسن أو صحيح .

(٣) اخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٥٠٣ ، وإسناده حسن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث .

(٤) أخرجه الحاكم: ٣/ ١٩٨، والحديث حسن الإسناد ، وابن ماجه في الجنائز . باب ما جاء في الصلاة على الشهيد رقم: ١٥١٣، وهناك شواهد من حديث ابن مسعود ، أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٤٦٣، وسنده حسن ، ومن حديث شداد بن الهاد وأخرجه النسائي: ٤/ ٥٠٦ والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٥٠٦ البيهقي: ٤/ ١٥، ١٦ ، وسنده صحيح الحاكم: ٣/ ٥٩٥ - ٥٩٦ ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٥) تهذيب السنن: ٤/ ٢٩٥ .

٣٢- طريقة دفن الشهداء في أحد وتقديم الأحفظ للقرآن

٣٨٢- من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد ، ثم يقول: (أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟) فإذا أشير له إلى أحد قدمه في اللحد ، وقال: (أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة) وأمر بدفنهم بدمائهم ، ولم يصل عليهم ولم يغسلوا »[١] .

٣٨٣- حديث هشام بن عامر رضي الله عنه قال: «شكي إلى رسول الله ﷺ الجراحات يوم أحد فقال: (احفروا وأوسعوا وأحسنوا وادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد ، وقدموا أكثرهم قرآناً) فمات أبي فقدم بين رجلين »[٢].

٣٨٤- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « ... وكثرت القتلى وقلت الثياب، قال: وكان يجمع الثلاثة والاثنين في قبر واحد ، ويسأل أيهم أكثر قرآناً فيقدم في اللحد ، وكفن الرجلين والثلاثة في الثوب الواحد »[٣]

٣٣- الشهداء أحياء عند ربهم:

٣٨٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم بأحد ، جعل الله - عزَّ وجلَّ - أرواحهم في أجواف طير خضر ، ترد أنهار الجنة ، تأكل من ثمارها ، وتهوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ، ومأكلهم وحسن منقلبهم قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا ، لئلا يزهدوا في الجهاد ، ولا ينكلوا عن الحرب، فقال الله عزَّ وجلَّ: أنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - هؤلاء الآيات على رسوله ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء** ﴾ »[٤] .

---

(١) اخرجه أخرجه البخاري في الجنائز باب الصلاة علي الشهداء رقم: ١٣٤٣ ، وفي المغازي باب من قتل من المسلمين يوم أحد رقم: ٤٠٧٩ وجاء بأرقام: ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٥٣ ، الترمذي في الجنائز باب ما جاء في ترك الصلاة على الشهيد: ١٠٣٦ ، وابو داود في الجنائز في الشهيد يغسل: ٣١٣٨ والنسائي في الجنائز باب ترك الصلاة عليهم: ٤/ ٦٢ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الصلاة على الشهيد: ١٥١٤ ، واحمد في المسند: ٥/ ٤٣١ .

(٢) أخرجه الترمذي في الجهاد باب دفن الشهيد رقم: ١٧١٣ وقال حديث حسن صحيح وأبو داود في الجنائز باب تعميق القبر: ٣٢١٥ ، والنسائي في الجنائز باب ما يستحب في توسيع القبر: ٤/ ١٨ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في حفر القبر: ١٥٦٠ والحديث إسناده صحيح .

(٣) سبق تخريجه حديث رقم: ٣٨٩ .

(٤) اخرجه احمد احمد في المسند: ١/ ٢٦٥ ، أبو داود في الجهاد باب فضل الشهادة رقم: ٢٥٢٠ ، وعبد بن حميد رقم: ٦٦٧ ، وابن أبي شيبة: ٥/ ٢٩٤ - ٢٩٥ ، والطبري في التفسير: ٤/ ١١٣

٣٨٦ـ ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه . قال مسروق: سألنا عبدالله بن مسعود عن هذه الآية ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ ، قال: أما إنا سألنا عن ذلك فقال: (أرواحهم كطير خضر تسرح في أيها شاءت ، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش ، قال: فبينما هم كذلك ، إذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة ، فقال: سلوني ما شئتم ؟! فقالوا: يا ربنا ! وما نسألك ، ونحن نسرح في الجنة في أيها شئنا ، فلما رأوا أن لا يتركوا من أن يسألوا ، قالوا: نسألك أن ترد أرواحنا إلى أجسادنا في الدنيا ، حتى نقتل في سبيلك ، قال: فلما رأى أنهم لا يسألون إلا هذا تركوا)[1] .

٣٤ـ عدد شهداء المسلمين:

٣٨٧ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أحد ... فذكر الحديث إلى أن قال: فأصابوا منا سبعين ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه قد أصابوا من المشركين ، أراه قال: يوم بدر أربعين ومائة: سبعين أسيراً وسبعين قتيلاً »[2] .

٣٨٨ـ من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه قال: « إنه أصيب من الأنصار يوم أحد أربعة وستون ، وأصيب من المهاجرين ستة فيهم حمزة ، فمثلوا بقتلاهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً من الدهر لنربين عليهم ، فلما كان يوم فتح مكة ، نادى رجل لا يعرف: لا قريش بعد اليوم ، مرتين فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على نبيه ﷺ ﴿ **وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** ﴾ فقال النبي ﷺ: (كفوا عن القوم) »[3] .

والآجري في الشريعة: ٣٩٢ ، والبيهقي في عذاب القبر رقم: ١٢٩ ، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٨٨ ، ٢٩٧ ، وقال في الموضعين صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث عند أحمد فزالت شبهة التدليس ، فالحديث صحيح .

(١) أخرجه مسلم في الإمارة باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون رقم: ١٨٨٧ ، الترمذي في التفسير باب ومن تفسير آل عمران رقم: ٣٠١١ وقال حسن صحيح ، ابن ماجه في الجهاد باب فضل الشهادة في سبيل الله رقم: ٢٨٠١ ، وابن أبي شيبة: ٥/ ٣٠٨ ، والدارمي : ٢/ ٢٠٦ ، والطبري في التفسير: ٤/ ١١٣ ـ ١١٤ .

(٢) سبق تخريجه حديث رقم: ٣٧٢

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب من تفسير سورة النحل رقم: ٣١٢٩ وقال حديث حسن غريب وأحمد في المسند: ٥/ ١٣٥، وابن حبان في الموارد رقم: ١٦٩٥، ص: ٤١١ ، والطبراني في الكبير: ٣/ ١٥٧، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٣٥٩، ٤٤٦ ، وقال في الموضعين صحيح الإسناد وأقره الذهبي .

٣٥ـ أحد جبل يحبنا ونحبه:

٣٨٩ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أن رسول الله ﷺ طلع له أحد فقال: (هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، وإني حرمت ما بين لابتيها)»[1].

٣٦ـ أمنية النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر شهداء أحد:

٣٩٠ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « كان رسول الله ﷺ إذا ذكر أصحاب أحد قال: (والله لوددت أني غودرت مع أصحاب فحص الجبل) يقول: قتلت معهم ﷺ »[2].

٣٧ـ من أحسن القتال يوم أحد من المسلمين:

٣٩١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أحد قد انحنى ، فقال لفاطمة رضي الله عنها: هاكي السيف حميداً ، فإنها قد شفتني فقال رسول الله ﷺ: (لئن كنت أجدت الضرب بسيفك ، لقد أجاده سهل بن حنيف ، وأبو دجانة ، وعاصم بن ثابت بن الأقلح ، والحارث بن الصمة) »[3].

٣٨ـ أسماء من استشهد يوم أحد:

ذكر الهيثمي أسماءهم في المجمع: (٦/ ١٢٣ـ١٢٤) ، بسند الطبراني إلى ابن شهاب ، ورجاله رجال الصحيح ، فمن أحب الاستزاده في معرفة أسمائهم فليرجع إلى المجمع .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب احد جبل يحبنا ونحبه رقم: ٤٠٨٤ ، ومسلم في الحج باب فضل المدينة ودعاء النبي فيها بالبركة: ١٣٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٧٥، وفي سيرة ابن كثير: ٣/ ٨٩ ، وقال الهيثمي في المجمع : ٦/ ١٢٣، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث بذلك صحيح .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٤ ، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢٣ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

٣٩ـ كل مصيبة بعدك جلل

٣٩٢ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « مر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا: خيراً يا أم فلان ، هو بحمدالله كما تحبين ، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه ؟ ، قال: فأشير لها إليه ، حتى إذا رأته ، قالت: كل مصيبة بعدك جلل ! تريد صغيرة »[1] .

---

(١) ابن هشام في السيرة: ٢/ ٩٩ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٣٠٢ ، والطبري في تاريخه: ٢/ ٥٣٣ ، بسند ابن إسحاق إلى سعد بن أبي وقاص وسنده حسن وقد صرح بالتحديث فزالت شبهة تدليسه .

الفصل الخامس

الأحداث والوقائع بين أحد والخندق

المبحث الأول: غزوة حمراء الأسد

قال ابن إسحاق: « كان يوم أحد ، يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحن به المنافقين ، فمن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوماً أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته »[1].

وبعد انتهاء غزوة أحد، ورحيل قريش جاءت الأخبار إلى المدينة بأن قريشاً تريد العودة لتستأصل المسلمين في مدينتهم ، فما كان من القائد القدوة محمد ﷺ إلا أن دعا أصحابه للخروج لتعقب قريش، وزرع الخوف في قلب من يفكر بالاعتداء على المدينة الآمنة الطيبة، وشرط رسول الله ﷺ أن لا يخرج معه إلا من خرج معه لأحد، وهنا وفي هذا المقام تتجلى صور التضحية والبذل، حيث يخرج أصحاب النبي، والكثير منهم قد أصيب بالجراحات المتعددة، ولكن في سبيل الله تهون كل المصاعب، ولندع أصحاب رسول الله ﷺ يروون بعض هذه المشاهد:

٣٩٢ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: كما روى عنها عروة بن الزبير في قوله تعالى: ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعدما أصابهم القرح ، للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم** ﴾ قالت لعروة: يا ابن أختي كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر ، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا ، قال: (من يذهب في إثرهم ؟) فانتدب منهم سبعون رجلاً ، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير[2].

وقال ابن كثير عقب ذكر هذا الحديث: « وهذا السياق غريب جداً ، فإن المشهور عند أصحاب المغازي أن الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد كل

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ١٠٥ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب الذين استجابوا لله والرسول رقم: ٤٠٧٧ ، مسلم في صحيحه في فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير: ٢٤١٨ ، باختصار ، وابن ماجه في المقدمة وفي فضائل الزبير رقم: ١٢٤ ، والحاكم في المستدرك: ٢٩٨/٤ وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

من شهد أحد ، وكانوا سبعمائة قتل منهم سبعون وبقي الباقون »[1] .

وقال الشامي: « والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب المغازي ، لأن معنى قولها فانتدب لها سبعون أنهم سبقوا غيرهم ، ثم تلاحق الباقون »[2] .

٣٩٣ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، شر ما صنعتم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد ـ أو بئر بني عيينة ـ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ﴾ وذلك ان ابا سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا ، فأما الجبان فرجع ، وأما الشجاع فأخذ اهبة القتال والتجارة ، فأتوه فلم يجدوا به أحداً ، وتسوقوا فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ ذكره ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾ »[3] .

المبحث الثاني: آثار غزوة أحد

طمع الأعراب والمنافقين واليهود في المسلمين

لقد كان لغزوة احد من الآثار الشيء الكثير إذ انتقض على الإسلام وأهله كثير ممن هادنهم أو مالأهم خوفاً منهم ، وعلى الرغم مما فعله النبي عليه السلام وأصحابه من الخروج إلى حمراء الأسد وما أظهروه من مظاهر البأس ، الا أن ما حدث في أحد جعل الأعراب يتجرأون ويبدأون بمحاولة مهاجمة المدينة والإغارة عليها ونهب أموالها وخيراتها .

ولقد جرأت الحادثة أيضاً اليهود في المدينة ليظهروا حقدهم الدفين على الإسلام وأهله، ويسخرون من المسلمين علانية، ويكررون محاولاتهم الغادرة للكيد للإسلام وأهله ، ولقد جرأت الحادثة أيضاً المنافقين ليظهروا نفاقهم ، وينبثوا بين صفوف المسلمين يشيعون الشائعات والدسائس محاولين بذلك تمزيق الصف الإسلامي.

---

(١) سيرة ابن كثير: ٣/١٠١ .

(٢) زاد المعاد: ٣/٢٤٣ .

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/١٢١ ،رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز وهو ثقة وقال السيوطي في لباب النقول (ص: ٦١) أن سنده صحيح ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/٢٢٨: أخرجه النسائي وابن مردويه ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه عن ابن عباس ، ومن الطريق المرسلة أخرجه ابن أبي حاتم وغيره .

١ـ اغتيال المسلمين لابن سفيان الهذلي لحشده لقتال المسلمين

٣٩٤ـ من حديث عبدالله بن أنيس رضي الله عنه قال: « دعاني رسول الله ﷺ فقال: (إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بعرنة فأته فاقتله) ، قال: قلت: يا رسول الله انعته حتى أعرفه ، قال: (إذا رأيته وجدت له قشعريرة) .

قال: فخرجت متوشحاً بسيفي ، حتى وقعت عليه بعرنة مع ظعن يرتاد لهن منزلاً ، وحين كان وقت العصر ، فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة ، فاقبلت نحوه ، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه اومئ برأسي الركوع والسجود .

فلما انتهيت إليه قال: من الرجل ، قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل فجاءك لهذا ، قال: أجل أنا في ذلك ، قال: فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف حتى قتلته ، ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه ، فلما قدمت على رسول الله ﷺ فرآني فقال: (أفلح الوجه)، قال: قلت: قتلته يا رسول الله ،قال: (صدقت) ، قال: ثم قام معي رسول الله ﷺ فدخل في بيته فأعطاني عصا ، فقال: (امسك هذه عندك يا عبدالله بن أنيس) .

قال: فخرجت بها على الناس ، فقالوا: ما هذه العصا ؟ ، قال: قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ ، وأمرني أن امسكها ، قالوا: أولا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك ؟ قال: فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله لم أعطيتني هذه العصا ؟ ، قال: (آية بيني وبينك يوم القيامة ، ان أقل الناس المختصرون [١] يومئذ يوم القيامة) ، فقرنها عبدالله بسيفه فلم تزل معه ، حتى إذا مات أمر بها ، فضمت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعاً » [٢].

---

(١) المختصرون: أو المتخصرون: المتكئون على المخاصر: جمع مخصرة وهي ما يمسكه الإنسان بيده من عصا وغيرها . والمراد هنا: الذين يأتون يوم القيامة ومعهم أعمال صالحة يتكئون عليها .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب صلاة الطالب حديث رقم: ١٢٤٩ ، باختصار أحمد في المسند: ٣/ ٤٩٦ البيهقي في السنن: ٣/٢٥٦، وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ١/ ٢٩٥ ، إسناده جيد، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٢/ ٣٥٠ ، إسناده حسن، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/٢٠٣ـ٢٠٤ رواه الطبراني ورجاله ثقات ، واللفظ لأحمد .

٢ـ قصة أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الرجيع

٣٩٥ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ عشرة عيناً ، وامر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب ، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ، ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام ، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم التمر في منزلٍ نزلوه .

فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم ، فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع ، فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا أيديكم ، ولكم العهد والميثاق ان لا نقتل منكم أحداً .

فقال عاصم بن ثابت: ايها القوم ، أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر ، ثم قال: اللهم اخبر عنا نبيك ﷺ ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصماً ، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق ، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل آخر ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها .

قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر ، والله لا اصحبكم ، إن لي بهؤلاء أسوة ـ يريد القتلى ـ فجروه وعالجوه ، فأبى أن يصحبهم (فقتلوه) ، فانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر ، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيباً ـ وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر بن نوفل يوم بدر ـ فلبث خبيب عندهم اسيراً حتى أجمعوا قتله ، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحدبها، فأعارته ، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه ، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده ، قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب ، فقال: أتخشين أن اقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك .

قالت: والله ما رأيت أسيراً ، قط خيراً من خبيب ، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطفاً من عنب في يده ، وإنه لموثق بالحديد ، وما بمكة من ثمرة .

وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً ، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل ، قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين ، فتركوه ، فركع ركعتين ، فقال:

والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحداً ، ثم أنشأ يقول:

فلست أبالي حين اقتل مسلماً على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

ثم قام إليه أبو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ، وكان خبيب سن لكل مسلم قتل صبراً الصلاة ، وأخبر - يعني النبي ﷺ - أصحابه يوم أصيبوا خبرهم ، وبعث ناس من قريش إلى عاصم بن ثابت حين حدثوا أنه قتل أن يؤتوا بشيء منه يعرف - وكان قتل رجلاً عظيماً من عظمائهم - فبعث الله لعاصم مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم ، فلم يقدروا أن يقطعوا منه شيئاً »[1].

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله في السيرة أن عددهم كان ستة وأن أميرهم كان مرثد بن أبي مرثد الغنوي ، والمقدم عندنا ما في الصحيح أن عددهم كان عشرة وأن أميرهم كان عصام بن ثابت الأنصاري والله أعلم .

٣- قصة أصحاب رسول الله في بئر معونة

أ- سبب خروج القراء من أصحاب رسول الله:

٣٩٦- من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن رعلاً وذكوان وعصية وبني لحيان استمدوا رسول الله ﷺ على عدو ، فأمدهم بسبعين من الأنصار كنا نسميهم القراء في زمانهم ، كانوا يحتطبون بالنهار ، ويصلون بالليل ، حتى كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقنت شهراً يدعو في الصبح على أحياء من أحياء العرب ، على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان »[2].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً رقم: ٣٩٨٩ ، وباب غزوة الرجيع ورعل وذكوان رقم: ٤٠٨٦ ، أبو داود في الجهاد باب في الرجل يستأسر رقم: ٢٦٦٠، ٢٦٦١ ، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٧٣٠ ، وأحمد في المسند: ٢/ ٢٩٥ - ٣١٥ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٣٢٣ - ٣٢٥ والطبري في تاريخه: ٢/ ٥٣٨ - ٥٤١ ، وأبو داود الطيالسي رقم: ٢٣٤٩، ٢/ ١٠١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة بني الرجيع: ٤٠٩٠ ، وقد جاء أيضاً في الوتر باب القنوت قبل الركوع وبعده ، الجهاد ، باب دعاء الإمام على من نكث عهداً ، الدعوات باب الدعاء على المشركين، مسلم في المساجد باب استحباب القنوت في جميع الصلاة ، إذا نزلت بالمسلمين نازلة رقم: ٦٧٧ ، وأحمد في المسند: ٣/ ١٦٧ ، ٢٥٥ ، ابن سعد في الطبقات: ٢/ ٥١ - ٥٤ والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٣٣٨ - ٣٤٤ والطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢٦ - ١٢٧ .

ب ـ جوار ملاعب الأسنة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٣٩٧ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « جاء ملاعب الأسنة إلى النبي ﷺ بهدية ، فعرض عليه الإسلام فأبى أن يسلم ، فقال النبي ﷺ فإني لا أقبل هدية من مشرك ، قال: فابعث إلى أهل نجد من شئت فأنا لهم جار ، فبعث إليهم بقوم فيهم المنذر بن عمرو ، وهو الذي يقال له ـ المعتق ليموت ـ أو ـ أعتق عند الموت ـ ، فاستجاش [١] عليهم عامر بن الطفيل بني عامر فأبوا أن يطيعوه ، وأبوا أن يخفروا ملاعب الأسنة ، فاستجاش عليهم بني سليم ، فأطاعوه، فاتبعهم بقريب من مائة رجل رام فأدركهم ببئر معونة ، فقتلوهم إلا عمرو بن أمية » [٢].

٣٩٨ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « جاء ناس إلى النبي ﷺ فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنة ، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام ، يقرأون القرآن ، ويتدارسون بالليل يتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ، ويحتطبون فيبيعونه ، ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء ، فبعثهم النبي ﷺ إليهم ، فعرضوا لهم فقتلوهم، قبل أن يبلغوا المكان ، فقالوا: اللهم بلغ عنا نبينا ، أنا قد لقيناك فرضينا عنك ، ورضيت عنا ، قال: وأتى رجل حراماً خال أنس من خلفه فطعنه برمح حتى أنفذه، فقال حرام: فزت ورب الكعبة ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: (إن إخوانكم قد قتلوا ، وإنهم قالوا: اللهم ! بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك ، فرضينا عنك ورضيت عنا)» [٣].

---

(١) استجاش: طلب لهم الجيش وجمعه .

(٢) اخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٩٧٤١ ، والطبراني في الكبير: ١٩/ ٧٠ ـ ٧٢ رقم: ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٢٦ـ١٢٧ ، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح .

(٣) اخرجه مسلم في صحيحه في الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد رقم: ٦٧٧ ، ص: ١٥١١ طبعة فؤاد عبد الباقي ، وأبو نعيم في الدلائل: ص: ٥١٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٣٤٧ .

جـ ـ قصة عامر بن فهيرة يوم بئر معونة:

٣٩٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: (... فقتل عامر بن فهيرة يوم بئر معونة ، وعن أبي أسامة قال: قال هشام بن عروة فأخبرني أبي قال: لما قتل الذين ببئر معونة وأسر عمرو بن أمية الضمري ، قال له عامر بن الطفيل: من هذا؟ فأشار إلى قتيل ، فقال له عمرو بن أمية: هذا عامر بن فهيرة . فقال: لقد رأيته بعد ما قتل رفع إلى السماء حتى إني لأنظر إلى السماء بينه وبين الأرض ، ثم وضع ، فأتى النبي ﷺ خبرهم فنعاهم فقال: (إن أصحابكم قد أصيبوا ، وإنهم قد سألوا ربهم فقالوا: ربنا أخبر عنا إخواننا بما رضينا ورضيت عنا فأخبرهم عنهم) وأصيب يومئذ عروة بن أسماء بن الصلت فسمي عروة به ، ومنذر بن عمرو سمي به منذراً)[1].

د ـ دعاء النبي على قتلة القراء في دعاء القنوت ثم تركه عندما جاؤوا تائبين مسلمين:

٤٠٠ـ وقد سبق من حديث أنس في سبب خروج القراء من أصحاب النبي ﷺ فانظر تخريجه هناك[2] .

٤٠١ـ وقد جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « قنت رسول الله ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء وصلاة الصبح ، في دبر كل صلاة ، إذا قال: (سمع الله لمن حمده) من الركعة الأخيرة ، يدعو على أحياء من بني سليم ، على رعل وذكوان وعصية ، ويؤمّن من خلفه »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة وحديث عضل والقارة وعاصم بن ثابت وخبيب وأصحابه رقم: ٤٠٩٣ ، وفي مناقب الأنصار باب هجرة النبي وأصحابه إلى المدينة رقم: ٣٩٠٠ ، وأبو نعيم في الدلائل: ص: ٥١٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/٣٥٣ وأبو نعيم في الحلية: ١/١١٠ ، وقد سبق جزء منه برقم: ١١٩ .

(٢) انظر حديث رقم: ٣٩٦ .

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة باب القنوت في الصلوات: ١٤٤٣، وأحمد في المسند: ١/٣٠١ وصححه الحاكم في المستدرك: ١/٢٢٥ ووافقه الذهبي ، واللفظ لأبي داود .

المبحث الثالث: غزوة بني النضير

وقت الغزوة:

قال الزهري عن عروة: « كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل أحد[1] ، وجعله ابن إسحاق بعد بئر معونة وأحد [2] ، وقد وافق ابن إسحاق جل أهل المغازي كما قال الحافظ في الفتح [3] .

وقد ذهب إلى تأييد الرأي الثاني ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد فقال: «وزعم محمد بن شهاب الزهري أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر ، وهذا وهم منه أو غلط عليه ، بل الذي لا شك فيه أنها كانت بعد أحد ، والتي كانت بعد بدر بستة أشهر هي غزوة بني قينقاع ، وقريظة بعد الخندق ، وخيبر بعد الحديبية ، وكان له مع اليهود أربع غزوات ، أولها: غزوة بني قينقاع بعد بدر، والثانية: بني النضير بعد أحد ، والثالثة: قريظة بعد الخندق ، والرابعة: خيبر بعد الحديبية » انتهى ، وقد ذهب ابن حزم في جوامع السير هذا المذهب قبل ابن القيم والله أعلم [4] .

سبب نزول سورة الحشر:

٤٠٢ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: سورة التوبة قال: التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها ، قال: قلت: سورة الأنفال ، قال: نزلت في بدر قال: قلت: سورة الحشر قال: نزلت في بني النضير » [5] .

---

(١) علقه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير قبل الحديث رقم: ٤٠٢٨ ، ووصله عبدالرزاق في مصنفه رقم: ٩٧٣٢، عن معمر عن الزهري أتم من هذا ، وهو في حديثه عن عروة .

(٢) علقه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير قبل الحديث رقم: ٤٠٢٨ .

(٣) فتح الباري: ٧/ ٣٣٠ ـ٣٣١ .

(٤) زاد المعاد: ٣/ ٢٤٩ ، جوامع السير ص: ١٨١ .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي حديث بني النضير حديث رقم: ٤٠٢٩ مسلم في صحيحه كتاب التفسير باب في سورة براءة والأنفال والحشر حديث رقم: ٣٠٣١ .

٤٠٣ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (حرق رسول الله ﷺ نخل بني النضير وقطع ، وهي البويرة ، فنزلت ﴿ **ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله** ﴾ وفي لفظ آخر له « أن النبي ﷺ حرق نخل بني النضير ، قال: ولها يقول حسان بن ثابت:

وهان على سراة بني لؤي ... حريق بالبويرة مستطير

قال فأجابه أبو سفيان بن الحارث:

أدام الله ذلك من صنيع ... وحرق في نواحيها السعير

ستعلم أينا منها بنزه ... وتعلم أي أرضينا تضير [(١)]

٤٠٤ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت غزوة بني النضير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من غزوة بدر ، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة ، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أن لهم ما أقلت الإبل والأمتعة والأموال إلا الحلقة يعني السلاح ـ فأنزل الله فيهم ﴿ **سبح لله ما السموات والأرض** ﴾ إلى قوله: ﴿ **لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا** ﴾ ، فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء ، فأخلاهم إلى الشام ، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا ، وكان الله قد كتب عليهم ذلك ، ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي ، وأما قوله: ﴿ **لأول الحشر** ﴾ فكان ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام » [(٢)] .

والناظر في حديث عائشة رضي الله عنها يرى أنه مؤيد للرأي القائل أن غزوة بني النضير كانت بعد بدر بستة أشهر كما قال الزهري رحمه الله ، وهو في سند حديث عائشة ، فالجواب عنه ما قال ابن القيم رحمه الله تعالى في ذلك من الخطأ في النقل عن الزهري ، أو هو وهم من الزهري رحمه الله والله أعلم » .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة بني النضير رقم: ٤٠٣١ ، ٤٠٣٢ ، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها رقم: ١٧٤٦ ، الترمذي في الجهاد والسير باب في التحريق والتخريب رقم: ١٥٥٢ ، وفي التفسير باب ومن سورة الحشر رقم: ٣٣٠٢ وقال حسن صحيح، وأبو داود في الجهاد باب في الحرق في بلاد العدو رقم: ٢٦١٥ .

(٢) الحاكم في المستدرك: ٤٨٣/٢ ، وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي والبيهقي في دلائل النبوة: ٤٤٤/٢ ، والحديث صحيح إلا أنه ليس على شرط الشيخين لأنهما لم يخرجا لزيد بن المبارك ومحمد بن ثور وكلاهما ثقة .

المبحث الرابع: غزوة بدر الثانية

٤٠٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « لما انصرف أبو سفيان والمشركون عن أحد وبلغوا الروحاء قال أبو سفيان: لا محمد قتلتم، ولا الكواكب أردفتم، شر ما صنعتم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد ـ أو بئر بني عيينة فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿ **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** ﴾، وذلك أن أبا سفيان قال للنبي ﷺ: موعدك موسم بدر حيث قتلتم أصحابنا، فأما الجبان فرجع، وأما الشجاع فأخذ أهبة القتال والتجارة فأتوه فلم يجدوا به أحداً وتسوقوا فأنزل الله - عزّ وجلّ- ذكره. ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء** ﴾ »[1].

المبحث الخامس: غزوة بني المصطلق أو غزوة المريسيع

١ـ وقت الغزوة

اختلف العلماء في ذلك وانحصرت أقوالهم فيها في ثلاثة أقوال، فمن قائل أنها سنة ست، قال بذلك ابن إسحاق إمام المغازي، وتبعه على ذلك خليفة بن خياط، وابن جرير الطبري، وابن حزم، وابن عبدالبر، وابن العربي، وابن الأثير، وابن خلدون، فقد صرح كل منهم بأن غزوة بني المصطلق كانت في شعبان من السنة السادسة للهجرة[2].

ولابن حزم رأي آخر، وافقه عليه عدد من العلماء، منهم مالك بن أنس وموسى بن عقبة، والبخاري، وابن قتيبة ويعقوب بن سفيان الفسوي والنووي، وابن خلدون أنها كانت في شعبان من العام الرابع للهجرة[3].

وذهبت طائفة إلى أنها كانت في شعبان من السنة الخامسة للهجرة وذهب إلى هذا القول: موسى بن عقبة، وابن سعد، وابن قتيبة، والبلاذري، والذهبي،

---

(١) قد سبق تخريجه في حديث رقم: ٣٩٣ في غزوة حمراء الأسد فانظره هناك.

(٢) تاريخ خليفة ص ٨٠، جوامع السير ابن حزم ص: ٢٠٦، الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ص: ٢٠٠ـ٢٠٢، عارضه الأحوذي لابن العربي: ١٢/٤٩، تاريخ ابن خلدون: ٢/٢٩، الكامل لابن الأثير: ٢/١٩٢، تاريخ الطبري: ٢/٦٠٤.

(٣) البداية والنهاية ابن كثير: ٤/٩٣ـ٩٤، وفتح الباري: ٧/٤٢٨، والمعرفة والتاريخ للفسوي: ٣/٢٥٧، شرح صحيح مسلم للنووي: ٤/٥٣٢، وابن خلدون في تاريخه: ٢/٢٩، المعارف ابن قتيبة ص ٧٠.

وابن القيم وابن حجر العسقلاني ، وابن كثير رحمهم الله ومن المحدثين الخضري بك ، والغزالي ، والبوطي ، وأبو شهبة والشيخ الساعاتي ، وهذا القول هو الأصح والأظهر ، والله أعلم ، لأن الأدلة كلها متظاهرة ومتفقة على تأييد هذا القول ،ومن هذه الأدلة:

أ- روى البيهقي عن عروة ، وموسى بن عقبة عن ابن شهاب الزهري أنه قال: « ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس »[١] .

ب - قال ابن كثير: قال موسى بن عقبة عن الزهري: « هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها ، يوم بدر في رمضان سنة ثنتين ، ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق - وهو يوم الأحزاب وبني قريظة - في شوال أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس » .

ثم أورد ابن كثير قول البخاري عن موسى بن عقبة « أنها سنة أربع »[٢] وعقب عليه بقوله: هكذا رواه البخاري عن مغازي موسى بن عقبة أنها سنة أربع، والذي حكاه موسى بن عقبة ، عن الزهري وعن عروة أنها كانت في شعبان سنة خمس[٣] .

وعقب ابن حجر العسقلاني في فتح الباري على قول البخاري « وقال موسى ابن عقبة سنة أربع » بقوله: « كذا ذكره البخاري ، وكأنه سبق قلم أراد أن يكتب سنة خمس ، فكتب سنة أربع ، والذي في مغازي موسى بن عقبة من عدة طرق، أخرجها الحاكم ، وأبو سعيد النيسابوري ، والبيهقي في الدلائل ، وغيرهم سنة خمس .

ولفظه عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب ثم قاتل رسول الله ﷺ بني

---

(١) البداية والنهاية: ٣/١٥٦/٤،٢٤٢ ، طبقات ابن سعد: ٢/ ٦٣ ، المعارف لابن قتيبة ص: ٧٠ ، أنساب الأشراف البلاذري ص: ٣٤١ ، ٣٤٣ ، العبر في خبر من غبر: ٧/١ ، تاريخ الإسلام: ٢/ ٢٧٢ وكلاهما للذهبي ، ابن القيم رحمه الله (زاد المعاد: ٣/ ٢٥٦ ، نور اليقين: ص: ١٥٢ ، فقه السيرة الغزالي: ٣١٦، فقه السيرة البوطي القسم الثاني: ٩٣ ، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة: ١٩٦ ، الفتح الرباني ترتيب مسند أحمد الشيباني: ١٠٩/١٤ ، فتح الباري: ٧/ ٤٣٠ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: ٩/ ٥٤: ١٣٠ البخاري في المغازي باب غزوة بني المصطلق فتح الباري: ٧/ ٤٢٨ .

(٣) البداية والنهاية: ٣/ ٢٤٢ ، ٤/ ١٥٦ .

المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة خمس) ويؤيده ما أخرجه البخاري في الجهاد (عن ابن عمر أنه غزا مع النبي ﷺ بني المصطلق في شعبان سنة أربع) ولم يؤذن له في القتال ، لأنه إنما أذن له فيه في الخندق كما تقدم ، وهي بعد شعبان سواء قلنا أنها كانت خمس أو سنة أربع) .

وقال الحاكم في الإكليل: قول عروة وغيره أنها كانت في سنة خمس أشبه من قول ابن إسحاق .

قلت: ويؤيده ما ثبت في حديث الإفك: أن سعد بن معاذ تنازع هو وسعد بن عبادة في أصحاب الإفك كما سيأتي ، فلو كانت المريسيع في شعبان سنة ست مع كون الإفك كان فيها ، لكان ما وقع في الصحيح من ذكره سعد بن معاذ غلطاً ، لأن سعد بن معاذ مات أيام قريظة ، وكانت سنة خمس على الصحيح كما تقدم تقريره ، وإن كانت كما قيل سنة أربع .

فيظهر أن المريسيع كانت سنة خمس في شعبان ، لتكون قد وقعت قبل الخندق، لأن الخندق كانت في شوال من سنة خمس أيضاً ، فتكون بعدها ، فيكون سعد بن معاذ موجوداً في المريسيع وَرُميَ بعد ذلك بسهم ومات من جراحته في قريظة ، ويؤيده أيضاً أن حديث الإفك كان سنة خمس ، إذ الحديث فيه التصريح بأن القصة وقعت بعد نزول الحجاب ، والحجاب كان في ذي القعدة سنة أربع عند جماعة ، فيكون المريسيع بعد ذلك فيرجح أنها سنة خمس »[1] .

٢ـ سبب غزوهم

كان لذلك أسباباً عدة منها:

١ـ تأييد هذه القبيلة لقريش وتكتلها معها في معركة أحد ضد المسلمين ، وذلك ضمن كتلة الأحابيش[2] التي كانت في الجيش المكي .

٢ـ سيطرة هذه القبيلة على الخط الرئيسي المؤدي إلى مكة ، فكانت حاجزاً منيعاً

---

(١) فتح الباري: ٤٣٠/٧ ، في المغازي باب غزوة بني المصطلق وغزوة أنمار .

(٢) الأحابيش: هم بنو الحارث بن عبدمناة بن كنانة ، والهون بن خزيمة بن مدركة ، وبنو المصطلق من خزاعة ، وسمو بذلك لأنهم تحالفوا وتعاقدوا مع قريش على أنهم يد على من سواهم ، وكان ذلك عند جبل بأسفل مكة يقال له حبشي فنسبوا إليه ، وقيل سموا بذلك لتجمعهم والتحبش التجمع ، والحباشة الجماعة ، لسان العرب ابن منظور: ١٦٦/٨ ، القاموس المحيط الفيروز آبادي: ٢٦٧/٢ .

من نفوذ المسلمين إلى مكة .

٣- من أهم الأسباب في هذه الغزوة أن قبيلة بني المصطلق أخذت تجمع الجموع لغزو المدينة المنورة ، وقد أطمعها في التفكير في غزو المدينة والتصميم على ذلك انتصار المشركين في غزوة أحد ، فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك أعد عدته ، واتخذ التدابير المناسبة ، وباغتهم في مكانهم ، وهزمهم شر هزيمة .

٤٠٦- قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق قال: « بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ...» فذكر الحديث [1].

٤٠٧- من حديث نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن ابن عون قال: كتبت إلى نافع فكتب إلي أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق ، وهم غارون وأنعامهم تسقي على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى ذراريهم ، وأصاب يومئذ جويرية ، حدثني به ابن عمر وكان في ذلك الجيش » لفظ البخاري ، وفي لفظ مسلم ، قال ابن عون: « كتبت إلى نافع أسأله عن الدعاء قبل القتال ، قال: فكتب إلي إنما كان ذلك في أول الإسلام ، قد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون ، وأنعامهم تسقى على الماء ، فقتل مقاتلتهم ، وسبى سبيهم» الحديث فذكر بقية الحديث »[2].

ترك الشيخ محمد الغزالي رواية البخاري ومسلم المتفق عليها في طريقة غزوه ﷺ لبني المصطلق وأثبت أثراً مخالفاً ، وعلل ذلك بقوله « وفي الوقت الذي فسحت مكاناً لهذا الأثر - على ما به - صددت عن إثبات رواية البخاري ومسلم مثلاً للطريقة التي تمت بها غزوة بني المصطلق ، فإن رواية الصحيحين تشعر بأن الرسول ﷺ باغت القوم وهم غارون ، ما عرضت عليهم دعوة الإسلام ، ولا

---

(١) قال الهيثمي في المجمع ١٤٢/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، وانظر سيرة ابن هشام: ٢٩٠/٢ ، وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في العتق باب من ملك من العرب رقيقاً فوهب وباع رقم: ٢٥٤١ ، ومسلم في كتاب الجهاد باب جواز الإغارة على الكفار الذين بلغتهم دعوة الإسلام رقم: ١٧٣٠ ،أبو داود في الجهاد باب في دعاء المشركين: ٢٦٣٢ ، واحمد في المسند: ٣١/٢ ، ٣٢ ، ٥١ ، شرح معاني الآثار للطحاوي كتاب السير: ٢٠٩/٣ ، السنن الكبرى للبيهقي: ٥٤/٩ ، ١٠٧/٩ ، كتاب الأموال لأبي عبيد ص: ١٧٥ .

بدا من جانبهم نكوص ، ولا عرف من أحوالهم ما يقلق ... » إلى آخر كلامه[1] وقد جانب الشيخ الصواب لأسباب عدة منها:

١ـ صحة حديث ابن عمر وصراحته في ذلك ، وهو ثابت في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها ، فلا يرده رأي يراه أي إنسان أو قول يحب أن ينصره .

٢ـ صرح كثير من العلماء بأن من بلغته الدعوة العامة إلى الإسلام وقربت داره، أو حاول النيل من المسلمين أنه يجوز مباغتته على غرة[2] .

٣ـ أن المستند الذي استند عليه الشيخ الغزالي حفظه الله لم تثبت صحته ، في أثناء ذكره لسياق حديث غزوة بني المصطلق ، وهو لا يقاوم الحديث الصحيح المسند المتفق على صحته إن كان صحيحاً فما بالك وهو ضعيف .

٤ـ ذكر الدكتور أكرم ضياء العمري حفظه الله أنه « لا يمكن معارضة آية قرآنية، أو حديث صحيح ، برواية من كتب التاريخ والأدب » .

وقال في موطن آخر « ولا شك أن مادة السيرة في كتب الحديث موثقة يجب الاعتماد عليها ، وتقديمها على روايات كتب المغازي والتواريخ العامة ، وخاصة إذا أوردتها كتب الحديث الصحيحة ، لأنها ثمرة جهود جبارة قدمها المحدثون عند تمحيص الحديث ونقده سنداً ومتناً . وهذا التدقيق والنقد الذي حظي به الحديث ، لم تحظ به الكتب التاريخية » .

٣ـ أحداث الغزوة:

٤٠٨ـ وعن محمد بن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله ابن أبي بكر ومحمد بن يحيى ابن حبان كل قد حدثني ببعض حديث بني المصطلق قال: « بلغ رسول الله ﷺ أن بني المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ، أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله ﷺ .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له: المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله

---

(١) فقه السيرة محمد الغزالي ص: ١٠ تحت عنوان حول أحاديث هذا الكتاب .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي: ٤/ ٣٤٣ ، شرح معاني الآثار للطحاوي: ٣/ ٢٠٧ـ٢١٠ المدونة الكبرى لمالك: ٢/ ٢ تحفة الأحوذي: ٥/ ١٥٥ـ ١٥٦ ، فتح الباري: ٦/ ١١٢ ، ٧/ ٣٤٠، ٤٤٥ .

بني المصطلق (وقتل الحارث بن أبي ضرار أبا جويرية) ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم .

وكان رسول الله ﷺ أصاب منهم سبياً كثيراً ، قسمه بين المسلمين (وكان فيما أصاب يومئذ جويرية بنت أبي ضرار سيدة قومها) .

وقد أصيب رجل من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له: هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ ، وقد وفد مقيس بن صبابة من مكة مسلماً فيما يظهر ، فقال: يا رسول الله جئتك مسلماً ، وجئت أطلب دية أخي ، قتل خطأ .

فأمر له رسول الله ﷺ بدية أخيه هشام بن صبابة ، فأقام عند رسول الله ﷺ غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناس ، وقتلَ علي بن أبي طالب منهم رجلين مالكاً وابنه ، وقتل عبدالرحمن بن عوف رجلاً من فرسانهم يقال له: أحمر ، أو أحيمر »[(١)] .

وليس بين هذا الحديث وبين حديث ابن عمر في الصحيح تعارض ، فقد جمع ابن حجر رحمه الله بينهما بقوله: « ويحتمل أن يكون لما دهم المسلمون بني المصطلق وهم على الماء ثبتوا قليلاً وقاتلوا ، ولكن وقعت الغلبة عليهم »[(٢)] .

٤ـ شعار المسلمين في غزوة بني المصطلق:

٤٠٩ـ من حديث سنان بن وبرة قال: « كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة المريسيع غزوة بني المصطلق فكان شعارهم: « يا منصور أمت أمت »[(٣)] .

---

(١) ابن هشام في السيرة: ٢٩٠ـ٢٩٣ ، وسنده صحيح إلى ابن إسحاق وقد صرح بالتحديث وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٢ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ، ومدار الحديث على ابن إسحاق ورجاله ثقات وهم رجال الصحيح غير أنه مرسل ، ويشهد له حديث عبدالله بن عمر فإنه صريح في وجود القتل والسبي وبذلك يكون الحديث حسناً لغيره .

(٢) فتح الباري: ٧/ ٤٣٠ـ٤٣١، في التعليق علي حديث غزوة بني المصطلق في المغازي .

(٣) مجمع الزوائد: ٦/١٤٢، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وإسناده حسن ، وهو كما قال الهيثمي وإن كان فيه الحارث بن رافع الجهني قال فيه في التقريب مقبول عملاً بقاعدة تحسين الحديث للمستور إذا كان من التابعين كما هو مذهب ابن كثير وابن رجب رحمهما الله تعالى .

٥ـ قصة جويرية بنت الحارث وزواج النبي عليه السلام بها:

٤١٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، وكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها .

قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتي ، فكرهتها وعرفته أنه سيرى منها ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه ، وقد أصابني ما لم يخف عليك ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس أو لابن عمه له ، فكاتبته على نفسي ، فجئتك أستعينك على كتابي .

قال: (فهل لك خير من ذلك؟) قالت: وما هو يا رسول الله ؟ قال: (أقضي كتابتك وأتزوجك) ، قالت: نعم يا رسول الله ، قال: (قد فعلت) .

قالت: وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما بيديهم ، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها »[1] .

٦ـ محاولة المنافقين إثارة الفتنة بين المسلمين في هذه الغزوة:

٤١١ـ من حديث جابر بن عبدالله قال: « كنا مع النبي ﷺ في غزوة ، قال: يرون أنها غزوة بني المصطلق ، فكسع[2] رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري: يا للأنصار ، وقال المهاجري: يا للمهاجرين ، فسمع ذاك رسول الله ﷺ فقال: (ما بال دعوى جاهلية؟) قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال: (دعوها فإنها منتنة) .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٢٧٧، والحاكم: ٤/ ٢٦ ، وسكت عنه هو والذهبي وأخرجه ابن هشام في السيرة النبوية وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده متصل: ٢/ ٢٩٤ والطبراني في الكبير: ٢٤/ ٦١ وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ١٤/ ١٠٩ ـ ١١٠ سنده جيد . أبو داود في كتاب العتق باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة: ٣٩٣١ وسنده حسن ـ وقد صرح ابن إسحاق بالسماع وسنده متصل .

(٢) كسع: ضرب دبره أخرجه بيد أو رجل أو سيف

فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها ؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقام عمر فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة ثم أن المهاجرين كثروا بعد »[1] .

قول زعيم المنافقين (لا تنفقوا على من عند رسول الله . . .) ونقل زيد بن أرقم ذلك إلى النبي:

٤١٢ـ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: قال: « خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة ، فقال عبدالله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله » .

وقال: « لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فأرسل إلى عبدالله بن أبي فسأله ، فاجتهد يمينه ما فعل ، قالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ فوقع في نفسي ما قالوا شدة حتى أنزل الله - عزَّ وجلَّ - تصديقي في قوله: ﴿ إذا جاءك المنافقون ﴾ فبعث إليَّ النبي فقرأ فقال: (إن الله قد صدقك يا زيد) »[2] .

كيف عالج رسول الله عليه الصلاة والسلام .

٤١٣ـ من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثني حديث بني المصطلق وساق الحديث ، وذكر قصة الأنصار والمهاجرين والخصومة بينهما إلى أن قال: (. . . فغضب عبدالله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم: زيد

---

(١) اخرجه البخاري في التفسير باب قوله ﴿ سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ﴾ رقم: ٤٩٠٥، ٤٩٠٧ ، مسلم كتاب البر والآداب والصلة باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً رقم: ٢٥٨٤، والترمذي في التفسير باب ومن سورة المنافقين حديث رقم: ٣٣١٥، وقال حسن صحيح احمد في المسند:٣/٣٩٢ - ٣٩٣، والطيالسي: ٢/٧٦ رقم: ٢٢٧٢ ، والحميدي: ١٢٣٩ ، واللفظ لأحمد .

(٢) اخرجه البخاري في التفسير سورة المنافقين باب إذا جاءك المنافقون رقم: ٤٩٠٠، ٤٩٠١ ، ٤٩٠٢، ٤٩٠٣، ٤٩٠٤ ، مسلم اول صفات المنافقين رقم: ٢٧٧٢ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة المنافقين حديث رقم: ٣٣١٢ ، وقال حسن صحيح: ٣٣١٣ وقال حسن صحيح: ٣٣١٤ وقال حسن صحيح ، واحمد في المسند: ٤/٣٦٩ ، ٣٧٣ .

بن أرقم غلام حدث ! فقال: أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعدّنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول: سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، وذلك عند فراغ رسول الله ﷺ من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال: مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله ﷺ: (فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل) وذلك في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها ، فارتحل الناس وقد مشى عبدالله بن أبي بن سلول إلى رسول الله ﷺ ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله ، ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به ـ وكان في قومه شريفاً عظيماً ـ فقال من حضر رسول الله ﷺ من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه ، ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدباً على ابن أبي بن سلول ، ودفعاً عنه .

فلما استقل رسول الله ﷺ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال: يا نبي الله ، والله لقد رحت في ساعة منكرة ، ما كنت تروح في مثلها ، فقال له رسول الله ﷺ: (أوما بلغك ما قال صاحبكم ؟) قال: وأي صاحب يا رسول الله ؟ قال: (عبدالله بن أبي) ، قال: وما قال؟ قال: (زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال: فأنت يا رسول الله ، والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل ، وأنت العزيز ، ثم قال: يا رسول الله ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى إنك قد استلبته ملكاً .

ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح، وصدد يومهم ذلك ، حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشتغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبي » إلى أن قال: وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ، ويأخذونه

ويعنفونه ، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك من شأنهم: (كيف ترى يا عمر ، أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت[1] له أنف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته) .

قال: قال عمر: « قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري»[2]:

موقف عبدالله بن عبدالله بن أبي من أبيه:

٤١٤ـ في رواية الترمذي لحديث جابر السابق الذكر عن غزوة بني المصطلق ومحاولة المنافقين إثارة الفتنة زيادة لطيفة ليست عند البخاري ومسلم حيث قال الترمذي بعد قول النبي لعمر: (دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)، وقال غير عمرو (يعني ابن دينار): فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله: والله لا تنفلت حتى تقر أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ففعل[3] .

وقد جاء موقف عبدالله بن عبدالله بن أبي من أبيه واستئذانه لرسول الله ﷺ في أربعة أحاديث كلها منقطعة ، ولكن رجالها ثقات عند الحميدي[4] من طريق أبي هارون ، وعند الطبراني من طريق عروة بن الزبير ، قال فيه الهيثمي[5] رجاله رجال الصحيح ، ومن طريق عاصم بن عمر بن قتادة عند ابن جرير الطبري وابن هشام في السيرة[6] ، ومن طريق عكرمة وابن زيد عند ابن كثير في التفسير والتاريخ[7] .

ولكن مجموع هذه الطرق يؤيد بعضها بعضاً ، وترتقي إلى درجة الحسن

---

(١) لأرعدت له أنف: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية .

(٢) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٠ ـ ٢٩٢ والحديث رجاله ثقات ولكنه مرسل ، وابن جرير الطبري في تاريخه: ٢/ ٦٠٥ ، وله شاهد مرسل من طريق عروة عند ابن أبي حاتم قال فيه ابن حجر ، أنه مرسل جيد فتح الباري: ٨/ ٦٤٩ ، واصله في الصحيحين كما سبق من حديث زيد بن أرقم ، وجابر بن عبدالله وبهذا يكون الحديث حسناً لغيره .

(٣) سبق تخريجه دون هذه الزيادة من حديث جابر رقم: ٤١١، فانظر هناك .

(٤) مسند الحميدي: ٢/ ٥٢٠ .

(٥) مجمع الزوائد: ٩/ ٣١٨ .

(٦) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٢ـ٢٩٣ ، ابن جرير التاريخ: ٢/ ٦٠٨ تفسير: ٢٨/ ١١٦ .

(٧) تفسير ابن كثير: ٤/ ٣٧٢ ، تاريخ البداية والنهاية: ٤/ ١٥٨ .

لغيره، ويقويها رواية الترمذي السابقة الذكر ، وقد جاء أيضاً ما يقويها من حديث أبي هريرة دون ذكر أنها كانت في غزوة بني المصطلق.

٤١٥ـ من حديث أبي هريرة قال: « مر رسول الله ﷺ بعبدالله بي أبي وهو في ظل أطم [١] فقال: عبر علينا ابن أبي كبشة (يعني بذلك رسول الله) فقال له ابنه عبدالله بن عبدالله: يا رسول الله ، والذي أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه ، فقال: (لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته) » [٢] .

هبوب ريح شديدة لموت عظيم من المنافقين:

٤١٦ـ من حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان . « أن رسول الله ﷺ لما قفل من غزوة بني المصطلق سلك بالناس طريق الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع يقال له نقعاء ، فلما راح رسول الله ﷺ هبت على الناس ريح شديدة آذتهم ، وتخوفوها، فقال رسول الله ﷺ: (لا تخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدموا المدينة ، وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت أحد بني قينقاع ، وكان عظيماً من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات في ذلك اليوم. . .) » [٣] .

وقد وصله الإمام مسلم ، وعبد بن حميد ، وأحمد من طريق آخر عن جابر دون ذكر أن الريح كانت في غزوة بني المصطلق وسأكتفي هنا بإيراد رواية مسلم.

٤١٧ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قدم من سفر، فلما كان قرب المدينة هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب ، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: (بعثت هذه الريح لموت منافق ، فلما قدم المدينة ، فإذا منافق عظيم من المنافقين قد مات) [٤] .

وبهذا الشاهد يعلم أن حديث ابن إسحاق يصبح حسنا لغيره .

---

(١) اطم: بناء مرتفع

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٩/٣١٨ ، رواه البزار ورجاله ثقات

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/٢٩٢ وهو مرسل رجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالتحديث .

(٤) اخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين رقم: ٢٧٨٢ أحمد في المسند: ٣/٣١٥ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ وابو يعلى في مسنده: ٤/٢٠١ ، والطبري في تاريخه: ٢/٦٠٧ والبيهقي في الدلائل: ٤/٦١ .

المبحث السادس: حادثة الإفك

٤١٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه .

قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها ، [١] فخرج فيها سهمي ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ ، وذلك بعد ما أنزل الله الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي ، وأنزل فيها مسيرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه ، وقفل ودنونا من المدينة آذن[٢] ليله بالرحيل ».

١ـ سبب تأخر عائشة عن الجيش:

فقمت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري فإذا عقدي من جزع [٣] ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فحملوا هودجي [٤] ، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه .

قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً ، لم يُهَبَّلنَ [٥] ، ولم يغشهن اللحم [٦]، إنما يأكلن العلقة [٧] من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل [٨] الهودج حين رحلوه ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش ، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب .

---

(١) غزوة غزاها: هي غزوة بني المصطلق كما هو في رواية أبي يعلى في مسنده عن عائشة: ٤/ ٤٥٠ .

(٢) آذن: اعلم

(٣) جزع ظفار: خرز يماني

(٤) هودج: مركب النساء

(٥) يهبلن: لم يكثر عليهن اللحم والشحم

(٦) يغشهن: يغط اللحم بعضه بعضاً

(٧) العلقة: القليل من الطعام

(٨) في رواية الليث عن يونس (فلم يستنكر القوم خفة الهودج)

فتيممت منزلي الذي كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدوني فيرجعون إلي ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت ، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكراني قد عرس [(١)] من وراء الجيش فادلج [(٢)] ، فأصبح عند منزلي ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتاني ، فعرفني حين رآني ، وقد كان يراني قبل أن يضرب الحجاب عليَّ ، فاستيقظت باسترجاعه [(٣)] حين عرفني ، فخمرت [(٤)] وجهي بجلبابي ، والله ما يكلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة [(٥)] ، فهلك من هلك في شأني ، وكان الذي تولى كبره عبدالله بن أبي بن سلول .

٢ـ انتشار الإفك في المدينة:

فقدمنا المدينة ، فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهراً ، والناس يفيضون [(٦)] في قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبني [(٧)] في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف [(٨)] الذي كنت أرى منه حين أشتكي ، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم ؟

فذاك يريبني ، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد ما نقهت [(٩)] ، وخرجت معي أم مسطح قبل المناصع [(١٠)] وهو متبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف[(١١)] قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التنزه[(١٢)]، وكنا

---

(١) عرس: التعريس هو نزول المسافر آخر الليل نزله للنوم والاستراحة

(٢) ادلج: سار آخر الليل

(٣) الاسترجاع: قوله إنا لله وإنا إليه راجعون

(٤) خمرت: غطيت

(٥) موغرين: النازل في وقت الوغرة وهو شدة الحر .

(٦) يفيضون: يخوضون

(٧) يريبني: أوهمه وشكله

(٨) اللطف: البر والرفق

(٩) نقهت: برأت وافقت

(١٠) المناصع: مواضع قضاء الحاجة .

(١١) الكنف: جمع كنيف المكان الساتر المعد لقضاء الحاجة .

نتأذى [1] بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وبنت أبي رهم قبل بيتي حين فرغنا من شأننا .

فعثرت أم مسطح في مرطها [2] . فقالت: تعس[3] مسطح ، فقلت لها: أتسبين رجلاً قد شهد بدراً ؟!

قالت: آي هنتاه [4] ؟ ألم تسمعي ما قال ؟ قلت: وماذا قال قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضاً إلى مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي ، فدخل علي رسول الله ﷺ ثم قال: (كيف تيكم؟) قلت: أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس ، فقالت: يا بنية هوني عليك ، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة [5] ، عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن [6] عليها ، قالت: قلت: سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا ؟

قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي .

٣ـ استشارة رسول الله ﷺ بعض أصحابه عند تأخر الوحي

ودعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال: يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيراً ، وأما علي بن أبي طالب فقال: لم يضيق الله عليك في

---

(١٢) التنزه: البعد لقضاء الحاجة

(١) نتأذى: نتقذر

(٢) عثرت في مرطها: وطئته برجلها فسقطت .

(٣) تعس: إذا أعثر وانكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك

(٤) هنتاه: يا بلهاء كأنها نسبتها إلى قلة المعرفة بمكائد الناس وشرورهم

(٥) وضيئة: حسنة مبهجة جميلة .

(٦) كثرن عليها: القول في عيبها .

النساء كثيراً ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: (أي بريرة هل رأيت من شيء يريبك من عائشة ؟) .

قالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمراً قط أغمصه [1] عليها ، أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن[2] فتأكله ، قالت: فقام رسول الله ﷺ على المنبر فاستعذر [3] من عبدالله بن أبي بن سلول .

قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: (يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

٤ـ آثار فتنة الإفك:

قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان رجلاً صالحاً ، ولكن اجتهلته الحمية ، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمرالله لا تقتله ، ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير ، وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فثار الحيان الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا ، وسكت .

قالت وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان أن البكاء فالق كبدي ، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي ، استأذنت علي امرأة من الأنصار فأذنت لها ، فجلست تبكي ، قالت: فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل لي ما قيل .

---

(١) اغمصه: اعيبها به واطعن فيها به

(٢) الداجن: الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم .

(٣) استعذر أي قال من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه فلا يلوموني .

٥ـ مفاتحة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لعائشة وجوابها له:

وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شاني بشيء ، قالت: فشهد رسول الله ﷺ ثم قال: (أما بعد يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا [١] . فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب ، تاب الله عليه) .

قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته ، قلص دمعي [٢] حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال ، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ .

فقلت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن ، إني والله لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في نفوسكم ، وصدقتم به ، فإن قلت لكم: إني بريئة ـ والله يعلم أني بريئة ـ لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ـ والله يعلم أني بريئة ـ لتصدقونني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: ﴿ **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** ﴾ .

قالت: ثم تحولت فاضجعت على فراشي ، قالت: وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحي يتلى ، ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله ـ عزَّ وجلَّ ـ فيَّ بأمر يتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها .

٦ـ نزول الوحي ببراءة عائشة

قالت: فوالله ما رام [٣] رسول الله ﷺ مجلسه ، ولا خرج من أهل البيت أحد حتى أنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ على نبيه ﷺ ، فأخذه ما كان يأخذه من

---

(١) كذا وكذا: كناية عما رميت به من الإفك

(٢) قلص دمعي: ارتفع وذهب

(٣) ما رام: ما برح وما فارق مجلسه .

البرحاء [1] عند الوحي ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان [2] من العرق في اليوم الشات من ثقل القول الذي أنزل عليه ، قالت: فلما سرى [3] عن رسول الله ﷺ وهو يضحك ، فكان أول كملة تكلم بها أن قال: (أبشري يا عائشة ، أما الله فقد براك) فقالت لي أمي: قومي إليه ، فقلت: والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله هو الذي برأني . قالت: فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ عشر آيات فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - هؤلاء الآيات ببراءتي ، قالت: فقال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة ، فأنزل الله - عزَّ وجلَّ - ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى** ﴾ . . . إلى قوله ﴿ **ألا تحبون أن يغفر لكم** ﴾ » .

قال حبان بن موسى: قال عبدالله بن المبارك: هذه أرجى آية في كتاب الله .

« فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه ، وقال لا أنزعها منهُ أبداً .

قالت عائشة: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ عن أمري (ما علمت ؟ وما رأيت ؟) فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري ، [4] والله ما علمت إلا خيراً .

قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني [5] من أزواج رسول الله ﷺ فعصمها الله بالورع . وطفقت أختها حمنة بنت جحش تحارب لها ، فهلكت فيمن هلك ، قال الزهري: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط »[6]. وهذا اللفظ لمسلم .

---

(١) البرحاء: شدة الكرب من ثقل الوحي .

(٢) الجمان: هو اللؤلؤ الصغار

(٣) سرى: انكشف عنه ما يجده من الهم والقتل

(٤) احمي سمعي وبصري: اي امنعهما من أن أنسب إليهما ما لم يدركاه ، ومن العذاب لو كذبت عليهما

(٥) تساميني: تعاليني وتفاخرني تطاولني عنده ﷺ .

(٦) اخرجه البخاري في المغازي في باب حديث الأفك رقم: ٤١٤١ ، مسلم في صحيحه كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف رقم: ٢٧٧٠ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة النور حديث رقم: ٣١٨٠ ، وأبو يعلى في مسنده: ٤٣٩٧ ، ٤٩٢٧ ، أحمد في المسند: ٦/ ٥٩ ، وانظر الفتح الرباني: ٢١/ ٧٣ - ٧٥ وعبدالرزاق في المصنف: ٥/ ٤١٠ - ٤١٩ .

٧ـ الذي تولى كبر الإفك

٤١٩ـ من حديث عائشة: قالت: « وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبدالله بن أبي ، وهو الذي كان يستوشيه [١] وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة » [٢].

٨ـ إقامة الحد على القاذفين:

٤٢٠ـ من حديث عائشة قالت: « لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن ، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم » [٣].

٤٢١ـ من حديث أبي هريرة قال: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأصاب عائشة القرعة في غزوة بني المصطلق . . . » الحديث [٤].

وفيه « وكان رسول الله ﷺ يجيء فيقوم على الباب فيقول: (كيف تيكم ؟) حتى جاء يوماً فقال: (أبشري يا عائشة فقد أنزل الله عذرك ، فقالت: بحمدالله لا بحمدك ، وأنزل الله - عزَّ وجلَّ - في ذلك عشر آيات ﴿ **إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم** ﴾ قال: فحد رسول الله ﷺ مسطحاً وحمنة وحسان » .

وكذا جاء من حديث عائشة عن ابن إسحاق في السيرة وسنده في ذلك صحيح، وقد صرح بالتحديث كما جاء في سيرة ابن هشام [٥].

٩ـ موقف صفوان بن المعطل من حسان بن ثابت

٤٢٢ـ قال ابن إسحاق: حدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي: أن ثابت ابن قيس بن الشماس وثب على صفوان بن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع

---

(١) يستوشيه: يستخرجه الحديث .. والسؤال والبحث عنه .

(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة النور باب قوله ﴿ أن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ﴾ رقم: ٤٧٥٧ ، مسلم في كتاب التوبة باب حديث الإفك رقم: ٢٧٧٠ الترمذي تفسير سورة النور حديث رقم: ٣١٨٠ .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير باب ومن سورة النور حديث رقم: ٣١٨١ وقال حسن غريب ابن ماجه كتاب الحدود باب حد القذف حديث رقم: ٢٧٦٥ ، أبو داود حديث رقم: مصنف عبدالرزاق: ٥/ ١٩، وأحمد: ٦/ ٦١ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٢٣٠ رواه البزار وفيه محمد بن عمرو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات .

(٥) سيرة ابن هشام: ٢/ ٢٩٧ - ٣٠٠ .

يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج: فلقيه عبدالله بن رواحة فقال: ما هذا ؟

قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتلته ، قال له عبدالله بن رواحة: هل علم رسول الله ﷺ بشيء مما صنعت ؟

قال: لا والله ، قال: لقد اجترأت ، أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل: يا رسول الله آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله ﷺ لحسان: (أحسن يا حسان ، أتشوفت على قومي ، أن هداهم الله للإسلام) ، ثم قال: (أحسن يا حسان في الذي أصابك) قال: هي لك يا رسول الله » [1].

(١) سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٠٥ ، ابن جرير: ٦١٨/٢ البيهقي في الدلائل: ٤/ ٧٤ ـ ٧٥ وقال ابن حجر في تعجيل المنفعة: ص١٢٨ سنده صحيح وقد وصلها موسى بن عقبة في مغازيه عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ، وانظر مجمع الزوائد: ٩/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦ . وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.

الفصل السادس

غزوة الأحزاب

المبحث الأول: أحداث ما قبل المعركة

١ـ وقت الغزوة وسببها:

اختلف في وقتها وتاريخها على قولين أحدهما قول ابن إسحاق أنها في سنة خمس:

٤٢٣ـ عن محمد بن إسحاق قال: كانت الخندق في شوال سنة خمس وفيها مات سعد بن معاذ رضي الله عنه [(١)] قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد (وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال على أصح القولين إذ لا خلاف أن أحداً كانت في شوال سنة ثلاث، وواعد المشركون رسول الله ﷺ في العام المقبل وهو سنة أربع ثم أخلفوه، لأجل جدب تلك السنة، فرجعوا، فلما كانت سنة خمس جاءوا لحربه، هذا قول أهل السير والمغازي [(٢)].

وذهب إلى هذا القول ابن سعد في الطبقات، والبيهقي في السنن وقطع به الذهبي، واعتمده الحافظ ابن حجر في فتح الباري، وأبي عبيد في كتاب الأموال [(٣)].

وقال ابن كثير: « وقد كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس من الهجرة نص على ذلك ابن إسحاق وعروة ابن الزبير وقتادة والبيهقي وغير واحد من العلماء سلفاً وخلفاً، وقد صرح الزهري بأن الخندق قد كانت بعد أحد بسنتين،

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٢، رواه الطبراني ورجاله ثقات، سيرة ابن هشام: ٢/٢١٤.

(٢) زاد المعاد: ٣/٢٦٩.

(٣) السيرة النبوية ابن هشام: ٢/٢١٤، طبقات ابن سعد: ٢/٦٥، المغازي النبوية ص: ٧٩، كتاب الأموال ص: ٢٣٥، فتح الباري: ٧/٣٩٣، المغازي باب غزوة الخندق، دلائل النبوة للبيهقي: ٣/٣٩٣ـ ٣٩٧.

ولا خلاف أن أحداً في شوال سنة ثلاث »[1] .

والقول الآخر: أنها كانت في شوال سنة أربع للهجرة ، قال بذلك موسى بن عقبة في مغازيه ، وتابعه على ذلك مالك بن أنس ، ومالَ البخاري إلى ذلك ، وقد رد ابن حجر في فتح الباري على القائلين بهذا القول ، وبين ضعفه ، وبأنه غير معتمد ، وناقش ذلك حجة بحجة ودليلاً بدليل فانظره[2] .

٤٢٤ـ قال ابن إسحاق حدثنا يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير عن عبدالله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظي ، والزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن أبي بكر وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق قالوا:

« إنه كان الذين حزبوا الأحزاب نفراً من اليهود ، وكان منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحيي بن أخطب النضري ، وكنانة بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمار الوائلي ، في نفر من بني النضير ، فلما قدموا على قريش ، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله .

فقالت لهم قريش: يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نحتلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله فيهم **﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾**[3][4] .

---

(١) سيرة ابن كثير: ٣/ ١٨٠ وانظر الرد على القائلين بغير القول عند ابن إسحاق .

(٢) فتح الباري: ٧/ ٣٩٣ ، المغازي باب غزوة الخندق وهو غزوة الأحزاب .

(٣) الآيات من سورة النساء: ٥١ـ٥٤ .

(٤) السيرة النبوية ابن هشام: ٢/ ٢١٤ـ٢١٥ بإسناده ورجاله ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ولكنه مرسل ، وقد وصله السيوطي من رواية ابن إسحاق عن ابن عباس في لباب النقول لأسباب النزول ص: ١٧ ، رواه الطبراني في الكبير: ١١/ ٢٥١ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٦ وفيه يونس بن سليمان الجمال ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح .

٢ـ حفر الخندق:

٤٢٥ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « خرج رسول الله ﷺ إلى الخندق فإذا المهاجرين والأنصار يحفرون في غداة باردة ، فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم ، فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال: (اللهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة) فقالوا مجيبين له:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

وفي لفظ آخر قال: « جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة، وينقلون التراب على متونهم وهم يقولون:

نحن الذين بايعوا محمداً على الإسلام ما بقينا أبداً

قال يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم (اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ، فبارك في الأنصار والمهاجرة) قال: يؤتون بملء كفي من الشعير، فيصنع لهم بإهالة[1] سنخ توضع بين يدي القوم، والقوم جياع، وهي بشعة في الحلق ولها ريح منتن»[2].

٤٢٦ـ من حديث البراء بن عازب قال: « لما كان يوم الأحزاب ، وخندق رسول الله ﷺ ، رأيته ينقل من تراب الخندق ، حتى وارى عني التراب جلدة بطنه ـ وكان كثير الشعر ـ فسمعته يرتجز بكلمات ابن رواحة ، وهو ينقل من التراب يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزل سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

قال: ثم يمد صوته بآخرها »[3].

(١) الإهالة: الدهن الذي يؤتدم به سواء كان زيتاً أو سمناً أو شحماً .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤٠٩٩ـ٤١٠٠ ، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب وهي الخندق حديث رقم: ١٨٠٥ ، الفتح الرباني: ٢١/٧٧ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٦ ،٤١٠٤، مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم: ١٨٠٣ ، الفتح الرباني: ٢١/٧٧ ، وكذلك جاء شبيهاً بالحديثين من حديث سهل بن سعد الساعدي عند البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤٠٩٨ ، ومسلم رقم: ١٨٠٤ .

٣ـ معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب

أ ـ إبصاره قصور الملوك وإعطاؤهُ مفاتيح ملكهم:

٤٢٧ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينا إلى رسول الله ﷺ فجاءنا فأخذ المعول فقال: (بسم الله ، فضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية ، فقطع الثلث الآخر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض ، ثم ضرب الثالثة ، وقال: بسم الله فقطع بقية الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة)»[1] .

ب ـ تكثيره الطعام:

٤٢٨ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « احتفر رسول الله ﷺ الخندق ، وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ، فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ قال: (هل دللتم على أحد يطعمنا أكلة) قال رجل: نعم ، قال: (أما لا فتقدم فدلنا عليه) . فانطلقوا إلى رجل فإذا هو في الخندق يعالج نصيبه فيه ، فأرسلت إليه امرأته أن جئ فإن رسول الله ﷺ قد أتانا فجاء الرجل يسعى .

فقال: بأبي وأمي ، وله معزة وجديها فوثب إليها ، .فقال النبي ﷺ: (الجدي من ورائنا) فذبح الجدي ، وعمدت امرأته إلى طحينة لها فعجنتها وخبزت ،

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/٣٠٣ والنسائي في الجهاد باب غزوة الترك: ٦/٤٣ ـ ٤٤ ، والبيهقي في الدلائل: ٣/٤١٧ ـ ٤١٨ ، وحسن إسناده الحافظ في الفتح ٧/٣٩٧ ، حيث قال ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن عن البراء فذكر الحديث وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٠ ـ ١٣١ رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبدالله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات .

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند الطبراني كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣١ـ١٣٢ ، سنورد تخريجه في الحديث التالي برقم: ٤٢٨ ، ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣١ ، رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما حيي بن عبدالله وثقه ابن معين وضعفه جماعة وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث جابر في الصحيحين سيأتي ذكره وبهذا يكون الحديث كما قال الحافظ أو أكثر .

★ السمت: الدعاء .

وأدركت وتردت ، فقربتها إلى رسول الله ﷺ وأصحابه فوضع النبي ﷺ أصبعه فيها فقال: (بسم الله ، اللهم بارك فيها ، اللهم بارك فيها اطعموا) فأكلوا منه حتى صدروا ، ولم يأكلوا إلا ثلثها وبقي ثلثاها ، فسرح أولئك العشرة الذين كانوا معه أن اذهبوا ، وسرحوا إلينا نغديكم ، فذهبوا وجاء أولئك العشرة مكانه ، فأكلوا منها حتى شبعوا ، ثم قام ودعا لربة البيت وسمَّت عليها وعلى أهلها ، ثم مشوا إلى الخندق فقالوا: اذهبوا بنا إلى سلمان ، وإذا صخرة بين يديه قد ضعف عنها ، فقال النبي لأصحابه: (دعوني فأكون أول من ضربها فقال: بسم الله) فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال: (الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة) ، ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة فقال: (الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة) ، فقال عندها المنافقون: نحن نخندق وهو يعدنا قصور فارس والروم [١] .

٤٢٩ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « لما حفر الخندق رأيت برسول الله ﷺ خمصاً [٢] فانكفأت [٣] إلى امرأتي ، فقلت لها: هل عندك شيء ؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصاً شديداً ، فأخرجت لي جراباً [٤] فيه صاع من شعير، ولنا بهيمة [٥] داجن [٦] ، قال: فذبحتها وطحنت ، ففزعت إلى فراغي ، فقطعتها في برمتها ، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ . فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ ومن معه ، قال: فجئته فساررته ، فقلت: يا رسول الله ! إنا قد ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعاً من شعير كان عندنا ، فتعال أنت في نفر معك ، فصاح رسول الله ﷺ وقال: (يا أهل الخندق ! إن جابراً قد صنع لكم سوراً [٧] فحيهلا بكم) .

وقال رسول الله ﷺ: (لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينتكم ، حتى أجيء) فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس ، حتى جئت امرأتي . فقالت: بك

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣١ ـ ١٣٢ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبدالله بن أحمد ابن حنبل ونعيم العنبري وهما ثقتان .

(٢) خمصاً: خلاء البطن من الطعام .

(٣) انكفأت: فرجعت وانقلبت .

(٤) الجراب: الوعاء من الجلد .

(٥) البهيمة: السخلة الصغيرة من ولاد المعز .

(٦) داجن: ما ألف البيوت .

(٧) السور: الطعام الذي يدعى إليه .

وبك[1] ، فقلت: قد فعلت الذي قلت لي . فأخرجت له عجينتنا فبصق فيها وبارك ، ثم عمد إلى برمتنا فبصق فيه وبارك ، ثم قال: (ادعي خابزة فلتخبز معك ، واقدحي في برمتكم[2] ولا تنزلوها) وهم الف . فأقسم بالله إلا أكلوا حتى تركوه وانحرفوا[3] ، وإن برمتنا لتغط[4] كما هي ، وإن عجينتنا - أو كما قال الضحاك - لتخبز كما هو »[5] .

٤- منزل المشركين في الخندق:

٤٣٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر** ﴾ قالت: كان ذاك يوم الخندق »[6] .

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه كما قال الحافظ في الفتح تفسير آخر قال: « وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ﴿ **إذ جاءوكم من فوقكم** ﴾ قال: عيينة بن حصن ﴿ **ومن أسفل منكم** ﴾ أبو سفيان بن حرب»[7] .

وقد بين ابن إسحاق بسنده الذي ذكره في بداية غزوة الخندق ورجاله ثقات ، وقد صرح هو بالتحديث ، لكن الحديث مرسل ولذا فإنه يستأنس به تحديد الموقع الذي نزل فيه المشركون قال: « نزلت قريش بمجمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة ، ونزل عيينة في غطفان ومن معهم من أهل نجد إلى جانب أحد بباب نعمان ، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف ، والخندق بينهم وبين القوم ، وجعل

---

(١) بك وبك: ذمته ودعت عليه .

(٢) اقدحي في برمتكم: أي اغرفي .

(٣) تركوا ، وانحرفوا: شبعوا وانصرفوا .

(٤) لتغط: تغلي ويسمع غليانها .

(٥) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١٠٢ ورقم: ٤١٠١ ، مسلم في صحيحه كتاب الأشربة باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه حديث رقم: ٢٠٣٩ ، الفتح الرباني: ٢٢/ ٦٠ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٠-٣١ ، وأحمد في المسند: ٣/ ٣٠ مختصراً والدارمي في المقدمة باب ما أكرم به النبي في بركة طعامه: ١/ ١٩ - ٢١ والطبراني في الاحاديث الطوال برقم: ٥١ ، ٢٥/ ٣٠٢ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١٠٣ .

(٧) فتح الباري على صحيح البخاري في التعليق على الحديث السابق: ٧/ ٤٤٠ .

النساء والذراري في الأطام »[1] .

وقد جاء تحديد موضع الخندق من حديث عمرو بن عوف المزني: « أن رسول الله ﷺ خط الخندق من أحمر السبختين طرف بني حارثة عام حرب الأحزاب ، حتى بلغ المداحج فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً »[2] .

والحديث يستأنس به في هذا الموطن لأنه ليس فيه إثبات حكم شرعي أو غير ذلك ، وإنما هو تحديد مكان تاريخي الا وهو مكان الخندق .

٥ـ شعار المسلمين يوم الخندق:

٤٣١ـ عن المهلب بن أبي صفرة قال: سمعت من يحدث عن النبي ﷺ قال: « وهو يخاف أن يبيته أبو سفيان فقال: (إن بيتم فادعو حم لا ينصرون) »[3] .

---

(١) انظر تخريج السند أولاً في حديث رقم: ٤٢٤ والحديث في السيرة لابن هشام: ٢/ ٣١٥ـ٣١٦ .وانظر فتح الباري: ٧/ ٤٠٠ .

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٠ ،رواه الطبراني وفيه كثير بن عبدالله المزني وقد ضعفه الجمهور وحسن الترمذي حديثه وبقية رجال ثقات .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٦٥ ، ٢٨٩ ، ٥/ ٣٧٧ ،الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في الشعار حديث رقم: ١٦٨٢، أبو داود في الجهاد باب في الرجل ينادي بالشعار وصححه الحاكم:٢/ ١٠٧، وقد وصله من حديث البراء حيث قال في هذه الرواية: صحيح الإسناد على شرط الشيخين إلا أنه فيه إرسال فإذا الرجل الذي لم يسمه المهلب بن أبي صفرة البراء بن عازب » وقد أخرجه الحاكم أيضاً في نفس الصفحة عن البراء بن عازب بإسناد المهلب وصرح فيه باسم البراء .

المبحث الثاني: من مشاهد المعركة

١ـ رجل المهمات الصعبة:

٤٣٢ـ من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما قال: « لما كان يوم الخندق كنت أنا وعمر بن أبي سلمة في الأطم [(١)] الذي فيه نساء رسول الله ﷺ ، أطم حسان ، فكان يرفعني وأرفعه ، فإذا رفعني عرفت أبي حين يمر إلى بني قريظة ، وكان يقاتل مع رسول الله ﷺ يوم الخندق فقال: (من يأتي بني قريظة فيقاتلهم؟) فقلت له حين رجع: يا أبت تالله إن كنت لأعرفك حين تمر ذاهباً إلى بني قريظة فقال: « يا بني أما والله إن كان رسول الله ﷺ ليجمع لي أبويه جميعاً يفديني بهما ، يقول: (فداك أبي وامي) [(٢)] .

٤٣٣ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: قال: « اشتد الأمر يوم الخندق فقال رسول الله ﷺ الا رجل يأتينا بخبر بني قريظة ؟ فانطلق الزبير فجاء بخبرهم ، ثم اشتد الأمر أيضاً فذكر ثلاث مرات فقال رسول الله ﷺ: (إن لكل نبي حواري والزبير حواري)[(٣)] .

٢ـ إشغال المشركين المسلمين عن الصلاة:

لقد ضيق اهل الكفر حصارهم على رسول الله وأصحابه في المدينة المنورة يوم الخندق حتى شغلوهم عن الصلاة ، واستبسل الصحابة وأبدوا من ضروب الشجاعة الشيء الكثير أيضاً ، وقد جاءت قصة إشغال المشركين النبي وأصحابه عن الصلاة من رواية عدة من الصحابة ، وأجمع الروايات ما ثبت من:

٤٣٤ـ حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « حبسنا يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب ، وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل « وفي رواية ـ قبل أن ينزل صلاة الخوف فرجالاً أو ركباناً » فلما كفينا القتال وذلك قوله:

---

(١) الأطم: بناء مرتفع كالحصن .

(٢) اخرجه البخاري في مناقب الصحابة باب مناقب الزبير رقم: ٣٧٢٠ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل طلحة والزبير رقم: ٢٤١٦ ، أحمد في المسند: ١/ ١٦٤، ١٦٦ .

(٣) اخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب الزبير رقم: ٣٧١٩ ، مسلم في الفضائل باب فضائل طلحة والزبير حديث رقم: ٢٤١٥، الترمذي في المناقب باب مناقب الزبير: ٣٧٤٥ ، ابن ماجه في المقدمة باب فضائل الزبير: ١٢٢، الحميدي رقم: ١٢٣١ ، أحمد في المسند: ٣/ ٣٠٧، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٦٥.

﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ أمر النبي ﷺ بلالاً فأقام الظهر فصلاها كما يصليها في وقتها »[1] .

٤٣٥ـ من حديث علي كرم الله وجهه: « عن النبي ﷺ أنه قال يوم الخندق: (ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم ناراً كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس)»[2] .

٤٣٦ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « إن عمر بن الخطاب جاء يوم الخندق بعد ما غربت الشمس جعل يسب كفار قريش وقال: يا رسول الله ، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب قال النبي ﷺ: (والله ما صليتها) ، فنزلنا مع النبي ﷺ بطحان ، فتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ،ثم صلى بعدها المغرب »[3] .

٣ـ مفاوضة الرسول زعيم بني غطفان لتخفيف الحصار

٤٣٧ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد شاطرنا تمر المدينة فقال ﷺ: (حتى أستأمر السعود) فبعث إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وسعد بن مسعود ، وسعد بن خيثمة ، فقال: (إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وأن الحارث سالكم أن تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الأذان باب الأذان للفائت من الصلوات: ٢/ ١٧ ، أحمد في المسند: ٣/ ٢٥ ، ٤٩ ، ٦٧ ، البيهقي في السنن: ١/ ٤٠٢ ، والشافعي في الأم: ١/ ٧٥ ، الدرامي في السنن: ١/ ٣٥٨ وصححه ابن حبان: ٢٨٥ ، وغير ابن حبان وإسناده صحيح ، وقال ابن سيد الناس (هذا إسناد صحيح جليل) ، ورواه الطيالسي برقم: ٢٢٣١، وصححه ابن السكن كما قال ابن حجر في التلخيص ص: ٧٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١١، مسلم في المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر رقم: ٦٢٧، أبو داود في الصلاة باب في وقت الصلاة حديث رقم: ٤٠٩ ، النسائي كتاب الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر: ١/ ٢٣٦، ابن ماجه في الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر حديث رقم: ٦٨٤، أحمد: ١/ ٧٩، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢، ١٢٦ ، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١٢ ، مسلم في المساجد باب الدليل لمن قال أن الصلاة الوسطى صلاة العصر حديث رقم: ٦٣١ ، الترمذي الصلاة باب في الرجل إذا فاته الصلوات بأيهن يبدأ رقم: ١٨٠ ، وقد جاء شبيهها بما سبق من حديث ابن مسعود عند مسلم برقم: ٦٢٨ المساجد باب التغليظ في تفويت صلاة العصر ، الترمذي الصلاة باب ما جاء في الرجل تفوته الصلوات بأيهن يبدأ رقم: ١٧٩ ، ابن ماجه الصلاة باب المحافظة على صلاة العصر رقم: ٦٨٦ ، أحمد في المسند: ١/ ٤٠٤ ، ٤٥٦ .

أمركم بعد) فقالوا: يا رسول الله أوحي من السماء ، فالتسليم لأمر الله أو عن رأيك وهواك فرأينا نتبع هواك ورأيك ، فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ، ما ينالون منا ثمرة إلا شراء أو قرى ، فقال رسول الله ﷺ: (هوذا تسمعون ما يقولون) ، قالوا: غدرت يا محمد ، فقال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

يا جار من يغدر بذمة جاره ... منكم فإن محمداً لا يغدر

وأمانة المري حين لقيتها ... كسر الزجاجة صدعها لا يجبر

إن تغدروا فالغدر من عاداتكم ... واللؤم ينبت في أصول السخبر[1]

٤ـ قتل علي بن أبي طالب عمرو بن عبدود العامري .

٤٣٨ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله ﷺ حتى أعطوه الدية ، وقتل من بني عامر بن لؤي عمرو بن عبدود ، قتله علي بن أبي طالب مبارزة »[2] .

وقد جاءت قصة مبارزة علي بن أبي طالب رضي الله عنه لعمرو بن عبدود العامري مفصلة عند ابن إسحاق في السيرة مستقصاة ومستوفاة ، إلا أنها مرسلة ، ولم يصل بها ابن إسحاق إلى صحابي روى هذا الحديث ، ولذلك لم أورد التفاصيل هنا ، واقتصرت على ما ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه ، من أن قاتل عمرو بن عبدود العامري هو علي بن أبي طالب كما مر في الحديث السابق، الذي أوردناه .

هذا ما وصلت إليه بعد بذل الجهد فقد بحثت عن إسناد لهذا الحديث مفصلاً فلم أصل إلى ذلك ، فاقتصرت على ما مضى ، والله تعالى أعلم ، فليس كل ما أورده أهل السير وأخذ مأخذ المسلمات ثبت عند أهل الحديث والمحدثين ، فاعلم هذا أخي القاريء بارك الله فيك .

---

(١) كشف الأستار عن زوائد البزار رقم: ١٨٠٣ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٢ رواه البزار والطبراني ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات ، والسخبر: شجر تألفه الحيات فتسكن في أصوله .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٢ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وقد جاء أيضاً من حديث ابن شهاب الزهري وهو مرسل عند الحاكم: ٣/ ٣٢ وقال إسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين ، قد أورد الآثار عن ابن إسحاق الحاكم: ٣/ ٢٣ـ٣٤ ، فانظر هناك ان أحببت الاستزادة .

٥- سعد بن أبي وقاص يرمي رجلاً فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم

٤٣٩- من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « لما كان يوم الخندق ورجل يتترس جعل يقول بالترس هكذا ، فوضعه فوق أنفه ، ثم يقول هكذا يسفله ، بعد قال: فأهويت إلى كنانتي ، فأخرجت منها سهماً مدمى ، فوضعته في كبد القوس ، فلما قال هكذا تسفل الترس رميت ، فما نسيت وقع القدح على كذا وكذا من الترس ، مال وسقط فقال برجله هكذا ، فضحك نبي الله ﷺ احسبه قال حتى بدت نواجذه ، قال قالت: لم فعل ، قال كفعل الرجل»[1].

٦- إصابة سعد بن معاذ رضي الله عنه:

٤٤٠- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « خرجت يوم الخندق اقفوا آثار الناس قالت: فسمعت وئيد[2] الأرض ورائي يعني حس الأرض ، قالت: فالتفت فإذا أنا بسعد بن معاذ ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس يحمل مجنة[3] قالت: فجلست إلى الأرض ، فمر سعد وعليه درع من حديد قد خرجت منها أطرافه ، فأنا أتخوف على أطراف سعد ، قالت: وكان سعد من أعظم الناس وأطولهم ، قالت: فمر وهو يرتجز ويقول:

لبث قليلاً يدرك الهيجا جمل   ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فقمت فاقتحمت حديقة فإذا فيها نفر من المسلمين ، وإذا فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه سبغة يعني له مغفراً[4] .

فقال عمر: ما جاء بك، لعمري والله إنك لجريئة ، وما يؤمنك أن يكون بلاء

---

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٥-١٣٦ ، رواه أحمد والبزار إلا أنه قال كان رجل معه ترسان وكان سعد رامياً فكان يقول كذا وكذا بالترسين يغطي جبهته فنزع له سعد بسهم فلما رفع رأسه رماه فلم يخط هذه منه يعني جبهته والباقي بنحوه ورجالهما رجال الصحيح غير محمد بن محمد بن الأسود وهو ثقة ، وانظر كشف الأستار: ١٨٠٨ .

(٢) وئيد: صوت شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوي من بعد.

(٣) المجنة: الترس

(٤) مغفر: هو ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد .

أو يكون تحوز[1] ، قالت: فما زال يلومني حتى تمنيت أن الأرض انشقت ساعتئذ فدخلت فيها، قالت: فرفع الرجل السبغة عن وجهه ، فإذا طلحة بن عبيدالله ، فقال: يا عمر ويحك إنك قد أكثرت منذ اليوم: وأين التحوّز أو الفرار إلا إلى الله عزَّ وجلَّ ، قالت: ويرمي سعداً رجل من المشركين من قريش يقال له ابن العرقة بسهم له فقال له: « خذها وأنا ابن العرقة » فأصاب أكحله[2] فقطعه فدعا الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سعد فقال: « اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من قريظة » ، قالت: وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية ، قالت: فرقى كلمه[3] وبعث الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الريح على المشركين فكفى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ المؤمنين القتال ، وكان الله قوياً عزيزاً، فلحق أبو سفيان ومن معه بتهامة، ولحق عيينة بن حصن ومن معه بنجد[4] .

٧ـ محاولة فاشلة عند حصون النساء:

٤٤١ـ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: « لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة ، فجعل النبي ﷺ النساء والصبيان والذراري فيه ، وقال: (إن ألم بكن أحد فالمعن بالسيف) فجاءهن رجل من بني ثعلبة بن سعد يقال له نجدان أحد بني حشاش على فرس ، حتى كان في أصل الحصن ثم جعل يقول للنساء: انزلن إلي خير لكن ، فحركن السيف فأبصره أصحاب رسول الله ﷺ ، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني الحارثة يقال له: ظهير بن رافع ، فقال: يا نجدان ابرز ، فبرز إليه ، فحمل على فرسه ، فقتله وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي ﷺ »[5] .

٤٤٢ـ من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: « دعا رسول الله ﷺ على الأحزاب فقال:

(اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، اللهم اهزمهم

---

(١) تحوز: حرب أو اسر .

(٢) الأكحل: عرق في وسط الذراع في كل عضو منه شعبة إذا قطع لم يرقأ الدم

(٣) الكلم: الجرح والكليم: الجريح .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٣٦ـ١٣٨ رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث وبقية رجاله ثقات ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ٢١/ ٨١ـ٨٣ أورده الحافظ ابن كثير في تاريخه ثم قال هذا الحديث إسناده جيد ، وله شواهد من وجوه كثير سيره ابن كثير: ٣/ ٢٣٨ .

(٥) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٣ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

وزلزلهم) [1] .

٤٤٣ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ كان يقول: (لا إله إلا الله وحده ، أعز جنده ، ونصر عبده ، وغلب الأحزاب وحده ، فلا شيء بعده) [2] .

٨ ـ عدم صحة ما يروى من جبن حسان:

من حديث ابن إسحاق قال: حدثنا يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه قال: « كانت صفية بنت عبدالمطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت ، وكان حسان بن ثابت معنا فيه مع النساء والصبيان حين خندق النبي ﷺ ، قالت صفية: فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة أو قطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله ﷺ ، والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذ أتانا آت ، فقلت لحسان بن ثابت إن هذا اليهودي يطيف بالحصن كما ترى ، ولا آمنه أن يدل على عورتنا من ورائنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله .

فقال: يغفر الله لك يا بنت عبدالمطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا، قالت صفية: فلما قال ذلك ، احتجزت عموداً ثم نزلت من الحصن إليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، ثم رجعت إلى الحصن ، فقلت يا حسان أنزل فاستلبه ، فإنه لم يمنعني أن أستلبه إلا أنه رجل ، فقال: مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبدالمطلب» [3] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق حديث رقم: ٤١١٥ مسلم في الجهاد والسير استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو حديث رقم: ٢١/١٧٤٢ ، الترمذي كتاب فضائل الجهاد باب ما جاء في الدعاء عند القتال: ١٦٧٨ ، أبو داود الجهاد باب في كراهية تمني لقاء العدو رقم: ٢٦٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١١٤ مسلم في الذكر والدعاء باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل حديث رقم: ٢٧٢٤ .

(٣) ابن هشام في السيرة: ٢/٢٢٨ ، وقد جاء من طريق الزبير بن العوام وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٣٣ـ ١٣٤ ، وقال: رواه البزار وأبو يعلى باختصار وإسنادهما ضعيف ، ومن حديث عروة وقال: ٦/ ١٣٤ ، رواه الطبراني ورجاله إلى عروة رجال الصحيح ، ولكنه مرسل فالحديث ضعيف .

وهذا الخبر لا يصح لأمرين:

الأول: من حيث الإسناد ، فالخبر ليس مسنداً ، وقد علمنا علماؤنا أنه لا يؤخذ من الأخبار إلا إذا كان له إسناد ، ولا يؤخذ الخبر المسند إلا إذا كان إسناده صحيحاً .

وهذا الخبر ساقط لا يصح ولا يجوز أن يروى ، فيساء إلى صحابي من صحابة رسول الله ﷺ ، كان ينافح عن الدعوة الإسلامية ، وعن رسول الله ﷺ عمره كله .

الثاني: لو كان حسان بن ثابت رضي الله عنه معروفاً بالجبن الذي ذكر عنه لهجاه أعداؤه ومبغضوه بهذه الخصلة الذميمة لا سيما الذين كان يهاجيهم ، فلم يسلم من هجاته أحد من زعماء الجاهلية »

والرسول ﷺ كان يؤيده ويدعو له ، ويشجعه على هجاء زعماء المشركين [1].

٩ـ تحسس الأخبار عن المشركين

٤٤٤ـ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: فعن محمد بن كعب القرظي قال: « قال فتى منا من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبدالله لقد رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال: نعم يا ابن أخي ، قال: فكيف كنتم تصنعون ؟ قال: والله لقد كنا نجهد [2] .

قال: والله لو أدركنا ما تركناه يمشي على الأرض ، ولجعلناه على أعناقنا ، قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ من الليل هوياً [3] ، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ، يشترط له رسول الله ﷺ أنه يرجع ، أدخله الله الجنة)، فما قام رجل ، ثم صلى رسول الله ﷺ هوياً ، ثم التفت إلينا فقال: (من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ، يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة ،

---

(١) غزوة الأحزاب الدكتور أبو فارس ص: ١٩٧ـ١٩٨ .

(٢) نجهد: في مشقة شديدة .

(٣) هوياً: الحين الطويل من الزمان.

أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة) ، فما قام رجل من القوم من شدة الخوف، وشدة الجوع ، وشدة البرد .

فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد في القيام حين دعاني فقال: (يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا) ، قال: فذهبت فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل ما تفعل ، لا تقر لهم قدر ، ولا نار ، ولا بناء ، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ إلى جليسه ، فقال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي جنبي، فقلت: من أنت ؟ قال: أنا فلان بن فلان ، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع[١] وأخلفتنا بنو قريظة ، بلغنا منهم الذي نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون ، والله ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل ، ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث ، فما أطلق عقله ، إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله لا تحدث شيئاً حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم .

قال حذيفة ، ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط[٢] لبعض نسائه مرجل[٣] ، فلما رآني أدخلني إلى رحله ، وطرح عليه طرف المرط، ثم ركع وسجد وإنه لفيه ، فلمّا سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش وانشمروا إلى بلادهم) .

هذا اللفظ لأحمد وفي لفظ مسلم بعض الزيادة أذكرها هنا لاكتمال المعنى والفائدة فبعد أن ذكر حذيفة استنفار الرسول عليه السلام للصحابة ثلاثاً ثم قوله قم يا حذيفة قال: (... فمضيت كأنما أمشي في حمام[٤] حتى أتيتهم ، فإذا أبو سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد قوسي[٥] وأردت أن أرميه ، ثم ذكرت قول رسول الله ﷺ: (لا تذعرهم علي) ولو رميته لأصبته ، قال:

---

(١) الكراع: اسم لجميع الخيل .

(٢) مرط: كساء من صوف أو خز يؤتزر به وتتلفع به المرأة .

(٣) مرجل: فيه خطوط وأرقام .

(٤) كأنما أمشي في حمام: أي أنه لم يجد من البرد ما يجد الناس .

(٥) كبد القوس: مقبضه .

فرجعت كأنما أمشي في مثل الحمام ، فأتيت رسول الله ﷺ ثم أصابني البرد حين فرغت وقررت [1] . فأخبرت رسول الله ﷺ فألبسني رسول الله ﷺ من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها ، فلم أزل نائماً حتى الصبح ، فلما أن أصبحت ، قال رسول الله ﷺ: قم يا نومان) » [2] .

١٠ـ نصر الله رسوله بريح الصبا

٤٤٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « أتت الصبا الشمال ليلة الأحزاب ، فقالت: مري حتى ننصر رسول الله ﷺ ، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسري بالليل ، فكانت الريح التي نصر بها رسول الله ﷺ الصبا » [3].

٤٤٦ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (نصرت بالصبا ، وأهلكت عاد بالدبور) [4].

١١ـ تحول ميزان القوة بعد معركة الأحزاب:

٤٤٧ـ من حديث سليمان بن صرد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول حين جلى الأحزاب عنه: (الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم)[5].

٤٤٨ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعاً كثيرة فقال: رسول الله ﷺ: (لا

---

(١) قررت: بردت .

(٢) اخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٣٩٢ـ٣٩٣ ، مسلم في كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب رقم: ١٧٨٨، الحاكم في المستدرك: ٣/ ٣١ ، وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، والبيهقي في السنن: ٩/ ١٥٩ والدلائل: ٣/ ٤٤٩ـ٤٥٤، وأبو نعيم في الدلائل: ٢/ ٥٠٠ـ٥٠١ ، وقد جاء في المطالب العالية برقم: ٤٣٢٩ ، ونسبه إلى أبي بكر بن أبي شيبة وحسن إسناده ، وقال الهيثمي: ٦/ ١٣٦ ورواه البزار ورجاله ثقات ، وقال البوصيري: رواه ابن أبي شيبة والبزار وأصله في الصحيح وفي هذا زيادة ظاهرة ، قلت: وفي لفظه اختلاف عما في الصحيح فالمقدم ما في الصحيح والله أعلم .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٣٤٩ ـ ١٤٠: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح ، كشف الأستار: ١٨١١ وقال البزار: رواه جماعة عن داود عن عكرمة مرسلاً ، ولا نعلم احداً وصله إلاحفص ورجل من أهل البصرة وكان ثقة يقال له: خلف بن عمرو .

(٤) اخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء باب قول النبي ﷺ نصرت بالصبا حديث رقم: ١٠٣٥ ، مسلم في كتاب صلاة الاستسقاء باب في ريح الصبا والدبور حديث رقم: ٩٠٠ ، وقد جاء من حديث أنس عند الطبراني في الصغير والأوسط ورجاله ثقات كما قال الهيثمي: ٦/ ٦٥ .

(٥) اخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الخندق رقم: ٤١٠٩ ، ٤١١٠ ، وأحمد: ٤/ ٢٦٢ .

يغزوكم بعدها أبداً ولكن نغزوهم) [1] .

١٢ـ وضع النبي صلى الله عليه وسلم السلاح بعد رحيل المشركين:

٤٤٩ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لما رجع النبي ﷺ من طلب الأحزاب ، فنزل المدينة وضع لامته ، واغتسل ، واستجمر »[2].

١٣ـ من استشهد من المسلمين يوم الخندق .

٤٥٠ ـ من حديث ابن شهاب الزهري قال: « استشهد يوم الخندق من الأنصار أنس بن معاذ بن أوس بن عبد عمرو ، ومن الأنصار ثم من بني سلمة: ثعلبة بن عثمة » [3] .

---

(١) كشف الأستار: ١٨١٠ ، وقال الهيثمي: ٦/١٣٩: رواه البزار ورجاله ثقات ، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: ٧/٤٠٥ إسناده حسن .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٣٢٨ ، ونسبه لإسحاق بن راهويه ، وقال ابن حجر: هذا إسناد حسن ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٠: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات » .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٢، رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح قلت: وهو من مرسلات ابن شهاب الزهري رحمه الله تعالى .

الفصل السابع

غزوة بني قريظةوما بعدها من أحداث حتى الحديبية

المبحث الأول: غزوة بني قريظة

١ـ أمر جبريل النبي عليهما السلام بالخروج إلى بني قريظة .

٤٥١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما رجع النبي ﷺ من الخندق ، ووضع السلاح ، واغتسل أتاه جبريل عليه السلام ، فقال: قد وضعت السلاح ، والله ما وضعناه ، فاخرج إليهم ، قال: (فإلى أين ؟) قال: ها هنا، وأشار إلى قريظة ، فخرج النبي ﷺ إليهم »[١] .

٤٥٢ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ لما رجع من طلب الأحزاب رجع ، فوضع لامته ، واستجمر « زاد دحيم في حديثه » قال رسول الله ﷺ: (فنزل جبريل عليه السلام فقال: عذيرك من محارب ، ألا أراك قد وضعت اللأمة ، وما وضعناها بعد) ، فوثب رسول الله ﷺ فزعاً ، فعزم على الناس ألا يصلوا العصر إلا في بني قريظة ، فلبسوا السلاح ، وخرجوا فلم يأتوا بني قريظة حتى غربت الشمس ، واختصم الناس في صلاة العصر فقال بعضهم: صلوا ، فإن رسول الله ﷺ لم يرد أن تتركوا الصلاة ، وقال بعضهم: عزم علينا أن لا نصلي حتى نأتي بني قريظة ، وإنما نحن في عزيمة رسول الله ﷺ ، فليس علينا إثم ، فصلت طائفة العصر إيماناً واحتساباً ، وطائفة لم يصلوا حتى نزلوا بني قريظة بعد ما غربت الشمس فصلوها إيماناً واحتساباً ، فلم يعنف رسول الله ﷺ واحدة من الطائفتين »[٢] .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي، باب مرجع النبي من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة رقم: ٤١١٧، مسلم في الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد حديث رقم:١٧٦٩، احمد في المسند: ٦/٥٦، ١٣١ ، ١٤١ ، ٢٨٠ البيهقي في الدلائل: ٤/ ٥ وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٧٦.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٤٠: رواه الطبراني: ١٩/ ٧٩ـ٨٠ رقم: ١٦٠ ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن أبي الهذيل ،وهو ثقة .

٢ـ مشاركة جبريل عليه السلام في محاربة بني قريظة:

٤٥٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « كأني أنظر إلى الغبار ساطعاً في زقاق بني غنم ، موكب جبريل حين سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة »[١] .

٣ـ حث النبي الصحابة على المسير إلى بني قريظة

٤٥٤ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « قال النبي ﷺ يوم الأحزاب (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) ، فأدرك بعضهم العصر في الطريق ، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيهم ، وقال بعضهم: بل نصلي ، فلم يرد منا ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فلم يعنف أحداً منهم »[٢] .

٤ـ سبب الغزوة:

٤٥٥ ـ من حديث سعيد بن المسيب رضي الله عنه « في سياق قصة الأحزاب»: فبينما هم كذلك إذ جاءهم نعيم بن مسعود الأشجعي ، وكان يأمنه الفريقان ، كان موادعاً لهما ، فقال: إني كنت عند عيينه (بن حصن) وأبي سفيان إذ جاءهم رسول بني قريظة: أن اثبتوا فإنا سنخالف المسلمين إلى بيضتهم. . . ، إلى أن قال: . . . فناداهم: (يا إخوة القردة والخنازير !) فقالوا: يا أبا القاسم ! ما كنت فاحشاً . . . » وذكر الحديث[٣] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب حديث رقم: ٤١١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب حديث رقم: ٤١١٩ ، مسلم في الجهاد والسير باب المبادرة بالغزو حديث رقم: ١٧٧٠، وعبدالرزاق في المصنف: ٥/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٧٤ ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٦ـ٧ .

وقد جاء من حديث عائشة رضي الله عنها عند الحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٤ـ٣٥ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، فإنهما قد احتجا بعبدالله بن عمر العمري في الشواهد ، ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي .

(٣) انظر مصنف عبدالرزاق رقم: ٩٧٣٧، ٥/ ٣٦٨ ، من مرسل سعيد بن المسيب ، مراسيله أصح المراسيل، والرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة ، وأبو نعيم من مراسيل سعيد دلائل النبوة: ٢/ ٥٠٤ـ ٥٠٥ ، وقد ذكر ابن إسحاق وموسى بن عقبة سبب نقضهم بدون إسناد فانظره في سيرة ابن هشام: ٣/ ٣٢٥ ، وقد جاء من حديث عائشة ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٤/ ١٠٠٨، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٤ـ٣٥ ، وقال صحيح على شرط الشيخين فإنهما قد احتجا بعبدالله بن عمر العمري في الشواهد ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي وقال ابن كثير في البداية: ٤/ ٨ ـ ١٠ ، ولهذا الحديث طرق جيدة عن عائشة وغيرها ، وبهذا يكون الحديث حسناً .

فسبب غزوهم إذن هو نقضهم للعهد الذي كان بينهم وبين النبي ﷺ ، في أحلك الظروف وأصعبها على المسلمين ، في أثناء حصار الأحزاب للمدينة ، وهذا السبب قد ثبت بطرق قابلة بمجموعها للاحتجاج بها ، وقد ثبت أن الرسول ﷺ قد أرسل الزبير بن العوام لاستطلاع خبرهم كما جاء ذلك في الصحيح [١] .

٥ـ حامل راية المسلمين يوم بني قريظة:

٤٥٦ـ من حديث عروة قال: « وبعث علياً على المقدمة ، ودفع إليه اللواء ، وخرج رسول الله ﷺ على إثره » [٢] .

٦ـ مدة الحصار وكم استمرت:

٤٥٧ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: في حديث طويل سبق ذكر جزء منه في إصابة سعد بن معاذ «. . . .قالت: فلبس رسول الله ﷺ لأمته [٣] ، وأذن في الناس بالرحيل أي يخرجوا ، فخرج رسول الله ﷺ ، فمر على بني غنم ، وهي جيران المسجد حوله فقال: من مر بكم ؟ فقالوا: مر بنا دحية الكلبي، وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل عليه السلام ، فقالت: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة . . . » [٤] .

٧ـ قصة أبي لبابة:

٤٥٨ـ من حديث عائشة السابق قولها: « . . . فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة، فلما اشتد حصرهم ، واشتد البلاء ، قيل لهم: انزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فاستشاروا أبا لبابة بن عبدالمنذر ، فأشار إليهم أنه الذبح»[٥] .

---

(١) انظر حديث رقم: ٤٣٤ ، وتخريجه هناك من حديث عبدالله بن الزبير .

(٢) البيهقي في الدلائل: ٣/ ١٤ ونسبه الحافظ في الفتح: ٧/ ٤١٣ إلى الحاكم والبيهقي ، وقال الدكتور أكرم العمري في المجتمع المدني ص: ١٥٤ : وقد وردت آثار مرسلة تتقوى ببعضها إلى رتبة الحسن لغيره تفيد أنه بعث علي على المقدمة برايته .

(٣) لامته: آلة الحرب من السلاح.

(٤) سبق تخريجه حديث رقم: ٤٤٠ .

(٥) انظر تخريج الحديث السابق .

٨ـ حكم سعد بن معاذ في بني قريظة:

٤٥٩ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد، فأتى على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: (قوموا إلى سيدكم ـ أو خيركم ـ فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك)، فقال: تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم قال: (قضيت بحكم الله، وربما قال: بحكم الملك »[(١)].

٤٦٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « أصيب سعد يوم الخندق رماه رجل من قريش يقال له حبان بن العرقة، رماه في الأكحل، فضرب النبي ﷺ خيمة في المسجد ليعوده من قريب، فلما رجع رسول الله ﷺ من الخندق، وضع السلاح، واغتسل، فأتاه جبريل عليه السلام، وهو ينفض رأسه من الغبار فقال: قد وضعت السلاح والله ما وضعته، اخرج إليهم، قال النبي: (فأين ؟) فأشار إلى بني قريظة، فأتاهم رسول الله ﷺ، فنزلوا على حكمه، فرد الحكم إلى سعد.

قال: فإني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة وأن تسبى النساء والذرية، وأن تقسم أموالهم، قال هشام: فأخبرني أبي عن عائشة أن سعداً قال: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحد أحب إلي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك، وإن كنت وضعت الحرب، فافجرها، واجعل موتتي فيها، فانفجرت من لبته، فلم يرعهم، وفي المسجد خيمة من بني غفار ـ إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم ؟ فإذا سعد يغذو جرحه دماً، فمات منها رضي الله عنه »[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب، ومخرجه إلى بني قريظة حديث رقم: ٤١٢١، وقد جاء بأرقام عدة عنده: ٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٦٢٦٢، ومسلم في الجهاد والسير باب الحكم فيمن حارب ونقض العهد رقم: ١٧٦٨، أبو داود في الأدب باب ما جاء في القيام: ٥٢١٥، ٥٢١٦، وأبو يعلى: ١١٨٨، أحمد في المسند: ٣/ ٢٢، ٧١ والبيهقي في الدلائل: ٤/ ١٨، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٧٥، وأبو نعيم في الحلية: ٣/ ١٧١، الطبراني في الكبير رقم: ٥٣٢٣.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرجع النبي ﷺ من غزوة الأحزاب رقم: ٤١٢٢، وقد جاء بأرقام عدة: ٤٦٣، ٣٩٠١، ٤١١٧، مسلم في الجهاد باب جواز قتال من نقض العهد رقم: ١٧٦٩، الترمذي في السير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٢ وجاء مختصراً عند أحمد: ٦/ ٥٦، أبو داود في الجنائز باب في العياده مراراً رقم: ٣١٠١، النسائي: ٢/ ٤٥، في المساجد، باب ضرب الخباء في المساجد.

٤٦١ـ من حديث عائشة قالت: في الحديث الطويل الذي اجتزأنا منه أجزاء سابقة « . . . قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال رسول الله ﷺ: (أنزلوا على حكم سعد بن معاذ) ، فنزلوا ، وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ، فأتى به على حمار عليه إكاف من ليف قد حمل عليه وحف به قومه ، فقالوا: يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ، ومن قد علمت قالت: وأني [١] لا يرجع إليهم شيئاً ، ولا يلتفت إليهم حتى إذا دنا من دورهم التفت إلى قومه فقال: قد أنى [٢] لي ان لا ابالي في الله لومة لائم .

قال: قال أبو سعيد: فلما طلع على رسول الله ﷺ قال: (قوموا إلى سيدكم فأنزلوه) فقال عمر: سيدنا الله عزَّ وجلَّ ، قال: (أنزلوه) ، فأنزلوه ، قال رسول الله ﷺ: (احكم فيهم) فقال سعد: فإني أحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذراريهم ، وتقسم أموالهم ، فقال رسول الله ﷺ: (لقد حكمت فيهم بحكم الله عزَّ وجلَّ وحكم رسوله . . .)[٣] .

وقد جاءت قصة نزول بني قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه من حديث جابر بن عبدالله ، وسيأتي بلفظه في بيان عدد المقتولين من بني قريظة فانظر تخريجه هناك .

٩ـ كيف ميز النبي بين الصغار والبالغين من بني قريظة:

٤٦٢ـ من حديث عطية القرظي ، قال: « كنت من سبي بني قريظة ، فكانوا ينظرون ، فمن أنبت الشعر قتل ، ومن لم ينبت لم يقتل ، فكنت فيمن لم ينبت» وفي رواية أخرى زاد (فكشفوا عانتي ، فوجدوها لم تنبت ، فجعلوني في السبي» [٤] .

---

(١) وأني: أبطأ في الجواب وسكت عنهم ، فلم يرد عليهم .

(٢) انى: آن لي ان لا ابالي فيهم .

(٣) انظر تخريج الحديث رقم: ٤٤٠ ، فإن هذا الحديث جزء منه .

(٤) اخرجه أبو داود في الحدود باب في الغلام يصيب الحد رقم: ٤٤٠٤ ، ٤٤٠٥ ، الترمذي في الجهاد والسير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٤ وقال: حسن صحيح ، النسائي في الطلاق باب متى يقع الطلاق: ٦/ ١٥٥ ، وابن ماجه في الحدود باب من لا يجب عليه الحد رقم: ٢٥٤١ ، واحمد في المسند: ٤/ ٣١٠ ، ٣٨٣ ، ٥/ ٣١١، ٣١٢ والحديث سنده حسن .

١٠ـ عدد بني قريظة الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٤٦٣ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « رمي يوم الأحزاب سعد بن معاذ ، فقطعوا أكحله ، فحسمه رسول الله ﷺ بالنار ، فانتفخت يده ، فحسمه أخرى ، فانتفخت يده ، فنزفه ، فلما رأى ذلك ، قال: اللهم لا تخرج نفسي حتى تقر عيني من بني قريظة ، فاستمسك عرقه ، فنما قطرة قطرة ، حتى نزلوا على حكم سعد ، فأرسل إليه ، فحكم أن تقتل رجالهم ، ويستحيى نساؤهم وذراريهم ، يستعين بهم المسلمون ، قال رسول الله ﷺ: (أصبت حكم الله فيهم) ، وكانوا أربعمائة ، فلما فرغ من قتلهم ، انفتق عرقه فمات »[١] .

وقال الحافظ في الفتح « واختلف في عدتهم ، فعند ابن إسحاق أنهم كانوا ستمائة ، وبه جزم أبو عمرو في ترجمة سعد بن معاذ ، وعند ابن عائذ من مرسل قتادة وكانوا سبعمائة ، وقال السهيلي: المكثر يقول إنهم ما بين الثمانمائة إلى التسعمائة ، وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح أنهم كانوا أربعمائة مقاتل ، فيحتمل في طريق الجمع أن يقال إن الباقين كانوا أتباعاً ، وقد حكى ابن إسحاق أنه قيل: إنهم كانوا تسعمائة »[٢]

١١ـ قصة المرأة التي قتلت من بني قريظة:

٤٦٤ـ من حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: قالت: « لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة قالت: والله إنها لعندي تتحدث معي تضحك ظهراً وبطناً[٣] ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة ؟ قالت: أنا والله ، قالت: قلت: ويلك ومالك ؟ قالت: أقتل ، قالت: قلت: ولم ؟ قالت: حدثاً أحدثته[٤] ، قالت: فانطلق بها ، فضربت عنقها ، وكانت عائشة رضي الله تبارك وتعالى عنها تقول: والله ما أنسى عجبي من طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفت أنها تقتل »[٥] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٣٥٠ ، الدارمي كتاب السير باب نزول أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ: ٢/ ٢٣٨ ، الترمذي في السير باب ما جاء في النزول على الحكم رقم: ١٥٨٢ ، وقال: حديث حسن صحيح ، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح: ٧/ ٤١٤.

(٢) فتح الباري: ٧/ ٤١٤ .

(٣) ظهراً وبطناً: لا يبدو على ملامحها أثر الحزن .

(٤) الحدث الذي أحدثته ، طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته ، فقتلها رسول الله به .

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ٢٧٧ ، أبو داود في السنن رقم: ٢٦٧١ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ٨٢ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٢٤٢ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٣٥ـ ٣٦ ، وقال: صحيح على شرط مسلم: ولم يخرجاه ، والطبري في التاريخ: ٢/ ٥٨٩ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح

١٢ـ إسلام بعض يهود بني قريظة وتقسيم أموال بني قريظة بين المسلمين:

٤٦٥ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « حاربت قريظة والنضير ، فأجلى بني النضير ، وأقر قريظة ، ومن عليهم حتى حاربت قريظة ، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين ، إلا بعضهم لحقوا بالنبي فأمنهم ، وأسلموا ، وأجلى يهود المدينة كلهم : بني قينقاع وهم رهط عبدالله بن سلام ، ويهود بني حارثة ، وكل يهود المدينة »[١].

١٣ـ موت سعد بن معاذ رضي الله عنه:

٤٦٦ـ من حديث عائشة الطويل الذي سبق ذكر أجزاء متفرقة منه قالت: « ... ثم دعا سعد قال: « اللهم إن كنت أبقيت على نبيك ﷺ من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك ، قالت: فانفجر كلمه [٢] وكان قد برئ حتى ما يرى منه إلا مثل الخرص[٣] ورجع إلى قبتة التي ضرب عليه رسول الله ﷺ . قالت عائشة: فحضره رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، قالت: فوالذي نفس محمد بيده إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وأنا في حجرتي ، وكانوا كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ رحماء بينهم ﴾ قال علقمة: قلت: أي أمه ، فكيف كان رسول الله ﷺ يصنع ؟ قالت: كانت عينه لا تدمع على أحد ، ولكنه كان إذا وجد [٤] فإنما هو آخذ بلحيته » [٥] .

بالسماع فسنده صحيح ، وقال الساعاتي في الفتح الرباني: ٢١/ ٨٥ ، سنده صحيح ورجاله ثقات.

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب حديث بني النضير رقم: ٤٠٢٨ ، مسلم في الجهاد باب إجلاء اليهود من الحجاز رقم: ١٧٦٦ ، أبو داود في سننه كتاب الخراج والإمارة .. باب في خبر النفير حديث رقم: ٣٠٠٥ .

(٢) كلمه: جرحه .

(٣) الخرص: الحلقة الصغيرة من الحلية ، وهو حلي الأذن والمعنى أنه لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص في قلة ما بقي منه .

(٤) وجد: حزن .

(٥) انظر تخريجه حديث: ٤٤٠ .

١٤ـ مشاركة الملائكة في حمله:

٤٦٧ـ من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه قال: « لما أصيب أكحل سعد، فثقل، حولوه عند امرأة يقال لها رفيدة تداوي الجرحى، فكان النبي ﷺ، إذا مر به يقول: (كيف أمسيت، وكيف أصبحت ؟) فيخبره حتى كانت الليلة التي نقله قومه فيها وثقل، فاحتملوه إلى بني عبدالأشهل إلى منازلهم، وجاء رسول الله فقيل: انطلقوا به، فخرج وخرجنا معه، وأسرع حتى تقطعت شسوع نعالنا، وسقطت أرديتنا، فشكا ذلك إليه أصحابه، فقال: (إني أخاف أن تسبقنا إليه الملائكة، فتغسله كما غسلت حنظلة) فانتهى إلى البيت وهو يغسل، وأمه تبكيه وتقول:

ويل أم سعد سعداً حزامة وجداً

فقال: (كل باكية تكذب إلا أم سعد) » ثم خرج به، قال: يقول له القوم: ما حملنا يا رسول الله ميتاً أخف علينا منه، قال: (ما يمنعه أن يخف، وقد هبط من الملائكة كذا وكذا لم يهبطوا قط قبل يومهم، قد حملوه معكم)[1].

١٥ـ شهادة الرسول عليه السلام لسعد بالخير

٤٦٨ـ من حديث عبدالله بن شداد رضي الله عنه قال: « دخل رسول الله ﷺ على سعد وهو يكيد نفسه فقال: (جزاك الله خيراً من سيد قوم، فقد أنجزت ما وعدته، ولينجزنك الله ما وعدك) [2].

---

(١) أخرجه ابن سعد: ٣/٢/٧ ـ ٨ من طريق الفضل بن دكين قال: حدثنا عبدالرحمن بن سليمان الغسيل عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد، وإسناده حسن، وقد جاء حمل الملائكة لجنازته من حديث أنس، وأخرجه عبدالرزاق في المصنف رقم: ٢٠٤١٤، والترمذي في المناقب باب مناقب سعد بن معاذ رقم: ٣٩٣٨، وقال صحيح غريب، والحاكم في المستدرك: ٣/٢٠٧، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، والطبراني في الكبير: ٦/١٢ ـ ١٣، رقم: ٥٣٤٥، وهو صحيح.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات: ٣/٢/٩ ورجاله ثقات.

١٦ـ القبر ضم سعد بن معاذ:

٤٦٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: (لو نجا أحد من ضمة القبر لنجا منها سعد)[١].

١٧ـ اهتزاز العرش لموت سعد:

٤٧٠ـ من حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (اهتز عرش الرحمن لموت سعد)[٢].

١٨ـ مناديل سعد في الجنة:

٤٧١ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (أهدي للنبي ﷺ جبة سندس ، وكان ينهى عن الحرير ، فعجب الناس منها فقال: (والذي نفس محمد بيده ، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا))[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: (٦/ ٥٥ ، ٩٨) والبيهقي في إثبات عذاب القبر: من ٨٢ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ١٠٧. وللحديث شواهد من حديث ابن عمر عند ابن سعد في الطبقات: ٣/ ٤٣٠ ، والحاكم: ٣/ ٢٠٦ ، وصححه ووافقه الذهبي ، والنسائي: ٤/ ١٠٠ـ١٠١، وسنده صحيح ، ومن حديث ابن عباس ؛ أخرجه الطبراني في الكبير رقم: ١٠٨٢٧ ، ١٢٩٧٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٣/ ٤٦ـ ٤٧ ، رواه الطبراني في الكبير والأوسط وورجاله موثقون »

قلت: فيكون إسناده صحيح لغيره.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب مناقب سعد رقم: ٣٨٠٣ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل سعد بن معاذ رقم: ٢٤٦٦ ، والترمذي في المناقب باب مناقب سعد رقم: ٣٧٤٨ وابن ماجه في المقدمة باب مناقب سعد رقم: ١٥٨، وأحمد: ٣/ ٣٢٧، وابن سعد في الطبقات: ٣/ ٤٣٠ ، والنسائي في فضائل الصحابة: ص: ٣٦ ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٢٩ .والحديث متواتر جاء عن عشرة من الصحابة . انظر نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص: ١٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة رقم: ٣٢٤٨ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل سعد بن معاذ رقم: ٢٤٦٩ ، والترمذي رقم: ١٧٧٧، والنسائي: ٨/ ١٩٩، أحمد في المسند: ٣/ ١١١، ١٢١، ٢٠٦، ٢٠٩ ، ٢٢٩، ٢٣٤ ، ٢٣٨، ٢٥١، ٢٧٧ .

المبحث الثاني

زواجه عليه الصلاة والسلام بزينب بنت جحش

١ـ إرسال زيد بن حارثة لخطبتها للرسول عليه الصلاة والسلام:

٤٧٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد (فاذكرها علي) قال: فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها[١] قال: فلما رأيتها عظمت في صدري[٢] حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها ، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، فقلت: يا زينب! أرسل رسول الله ﷺ يذكرك ، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي، فقامت إلى مسجدها ، ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ ، فدخل عليها بغير إذن .

قال: فقال: ولقد رأيتنا أن رسول الله ﷺ أطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار ، فخرج الناس ، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ واتبعته ، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ، ويقلن: يا رسول الله ! كيف وجدت أهلك ، قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني . قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه ، فالقي الستر بيني وبينه ، ونزل الحجاب . قال: ووعظ القوم بما وعظوا به » لفظ مسلم[٣].

وفي لفظ آخر عند مسلم من حديث أنس رضي الله عنه: « أن أم سليم أهدت إلى رسول الله طعاماً يوم زواج زينب فيقول: تزوج رسول الله ﷺ فدخل بأهله، قال: فصنعت أمي أم سليم حيساً ، فجعلته في تور[٤] فقالت: يا أنس ، اذهب بهذا إلى رسول الله ﷺ ، فقل: بعثت بهذا إليك أمي ، وهي تقرئك السلام . وتقول: إن هذا لك منا قليل ، يا رسول الله! قال: فذهبت بها إلى رسول الله ﷺ . فقلت: إن أمي تقرئك السلام وتقول: إن هذا لك منا قليل يا رسول الله!

---

(١) تخمر عجينها: تجعل منها الخمير .

(٢) عظمت في صدري: هبتها من أجل إرادة رسول الله الزواج منها .

(٣) أخرجه مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ١٤٢٨ـ٨٩ والنسائي في النكاح باب صلاة المرأة إذا خطبت واستخارتها ربها: ٦/ ٧٩ ـ ٨٠ ، الفتح الرباني للساعاتي: ٢١/ ٨٧ ـ ٨٨ .
وأما اللفظ الثاني فقد أخرجه البخاري في النكاح باب الهدية للعروس رقم: ٥١٦٣ ، ومسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ١٤٢٨/ ٩٤ .

(٤) التور: الإناء .

فقال: (ضعه) ، ثم قال: (اذهب ، فادع لي فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ومن لقيت) وسمى رجالاً قال: فدعوت من سمى ، ومن لقيت » .

قال: قلت لأنس: عدد كم كانوا ؟ قال: زهاء ثلاثمائة .

وقال لي رسول الله ﷺ: (يا أنس ! هات التور) قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة . فقال رسول الله ﷺ: (ليتحلق عشرة عشرة وليأكل كل إنسان مما يليه) قال: فأكلوا حتى شبعوا . قال: فخرجت طائفة ، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم ، فقال لي: (يا أنس ! ارفع) . قال: فرفعت ، فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت .

قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ جالس ، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله ﷺ ، فخرج رسول الله ﷺ ، فسلم على نسائه ، ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله ﷺ قد رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، قال: فابتدروا الباب ، فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله ﷺ حتى أرخى الستر ، ودخل ، وأنا جالس في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى خرج عليَّ ، وأنزلت هذه الآية .

فخرج رسول الله ﷺ وقرأهن على الناس: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ، ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي** ﴾ إلى آخر الآية .

قال الجعد: قال أنس بن مالك: أنا أحدث الناس عهداً بهذه الآيات وحجبن نساء النبي ﷺ » .

٢ـ نزول الحجاب

٤٧٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « أنا أعلم الناس بالحجاب ، لقد كان أبي بن كعب يسألني عنه قال أنس: أصبح رسول الله ﷺ عروساً بزينب بنت جحش. قال: وكان تزوجها بالمدينة ، فدعا الناس للطعام بعد ارتفاع النهار ، فجلس رسول الله ﷺ ، وجلس معه رجال بعد ما قام القوم ، حتى قام رسول الله ﷺ ، فمشى ، فمشيت معه حتى بلغ باب حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا ، فرجع ورجعت معه ، فإذا هم جلوس مكانهم ، فرجع فرجعت الثانية،

حتى بلغ حجرة عائشة ، فرجع فرجعت ، فإذا هم قد قاموا فضرب بيني وبينه بالستر ، وأنزل الله آية الحجاب »[1].

٣ـ مفاخرة السيدة زينب:

٤٧٤ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « نزلت آية الحجاب في زينب بنت جحش ، وأطعم عليها يومئذ خبزاً ولحماً ، وكانت تفخر على نساء النبي ﷺ ، وكانت تقول: إن الله أنكحني في السماء »[2].

٤ـ شكوى زيد بن حارثة ومقالة رسول الله له قبل طلاقها منه:

٤٧٥ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « جاء زيد بن حارثة يشكو ، فجعل النبي ﷺ يقول: (اتق الله ، وامسك عليك زوجك) قال أنس: لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً لكتم هذه ، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات »[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الأطعمة باب قوله تعالى ﴿ فإذا طعمتم فانتشروا ﴾ حديث رقم: ٥٤٦٦، مسلم في النكاح باب زواج زينب بنت جحش رقم: ١٤٢٨/٩٣ .

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء رقم: ٧٤٢١، النسائي في النكاح باب صلاة المرأة واستخارتها ربها إذا خطبت: ٦/ ٧٩ـ٨٠.

(٣) أخرجه البخاري في التوحيد باب وكان عرشه على الماء رقم: ٧٤٢٠ .

المبحث الثالث: مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق

٤٧٦ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ رهطاً إلى أبي رافع، فدخل عليه عبدالله بن عتيك بيته ليلاً ، وهو نائم فقتله»[1] .

٤٧٧ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار ، فأمر عليهم عبدالله بن عتيك ، وكان أبو رافع يؤذي رسول الله ﷺ ، ويعين عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم ، فقال عبدالله لأصحابه: اجلسوا مكانكم ، فإني منطلق ومتلطف للبواب لعلي أن أدخل ، فأقبل حتى دنا من البواب ، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبدالله إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلت ، فكمنت ، فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الأغاليق[2] على عود.

قال: فقمت إلى الأقاليد[3] فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يُسْمَرُ عنده ، وكان في علالي له ، فلما ذهب عنه أهل سمره ، صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت علي من داخل ، قلت: إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله ، فانتهيت إليه ، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ، لا أدري أين هو من البيت ، فقلت: أبا رافع ؟ قال: من هذا ؟ فأهويت نحو الصوت ، فأضربه ضربة بالسيف ، وأنا دهش فما أغنيت شيئاً، وصاح ، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد ، ثم دخلت إليه فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟

فقال: لأمك الويل ، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال: فأضربه ضربة أثخنته ، ولم أقتله ، ثم وضعت خبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً حتى انتهيت إلى درجة له فوضعت رجلي ، وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض فوقعت في ليلة مقمرة ، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة ، ثم انطلقت حتى جلست على الباب فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته أم لا ، فلما صاح الديك قام الناعي على السور ،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قتل أبي رافع عبدالله بن أبي الحقيق ، ويقال سلام بن أبي الحقيق كان بخيبر ويقال في حصن له بأرض الحجاز حديث رقم: ٤٠٣٨.

(٢) الأغاليق: جمع غلق ما يغلق به الباب وهو المفتاح .

(٣) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح .

فقال: أنعى أبا رافع تاجر أهل الحجاز ، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء ، فقد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته ، فقال لي: (ابسط رجلك) ، فبسطت رجلي فمسحها ، فكأنها لم أشتكها قط » [1] .

الفوائد المأخوذة من هذا الحديث:

١- جواز اغتيال المشرك الذي بلغته الدعوة وأصر على الكفر .

٢- قتل من أعان على رسول الله ﷺ بيده أو ماله أو لسانه .

٣- جواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم .

٤- الأخذ بالشدة في محاربة المشركين .

٥- جواز إبهام القول للمصلحة .

٦- جواز تعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين .

٧- الحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن أبي عتيك على أبي رافع بصوته، واعتماده على صوت الناس بموته [2] .

المبحث الرابع: قصة ثمامة بن أثال الحنفي

٤٧٨- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد ، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: (ماذا عندك يا ثمامة ؟) فقال: عندي يا محمد خير ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم ، تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت .

فتركه رسول الله ﷺ . حتى كان من الغد ، فقال: (ما عندك يا ثمامة ؟) قال: ما قلت لك . ان تنعم تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم ، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت » .

فتركه رسول الله ﷺ حتى كان بعد الغد فقال: (ماذا عندك ! يا ثمامة ؟) فقال: عندي ما قلت لك ، إن تنعم ، تنعم على شاكر ، وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال ، فسل تعط منه ما شئت .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب قتل ابي رافع عبدالله بن ابي الحقيق حديث رقم: ٤٠٣٩ .

(٢) فتح الباري: ٧/ ٣٤٥ .

فقال: رسول الله ﷺ: (أطلقوا ثمامة) فانطلق إلى نخيل قريب من المسجد، فاغتسل ، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد ! والله ! ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي ، والله ! ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر ، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت ؟ فقال: لا ، ولكني أسلمت مع رسول الله ﷺ ولا ، والله ! لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ »[1] . واللفظ لمسلم .

فوائد من قصة ثمامة:

١ـ جواز ربط الكافر في المسجد .

٢ـ جواز المن على الأسير الكافر ، وتعظيم أمر العفو عن المسيء ، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة لما أسداه النبي ﷺ إليه من العفو والمن بغير مقابل .

٣ـ الاغتسال عند الإسلام كما فعل ثمامة حين أسلم .

٤ـ الإحسان يزيل البغض وينبت الحب .

٥ـ يشرع للكافر إذا أراد عمل خير ثم أسلم أن يستمر في عمل ذلك الخير.

٦ـ الملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام ، ولا سيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه »[2] .

٧ـ الإسلام يغير سلوك المؤمن حين يضع المسلم قدراته تحت تصرف الإسلام والمسلمين كما فعل ثمامة بعدم إرساله القمح لأهل مكة إلا بإذن من الرسول عليه السلام .

٨ ـ ينبغي أن يخلع المؤمن على عتبة الإيمان وعند تركه للكفر كل علاقاته السابقة، والتزامه بأوامر رب العالمين بعد إيمانه .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة ، حديث ثمامة بن أثال: رقم: ٤٣٧٢ ، مسلم في الجهاد والسير باب ربط الأسير وحبسه ، وجواز المن عليه رقم: ١٧٦٤ ، أبو داود في السنن الجهاد باب في الأسير يوثقه رقم : ٢٦٧٩، النسائي في الطهارة باب تقديم غسل الكافر إذا أراد أن يسلم: ١/١٠٩ ـ ١١٠ باختصار ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٢١/٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) فتح الباري: ٨/٨٨ ـ ٨٩ .

المبحث الخامس: غزوة بني لحيان

كانت في أوائل السنة السادسة للهجرة على الصحيح كما قاله ابن كثير [(١)].

وقد صلى النبي ﷺ بأصحابه صلاة الخوف لأول مرة بعسفان كما جاء في:

٤٧٩ـ حديث أبي عياش الزرقي رضي الله عنه قال: « كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان ، فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد ، وهم بيننا وبين القبلة ، فصلى رسول الله ﷺ الظهر فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا غرتهم ، ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبنائهم وأنفسهم .

قال: فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات بين الظهر والعصر ﴿ **وإذا كنت فيه فأقمت لهم الصلاة** ﴾ قال: فحضرت ، فأمرهم رسول الله ﷺ ، فأخذوا السلاح، قال: فصففنا صفين ، قال: ثم ركع ، فركعنا جميعاً ، ثم رفع ، فرفعنا جميعاً، ثم سجد النبي ﷺ بالصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم فلما سجدوا وقاموا جلس الآخرون ، فسجدوا في مكانهم ، ثم تقدم هؤلاء إلى مصاف هؤلاء، وجاء هؤلاء إلى مصاف هؤلاء قال: ثم ركع فركعوا جميعاً ، ثم رفع فرفعوا جميعاً ، ثم سجد النبي ﷺ والصف الذي يليه ، والآخرون قيام يحرسونهم ، فلما جلس ، جلس الآخرون فسجدوا فسلم عليهم ثم انصرف ، قال: فصلاها رسول الله ﷺ مرتين ، مرة بعسفان ومرة بأرض بني سليم » [(٢)] .

٤٨٠ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (إن رسول الله ﷺ نزل بين ضجنان وعسفان ،فقال المشركون: إن لهم صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ، وهي العصر ، فأجمعوا أمركم ، فميلوا عليهم ميلة واحدة، وإن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فأمره أن يقسم أصحابه شطرين ، فيصلي ببعضهم ، وتقوم الطائفة الأخرى وراءهم ليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، ثم تأتي الأخرى فيصلون معه ، ويأخذ هؤلاء حذرهم وأسلحتهم ، لتكون لهم ركعة ركعة مع رسول الله ﷺ ، ولرسول الله ﷺ ركعتان) [(٣)] .

---

(١) السيرة النبوية ابن كثير: ٣/ ٢٨٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤/٥٩ـ ٦٠ ، ابو داود في الصلاة باب صلاة الخوف رقم: ١٢٣٦ ، النسائي في الصلاة صلاة الخوف: ٣/١٧٦ ـ ١٧٨ ، والحاكم في المستدرك: ١/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا.

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٢/ ٥٢٢، الترمذي في التفسير سورة النساء حديث رقم: ٣٠٣٨ ، وقال الترمذي حسن صحيح ، النسائي: ٣/ ١٧٤ كتاب صلاة الخوف .

المبحث السادس: قصة العرنيين

٤٨١ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن ناساً من عكل وعرينة قدموا المدينة على النبي ﷺ ، وتكلموا بالإسلام فقالوا: يا نبي الله إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف ، واستوخموا المدينة ، فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وراع ، وأمرهم أن يخرجوا فيه ، فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، فانطلقوا ، حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي النبي ﷺ ، واستاقوا الذود ، فبلغ النبي ﷺ ، فبعث الطلب في آثارهم ، فأمر بهم ، فسمروا أعينهم ، وقطعوا أيديهم ، وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم » . واللفظ للبخاري .

وأما رواية مسلم « أن نفراً من عكل ، ثمانية ، قدموا على رسول الله ﷺ ، فبايعوه على الإسلام ، فاستوخموا الأرض ، وسقمت أجسامهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فقال: ألا تخرجون مع راعينا في إبله ، فتصيبون من أبوالها وألبانها ؟ فقالوا: بلى ، فخرجوا فشربوا من أبوالها وألبانها ، فصحوا ، فقتلوا الراعي وطردوا الإبل ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فبعث في آثارهم ، فأدركوا فجيء بهم ، فأمر فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمر أعينهم ، ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا »[1] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة عكل وعرينة حديث رقم: ٤١٩٢ ، وقد أورده في مواطن أخرى كثيرة تبلغ أربعة عشر موضعاً ، مسلم في صحيحه في القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين حديث رقم: ١٦٧١ ، أبو داود في الحدود باب ما جاء في المحاربة حديث رقم: ٤٣٦٤ ، والترمذي في الطهارة باب ما جاء في بول ما يؤكل لحمه حديث رقم: ٧٢ ، والنسائي في كتاب التحريم: ٧/ ٩٤، ٩٥، ٩٧ ، ٩٨، وابن ماجه في الحدود حديث رقم: ٢٥٧٨ ، وأحمد في المسند: ٣/١٠٧ ، ١٦٣، ١٧٠ ، ١٧٧، ١٩٨ ، ٢٠٥ ، ٢٣٣ .

الفصل الثامن

الأحداث من غزوة الحديبية إلى فتح مكة

المبحث الأول: غزوة الحديبية

١ـ وقتها:

كانت غزوة الحديبية سنة ست للهجرة في ذي القعدة ، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وموسى بن عقبة ، ومحمد ابن إسحاق وغيرهم وهذا هو رأي الجمهور في ذلك [١] .

وقد جاء هذا التصريح من حديث أنس ، وعائشة ، والبراء بن عازب أن رسول الله ﷺ ما اعتمر إلا في ذي القعدة .

وأورد هنا حديث أنس رضي الله عنه لأنه أكثرها وضوحاً وتصريحاً بذلك:

٤٨٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عُمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذي القعدة ، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة وعمرة مع حجته » [٢] .

وقد شذ عن الجمهور في رواية عنه عروة بن الزبير فيما روى عنه ابنه هشام ابن عروة: « أن النبي ﷺ خرج إلى الحديبية في رمضان وكانت الحديبية في شوال» .

وقد قال الحافظ ابن كثير فيما ذهب إليه عروة: وهذا غريب جداً عن عروة ، وقال ابن القيم: هذا وهم ، وقد جاء عن عروة من طريق أبي الأسود عنه: أنها كانت في ذي القعدة ، وهذا هو الصواب . والله أعلم[٣].

---

(١) زاد المعاد: ٣/٢٨٦) دلائل النبوة للبيهقي: ٤/٩٠، السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب كم اعتمر النبي ﷺ وسلم رقم: ١٧٨٠ ، وفي المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٨ ، ومسلم في الحج باب بيان عدد عُمر النبي ﷺ رقم: ١٢٥٣ وابو داود في الحج باب العُمر: ١٩٩٤ ، والترمذي في الحج ، باب ما جاء في كم حج النبي ﷺ رقم: ٨١٥ وأحمد في المسند: ٣/١٣٤، ٢٥٦ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ٣/٣١٢ زاد المعاد: ٣/٢٨٧ .

٢ـ عدد المسلمين مع النبي صلى الله عليه وسلم:

جاءت الروايات في عددهم على ثلاثة أوجه:

فمن قائل إنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة ، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة، ومن قائل أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة ، وكلها في الصحيح نذكر بعض هذه الروايات ، ثم نحرر الخلاف بينها ووجه الجمع بين هذه الأقوال:

أـ أنهم كانوا ألفاً وثلاثمائة:

٤٨٤ـ من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلاثمائة وكانت أسلم ثمن المهاجرين » [(١)] .

ب ـ أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة:

٤٨٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية أنتم خير أهل الأرض وكنا ألفاً وأربعمائة ، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة » [(٢)] .

جـ ـ أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة:

٤٨٦ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « لو كنا مائة ألف لكفانا[(٣)] : كنا خمس عشرة مائة » [(٤)] .

قال الحافظ رحمه الله تعالى: « والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة ، فمن قال ألفا وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال ألفاً وأربعمائة

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم :٤١٥٥ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٥ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ٧١،١٨٥٦ وأحمد في المسند: ٣/٣٩٦ .

(٣) معناه أن الصحابة لما وصلوا الحديبية وجدوا بئراً تنز مثل الشراك فبصق النبي ﷺ فيها ودعا بالبركة فجاشت بالماء ، فقال جابر: لو كنا مائة ألف لكفانا .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٢ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام رقم: ١٨٥٦ ، ٧٣،٧٢ .

الغاه ، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء والفاً وأربعمائة أو أكثر » واعتمد هذا الجمع النووي .

وأما البيهقي فمال إلى الترجيح ، وقال إن رواية من قال ألف وأربعمائة أصح، ثم ساقه من طريق أبي الزبير ومن طريق أبي سفيان كلاهما عن جابر كذلك ، ومن رواية معقل بن يسار وسلمة بن الأكوع ، والبراء بن عازب . ومن طريق قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه .

قلت: ومعظم هذه الطرق عند مسلم ، ووقع عند ابن سعد في حديث معقل ابن يسار زهاء ألف وأربعمائة وهو ظاهر في عدم التحديد ، وأما قول عبدالله بن أبي أوفى ألفاً وثلاثمائة فيمكن حمله على ما اطلع هو عليه واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ، والزيادة من الثقة مقبولة ، ويمكن أن يقال: العدد الذي ذكره جملة من ابتدأ الخروج من المدينة والزائد تلاحقوا بهم بعد ذلك ، أو العدد الذي ذكره هو عدد المقاتلة والزيادة عليها من الأتباع من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم .

وأما قول ابن إسحاق أنهم كانوا سبعمائة فلم يوافق عليه ، لأنه قاله استنباطاً من قول جابر « نحرنا البدنة عن عشرة » وكانوا نحروا سبعين بدنة ، وهذا لا يدل على أنهم لم ينحروا غير البدن ، مع أن بعضهم لم يكن أحرم أصلاً، وفي حديث المسور ومروان أنهم خرجوا مع النبي ﷺ بضع عشرة مائة ، فيجمع أيضاً بأن الذين بايعوا كانوا كما تقدم ، وما زاد على ذلك كانوا غائبين عنها كمن توجه مع عثمان إلى مكة ، على أن لفظ البضع يصدق على الخمس والأربع فلا تخالف.

وجزم موسى بن عقبة بأنهم كانوا الفا وستمائة ، وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شيبه الفا وسبعمائة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا الفا وخمسمائة وخمسة وعشرين ، وهذا إن ثبت تحرير بالغ ، ثم وجدته موصولاً عن ابن عباس عند ابن مردويه ، وفيه رد على ابن دحية حيث زعم أن سبب الاختلاف في عددهم أن الذي ذكر عددهم لم يقصد التحرير وإنما ذكره بالحدس والتخمين »[1] .

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٤٤٠ـ ٤٤١ .

٣ـ إحرام الرسول عليه السلام من ذي الحليفة :

٤٨٧ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق حديث كل منهما حديث صاحبه قالا:

« خرج رسول الله ﷺ زمان الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه ، حتى إذا كانوا بذي الحليفة [١] قلد رسول الله ﷺ الهدي وأشعره [٢] ، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عيناً [٣] له من خزاعة يخبره عن قريش » [٤].

٤ـ استعداد قريش لمحاربته عليه السلام:

« وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعي فقال: إني قد تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ـ لفظ البخاري (إن قريشاً جمعوا لك جموعاً) قد جمعوا لك الأحابيش [٥] ، وجمعوا لك جموعاً وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت ، فقال النبي ﷺ: (أشيروا علي ، أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم ، فإن قعدوا، قعدوا موتورين محروبين ، وإن نجوا ـ (قال: قال يحيى بن سعيد عن ابن المبارك) نجوا محزونين، وإن يجيئوا تكن عنقاً قطعها الله ، أوترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟) فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم يا نبي الله إنما جئنا معتمرين ، ولم نجئ نقاتل أحداً ، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه ، فقال النبي ﷺ: (فروحوا إذاً) » واللفظ لأحمد .

---

(١) ذي الحليفة: ماء لبني جشم على ستة أميال عن المدينة وهو ميقات أهل المدينة للحج وهو ما يسمى آبار علي .

(٢) أشعار الهدي: شق أحد جنبي سنام البدنة حتى يسيل دفها ويجعل ذلك علامة لها لتعرف بأنها هدي.

(٣) العين: الجاسوس .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٧٨، ٤١٨٠٤١٧٩، ٤١٨١ ، وأبو داود في الجهاد باب صلح العدو: ٢٧٦٥ ، وفي السنة باب في الخلفاء: ٤٦٥٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف:٨/ ٣٧٢، والبيهقي في السنن:٥/ ٢١٥، ٧/ ١٧٠ ، ٩/ ١٤٤و ٢١٨، ٢٢١ ، ١٠/ ١٠٩، والطبري:٢٨/ ٧١، ٩٧، ١٠١ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٩٧٢٠ ، والطبراني في الكبير: ٢٠/ ١٣، ١٤، ١٥، ٨٤٢ ، والبيهقي في الدلائل:٤/ ٩٩، ١٠٨ . وأحمد في المسند: ٤/٣٢٨ـ ٣٣١ ، ٣٣١، ٣٣٤.

(٥) الأحابيش: جماعات من قبائل شتى حلفاء لقريش ، تالفوا عند جبل يسمى حبيش فسموا بذلك .

٥ـ اعتراض خالد بن الوليد المسلمين ، وخروج النبي ﷺ عن طريقه:

٤٨٨ـ من حديث مروان والمسور السابق: « .... فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ: (إن خالد بن الوليد بالغميم [١] ، في خيل لقريش طليعة [٢] ، فخذوا ذات اليمين)، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة [٣] الجيش ، فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية [٤] التي يهبط عليهم منها ، بركت راحلته ، فقال الناس: « حل حل [٥] » فألحت ، فقالوا: خلأت القصواء ، فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل) » [٦] [٧].

٤٨٩ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ ، حتى إذا كنا بعسفان قال لنا رسول الله ﷺ: إن عيون المشركين الآن على ضجنان فأيكم يعرف طريق الحنظل ؟ فقال رسول الله ﷺ حين أمسى: (هل من رجل فينزل فيسعى بين يدي الركاب ؟) فقال رجل: أنا يا رسول الله فنزل: فجعلت الحجارة تنكبه [٨] ، والشجر يتعلق بشيابه ، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم نزل آخر ، فجعلت الحجارة تنكبه ، والشجر يعلق بثيابه ، فقال رسول الله ﷺ: (اركب)، ثم وقعنا على الطريق حتى سرنا في ثنية يقال لها الحنظل ، فقال رسول الله ﷺ: (ما مثل هذا الثنية إلا كمثل الباب الذي دخل فيه بنو إسرائيل ، قيل لهم: ادخلوا الباب سجداً ، وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم، لا يجوز أحد الليلة هذه الثنية إلا غفر له)، فجعل الناس يسرعون ويجوزون ، وكان آخر من جاز قتادة بن النعمان في آخر القوم ، قال: فجعل

---

(١) الغميم: موضع قريب من مكة بين رابغ والجحفة .

(٢) طليعة: مقدمة الجيش لاستكشاف العدو .

(٣) قترة الجيش: غبار الجيش .

(٤) الثنية: هي ثنية المرار موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية .

(٥) حل حل: لفظ يزجر به الدابة إذا حملت على السير .

(٦) حبسها: حابس الفيل: حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد ، والمصالحة مع أهل الحرب ، وكتابة الشروط رقم: ٢٧٣١، ٢٧٣٢ ، بلفظ أطول من لفظه في المغازي ، وأحمد في المسند: ٤/٣٢٨ ـ ٣٣١.

(٨) تنكبه : تناله وتصيبه .

الناس يركب بعضهم بعضاً حتى تلاحقنا ، قال: فنزل رسول الله ﷺ ونزلنا »[1].

٦ـ استعداد النبي صلى الله عليه وسلم للمفاوضة:

٤٩٠ـ من حديث مروان والمسور السابق: « ... فقال النبي ﷺ: (ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل)، ثم قال: (والذي نفسي بيده ، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها). ثم زجرها فوثبت . قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء »[2].

٧ـ تفجير الماء من البئر الذي نضب في الحديبية ببركته صلى الله عليه وسلم:

٤٩١ـ من الحديث السابق قال: « فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً ، فلم يُلبثه الناس حتى نزحوه ، وشكى إلى رسول الله ﷺ العطش ، فانتزع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه »[3].

وقد جاء أيضاً تفجر الماء من البئر من حديث البراء بن عازب ، ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنهما نوردهما لزيادة الفائدة:

٤٩٢ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: « تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح: بيعة الرضوان يوم الحديبية، كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر فنزحناها، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتى فجلس على شفيرها ، ثم دعا بإناء من ماء منها ، فتوضأ ، ثم مضمض ، ودعا ، ثم صبه فيها ، فتركها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا نحن وركائبنا » .

وفي رواية أخرى قال بدل (إناء من ماء منها) ، (ائتوني بدلو من مائها)

---

(١) أخرجه البزار كما في كشف الأستار: ١٨١٢، ٢/٣٧٧ ـ ٣٣٨ ، وقال الهيثمي في المجمع : ٦/١٤٤، رواه البزار ورجاله ثقات .

(٢) سبق تخريجهما حديث رقم: ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فإنهما قطعتين منه .

(٣) سبق تخريجهما حديث رقم: ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فإنهما قطعتين منه .

وقال بدل (فتركها غير بعيد) (دعوها ساعة) [١].

٤٩٣ـ ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « قدمنا مع رسول الله ﷺ الحديبية ونحن أربع عشرة مائة ، وعليها خمسون شاة لا ترويها . قال: فقعد رسول الله ﷺ على جبا الركية [٢] ، فإما دعا وإما بزق فيها ، فجاشت [٣] فسقينا ، واستقينا » [٤] .

٨ ـ تكثيره صلى الله عليه وسلم الطعام :

٤٩٤ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ، فأصابنا جهد [٥] حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا ، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزاودنا [٦] فبسطنا له نطعاً [٧] ، فاجتمع زاد القوم على النطع ، قال: فتطاولت لأحزره [٨] كم هو ؟ فحزرته كربضة العنز [٩] ونحن أربع عشرة مائة ، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعاً ، ثم حشونا جربنا [١٠] » [١١] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث: ٤١٥٠، ٤١٥١ .

(٢) جبا الركية: ما حول البئر ، والركي: البئر .

(٣) جاشت: ارتفعت وفاضت .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه الجهاد باب غزوة ذي قرد حديث رقم: ١٨٠٧ وأبو داود في الجهاد باب في السرية ترد على أهل العسكر: ٢٧٥٢ ، وابن سعد: ٢/ ٨١ـ٨٤، واحمد في المسند: ٤/ ٥٢ـ ٥٤، والطبري في التاريخ: ٢/ ٥٩٦ ـ ٦٠٠ ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ١٨٢، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٥٣٣ـ ٥٣٨ .

(٥) الجهد: المشقة .

(٦) مزاودنا: جمع مزود وهو الوعاء الذي يحمل فيه الزاد .

(٧) بسطنا له نطعاً: وضعنا له بساطاً اي لما معنا من الزاد .

(٨) تطاولت لأحزره: اي لأقدره واخمنه .

(٩) ربضة العنز: مبركها أو كقدرها وهي رابضة .

(١٠) جربنا: جمع جراب: الوعاء من الجلد يجعل فيه الزاد

(١١) أخرجه البخاري في الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض رقم: ٢٤٨٤، ٢٩٨٢ ، مسلم في اللقطة باب استحباب خلط الأزواد إذا قلت والمؤاساة فيها حديث رقم: ١٧٢٩ ، ٣/ ١٣٥٤ ، والطبراني في الكبير رقم: ٦٢٤٤.

ـ نصيحة بديل بن ورقاء الخزاعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

٤٩٥ـ من حديث مروان والمسور الذي سبق بعضه «... فبينما هم كذلك ، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة ـ وكانوا عيبة نصح[١] رسول الله ﷺ من أهل تهامة ، فقال: إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية [٢] ، ومعهم العوذ المطافيل [٣] ، وهم مقاتلوك ، وصادوك عن البيت ، فقال رسول الله ﷺ: (إنا لم نجيء لقتال أحد ، ولكنا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب ، وأضرت بهم ، فإن شاءوا ماددتهم مدة ، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر ، فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا ، وإلا فقد جموا [٤] ، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري حتى تنفرد سالفتي . ولينفذن الله أمره) ، فقال بديل: سأبلغهم ما تقول .

قال: فانطلق حتى أتى قريشاً قال: إنا جئناكم من هذا الرجل ، وسمعناه يقول قولاً: فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا ، فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرونا عنه بشيء ، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول: كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ﷺ » [٥] .

١٠ـ وفود عروة بن مسعود الثقفي ومفاوضته لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

من حديث مروان والمسور السابق: «... فحدثهم بما قال النبي ﷺ ، فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ، ألستم بالوالد [٦]؟ قالوا: بلى ، قال: أولست

---

(١) عيبة نصح: موضع الأمانة والسر والنصيحة .

(٢) نزلوا أعداد مياه الحديبية: الماء الذي لا انقطاع له ، وهذا يدل على أنه كان بالحديبية ماء كثير ، ولكن سبقت إليه قريش ولذلك عطش المسلمون حين نزلوا على الثمد .

(٣) العوذ المطافيل: العوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن ، والمطافيل: الأمهات اللائي معهن أولادها: كناية أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان يتزودوا بالبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه .

(٤) جموا: استراحوا من القتال .

(٥) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، فقد سبق تخريجه هناك .

(٦) الستم بالوالد: مثل الأب في الشفقة لولده .

بالولد ؟ [١] قالوا: بلى ، قال: فهل تتهموني ، قالوا: لا ، قال: ألستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ ، فلما بلحوا علي [٢] جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد اقبلوها ، ودعوني آته، قالوا: ائته ، فأتاه ، فجعل يكلم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ نحوا من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك: أي محمد ، أرأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإني والله لا أرى وجوهاً [٣] وإني لأرى أشواباً [٤] من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: امصص بظر اللات [٥]، أنحن نفرعنه وندعه ؟

فقال: من ذا ؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده، لولا يد[٦] كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك ، قال: وجعل يكلم النبي ﷺ ، فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته ، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ، ومعه السيف ، وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي ﷺ ، ضرب يده بنعل السيف ، وقال له: أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا ؟ قال: المغيرة بن شعبة ، فقال: أي غدر[٧] ألست أسعى في غدرتك ؟

وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم ، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: (أما الإسلام فأقبل ، وأما المال فلست منه في شيء) ، ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه ، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم ، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له .

---

(١) أولست بالولد: مثل الابن في النصح لأبيه .

(٢) بلحوا علي: امتنعوا وعجزوا .

(٣) وجوهاً: الوجوه: يعني الأعيان والأشراف .

(٤) الأشواب: الأخلاط .

(٥) امصص بظر اللات: البظر ما تقطعه الخافضة من بظر المرأة عند الختان وكان هذا يستعمل عند العرب للشتم ، لكن بلفظ الأم فاستعار الصديق ذلك مبالغة في سب عروة وإهانة لمعبوده ، الذي حمله على ذلك نسبة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى الفرار .

(٦) اليد: النعمة .

(٧) غدر: يا غادر .

فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال: أي قوم ، والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ ،والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا أخفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له ، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها »[(١)] .

٤٩٦ـ من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: « إنه كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ وعروة بن مسعود يكلمه ، فقال له المغيرة: لتكفن يدك أو لا ترجع إليك يدك ، والمغيرة متقلد سيفاً ، فقال عروة: من هذا ؟ قال: ابن أخيك المغيرة ، فقال: يا غدر ما غسلت رأسي من غدرتك »[(٢)].

١١ـ إرسال عثمان بن عفان إلى قريش:

من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قالا: « ... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش ، فمنعهم الأحابيش حتى أتى رسول الله ﷺ ، فدعا عمر ليبعثه إلى مكة ، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي ، وليس بها من بني عدي أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكن أدلك على رجل هو أعز مني ، عثمان بن عفان .

قال: فدعاه رسول الله ﷺ ، فبعثه إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وأنه جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان حتى أتى مكة ، ولقيه أبان ابن سعيد بن العاص فنزل عن دابته ، وحمله بين يديه ، وردف خلفه، وأجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ . فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ، فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ ،

---

(١) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٢) المطالب العالية: ٢٠٦٤ ، ٤٣٤٧ ، ونسبه لأبي بكر بن أبي شيبة وقال: إسناده في نهاية الصحة ، ورواه ابن حبان في صحيحه: ١٦٩٦ .

فاحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل»[1] .

وهذه رواية للحديث من طريق أخرى عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم من طريق محمد بن إسحاق قال حدثني الزهري محمد بن مسلم بن شهاب عن عروة بن الزبير عنهما.

١٢ـ بيعة الرضوان:

لما بلغ النبي ﷺ أن عثمان رضي الله عنه قتل ، دعا رسول الله ﷺ أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين ، ومناجزتهم ، وها نحن نثبت هنا وصفاً لتلك البيعة وأحداثها كما يرويها من حضرها من أصحاب رسول الله ﷺ:

أـ قيام معقل بن يسار برفع أغصان الشجرة لئلا تصطدم بالرسول عليه السلام:

٤٩٧ـ من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه قال: « لقد رأيتني يوم الشجرة، والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة ، قال: لم نبايعه على الموت ، ولكن بايعناه أن لا نفر »[2] .

ب ـ أول من بايع الرسول عليه السلام:

٤٩٨ـ قال الحافظ في الإصابة: أخرج الحاكم أبو أحمد من طريق عاصم الأحول عن الشعبي قال: « أتاني عامري وأسدي يعني كانا متفاخرين ، فقلت: كان لبني أسد ست خصال ما كانت لحي من العرب أول من بايع بيعة الرضوان أبو سنان عبدالله بن وهب الأسدي قال: يا رسول الله ابسط يدك أبايعك قال: (على ماذا ؟) قال: على ما في نفسي قال: (فتح وشهادة) قال: نعم ، فبايعه قال: فخرج الناس يبايعون على بيعة أبي سنان »[3] .

---

(١) أخرجه احمد في المسند: ٣٢٣/٤ ـ ٣٢٦ ، وابن هشام: ٣٠٨/٣ المجلد الثاني وابن سعد في الطبقات: ٩٦/٢ ـ ٩٧ ، والطبري في تاريخه: ٦٣١/٢ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق بسند صحيح قد صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث ، وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية وهو جزء من حديث رقم: ٤٩٥ .

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٧٦/١٨٥٨ ـ وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ١٠٦/٢١ .

(٣) الإصابة: ٩٦/٤ ترجمة رقم: ٥٧١ ، وقال أخرجه الحسن بن علي الحلواني ، ومحمد بن إسحاق والسراج من طرفه عن إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، وأخرجه ابن مندة من طرق عن عاصم عن زر بن حبش قال: أول من بايع تحت الشجرة أبو سنان بن وهب » انتهى . قلت: وقد جاء أيضاً في دلائل البيهقي: ١٣٧/٤ ، من طريق ابن أبي خالد عن الشعبي .

جـ ـ من تخلف عن البيعة:

٤٩٩ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه: « قال أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية قال: كنا أربع عشر مائة ، فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة [(١)] ، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره » [(٢)] .

د ـ مبايعة سلمة بن الأكوع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات:

٥٠٠ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه « ... قال: ثم إن رسول الله ﷺ دعانا إلى البيعة في أصل الشجرة فبايعه أول الناس ، ثم بايع وبايع ، حتى إذا كان في وسط الناس قال: (بايعني يا سلمة) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك أول الناس ، قال: (وأيضاً)، قال: ورآني رسول الله ﷺ عزلاً [(٣)]، فأعطاني جحفة أو درقة [(٤)]، ثم بايع حتى إذا كان في آخر الناس قال: (ألا تبايع يا سلمة ؟) قال: قلت: يا رسول الله قد بايعتك في أول الناس وأوسطهم ، قال: (وأيضاً) فبايعته الثالثة فقال: (يا سلمة أين جحفتك أو درقتك التي أعطيتك ؟) قال: قلت: يا رسول الله لقيني عامر عزلاً فأعطيتها إياه ، فضحك رسول الله ﷺ ، ثم قال: (إنك كالذي قال الأول [(٥)] ، اللهم ابغني [(٦)] حبيباً هو أحب إليَّ من نفسي)[(٧)].

هـ ـ مبايعة النبي عليه السلام نفسه عن عثمان رضي الله عنه:

٥٠١ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما رواه عنه عثمان بن وهب قال: « جاء رجل حج للبيت ، فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القعود ؟ قالوا: هؤلاء قريش . قال: من الشيخ ؟ قالوا: ابن عمر . فأتاه فقال: إني

---

(١) سمرة: شجر الطلع .

(٢) أخرجه مسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ٧٦/١٨٥٦ .

(٣) عزلاً: الذي لا سلاح معه .

(٤) الحجفة أو الدرقة: الترس .

(٥) إنك كالذي قال الأول: إن شانك مع عمك يشبه فحوى القول الذي قال الرجل المتقدم زمانه .

(٦) ابغني: أعطني

(٧) قد تقدم جزء من هذا الحديث رقم: ٤٩٣ ، فانظر تخريجه هناك .

سائلك عن شيء أتحدثني ؟ قال: أنشدك بحرمة هذا البيت ، أتعلم أن عثمان بن عفان فر يوم أحد ؟ قال: نعم ، قال: فتعلمه تغيب عن بدر فلم يشهدها ؟ قال: نعم ، قال: فتعلم أنه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها ؟ قال: نعم . قال: فكبر .

قال ابن عمر: تعال لأخبرك ولأبين لك عما سألتني عنه: أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه ، وأما تغيبه يوم بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة، فقال له النبي ﷺ: (إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه)، وأما تغيبه عن بيعة الرضوان ، فإنه لو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان بن عفان لبعثه مكانه ، فبعث عثمان ، وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة ، فقال النبي ﷺ بيده اليمين: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده فقال: (هذه لعثمان) ، اذهب بها الآن معك)[1] .

و- بيعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٥٠٢- قال نافع: « إن الناس يتحدثون أن ابن عمر أسلم قبل عمر ، وليس كذلك ، ولكن عمر يوم الحديبية أرسل عبدالله إلى فرس له عند رجل من الأنصار يأتي به ليقاتل عليه ، ورسول الله ﷺ يبايع عند الشجرة، وعمر لا يدري بذلك، فبايعه عبدالله ، ثم ذهب إلى الفرس ، فجاء به إلى عمر ، وعمر يستلئم للقتال، فأخبره أن رسول الله ﷺ يبايع تحت الشجرة قال: فانطلق ، فذهب معه » .

وفي رواية أخرى من طريق نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما: « أن الناس كانوا مع النبي ﷺ يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر ، فإذا الناس محدقون بالنبي ﷺ ، فقال: يا عبدالله انظر ما شأن الناس قد أحدقوا برسول الله ﷺ ، فوجدهم يبايعون ، فبايع ، ثم رجع إلى عمر ، فخرج ، فبايع »[2] .

قال الحافظ ابن حجر: « ويمكن الجمع بينهما بأنه بعثه يحضر له الفرس، ورأى

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قول الله: ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان ...﴾ حديث رقم: ٤٠٦٦ ، الترمذي في المناقب باب مناقب عثمان بن عفان حديث رقم: ٣٧٠٦ ، وقال: حسن صحيح ، وأحمد في المسند: ١/ ٥٩ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٩٨ ، وقال صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي من طريق حبيب بن أبي مليكة » قلت: وقد أخرجه البخاري كما سبق من طريق عثمان بن موهب .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٨٦ ، ومعلقا رقم: ٤١٨٧ .

الناس مجتمعين فقال له: انظر ما شأنهم ؟ فبدأ بكشف حالهم ، فوجدهم يبايعون، فبايع ، وتوجه إلى الفرس ، فأحضرها ، وأعاد حينئذ الجواب على أبيه»[1] .

ز ـ علام بايع الصحابة رسول الله يوم الحديبية:

اختلف الصحابة في ذلك على ثلاثة أقوال:

الأول: قالوا بايعنا على الموت، وهو قول سلمة بن الأكوع ، وعبدالله بن زيد بن عاصم .

٥٠٣ ـ حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن يزيد بن أبي عبيد ـ رحمه الله ـ قال: « قلت لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية ؟ قال: على الموت »[2] .

٥٠٤ـ وحديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه قال: « أتاه آت فقال: هذاك ابن حنظلة يبايع الناس ، فقال: على ماذا ؟ قال: على الموت . قال: لا أبايع على هذا أحداً بعد رسول الله ﷺ ، وكان شهد معه الحديبية»[3] .

الثاني: قالوا أنه بايعوه على عدم الفرار وهو قول جابر بن عبدالله ومعقل بن يسار .

٥٠٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة ، فبايعناه ، وعمر رضي الله عنه آخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة قال: بايعناه على أن لا نفر ولم نبايعه على الموت »[4] وحديث معقل بن يسار تقدم رقم: ٤٩٧ .

---

(١) فتح الباري: ٧/٤٥٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٦٩ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ١٨٦٠ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٦٧ ، ومسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال رقم: ١٨٦١ .

(٤) أخرجه مسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الجيش عند إرادة القتال حديث: ١٨٥٦/٦٧ ، والترمذي في السير باب ما جاء في بيعة النبي ﷺ حديث رقم: ١٥٩٤ ، وقال: حسن صحيح وانظر حديث رقم: ٤٩٩ .

الثالث: أنهم بايعوه على الصبر ، وقد جاء هذا من حديث ابن عمر.

٥٠٦ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « رجعنا من العام المقبل، فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها » كانت رحمة من الله فسألنا نافعاً: على أي شيء بايعهم ؟ على الموت ؟ قال: لا ، بل بايعهم على الصبر»[١].

وفي التوفيق بين هذه الأقوال الثلاثة أسوق قولين للإمام النووي وابن حجر العسقلاني رحمهما الله تعالى وبين يدي قوليهما أقول: « إن رسول الله ﷺ تكررت منه البيعة للصحابة رضوان الله عليهم في مواطن عديدة كان هذا الموطن من بينها ، فتارة كان يبايع الصحابة على الجهاد كما حصل يوم الخندق ، وتارة على الإسلام والجهاد كما حصل مع مجاشع بن مسعود يوم فتح مكة ، وتارة على النصح لكل مسلم كما حصل مع جرير بن عبدالله البجلي ، وتارة على عدم الفرار، وعلى الموت ، وعلى الصبر كما حصل يوم الحديبية فقد بايع قسماً من الصحابة على عدم الفرار ، والآخرون على الموت ، وقسم على الصبر » .

يقول الإمام النووي رحمه الله تعالى: « قوله في رواية جابر ومعقل بن يسار بايعناه يوم الحديبية على أن لا نفر ، ولم نبايعه على الموت .

وفي رواية سلمة: أنهم بايعوه يومئذ على الموت ، وهو معنى رواية عبدالله بن زيد بن عاصم ، وفي رواية مجاشع بن مسعود: البيعة على الهجرة والبيعة على الإسلام والجهاد ، وفي حديث ابن عمر وعبادة بايعنا على السمع والطاعة، وأن لا ننازع الأمر أهله ،وفي رواية ابن عمر في غير صحيح مسلم: البيعة على الصبر.

قال العلماء: هذه الرواية تجمع المعاني كلها ، وتبين مقصود كل الروايات ، فالبيعة على أن لا تفر معناه الصبر حتى نظفر بعدونا أو نقتل، وهو معنى البيعة على الموت ، أي نصبر وإن آل بنا ذلك إلى الموت ، لا إن الموت مقصود في نفسه، وكذا البيعة على الجهاد أي والصبر فيه والله أعلم»[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد باب البيعة في الحرب أن لا يفروا ، وقال بعضهم على الموت حديث رقم: ٢٩٥٨ .

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: ١٣/٢ـ٣ .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « إن المبايعة فيها مطلقة ، وقد أخبر سلمة بن الأكوع ، وهو ممن بايع تحت الشجرة أنه بايع على الموت ، فدل ذلك على أنه لا تنافي بين قولهم بايعوه على الموت ، وعلى عدم الفرار ، لأن المراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا ، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد ، وهو الذي أنكره نافع وعدل إلى قوله (بل بايعهم على الصبر) أي على الثبات وعدم الفرار سواء أفضى بهم ذلك إلى الموت أم لا ، والله أعلم »[(١)] .

ويقول في موطن آخر: « وحاصل الجمع أن من أطلق أن البيعة كانت على الموت أراد لازمها ، لأنه إذا بايع على أن لا يفر لزم من ذلك أن يثبت ، والذي يثبت إما أن يغلب وإما أن يؤسر ، والذي يؤسر إما أن ينجو وإما أن يموت ، ولما كان الموت لا يؤمن في مثل ذلك أطلقه الراوي ، وحاصله أن أحدهما حكى صورة البيعة ، والآخر حكى ما تؤول إليه »[(٢)] .

وقال الإمام الترمذي في سننه في تعليقه على الحديث رقم: ١٥٩٣ : ومعنى كلا الحديثين صحيح قد بايعه قوم من أصحابه على الموت وإنما قالوا: لا نزال بين يديك حتى نقتل وبايعه آخرون فقالوا: لا نفر)[(٣)] .

١٣- إرسال سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي:

٥٠٧- من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الآنف الذكر « . . . فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه ؟ فقالوا: ائته ، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ: (هذا فلان: وهو من قوم يعظمون البدن ، فابعثوها له) ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت: فما أرى أن يصدوا عن البيت»[(٤)] .

وقد صرح ابن إسحاق - رحمه الله - في روايته لهذا الحديث باسم ذلك الرجل، وإسناد ذلك الحديث صحيح ، وها أنذا أسوق لفظه ذلك قال ابن إسحاق

---

(١) فتح الباري: ٦/١١٨ ، في كتاب الجهاد باب البيعة في الحرب على أن لا يفروا .

(٢) فتح الباري: ٧/٤٥٠ ، المغازي باب غزوة الحديبية ، في التعليق على حديث سلمة رقم: ٤١٦٩ .

(٣) سنن الترمذي السير باب بيعة النبي ﷺ حديث رقم: ١٥٩٣ .

(٤) انظر التعليق على الحديث ٤٨٨ فإنه جزء منه .

« ... ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان، وكان يومئذ سيد الأحابيش، وهو أحد بني الحارث بن عبدمناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (إن هذا من قوم يتألهون [(١)] ، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه)، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي [(٢)] في قلائده [(٣)] وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله[(٤)]، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى فقال لهم ذلك . قال: فقالوا له: اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك » .

قال ابن إسحاق: فحدثني عبدالله بن أبي بكر: « أن الحليس غضب عند ذلك وقال: يا معشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم ، أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ! والذي نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد ، قال: فقالوا له: صه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى » [(٥)] .

١٤ـ تحذير النبي الصحابة من إيقاد النار في الليل:

٥٠٨ـ من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ لما كان يوم الحديبية قال: (لا توقدوا ناراً بليل ، فلما كان بعد ذلك قال: أوقدوا واصطنعوا ، فإنه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم) [(٦)] .

١٥ـ أسر رجال من المشركين حاولوا الاعتداء على المسلمين:

٥٠٩ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه ضمن حديث طويل سبق ذكر أجزاء منه قال: « ... أتيت شجرة فكسحت شوكها [(٧)] ، واضطجعت في

---

(١) يتألهون: يتعبدون ويعظمون أمر الإله .

(٢) عرض الوادي: جانبه .

(٣) القلائد: ما يعلق في أعناق الهدي ليعلم أنه هدي .

(٤) محله: موضعه الذي ينحر فيه من الحرم .

(٥) سيرة ابن هشام: ٣/٣١٢ ، المجلد الثاني من طريق ابن إسحاق بسند صحيح صرح فيه بالتحديث وهو قطعة من حديث طويل في صلح الحديبية .

(٦) أخرجه أحمد في المسند: ٣/٢٦ ، قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٥ ، رواه أحمد ، ورجاله ثقات: وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٣٦ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٧) كسحت شوكها: كنست ما تحتها من الشوك .

أصلها، فأتاني أربعة من أهل مكة من المشركين ، فجعلوا يقعون في رسول الله ﷺ ، فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، وعلقوا سلاحهم واضطجعوا . فبينما هم كذلك ، إذ نادى مناد من أسفل الوادي: يا للمهاجرين ، قتل ابن زنيم قال: فاخترطت سيفي [(١)] ثم شددت [(٢)] على هؤلاء الأربعة ، وهم رقود ، فأخذت سلاحهم فجعلته ضغثاً [(٣)] في يدي . قال: ثم قلت: والذي كرم وجه محمد ! لا يرفع أحد منكم راسه إلا ضربت الذي فيه عيناه [(٤)] قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ .

قال: وجاء عمي عامر برجل من العبلات [(٥)] يقال له مكرز يقوده إلى رسول الله ﷺ ، على فرس مجفف [(٦)] في سبعين من المشركين ، فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: (دعوهم . يكن لهم بدء الفجور وثناه [(٧)]) فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وانزل الله: **﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾** [(٨)(٩)] .

٥١٠ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين ، يريدون غرة النبي ﷺ وأصحابه ، فأخذهم سلماً ، فاستحياهم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: **﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ﴾** [(١٠)] .

---

(١) اخترطت سيفي: سللته .

(٢) شددت: حملت وكررت .

(٣) ضغثاً: الضغث: الحزمة .

(٤) الذي فيه عينيه: راسه .

(٥) العبلات: قال الجوهري في الصحاح: العبلات من قريش وهم أمية الصغرى ، والنسبة إليهم عبلى: ترك إلى الواحد .

(٦) مجفف: عليه تجفاف: وهو ثوب كالجل يلبسه الفرس ليقيه السلاح .

(٧) يكن لهم بدء الفجور وثناه: البدء هو الابتداء ، وأما ثناه فمعناه عودة ثانية .

(٨) سورة الفتح: ٢٤ الآية كلها .

(٩) سبق تخريجه في الحديث رقم: ٤٩٣ .

(١٠) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب قوله تعالى: ﴿ وهو الذي كف أيديهم عنكم ﴾ الآية رقم: ١٨٠٨ ، أبو داود في الجهاد باب في المن على الأسير بغير فداء: ٢٦٨٨ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة الفتح رقم: ٣٢٦٤ ، وقال حسن صحيح ، واحمد في المسند: ٣/١٢٢ ، ١٢٥ ، وابن جرير في التفسير: ٢٦/ ٩٤ ، البيهقي في الدلائل: ٤/١٤١ .

وقد جاء من حديث عبدالله بن مغفل ما يدل على أن هذا الأمر حصل أثناء كتابة الصلح بين رسول الله ﷺ وبين سهيل بن عمرو، وأن رسول الله دعا على الذين حاولوا مهاجمة المسلمين ، فأخذ الله أبصارهم، فقبض عليهم المسلمون ، وكان عدد هؤلاء ثلاثين شاباً من قريش ، ثم أطلق رسول الله ﷺ سراحهم ، فلعل ذلك حصل مرة أخرى والله أعلم .

٥١١ـ من حديث عبدالله بن مغفل المزني رضي الله عنه قال: « كنا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله عزَّ وجلَّ في القرآن ، وكان يقع في أغصان الشجرة على ظهر النبي ﷺ ، وعلى بن أبي طالب وسهيل بن عمرو بين يديه ، فقال رسول الله ﷺ: (اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ، وأنا رسول الله ، فكتب فبينما نحن كذلك فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح ، فثاروا في وجوهنا ، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ، فأخذ الله أبصارهم ، فقمنا إليهم ، فقال رسول الله ﷺ: (هل جئتم في عهد أحد وهل جعل لكم أماناً ؟) قالوا: لا ، فخلى سبيلهم ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً** ﴾ [1] .

١٦ـ نزول المطر على المسلمين يوم الحديبية :

٥١٢ـ من حديث زيد بن خالد الأنصاري رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية ، فأصابنا مطر ذات ليلة ، فصلى لنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل علينا فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم ؟) قلنا: الله ورسوله أعلم ، فقال: (قال الله: أصبح من عبادي مؤمن وكافر بي ، فأما من قال مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله ، فهو مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنجم كذا ، فهو مؤمن بالكوكب كافر بي) [2] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٨٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١٤٥ ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح ، والحاكم: ٢/ ٤٦١ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، وأقره الذهبي ، والبيهقي في السنن: ٦/ ٣١٩ ، وابن جرير في التفسير: ٢٦/ ٩٤ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٤٧ ، مسلم في الإيمان باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء حديث رقم: ٧١ ، مسالك في الموطأ: ١/ ١٩٢ ، أبو داود في السنن رقم: ٣٩٠٦ ، والنسائي: ٣/ ١٥٦ ، وأحمد في المسند: ٤/ ١١٧ .

١٧ـ إرسال مكرز بن حفص لمفاوضة الرسول عليه السلام:

٥١٣ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الطويل الذي سبق أجزاء منه « .. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آته ، فقالوا: ائته ، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ: هذا مكرز ، وهو رجل فاجر) فجعل يكلم النبي ﷺ »[١].

١٨ـ إرسال النبي عليه السلام خراش بن أمية الخزاعي لمفاوضة قريش:

٥١٤ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم من رواية الإمام أحمد وابن إسحاق بسند صحيح وسبق أجزاء منه «... وقد كان رسول الله ﷺ قبل ذلك بعث خراش بن أمية الخزاعي إلى مكة ، وحمله على جمل يقال له الثعلب، فلما دخل مكة عقرت به قريش ، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابيش ، حتى أتى رسول الله ﷺ »[٢].

١٩ـ إرسال سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول عليه السلام:

٥١٥ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم السابق: «... أن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي فقالوا: ائت محمداً فصالحه ، ولا يكون في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تتحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبداً »[٣].

٥١٦ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان عند البخاري: «... فبينما هو يكلمه[٤] إذ جاء سهيل بن عمرو قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة: أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ﷺ: (قد سهل الله أمركم) قال معمر قال الزهري في حديثه: « فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً ، فدعا النبي ﷺ الكاتب »[٥].

---

(١) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٢) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٩٦ ، فإن هذا الحديث قطعة من ذلك الحديث الطويل .

(٣) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٩٦ .

(٤) مكرز بن حفص وهو يكلم النبي عليه السلام .

(٥) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

٢٠ـ كاتب صلح الحديبية:

٥١٧ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية »[(١)] .

وقد جاء عن عدد من الصحابة أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان هو كاتب الصلح: من حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم[(٢)] ، ومن حديث المسور ابن مخرمة ومروان بن الحكم عند أحمد وأبي داود[(٣)]، ومن حديث ابن عباس عند إسحاق بن راهويه[(٤)] .

٢١ـ اعتراض عمر بن الخطاب على كتابة الصلح:

٥١٨ـ من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه من طريق أبي وائل عنه قال: « قام سهل بن حنيف يوم صفين فقال: أيها الناس ! اتهموا أنفسكم ، لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، ولو نرى قتالاً لقاتلنا ، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين ، فجاء عمر بن الخطاب فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ! ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال: (بلى)، قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: (بلى) ، قال: ففيم نعطي الدنية[(٥)] في ديننا ، ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال: (يا ابن الخطاب إني رسول الله ، ولن يضيعني الله أبداً) قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً ، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ! ألسنا على حق ، وهم على باطل ؟ قال: بلى . قال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى . قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ، ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ .

فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله أبداً . قال: فنزل

---

(١) أخرجه البخاري في الصلح باب كيف يكتب ، وهذا ما صالح عليه فلان بن فلان .. حديث رقم: ٢٦٩٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٧٨٣/ ٩٠ ، أبو داود في الحج باب المحرم يحمل السلاح حديث رقم: ١٨٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في السير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٧٨٤ .

(٣) أحمد في المسند: ٤/ ٣٢٥ ، أبو داود في السنن: ٢٧٦٦ ، ورجاله ثقات .

(٤) المطالب العالية رقم: ٤٣٤٥ ، وقال ابن حجر: هذا إسناد صحيح له شاهد في الصحيحين من حديث المسور وغيره .

(٥) الدنية: النقيصة والحالة الناقصة .

القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح. فأرسل إلى عمر فأقرأه إياه. فقال: يا رسول الله !! أو فتح هو ؟ قال: (نعم) ، فطابت نفسه ورجع)[1] .

وقد جاءت قصة عمر هذه أيضاً من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الوارد في الصحيحين كما سبق التعليق عليه[2] .

وقد كان موقف بعض الصحابة شبيهاً بموقف عمر بن الخطاب ، ولكنهم لم يستطيعوا التعبير عن أنفسهم كما عبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما يتضح لنا من موقف سهل بن حنيف رضي الله عنه في الحديث الذي سأسوقه لاحقاً:

٥١٩ـ من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: بصفين: « أيها الناس ! اتهموا رأيكم والله لقد رأيتني يوم أبي جندل ، ولو أني أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته ، والله ! ما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر قط، إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا »[3].

٢٢ـ محاورة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو حول كتابة الكتاب:

٥٢٠ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي في الصحيح والذي سبق أجزاء منه « ... فجاء سهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينك كتاباً، فدعا النبي ﷺ الكاتب ، فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب باسمك اللهم » كما كنت تكتب ، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم » .

فقال النبي ﷺ: اكتب (باسمك اللهم) ، ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله) فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب الجزية باب ١٨ ، حدثنا عبدان حديث رقم: ٣١٨٢ ، ومسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٧٨٥ / ٩٤ ، واحمد في المسند: ٤٨٦/٣ ، وابن جرير في التفسير: ٧٠/٢٦ .

(٢) انظر التعليق على الحديث رقم: ٤٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجزية باب: ١٨ ، حدثنا عبدان حديث رقم: ٣١٨١ ، وفي المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٨٩ ، مسلم في الجهاد والسير باب صلح الحديبية حديث رقم: ١٨٧٥/ ٩٥، وانظر حديث رقم: ٥١٨.

البيت ، ولا قاتلناك ، ولكن اكتب محمد بن عبدالله » .

فقال النبي ﷺ: (والله إني لرسول الله وإن كذبتموني ، اكتب محمد بن عبدالله) قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها) فقال له النبي ﷺ: (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به)، فقال سهيل: « والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ، ولكن ذلك من العام المقبل ، فكتب ، فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل ، وإن كان على دينك ـ إلا رددته إلينا ، قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً »[1] .

٢٣ـ اعتذار علي عن محو الشهادة للنبي بالرسالة وقيام النبي بذلك:

٥٢١ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « كتب علي بن أبي طالب الصلح بين النبي ﷺ وبين المشركين يوم الحديبية ، فكتب « هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله ، فقالوا: لا تكتب رسول الله فلو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك ، فقال النبي ﷺ لعلي: (امحُهُ) فقال: ما أنا بالذي أمحاه ، فمحاه النبي ﷺ بيده »[2] .

٢٤ـ شروط الصلح وبنوده:

وقد جاءت شروط الصلح وبنوده مستوفاة تقريباً في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في مسند أحمد ، ومن طريق ابن إسحاق كما في السيرة النبوية لابن هشام ، وهذا لا يعني أنها ليست موجودة في كتب الحديث الأخرى ، بل وجدت هذه الشروط مفرقة في أحاديث متعددة ، ومن طرق عن صحابة متعددين، ولكن وجودها في حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم بصورة جامعة يجعلني أقدم هذه الرواية ، وقد أخرجت بعض ذلك الحديث مفرقاً في عدة مواطن من حديثنا عن غزوة الحديبية كما أشرت إلى ذلك في التعليقات عليه، وها أنذا أسوق هذه البنود كما جاءت في ذلك الحديث مع حذف بعض الجمل المعترضة خلالها .

---

(١) انظر تخريجه في الحديث رقم: ٤٨٨ ، فإنه جزء منه .

(٢) سبق تخريجه حديث: ٥١٧ .

٥٢٢ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم « .. باسمك اللهم هذا ما صالح عليه محمد بن عبدالله وسهيل بن عمرو على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض على أنه من أتى رسول الله ﷺ من أصحابه بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن أتى قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة[1] مكفوفة[2] ، وأنه لا إسلال[3] ، ولا إغلال[4] ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وإنك ترجع عنا عامنا هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فتدخلها بأصحابك ، وأقمت فيها ثلاثاً معك سلاح الراكب ، لا تدخلها بغير السيوف في القرب[5]»[6].

وقد جاءت بعض هذه الشروط من حديث البراء بن عازب عند البخاري ومسلم[7] ومن حديث أنس عند مسلم[8] ، ومن حديث ابن عمر عند البخاري[9].

٢٥ـ دخول خزاعة في عهد النبي وبنو بكر في عهد قريش:

٥٢٣ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم: « أنه من أحب أن يدخل في عقد محمد ﷺ وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن مع عقد رسول الله ﷺ وعهده، وتواثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم »[10].

(١) عيبة: مستودع الثياب ، والعرب تكني عن القلوب والصدور بالعياب لأنها مستودع السرائر ، ويريد بذلك أن بينهم صدراً نقياً من الغل والخداع مطوياً على الوفاء بالصلح .

(٢) مكفوفة: المشدودة ، وقيل أراد أن بينهم موادعة ومكافة عن الحرب تجريان مجرى المودة التي تكون بين المتخاصمين .

(٣) إسلال: السرقة الخفية .

(٤) إغلال: الحقد والشحناء .

(٥) القرب: ما يوضع فيه السيف وهو الغمد .

(٦) انظر التعليق على الحديث: ٤٩٦ .

(٧) أخرجه البخاري في الصلح باب الصلح مع المشركين حديث رقم: ٢٧٠٠ ، مسلم حديث رقم: ١٧٨٣.

(٨) أخرجه مسلم حديث رقم: ١٧٨٤ .

(٩) أخرجه البخاري في الصلح باب: الصلح مع المشركين حديث رقم: ٢٧٠١ .

(١٠) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٩٦ .

٢٦ـ قصة أبي جندل بن سهيل بن عمرو:

٥٢٤ـ من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة الذي في الصحيح ، وسبقت منه أجزاء متعددة في أماكن شتى من هذه الغزوة وأشير إليها في أمكنتها ، ومما جاء فيها أنهم في أثناء كتابتهم لبنود الاتفاقية جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فطالب والده برده التزاماً بالشروط « ... فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرصف في قيوده [١] ، وقد خرج من أسفل الكعبة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي .

فقال النبي ﷺ: (إنا لم نقض الكتاب بعد)[٢]، قال: فوالله إذاً لم أصالحك على شيء أبداً قال النبي ﷺ: (فأجزه لي) ، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل) ، قال: ما أنا بفاعل ، قال مكرز: بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل: أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ الا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله »[٣] .

وفي الطريق الآخر عند الإمام أحمد وابن إسحاق زيادة لطيفة أوردها هنا ، وهي أيضاً من طريق مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة « ... فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب إذا جاءه أبو جندل بن سهيل بن عمرو في الحديد قد انفلت إلى رسول الله ﷺ وقال: وقد كان أصحاب رسول الله خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله ﷺ ، فلما رأوها رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل رسول الله ﷺ على نفسه دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ثم قال: « يا محمد قد لجت القضية [٤] بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا »، قال: (صدقت) ، فقام إليه، فأخذ بتلبيبه [٥] .

قال: وصرخ أبو جندل بأعلى صوته يا معاشر المسلمين أتردونني إلى أهل

(١) يرصف في قيوده: يمشي بطيئاً بسبب قيوده .

(٢) إنا لم نقض الكتاب بعد: اي لم نفرغ من كتابته .

(٣) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨.

(٤) لجت القضية: وجبت .

(٥) تلبيبه: يقال أخذت بتلبيب فلان: إذا جمعت عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبضت عليه ....

الشرك فيفتنوني في ديني ، قال: فزاد الناس شراً إلى ما بهم ، فقال رسول الله ﷺ: (يا أبا جندل اصبر واحتسب ، فإن الله عزَّ وجلَّ جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، فأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عليه عهداً ، وإنا لن نغدر بهم) .

قال: فوثب إليه عمر بن الخطاب مع أبي جندل ، فجعل يمشي إلى جنبه ، وهو يقول: اصبر أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب ، قال: ويدني قائم السيف منه ، قال: يقول: رجوت أن يأخذ السيف ، فيضرب به أباه قال: فضن الرجل بأبيه ونفذت القضية) [1] .

٢٧ـ مشورة أم سلمة على رسول الله ﷺ في الحلق والنحر:

٥٢٥ـ من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي في الصحيح جاء ما يلي: « ... قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: (قوموا ، فانحروا ، ثم احلقوا) ، قال: فوالله ما قام منهم رجل ، حتى قال ذلك ثلاث مرات ، فلما لم يقم منهم أحد ، دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك ؟ اخرج ، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه ودعا حالقه ، فلما رأوا ذلك قاموا ، فنحروا ، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً » [2] .

٢٨ـ الشجرة التي بويع النبي تحتها وشأنها:

٥٢٦ـ من حديث طارق بن عبدالرحمن قال: « انطلقت حاجاً فمررت بقوم يصلون ، قلت: ما هذا المسجد ؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان ، فأتيت سعيد بن المسيب ، فأخبرته: فقال سعيد: حدثني أبي «أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها ، فقال سعيد: إن أصحاب محمد ﷺ لم يعلموها، وعلمتموها أنتم ؟ فأنتم أعلم » [3] .

---

(١) انظر الحديث رقم: ٤٩٦ .

(٢) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٦٣ ، مسلم في الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال حديث رقم: ١٨٥٩/٧٧ .

٢٩ـ قوله تعالى: ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية. . .﴾:

٥٢٧ـ من حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: « كنا مع رسول الله ﷺ بالحديبية ، ونحن محرمون ، وقد حصرنا المشركون ، قال: وكانت لي وفرة، فجعلت الهوام تساقط من رأسي ، فمر بي النبي ﷺ فقال: (أيؤذيك هوام رأسك ؟) قلت: نعم: وأنزلت هذه الآية ﴿ **فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** ﴾[1] [2] .

٣٠ـ منزلة أهل الحديبية:

٥٢٨ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا النبي ﷺ: (وأنتم اليوم خير أهل الأرض) وقال جابر: لو كنت أبصر لأريتكم موضع الشجرة » [3] .

٥٢٩ـ ومن حديث جابر أيضاً قال: « أن عبداً لحاطب جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال: يا رسول الله ! ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ: (كذبت لا يدخلها ، فإنه شهد بدراً والحديبية [4] .

٥٣٠ـ ومن حديث جابر بن عبدالله أيضاً قال: أخبرتني أم مبشر ، أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة (لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها) قالت: بلى يا رسول الله! فانتهرها . فقالت: حفصة: ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾[5] فقال النبي ﷺ: (قد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** ﴾)[6].

---

(١) سورة البقرة: ١٩٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية أحاديث رقم: ٤١٥٩ ، ٤١٩٠ ، ٤١٩١ ، ومسلم رقم: ١٢٠١ ، وأبو داود رقم: ١٨٥٦ ، ١٨٥٧ ، ١٨٥٩ ، ١٨٦٠ ، والترمذي رقم: ٩٥٣ ، ٢٩٧٣، ٢٩٧٤ ، والنسائي رقم: ٢٨٥١ ، وأحمد في المسند: ٢٤١/٤ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣، ٢٤٤ ، ومالك في الموطأ: ٤١٧/١ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية حديث رقم: ٤١٥٤ ، مسلم في الصحيح كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام للجيش عند إرادة القتال حديث رقم: ٧١/١٨٥٦ .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم: ٢٤٩٥ ، والترمذي في المناقب باب ٥٩، حديث رقم: ٣٨٦٤ ، وأحمد في المسند:٣٢٥/٢ ، ٣٤٩ ، والحاكم: ٣٠١/٣ ، والبيهقي في الدلائل: ١٥٣/٣، ١٤٤/٤.

(٥) مريم: ٧١ .

(٦) أخرجه مسلم في الصحيح كتاب فضائل الصحابة باب عن فضائل أصحاب الشجرة حديث رقم: ٢٤٩٦،

٣١ـ فتيان الصحابة يستقون الماء:

٥٣١ـ من حديث جابر رضي الله عنهما قال: « أقبلنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية حتى إذا كنا بالسقيا [١] ، قال معاذ: من يسقينا في أسقيتنا ؟ قال: فخرجت في فتيان معي حتى أتينا الأثاية [٢] ، فأسقينا ، واستقينا، قال: فلما كان بعد عتمة الليل ، إذا رجل ينازعه بعيره الماء ، فإذا رسول الله ﷺ ، فأخذت راحلته فأنختها ، قال: فتقدم فصلى العشاء ، وأنا عن يمينه ، ثم صلى ثلاث عشرة ركعة » [٣] .

٣٢ـ الفتح هو صلح الحديبية:

٥٣٢ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة ، وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية»[٤].

٥٣٣ـ من حديث مجمع بن جارية رضي الله عنه قال: « شهدنا الحديبية فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ الآية ، فقال رجل: يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال: أي والذي نفسي بيده إنه لفتح)[٥].

وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر في الفتح: « وهذا موضع وقع فيه اختلاف قديم ، والتحقيق أنه يختلف ذلك باختلاف المراد من الآيات ، فقوله تعالى: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ المراد بالفتح هنا الحديبية ، لأنها كانت مبدأ الفتح المبين على المسلمين ، لما ترتب على الصلح الذي وقع منه الأمن، ورفع الحرب ، وتمكن من

وابن ماجه رقم: ٤٢٨١ ، وابن أبي عاصم رقم: ٨٦٠ ، ٨٦١ وابن سعد في الطبقات:٨/٣٣٦، وأحمد في المسند: ٦/ ٢٨٥، ٣٦٢، ٤٢٠ والطبري في التفسير: ١٦/ ٨٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ١٤٣، والطبراني في الكبير:٢٥/رقم:٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ .

(١) السقيا: قرية على بعد مائة ميل إلا أربعة أميال عن المدينة نحو مكة .

(٢) الأثاية: موضع بطريق الجحفة بينه وبين المدينة ٧٥ ميلاً ، وفيه بئر وعليها مسجد .

(٣) المطالب العالية رقم: ٤٣٤٦ ، وقال الحافظ ابن حجر: إسناده حسن ، وقد أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة ، ووافقه البوصيري على ذلك .

(٤) سبق تخريجه حديث رقم: ٤٩٢ .

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فيمن أسهم له سهماً حديث: ٢٧٣٦ ، والحاكم: ٢/ ٤٥٩ ، وقال: صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه وقال الذهبي: ولم يخرج مسلم لمجمع ولا لأبيه شيئاً ، هما ثقتان ، وابن جرير: في التفسير: ٢٦/ ٧١ .

يخشى الدخول في الإسلام، والوصول إلى المدينة من ذلك كما وقع لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهما ، ثم تبعت الأسباب بعضها بعضاً إلى أن كمل الفتح .

وقد ذكر ابن إسحاق في المغازي عن الزهري قال: لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح الحديبية أعظم منه ، إنما كان الكفر حيث القتال ، فلما أمن الناس كلهم، كلم بعضهم بعضاً ، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا بادر إلى الدخول فيه ، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام: ويدل عليه أنه ﷺ خرج في الحديبية في ألف وأربعمائة ، ثم خرج بعد سنتين إلى فتح مكة في عشرة آلاف » انتهى .

وهذه الآية نزلت منصرفه عليه السلام من الحديبية ، وأما قوله تعالى في هذه السورة: ﴿ **وأثابهم فتحاً قريباً** ﴾ ، فالمراد بها فتح خيبر على الصحيح ، لأنها هي التي وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين .

وقد روى أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن حارثه قال: شهدنا الحديبية ، فلما انصرفنا وجدنا رسول الله ﷺ واقفاً عند كراع الغميم ، وقد جمع الناس قرأ عليهم: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ الآية فقال رجل: يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال: (أي والذي نفسي بيده إنه لفتح). ثم قسمت خيبر على أهل الحديبية .

وروى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن الشعبي في قوله: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ قال: صلح الحديبية ، وغفر له ما تقدم وما تأخر ، وتبايعوا بيعة الرضوان ، وأطعموا نخيل خيبر ، وظهرت الروم على فارس ، وفرح المسلمون بنصر الله .

أما قوله تعالى: ﴿ **فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** ﴾ فالمراد الحديبية ، وأما قوله: ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ وقوله: ﴿ **لا هجرة بعد الفتح**) ، فالمراد بها فتح مكة باتفاق ، فبهذا يرتفع الإشكال وتجتمع الأقوال . بعون الله تعالى »[1] .

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٤٤٢ ، في التعليق على حديث البراء رقم: ٤١٥٠ .

٣٣ـ نزول سورة الفتح أثناء الرجوع من صلح الحديبية:

٥٣٤ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾ قال: الحديبية. قال أصحابه: هنيئاً مريئاً، فما لنا؟ فأنزل الله ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار** ﴾ قال شعبة فقدمت الكوفة، فحدثت بهذا كله عن قتادة، ثم رجعت فذكرت له، فقال: أما ﴿ **إنا فتحنا** ﴾ فعن أنس بن مالك وأما «هنيئاً مريئاً» فعن عكرمة»، واللفظ للبخاري.

وفي رواية مسلم بعض الزيادة اللطيفة أوردُها لتمام الفائدة فعن قتادة أن أنس ابن مالك حدثهم قال: «لما نزلت: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله** ﴾ - إلى قوله: ﴿ **فوزاً عظيماً** ﴾[1] مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية، فقال: (لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً)[2].

٥٣٥ـ من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال زيد بن أسلم عن أبيه: (أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره - وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء، فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله، فلم يجبه. وقال عمر بن الخطاب: ثكلتك أمك يا عمر، نزرت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام المسلمين، وخشيت أن ينزل فيَّ قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، قال: فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، وجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: (لقد أنزلت علي الليلة سورة أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس)، ثم قرأ: ﴿ **إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً** ﴾[3].

---

(١) سورة الفتح: ١ـ٥.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٧٢، مسلم في الصحيح الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية رقم: ١٧٨٦، الترمذي في السنن تفسير سورة الفتح: ٣٢٦٣، وأحمد في المسند: ٣/١٢٢، ١٣٤، ١٥٣، ١٩٣، ٢١٥، ٢٥٢، وابن حبان في موارد الظمآن: ٤٣٦ والحاكم: ٢/٤٥٩ وقال صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الحديبية رقم: ٤١٧٧، وقد جاء أيضاً بأرقام: ٤٨٣٣، ٥٠١٢، الترمذي في التفسير باب ومن سورة الفتح حديث رقم: ٣٢٦٢، وقال: حسن صحيح غريب، وأحمد في المسند: ١/٣١

المبحث الثاني: إسلام أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وهجرتها

٥٣٦- من حديث مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: « لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ﷺ أن لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك ، إلا رددته إلينا ، وخليت بيننا وبينه، فكره المؤمنون ذلك ، وامتعضوا منه ، وأبى سهيل إلا ذلك ، فكاتبه النبي ﷺ على ذلك ، فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة ، وإن كان مسلماً .

وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ ، وهي عاتق ، فجاء أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم ، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن ﴿ إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن - إلى قوله: ولا هم يحلون لهن ﴾[1][2].

المبحث الثالث: مبايعته صلى الله عليه وسلم للنساء

٥٣٧- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقول الله عزَّ وجلَّ ﴿ **يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين** ﴾[3] ، إلى آخر الآية .

قالت عائشة: فمن أقر بهذا من المؤمنات فقد أقر بالمحنة .

وكان رسول الله ﷺ إذا أقررن بذلك من قولهن ، قال لهن رسول الله ﷺ: (انطلقن فقد بايعتكن) ، ولا والله: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط . غير أنه يبايعن بالكلام .

قالت عائشة: والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء قط ، إلا بما أمره الله تعالى ، وما مست كف رسول الله ﷺ كف امرأة قط ، وكان يقول لهن إذا أخذ عليهن: (قد بايعتكن) كلاماً » اللفظ لمسلم[4].

---

(١) الممتحنة: آية رقم: ١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الشروط باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة رقم: ٢٧١١ ، ٢٧١٢ .

(٣) سورة الممتحنة: ١٢ .

(٤) أخرجه البخاري في الطلاق باب إذا أسلمت المشركة أو النصرانية تحت الذمي أو الحربي رقم: ٥٢٨٨ ،

المبحث الرابع: قصة أبي بصير رضوان الله عليه

٥٣٨ـ من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة الوارد في الصحيح في قصة صلح الحديبية والذي أخرجه البخاري في كتاب الشروط « ... ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة ، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم (وقال يحيى عن ابن المبارك) فقدم عليه أبو بصير بن أسيد الثقفي مسلماً مهاجراً .

فاستأجر الأخنس بن شريق رجلاً كافراً من بني عامر بن لؤي ومولى معه ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يسأله الوفاء ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلت لنا فيه ، فدفعه إلى الرجلين .

فخرجا به حتى بلغا به ذا الحليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك يا فلان هذا جيداً ، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ، ثم جربت ، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه ، فضربه به حتى برد [١] ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأى هذا ذعراً) [٢] .

فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول ، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم ، ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: (ويل أمه [٣] مسعر حرب لو كان له أحد) [٤] فلما عرف ذلك عرف أنه سيرده إليهم ، فخرج حتى أتى سيف البحر [٥] قال: وينفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت فيهم عصابة [٦] .

مسلم في الإمارة باب كيفية بيعة النساء رقم: ١٨٦٦ ، الترمذي في تفسير القرآن باب ومن سورة الممتحنة: ٣٣٠٦ ، وقال: حسن صحيح وابن ماجه في الجهاد باب بيعة النساء رقم: ٢٨٧٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف رقم: ١٦٦٤٧ .

(١) برد: مات .

(٢) ذعراً: خوفاً .

(٣) ويل أمه: كلمة ذم تقولها العرب ولا يقصدون معنى لها من الذم لأن الويل الهلاك كقولهم لأمه الويل. والمراد هنا التعجب من إقدامه إلى الحرب والنهوض لها وإسعار نارها .

(٤) لو كان له أحد ينصره ويؤازره على إيقاد نار الحرب لأثار الفتنة وأفسد الصلح .

(٥) سيف البحر: ساحل البحر وهو طريق قريش إلى الشام .

(٦) عصابة: الجماعة وهي ما بين العشر إلى الأربعين .

قال: فوالله لا يسمعون بعير [1] خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فانزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾ حتى بلغ الحمية حمية الجاهلية) [2].

وكانت حميتهم أنهم لم يقروا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقروا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت » [3].

المبحث الخامس: غزوة ذي قرد أو غزوة الغابة [4]

ا ـ وقتها:

اختلف في وقتها على قولين:

١ـ قول للإمام البخاري بأنها قبل خيبر بثلاث ـ يعني ليال ـ أي بعد الحديبية، وجزم بذلك، ورجح ذلك الإمام ابن حجر العسقلاني في الفتح، وأيده في ذلك البيهقي في الدلائل، وابن القيم في زاد المعاد [5].

٢ـ أما أصحاب المغازي والسير فيذكرون أنها قبل الحديبية، وعلى ذلك ابن إسحاق، وابن سعد، ومحمد بن عمر الواقدي.

وما في الصحيح أصح من قول أصحاب المغازي والسير؛ لأن له مستند من حديث سلمة بن الأكوع الذي أخرجه مسلم من طريقه فقال: « فرجعنا أي من الغزوة إلى المدينة، فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر ».

قال الحافظ ابن حجر في الفتح « ومستنده في ذلك حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه، فإنه قال في آخر الحديث الطويل الذي أخرجه مسلم من طريقه: « قال فرجعنا ـ أي من الغزوة ـ إلى المدينة فوالله ما لبثنا بالمدينة إلا ثلاث ليال

---

(١) العير: القافلة.

(٢) الفتح: آية: ٢٤.

(٣) انظر تخريجه حديث رقم: ٤٨٨.

(٤) ذي قرد: ماء على نحو يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان.

(٥) فتح الباري: ٧/٤٦٠، البيهقي في الدلائل: ٤/١٧٨، زاد المعاد: ٣/٢٧٩.

حتى خرجنا إلى خيبر » أما ابن سعد فقال كانت غزوة ذي قرد في ربيع الأول سنة ست قبل الحديبية ، وقيل في جمادى الأولى » وعن ابن إسحاق في شعبان منها فإنه قال: « كانت بنو لحيان في شعبان سنة ست ، فلما رجع النبي ﷺ إلى المدينة فلم يقم بها إلا ليالي حتى أغار عيينة بن حصن على لقاحه » .

قال القرطبي شارح مسلم في الكلام على حديث سلمة بن الأكوع: لا يختلف أهل السير أن غزوة ذي قرد كانت قبل الحديبية ، فيكون ما وقع في حديث سلمة ابن الأكوع من وهم بعض الرواة ، قال: ويحتمل أن يجمع بأن يقال: يحتمل أن يكون النبي ﷺ كان أغزى سرية فيهم سلمة بن الأكوع إلى خيبر قبل فتحها ، فأخبر سلمة عن نفسه ، وعمن خرج معه يعني حيث قال: خرجنا إلى خيبر ، قال ويؤيده أن ابن إسحاق ذكر أن النبي ﷺ أغزى إليها عبدالله بن رواحة قبل فتحها مرتين . انتهى .

قال الحافظ « وسياق الحديث يأبى هذا الجمع ، فإن فيه بعد قوله وحين خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ ، فجعل عامر يرتجز بالقول، وفيه قول النبيْ ﷺ مَنْ السائق ؟) ، وفيه مبارزة علي لمرحب ، وقتل عامر ، وغير ذلك مما وقع في غزوة خيبر حين خرج إليها النبي ﷺ ، فعلى هذا ما في الصحيح من التاريخ لغزوة ذي قرد أصح مما ذكره أهل السير ، ويحتمل في طريق الجمع أن تكون إغارة عيينة بن حصن على اللقاح وقعت مرتين الأولى التي ذكرها ابن إسحاق ، وهي قبل الحديبية، والثانية بعد الحديبية قبل الخروج إلى خيبر ، وكان رأس الذين أغاروا عبدالرحمن بن عيينة كما في سياق سلمة عند مسلم .

ويؤيده أن الحاكم ذكر في (الإكليل) أن الخروج إلى ذي قرد تكرر ، ففي الأولى خرج إليها زيد بن حارثة قبل أحد ، وفي الثانية خرج إليها النبي ﷺ في ربيع الآخر سنة خمس ، والثالثة هذه المختلف فيها . انتهى . فإذا ثبت هذا قوي هذا الجمع الذي ذكرته ، والله أعلم »[1] .

---

(١) فتح الباري: ٧/ ٤٦١ ـ ٤٦١ .

٢ ـ أحداثها:

٥٣٩ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه من طريق يزيد بن أبي عبيد: قال: « سمعت سلمة بن الأكوع يقول خرجت قبل أن يؤذن بالأولى [١] . وكانت لقاح [٢] رسول الله ﷺ ترعى بذي قرد قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال: أخذت لقاح رسول الله ﷺ فقلت: من أخذها ؟ قال: غطفان ، قال: فصرخت ثلاث صرخات: يا صباحاه ! قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة [٣] ، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد ، وقد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي ، وكنت رامياً وأقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع [٤]

فارتجز ، حتى استنقذت [٥] اللقاح منهم ، واستلبت منهم ثلاثين بردة ، قال: وجاء النبي ﷺ والناس، فقلت: يا نبي الله ! إني قد حميت [٦] القوم الماء ، وهم عطاش ، فابعث إليهم الساعة . فقال: (يا ابن الأكوع ! ملكت فاسجح) [٧] ، قال: ثم رجعنا ، ويردفني رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة » [٨] .

٥٤٠ـ ومن حديث إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه: في حديث طويل سبق ذكر أجزاء منه في صلح الحديبية سأشير إلى رقمها في التعليق على الحديث « ... قال: ثم خرجنا راجعين إلى المدينة ، فنزلنا منزلاً ، بيننا وبين بني لحيان جبل ،

---

(١) قبل أن يؤذن بالأولى: أي الصلاة الأولى يريد بها صلاة الصبح .

(٢) لقاح: واحدها لقحة وهي ذات اللبن قريبة العهد بالولادة .

(٣) ما بين لابتي المدينة: اللابة: اكرة الأرض ذات الحجاره السوداء ، والمدينة واقعة بين حرتين عظيمتين يريد انه اسمع بصرخاته جميع أهل المدينة .

(٤) يوم الرضع: معناه اليوم يوم هلاك اللئام .

(٥) استنفذت: أنقذت .

(٦) حميت القوم: منعتهم الماء .

(٧) اسجح: احسن وارفق ، والسجاحة السهولة .

(٨) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات القرد رقم: ٤١٩٤، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد وغيرها حديث رقم: ١٨٠٦، وأبو داود في السنن رقم: ٢٧٥٢ ، وأحمد في المسند: ٤/٤٨، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم: ٩٧٨ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٤/ ١٨٠ـ١٨١ ، وفي السنن: ١٠/ ٢٣٦، والطبراني في الكبير: ٦٢٨٤ .

وهم المشركون [١] . فاستغفر رسول الله ﷺ لمن رقي هذا الجبل الليلة ، كأنه طليعة للنبي ﷺ وأصحابه . قال سلمة: فرقيت تلك الليلة مرتين أو ثلاثاً . ثم قدمنا المدينة ، فبعث رسول الله ﷺ بظهره [٢] مع رباح غلام رسول الله ﷺ وأنا معه ، وخرجت معه بفرس طلحة ، أنديه [٣] مع الظهر ، فلما أصبحنا إذا عبدالرحمن الفزاري قد أغار على ظهر رسول الله ﷺ ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه ، قال: فقلت: يا رباح خذ هذا الفرس ، فأبلغه طلحة بن عبيدالله ، وأخبر رسول الله ﷺ أن المشركين قد أغاروا على سرحه . قال: ثم قمت على أكمة فاستقبلت المدينة ، فناديت ثلاثاً: يا صباحاه ، ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنبل. وأرتجز . أقول:

أنا ابن الأكوع والیوم یوم الرضع

فألحق رجلاً منهم . فأصك سهماً في رحله ، حتى خلص نصل السهم إلى كتفه ، قال: قلت:

خذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرضع

قال: فوالله ! ما زلت أرميهم وأعقر بهم » [٤] فإذا رجع إلي فارس أتيت شجرة ، فجلست في أصلها ثم رميته ، فعقرت به . حتى إذا تضايق الجبل ، فدخلوا في تضايقه [٥] ، علوت الجبل ، فجعلت أرديهم بالحجارة [٦] . قال: فما زلت كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهر رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري ، وخلوا بيني وبينه ، ثم أتبعتهم أرميهم ، حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة ، وثلاثين رمحاً ، يستخفون [٧] ولا يطرحون شيئاً إلا جعلت عليه آراماً من

---

(١) وهم المشركون: همّ أمر المشركين النبي ﷺ خوف أن يبيتوهم ويغيروا عليهم لقربهم منهم .

(٢) ظهره: الظهر الإبل تعد للركوب وحمل الأثقال .

(٣) انديه: معناه أن يورد الماشية الماء فتسقي قليلاً ثم ترسل إلى المرعى ، ثم ترد الماء فترد قليلاً ثم ترد إلى المرعى .

(٤) اعقر بهم: اقتل رواحلهم .

(٥) دخلوا في تضايقه: التضايق ضد الاتساع أي دخلوا في تضايقه أي المحل المتضايق منه بحيث استتروا به عنه فصار لا يبلغهم ما يرميهم به من السهام .

(٦) أرديهم بالحجارة: أسقطهم عن رواحلهم بضربهم بالحجارة من أعلى الجبل .

(٧) يستخفون: يطلبون الخفة .

الحجارة ، يعرفها رسول الله ﷺ وأصحابه ، حتى أتوا متضايقاً من ثنية [١] ، فإذا هم قد أتاهم فلان بن بدر الفزاري فجلسوا يتضحون (يعني يتغذون) وجلست على رأس قرن [٢] فقال الفزاري: ما هذا الذي أرى ؟ قالوا: لقينا من هذا البرح [٣] . والله ما فارقنا منذ غليس . يرمينا حتى انتزع كل شيء في أيدينا . قال: فليقم إليه نفر منكم . أربعة . قال: فصعد إلي منهم أربعة في الجبل . قال: فلما أمكنوني من الكلام . قال: قلت: هل تعرفوني ؟ قالوا: لا . ومن أنت ؟ قال: قلت: أنا سلمة بن الأكوع والذي كرم وجه محمد ﷺ ! لا أطلب رجلاً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم: أنا أظن. قال: فرجعوا . فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله ﷺ يتخللون الشجر [٤] .

قال: فإذا أولهم الأخرم الأسدي ، على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي . قال: فأخذت بعنان الأخرم . قال: فولوا مدبرين . قلت: يا أخرم ! احذرهم . لا يقتطعوك حتى يلحق رسول الله ﷺ وأصحابه . قال: يا سلمة ! إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال: فخليته . فالتقى هو وعبدالرحمن ، قال فعقر بعبدالرحمن فرسه ، وطعنه عبدالرحمن فقتله وتحول على فرسه . ولحق أبو قتادة ، فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن فطعنه فقتله ، فوالذي كرم وجه محمد ﷺ لتبعتهم أعدو على رجلي ، حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد ﷺ ولا غبارهم ، شيئاً ، حتى يعدلوا قبل غروب الشمس إلى شعب فيه ماء ، يقال له ذو قرد ، ليشربوا منه وهم عطاش ، قال: فنظروا إلي أعدو وراءهم ، فحليتهم عنه [٥] (يعني أجليتهم عنه) فما ذاقوا منه قطرة .

قال: ويخرجون فيشتدون في ثنية . قال: فأعدو فألحق رجلاً منهم، فأصكه

---

(١) الثنية: العقبة والطريق في الجبل .

(٢) القرن: جبل صغير منقطع عن الجبل الكبير .

(٣) البرح: الشدة .

(٤) يتخللون الشجر: يدخلون من خلالها .

(٥) حليتهم عنه: طردتهم عنه .

بسهم في نغض كتفه [1] . قال: قلت: خذها وأنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع، قال: يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة [2] .قال: قلت: نعم يا عدو نفسه ! أكوعك بكرة . قال: وأرْدَوْا فرسين على ثنية . قال: فجئت بهما أسوقهما إلى رسول الله ﷺ . وقال: ولحقني عامر بسطيحة فيها مذقة من لبن [3] ، وسطيحة فيها ماء ، فتوضأت وشربت.

ثم أتيت رسول الله ﷺ وهو على الماء الذي حلأتهم عنه [4] ، فإذا رسول الله ﷺ قد أخذ تلك الإبل ، وكل شيء استنقذت من المشركين، وكل رمح وبردة ، وإذا بلال نحر ناقة من الإبل الذي استنقذت من القوم ، وإذا هو يشوي لرسول الله ﷺ من كبدها وسنامها قال: قلت: يا رسول الله! خلني فأنتخب من القوم مائة رجل . فأتبع القوم ، فلا يبقى منهم مخبر إلا قتلته .

قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجده [5] في ضوء النار . فقال: (يا سلمة أتراك كنت فاعلاً ؟) قلت: نعم . والذي أكرمك ! فقال: (إنهم الآن ليقرون [6] في أرض غطفان) ، قال: فجاء رجل من غطفان فقال: نحر لهم فلان جزوراً ، فلما كشفوا جلدها رأوا غباراً . فقالوا: أتاكم القوم . فخرجوا هاربين ، فلما أصبحنا قال رسول الله ﷺ (كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة ، وخير رجالتنا سلمة) قال: ثم أعطاني رسول الله ﷺ: سهمين: سهم الفارس وسهم الراجل . فجمعها لي جميعاً) ثم أردفني رسول الله ﷺ وراءه على العضباء. راجعين إلى المدينة ».

---

(١) نغض: العظم الرقيق على طرف الكتف .

(٢) يا ثكلته أمه ، أكوعه بكرة: ثكلته أمه ، فقدته ، وقوله أكوعه بكرة: أي انت الأكوع الذي كنت بكرة هذا النهار ، ولهذا قال: نعم .

(٣) سطيحة فيها مذقة من لبن: إناء من جلود سطح بعضها على بعض والمذقة قليل من لبن ممزوج بماء .

(٤) حلأتهم: ابعدتهم .

(٥) نواجده: أنيابه .

(٦) يقرون: يضافون . القرى: الضيافة .

٣ـ سباق بين سلمة ورجل من الأنصار:

« قال: فبينما نحن نسير . قال: وكان رجل من الأنصار لا يسبق شداً[١]، قال: فجعل يقول: ألا مسابق إلى المدينة ؟ هل من مسابق ؟ فجعل يعيد ذلك قال: فلما سمعت كلامه قلت: أما تكرم كريماً ولا تهاب شريفاً ؟ قال: لا . إلا أن يكون رسول الله ﷺ . قال: قلت: يا رسول الله بأبي وأمي ! ذرني فلأسابق الرجل . قال: (إن شئت). قال: قلت: أذهب إليك . وثنيت رجلي فطفرت[٢] فعدوت. قال: فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبقي نفسي[٣] ، ثم عدوت في إثره ، فربطت عليه شرفاً أو شرفين ، ثم إني رفعت حتى الحقه[٤]. قال: فأصكه بين كتفيه . قال: قلت: قد سبقت والله ! قال: أنا أظن . قال: فسبقته إلى المدينة »[٥] .

٤ـ قصة المرأة المسلمة التي أسرت مع ناقة رسول الله العضباء:

٥٤١ـ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: « كانت ثقيف حلفاء لبني عقيل ، فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل ، وأصابوا معه العضباء[٦]. فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو في الوثاق . قال: يا محمد ! فأتاه فقال: (ما شأنك ؟) قال: بم أخذتني ، وبم أخذت سابقة الحاج[٧]؟ فقال: (إعظاماً لذلك): (أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف) ثم انصرف عنه فناداه ، فقال: يا محمد ! يا محمد !

---

(١) شداً: عدوا على الرجلين .

(٢) طفرت: وثبت وقفزت .

(٣) ربطت شرفاً أو شرفين استبقي نفسي: ربطت حبست نفسي عن الجري الشديد والشرف ما ارتفع من الأرض ، استبقي نفسي: أي لئلا يقطعني البهر .

(٤) رفعت حتى الحقه: اسرعت .

(٥) اخرجه مسلم في الجهاد باب غزوة ذي قرد وغيرها رقم: ١٨٠٧، وابو داود في الجهاد باب في السرية ترد على اهل العسكر رقم: ٢٧٥٢ ، وابن ابي شيبة في المصنف: ٥٣٣/١٤ ، ٣٥٨ ،والبيهقي في الدلائل: ١٨٢/٤، ١٨٦ ، وابن سعد في الطبقات: ٨١/٢، ٨٤ ، والطبري في التاريخ: ٥٩٦/٢ ، ٦٠٠ ، واحمد في المسند: ٥٢/٤ ، ٥٤ ، وقد سبق اجزاء من الحديث تحت رقم : ٤٩٣ ، ٥٠٠ ، ٥٠٩ ، فانظرها.

(٦) العضباء: ناقة نجيبة كانت لرجل من بني عقيل ثم انتقلت إلى رسول الله ﷺ .

(٧) سابقة الحاج: أراد بها العضباء فإنها كانت لا تسبق ، ولا تكاد تسبق . معروفة بذلك .

وكان رسول الله ﷺ رحيماً رقيقاً ، فرجع إليه فقال: (ما شأنك ؟)•قال: إني مسلم . قال: (لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح) ثم انصرف فناداه فقال: يا محمد ! يا محمد ! فأتاه فقال: (ما شأنك؟) قال: إني جائع فأطعمني ، وظمآن فاسقني قال: (هذه حاجتك)، ففدى الرجلين .

قال: وأسرت امرأة من الأنصار ، وأصيبت العضباء ، فكانت المرأة في الوثاق. وكان القوم يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم . فانفلتت ذات ليلة من الوثاق فأتت الإبل . فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه . حتى تنتهي إلى العضباء . فلم ترغ . قال: وناقة منوقة [1] فقعدت في عجزها ، ثم زجرتها ، فانطلقت ونذروا بها [2] ، فطلبوها ، فأعجزتهم ، وقال: ونذرت لله ! إن نجاها الله عليها لتنحرنها ، فلما قدمت المدينة رآها الناس . فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ . فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها . فأتوا رسول الله ﷺ ، فذكروا ذلك له فقال: (سبحان الله ! بئسما جزتها ، نذرت لله إن نجاها عليها لتنحرنها. لا وفاء لنذر في معصية ، ولا فيما لا يملك العبد) [3].

---

(١) وناقة منوقة: مذللة .

(٢) نذروا بها: علموا وأحسوا بهربها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب النذور باب لا وفاء لنذر في معصية الله رقم:١٦٤١ ، أحمد في المسند:٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤ ، الدارمي في السنن كتاب السير باب إذا أحرز العدو من مال المسلمين: ٢/٢٣٦ .

المبحث السادس: غزوة خيبر

١ـ وقتها:

اختلف أهل السير في وقتها على قولين:

الأول: قول ابن إسحاق في المغازي وموسى بن عقبة بأنها كانت في آخر شهر المحرم من السنة السابعة للهجرة ، وقال ابن القيم: والجمهور على أنها في السابعة، وأيده أيضاً الحافظ ابن حجر في الفتح .

ويؤيد هذا القول ما أورده ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري ، عن عروة ، عن مروان بن الحكم ، والمسور بن مخرمة أنهما قالا: « انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية ، فنزلت عليه سورة الفتح فيما بين مكة والمدينة ، فأعطاه الله فيها خيبر بقوله: ﴿ **وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه** ﴾[1] يعني خيبر فقدم المدينة في ذي الحجة ، فأقام بها حتى سار إلى خيبر في المحرم » ، ورجاله ثقات ، وسنده حسن[2] .

ويؤيده أيضاً ما جاء في حديث سلمة بن الأكوع أنها كانت بعد غزوة ذي قرد بثلاث ليال كما جاء في نص الحديث بقوله « قال فسبقته إلى المدينة . قال: فوالله ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ » .

الثاني: قول مالك بأنها كانت في السنة السادسة وأيده ابن حزم في ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « وهذه الأقوال متقاربة ، والراجح منها ما ذكره ابن إسحاق ، ويمكن الجمع بينها بأن من أطلق سنة ست بناء على أن ابتداء السنة من شهر الهجرة الحقيقي وهو ربيع الأول »[3] .

---

(١) سورة الفتح: ٢٠ .

(٢) فتح الباري: ٧/ ٤٦٤ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٤/ ١٩٧ ، زاد المعاد: ٣/ ٣١٧ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٣/ ٢٤٤ .

(٣) فتح الباري: ٧/ ٤٦٤ .

٢ـ استخلاف النبي سباع بن عرفطة الغفاري أثناء غيابه:

٥٤٢ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال الهيثم بن عراك عن أبيه: « أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه، والنبي ﷺ بخيبر، وقد استخلف سباع ابن عرفطه على المدينة [1] قال: فانتهيت إليه، وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى بكهيعص، وفي الثانية ويل للمطففين قال: فقلت لنفسي: ويل لفلان إذا اكتال! اكتال بالوافي، وإذا كال كال بالناقص، قال: فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر، قال فكلم رسول الله ﷺ المسلمين فأشركونا في سهامهم » [2].

٣ـ حداء عامر بن الأكوع بجيش المسلمين:

٥٤٣ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءً لك ما اتقينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

وألقين سكينة علينا ... إنا إذا صيح بنا أبينا

وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا السائق؟) قالوا: عامر بن الأكوع، قال: (يرحمه الله). قال رجل من القوم: وجبت يا نبي الله، لولا أمتعتنا به... » [3].

وفي رواية أخرى لسلمة بن الأكوع رضي الله عنه انفرد بها الإمام مسلم في

---

(١) في السيرة النبوية لابن هشام: ٣٢٨/٢، أنه استعمل نميلة بن عبدالله الليثي، فالمقدم عندنا ما في رواية أبي هريرة، لأن الخبر عند ابن هشام روي بغير إسناد بل هو مقطوع.

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٤٥/٢ـ٣٤٦، وقال الشيخ الساعاتي: إسناده جيد، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ١٩٨/٤، الطيالسي: ١٠٥/٢، رقم: ٢٣٦٣، والحاكم في المستدرك: ٣٦/٣ـ٣٧، وقال: صحيح، ووافقه الذهبي، والبخاري في التاريخ الصغير: ١٨/١، وأشار الحافظ ابن حجر في الإصابة: ١٣/٢، أن حديث أبي هريرة هذا رواه ابن خزيمة والبخاري في التاريخ الصغير والطحاوي.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤١٩٦، مسلم في الصحيح الجهاد باب غزوة خيبر رقم: ١٨٠٢.

صحيحه من ضمن حديث طويل ، ذكر فيه سلمة قصة غزوة الحديبية ، وغزوة ذي قرد ، وغزوة خيبر ، وقد سبق أجزاء منه في مواطن متعددة أشرنا إليها في أمكنتها قال سلمة بعد مسابقته للأنصاري وسبقه له « ... قال: فسبقته إلى المدينة. قال: فوالله ! ما لبثنا إلا ثلاث ليال حتى خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ ، قال: فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تالله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا فثبت الأقدام إن لاقينا

وانزلن سكينة علينا

فقال رسول الله ﷺ: (من هذا ؟) قال: أنا عامر ، قال: (غفر لك ربك) قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب ، وهو على جمله: يا نبي الله؟ لولا ما متعتنا بعامر... » [1].

٥٤٤ـ وقد جاء من حديث دهر الأسلمي رضي الله عنه « أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع، وكان اسم الأكوع سنان: (انزل يا ابن الاكوع ، فخذ لنا من هناتك) ، قال: فنزل يرتجز برسول الله ﷺ فقال:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قوم بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

زاد الطبري في روايته « فقال رسول الله ﷺ: (يرحمك الله) فقال عمر: وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ، فقتل يوم خيبر شهيداً » [2].

---

(١) انظر التعليق على حديث رقم: ٥٤٠ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/٤٣١، وابن هشام في السيرة: ٣/٤٥٥. قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٤٨ـ ١٤٩ ، رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات .

٤ـ طعام جيش المسلمين في طريقهم إلى خيبر:

٥٤٥ـ من حديث سويد بن النعمان رضي الله عنه: « أنه خرج مع النبي ﷺ عام خيبر حتى إذا كنا بالصهباء - وهي من أدنى خيبر - صلى العصر ثم دعا بالأزواد ، فلم يؤت إلا بالسويق ، فأمر به فثري ، فأكل وأكلنا ، ثم قام إلى المغرب فمضمض ومضمضنا ، ثم صلى ولم يتوضأ »[(١)].

٥ـ مفاجأة المسلمين لأهل خيبر وقوله عليه السلام (الله أكبر خربت خيبر)

٥٤٦ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ غزا خيبر قال: فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس ، فركب نبي الله ﷺ ، وركب أبو طلحة وأنا رديف أبي طلحة ، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر ، وإن ركبتي لتمس فخذ نبي الله ﷺ ، فلما دخل القرية قال: (الله أكبر ! خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) قالها ثلاث مرار .

قال: وقد خرج القوم إلى أعمالهم فقالوا: محمد - قال عبدالعزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس ، قال: وأصبناها عنوة » لفظ مسلم .

وأما لفظ البخاري فيقول: « إن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً - وكان إذا أتى قوماً بليل لم يقربهم حتى يصبح - فلما أصبح خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم ، فلما رأوه قالوا: محمد والله، محمد والخميس . فقال النبي ﷺ: خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)[(٢)].

٥٤٧ـ ومن حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال: « كنت رديف رسول الله ﷺ ، فسكت عنهم حتى إذا كان عند السحر ، وذهب ذو الضرع إلى ضرعه ،

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب من مضمض من السويق ولم يتوضأ حديث رقم: ٢٠٩ ، وقد جاء بأرقام عدة عند البخاري: ٢١٥ ، ٢٩٨١ ، ٤١٧٥ ، ٤١٩٥ ، ٥٣٨٤ ، ٥٣٩٠، ٥٤٥٤، ٥٤٥٥ ، وعبدالرزاق: ٦٩١، الحميدي:٤٣٧ ، وابن ابي شيبة: ١/٤٨، واحمد في المسند: ٣/ ٤٦٢ ، والطبراني رقم: ٦٤٥٥ ، ٦٤٦٣ ، وأخرجه ابن ماجه في السنن الطهارة باب الرخصة في ذلك يعني عدم الوضوء مما مست النار ، حديث رقم: ٤٩٢ ، والسويق: دقيق يتخذ من الشعير أو القمح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤١٩٧ ، ٤١٩٨ ، مسلم في الجهاد باب غزوة خيبر رقم: ١٣٦٥ ، صفحة: ٣/١٤٢٦، مالك ٢/ ٤٦٨ ، الترمذي في السير باب البيات والغارات رقم: ١٥٥٠ ، وقال حسن صحيح ، النسائي: ١/ ٢٧٢ ، واحمد: ٣/١٠٢، ١٦١ ، ١٦٤ ، ٢٠٦,١٦٨ ، ٢٤٦، ٢٦٣ » .

وذو الزرع إلى زرعه أغار عليهم ، وقال: (إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين) [١] .

٦- حملة راية النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر .

أ- أبو بكر رضي الله عنه:

٥٤٨- من حديث بريده رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ ربما أخذته الشقيقة [٢] فيلبث اليوم واليومين لا يخرج ، فلما نزل بخيبر أخذته الشقيقة ، فلم يخرج إلى الناس ، وإن أبا بكر رضي الله عنه أخذ راية رسول الله ﷺ ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً ثم رجع » [٣] .

ب - عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

٥٤٩- من حديث علي رضي الله عنه قال: « سار النبي ﷺ إلى خيبر، فلما أتاها بعث عمر رضي الله تعالى عنه ، وبعث معه الناس إلى مدينتهم أو قصرهم، فقاتلوهم ، فلم يلبثوا أن هزموا عمر وأصحابه ، فجاءوا يجبنونه ويجبنهم ، فسار النبي ﷺ إليهم . . . الحديث» [٤] .

جـ - علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

٥٥٠- من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: (لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) . قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها ؟ ، فقال: (أين علي ابن أبي طالب ؟) فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٨/٤ ، ٢٩ ، والطبراني برقم: ٤٧٠٣ ، ٤٧٠٤ ، ٤٧٠٥ ، قال الهيثمي في المجمع: ١٤٨/٦: رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح » وقال أيضاً: ١٤٩/٦ ، رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) الشقيقة: الصداع.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٧/٣ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الدلائل: ٢٤٠/٤ ، وقد جاء أيضاً من حديث علي وسلمة بن الأكوع عند الحاكم: ٣٧/٣، وصححها ،ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣٧/٣ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

قال: (فأرسلوا إليه) ، فأتي به ، فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ، ودعا له خيراً حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي: يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ، فقال: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)[1].

٧ـ قتل عليّ مرحب اليهودي :

٥٥١ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه: « ... قال: فلما قدمنا خيبر قال: خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب　　　شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر　　　شاكي السلاح بطل مغامر

قال: فاختلفا ضربتين ، فوقع سيف مرحب في ترس عامر ، وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه على نفسه ، فقطع أكحله ، فكانت فيها نفسه.

قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه . قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي ، فقلت: يا رسول الله ! بطل عمل عامر ؟ قال رسول الله ﷺ: (من قال ذلك؟) قلت: ناس من أصحابك قال: (كذب من قال ذلك . بل له أجره مرتين) . ثم أرسلني إلى علي وهو أرمد ، فقال: (لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ، أو يحبه الله ورسوله) .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢١٠ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل علي رقم: ٢٤٠٦ ، وأحمد في المسند: ٥/ ٣٣٣ ، من حديث سهل، وأخرجه مسلم ٢٤٠٤ ، والترمذي: ٢٧٢٦ ، وأحمد: ١/ ١٨٥ ، من حديث سعد بن أبي وقاص، وأخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٩ ، ومسلم رقم: ١٨٠٧ ، ٢٤٠٧ ، وأحمد: ٤/ ٥٢ ، من حديث سلمة بن الأكوع ، وعند مسلم رقم: ٢٤٠٥ ، من حديث أبي هريرة ، وعند البخاري رقم: ٣٧٠٢ ، من حديث علي بن أبي طالب ، وأخرجه أحمد في مسنده ، ورجاله ثقات من حديث أبي سعيد الخدري مجمع الزوائد: ٦/ ١٥١، ومن حديث بريده عند أحمد، ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد: ٦/ ١٥٠ ـ ١٥١ .

قال: فأتيت علياً ، فجئت به أقوده وهو أرمد ، حتى أتيت به رسول الله ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ ، وأعطاه الراية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة[1]   كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة[2] .

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه »[3]

قال الحاكم في المستدرك: « الأخبار متواترة بأسانيد كثيرة أن قاتل مرحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ووافقه الذهبي على ما قال »[4] .

قلت: هذا هو الراجح ، لا أن الذي قتله محمد بن مسلمة الأنصاري جاء من حديث جابر في عبدالله رضي الله عنه، وأخرجه أحمد والحاكم وابن إسحاق كما جاء في السيرة وإسناده صحيح[5] .

قال الإمام النووي في تهذيب الأسماء واللغات ما نصه: « اختلفوا في قاتل مرحب ، فقيل علي بن أبي طالب ، وقال ابن عبدالبر في كتابه الدرر في مختصر السير ، قال محمد بن إسحاق: ان محمد بن مسلمة هو الذي قتل مرحباً اليهودي بخيبر، قال وخالفه غيره ، فقال: بل قتله علي بن أبي طالب ، قال ابن عبدالبر: هذا هو الصحيح عندنا ، ثم روى ذلك بإسناده عن بريدة وسلمة بن الأكوع .

وقال الشافعي في المختصر نفل النبي ﷺ يوم خيبر محمد بن مسلمة سلب

---

(١) حيدرة: اسم للأسد .

(٢) السندرة: مكيال واسع .

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة ذي قرد حديث رقم: ١٨٠٧ ، وقد تقدم في مواطن متعددة انظر رقم: ٥٤٠ .

(٤) ٣/ ٤٣٧ .

(٥) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٨٥ ، والحاكم: ٣/ ٤٣٦ ، وابن هشام: ٢/ ٣٣٣-٣٣٤ ، وإسناده صحيح وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٥٠ ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، ورجال أحمد ثقات .

مرحب ، ذكره في أول باب جامع السير ، وهذا تصريح منه بأن قاتله محمد بن مسلمة ، وقال ابن الأثير: الصحيح الذي عليه أكثر أهل السِّير والحديث أن علياً هو قاتله ، قال المصنف رحمه الله: قلت: وفي صحيح مسلم بإسناده عن سلمة ابن الأكوع التصريح بأن علياً هو قاتله » ا.هـ .

قلت: وقد يحتمل الجمع بين حديث جابر وحديث سلمة بما ذكره الواقدي من أن محمداً بن مسلمة قطع رجليه وأن علياً أجهز عليه »[(١)] .

قلت: ما في صحيح مسلم مقدم على حديث جابر من وجهين:

الأول: أنه أصح إسناداً ، وأوثق رجالاً .

الثاني: أن جابراً لم يشهد خيبر كما ذكره ابن إسحاق ، ومحمد بن عمر ، وغيرهما ، وقد شهدها سلمة وبريدة وأبو رافع رضي الله عنهم ، وهم أعلم ممن لم يشهدها ، وما قيل من أن محمد بن سلمة ضرب ساقي مرحب فقطعهما ، ولم يجهز عليه ، ومر به علي فأجهز عليه يأباه حديث سلمة وأبي رافع ، والله أعلم .

سيف علي في أسنان مرحب :

٥٥٢ـ من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وكانت في غزوة خيبر قالت: (سمعت وقع السيف في أسنان مرحب)[(٢)] .

٨ ـ قصة الأعرابي الشهيد:

٥٥٣ـ من حديث شداد بن الهاد رضي الله عنه: « أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ ، فآمن به، واتبعه، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة (خيبر أو حنين)[(٣)]، غنم النبي ﷺ سبياً، فقسم، وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا ؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه، فجاء به إلى

---

(١) الفتح الرباني: ٢١/ ١٢١.

(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٥٢ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٣) ما بين الخاصرتين من رواية الحاكم: ٣/ ٥٩٥ .

النبي ﷺ فقال: ما هذا ؟ قال: (قسمته لك) ، قال: ما على هذا اتبعتك ، ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا، وأشار إلى حلقه بسهم، فأموت، فأدخل الجنة .

فقال: (إن تصدق الله يصدقك) ، فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو، فأتى به النبي ﷺ بحمل قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبي ﷺ: (أهو هو؟) قالوا: نعم . قال: (صدق الله، فصدقه) ، ثم كفنه النبي ﷺ في جبة النبي ﷺ ، ثم قدمه فصلى عليه ، فكان فيما ظهر من صلاته: (اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً أنا شهيد على ذلك) . [1] لفظ النسائي .

٩ـ بطل إلى النار:

٥٥٤ـ من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون ، فاقتتلوا . فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ، مال الآخرون إلى عسكرهم ، وفي أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه ، فقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان ، فقال: رسول الله ﷺ: (أما إنه من أهل النار)، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه أبداً .

قال: فخرج معه ، كلما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه ، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت فوضع نصل السيف بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل على سيفه ، فقتل نفسه ، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: (وما ذاك ؟) قال: الرجل الذي ذكرت آنفاً أنه من أهل النار ، فأعظم الناس ذلك ، فقلت: أنا لكم به ، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً ، فاستعجل الموت ، فوضع نصل سيفه بالأرض ، وذبابه بين ثدييه ، ثم تحامل عليه فقتل نفسه .

فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على الشهداء: ٤/ ٦٠ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٢٩١ ، والبيهقي في السنن: ٤/ ١٥ـ١٦ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٩٥ـ٥٩٦، وسكت عليه ووافقه الذهبي ، قلت: وإسناده صحيح .

للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة)[1] .

وقد جاء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنفس المعنى وجاء التصريح فيه بأن الغزوة كانت غزوة خيبر [2] وكانت غزوة خيبر أول الغزوات التي حضرها ، مع رسول الله ﷺ .

١٠ـ إصابة سلمة بن الأكوع وعلاج النبي صلى الله عليه وسلم له:

٥٥٥ـ من حديث يزيد بن أبي عبيد قال: « رأيت أثر ضربة في ساق (ابن الأكوع) فقلت: يا أبا مسلم ما هذه الضربة ؟ فقال: هذه ضربة أصابتها يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة ، فأتيت النبي ﷺ، فنفث فيه ثلاث نفثات ، فما اشتكيت حتى الساعة » [3] .

١١ـ قصة الرجل الذي غل في سبيل الله :

٥٥٦ـ من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه: « أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ توفي يوم خيبر ، فذكروا لرسول الله ﷺ ، فقال: (صلوا على صاحبكم)، فتغيرت وجوه الناس لذلك، فقال: (إن صاحبكم غل في سبيل الله) ففتشنا متاعه فوجدنا خرزاً من خرز يهود لا يساوي درهمين » [4] اللفظ لأبي داود .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٢ ، ٤٢٠٧ ، مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم: ١١٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٠٣ ، مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه حديث رقم: ١١١.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٦ ، أبو داود في الطب ، باب كيف الرقى حديث رقم: ٣٨٩٤ .

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب في تعظيم الغلول حديث رقم: ٢٧١٠ ، النسائي في كتاب الجنائز باب الصلاة على من غل: ٤/ ٦٤، وابن ماجه في الجهاد باب الغلول حديث رقم: ٢٨٤٨ ، مالك في الموطأ الجهاد باب ما جاء في الغلول حديث رقم: ٢٣، ٢/ ٤٥٨، أحمد في المسند: ٤/ ١١٤، ٥/ ١٩٢، البيهقي في السنن: ٩/ ١٠١ ، الحاكم في المستدرك: ٢/ ١٢٧ ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا ، إسناده صحيح .

١٢ـ تحريم الحمر الأهلية:

٥٥٧ـ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر، وعن أكل لحوم الأنسية»[١].

قلت: وقد جاء الحديث في النهي عن أكل لحوم الأهلية من طريق أكثر من صحابي، فقد جاء من حديث أنس بن مالك، وابن عمر، وجابر بن عبدالله، وابن أبي أوفى والبراء بن عازب، وابن عباس وكل ذلك في الصحيح من حديث رسول الله ﷺ انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي بباب غزوة خيبر الأحاديث من رقم: ٤٢١٥، ٤٢٢٧، فتح الباري.

١٣ـ قصة إصابة عبدالله بن مغفل جراب الشحم.

٥٥٨ـ من حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه في الصحيحين قال: « أصبت جراباً من شحم يوم خيبر، قال: فالتزمته، فقلت: لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئاً، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ مبتسماً » واللفظ لمسلم، وفي اللفظ المتفق عليه، « رمي إلينا جراب فيه طعام وشحم يوم خيبر، فوثبت لآخذه، قال: فالتفت فإذا رسول الله ﷺ فاستحييت منه »[٢].

١٤ـ عاقبة يهود خيبر:

٥٥٩ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى مقرهم، فغلب على الأرض والنخل والزرع، فصالحوه على أن يجلوا منها، ولهم ما حملت ركابهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء (والحلقة)، ويخرجون منها.

فاشترط عليهم أن لا يكتموا شيئاً، ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عصمة، فغيبوا مسكاً فيه مال وحليًا لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢١٦، ومسلم في النكاح باب ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه حديث رقم: ١٤٠٥، الترمذي حديث رقم: ١١٢١، الموطأ: ٢/ ٥٤٢، النسائي: ٦/ ١٢٥ـ١٢٦، ابن ماجه: ١٩٦١، الدارمي: ٢/ ١٤٠، أحمد: ١/ ٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١٤، مسلم في الجهاد والسير باب جواز الأكل من طعام الغنيمة في دار الحرب حديث رقم: ١٧٧٢، أبو داود في الجهاد باب إباحة الطعام في أرض العدو: ٢٧٠٢.

خيبر حين أجليت النضير ، فقال رسول الله ﷺ لعم حيي (سعية): (ما فعل مسك حيي الذي جاء به من النضير ؟) فقال: أذهبته النفقات والحروب ، فقال رسول الله ﷺ: (العهد قريب ، والمال أكثر من ذلك) .

فدفعه رسول الله ﷺ إلى الزبير فمسه بعذاب، وكان حيي قبل ذلك قد دخل خربة، فقال: قد رأيت حيياً يطوف في خربة ها هنا ، فذهبوا ، فطافوا ، فوجدوا المسك في الخربة ، فقتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق ، وأحدهما زوج صفية بنت حيي بن أخطب ، وسبى رسول الله ﷺ نساءهم وذراريهم ، وقسم أموالهم للنكث الذي نكثوا ، وأراد أن يجليهم منها ، فقالوا: يا محمد دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ، ونقوم عليها ، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها ، وكانوا لا يتفرغون أن يقوموا عليها .

فأعطاهم خيبر على أن لهم الشطر من كل نخل وزرع وشيء ما بدا لرسول الله ﷺ .

وكان عبدالله بن رواحة يأتيهم كل عام يخرصها عليهم ، ويضمنهم الشطر ، قالوا: فشكوا إلى رسول الله ﷺ شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه، فقال: يا أعداء الله أتطعموني السحت ؟ والله لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي ، ولأنتم أبغض الناس إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم ، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض » .

قال: ورأى رسول الله ﷺ بعين صفية خضرة فقال: (يا صفية ما هذه الخضرة ؟) فقالت: كان رأسي في حجر ابن أبي الحقيق وأنا نائمة، فرأيت كأن قمراً وقع في حجري ، فأخبرته بذلك فلطمني، وقال: تمنين ملك يثرب ؟ قالت: وكان رسول الله ﷺ من أبغض الناس إلي قتل زوجي وأبي ، فما زال يعتذر إلي ويقول: إن أباك ألب علي العرب وفعل ، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي .

وكان رسول الله ﷺ يعطي كل امرأة من نسائه ثمانين وسقاً من تمر كل عام، وعشرين وسقاً من شعير ، فلما كان زمان عمر بن الخطاب غشوا المسلمين ، وألقوا ابن عمر من فوق بيت ، ففدغوا يديه ، فقال عمر بن الخطاب: من كان له سهم من خيبر ، فليحضر حتى نقسمها بينهم ، فقسمها بينهم وقال رئيسهم: لا تخرجنا دعنا نكون فيها كما أقرنا رسول الله ﷺ وأبو بكر ، فقال عمر: لرئيسهم: أتراه سقط عني قول رسول الله ﷺ: (كيف بك إذا رقصت بك

راحلتك تخوم الشام يوماً ثم يوماً ثم يوماً)، وقسمها عمر بين من كان شهد خيبر من أهل الحديبية »[1] . اللفظ لابن حبان .

١٥ـ تثبيت اليهود في أرضهم لزراعتها مقابل شطر الإنتاج

٥٦٠ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « أعطى رسول الله ﷺ خيبر اليهود أن يعملوها ، ويزرعوها ، ولهم شطر ما يخرج منها »[2].

وقد سبق شيء من التفصيل في ذلك من حديث ابن عمر السابق لهذا الحديث، والذي أخرج أبو داود في سننه مقطعاً منه ، وأورده كاملاً البيهقي وابن حبان كما بينته .

وقد جاء في صحيح الإمام مسلم مقاطع كاملة من ذلك الحديث الطويل، فانظرها في أول كتاب المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والزرع : ٣/١١٨٦ـ ١١٨٨ ، الحديث رقم: ١٥٥١.

١٦ـ سبي صفية بنت حيي وزواج النبي منها:

أـ الرؤيا التي رأتها قبل مجيء النبي إلى خيبر:

٥٦١ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كان بعيني صفية خضرة فقال لها النبي ﷺ: (ما هذه الخضرة بعينيك) ، قالت: قلت لزوجي إني رأيت فيما يرى النائم كأن قمراً وقع في حجري ، فلطمني، وقال: أتريدين ملك يثرب، قالت: وما كان أبغض إلي من رسول الله ﷺ قتل أبي وزوجي ، فما زال يعتذر إلي ، وقال: يا صفية أن أباك ألب علي العرب ، وفعل ، وفعل ، وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي »[3] .

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود منه الشطر الأول في كتاب الخراج باب ما جاء في حكم أرض خيبر حديث رقم: ٣٠٠٦ ، موارد الظمآن حديث رقم: ١٦٩٧ ، المغازي باب ما جاء في خيبر وفي سنن البيهقي: ٦/١١٤ ، وفي دلائل البيهقي: ٤/٢٢٩ ـ ٢٣١ ، والحديث إسناده صحيح وقد أخرجه مختصراً أحمد: ٢/١٧ ، ٢٢، ٣٧، البخاري: ٣٢٨، ومسلم برقم: ١٥٥١ ، وأبو داود برقم: ٣٤٠٨، الترمذي برقم: ١٣٨٣ ، وابن ماجه برقم: ٢٤٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإجارة باب إذا استأجر أرضاً فمات أحدهما رقم: ٢٢٨٥ ، وقد جاء بأرقام أخرى: ٢٣٢٨ ، ٢٣٢٩ ، ٢٣٣٨,٢٣٣١ ، ٢٤٩٩، ٢٧٢٠ ، ٣١٥٢,٢٧٢٠، ٤٢٤٨ ، ومسلم في الصحيح أول كتاب المساقاة حديث رقم: ١٥٥١ ، وأبو داود برقم: ٣٠٠٧.

(٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/٢٥١، رواه الطبراني ،ورجاله رجال الصحيح ، وقد سبق هذا الحديث كمقطع من حديث ابن عمر رقم: ٥٥٩ .

ب ـ زواجه منها :

٥٦٢ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قدمنا خيبر ، فلما فتح الله عليه الحصن ذكر له جمال صفية بنت حيي بن أخطب وقد قُتل زوجها ، وكانت عروساً ، فاصطفاها رسول الله ﷺ لنفسه ، فخرج بها ، حتى بلغنا سد الصهباء ، حلت ، فبنى بها رسول الله ﷺ ، ثم صنع حيساً في نطع صغير، ثم قال لي: (آذن من حولك) ، فكانت تلك وليمته على صفية ، ثم خرجنا إلى المدينة ، فرأيت النبي ﷺ يحوي لها وراءه بعباءة ، ثم يجلس عند بعيره فيضع ركبته ، وتضع صفية رجلها على ركبته حتى تركب »[1] .

٥٦٣ـ وقد جاء هذا الحديث بلفظ آخر من حديث أنس أكثر تفصيلاً ، «صارت صفية لدحية في مقسمه ، وجعلوا يمدحونها عند رسول الله ﷺ . قال: ويقولون: ما رأينا في السبي مثلها ، قال: فبعث إلى دحية ، فأعطاه بها ما أراد، ثم دفعها إلى أمي فقال: (أصلحيها) .

قال: ثم خرج رسول الله ﷺ من خيبر ، حتى إذا جعلها في ظهره نزل ، ثم ضرب عليها القبة . فلما أصبح قال رسول الله ﷺ (من كان عنده فضل زاد فليأتنا به) قال: فجعل الرجل يجيء بفضل التمر ، وفضل السويق ، حتى جعلوا من ذلك سواداً حيساً[2] ، فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء ، قال: فقال أنس: فكانت تلك وليمة رسول الله ﷺ عليها .

قال: فانطلقنا ، حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا[3] إليها، فرفعنا مطينا[4] ورفع رسول الله ﷺ مطيته ، قال: وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال: فعثرت مطية رسول الله ﷺ ، فصرع وصرعت: قال: فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها ، حتى قام رسول الله ﷺ فسترها ، قال: فأتيناه فقال: لم تضر ،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١١ ، وتفرد به دون مسلم .

(٢) سواداً حيساً: كوماً مرتفعاً فخلطوه وجعلوه حيساً .

(٣) هششنا: نشطنا وخففنا .

(٤) رفعنا مطينا: أسرعنا بها .

قال: فدخلنا المدينة ، فخرج جواري نسائه يترأينها ، ويشمتن بصرعتها [1] » [2].

٥٦٤ـ ومن حديث أنس أيضاً قال: « أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاث ليال يُبني عليه بصفية ، فدعوت المسلمين إلى وليمته ، وما كان فيها من خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بلالاً بالأنطاع ، فبسطت ، فألقى عليها التمر والأقط والسمن ، فقال المسلمون: إحدى إمهات المؤمنين أو ما ملكت يمينه ؟ قالوا: إن حجبها فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه، فلما ارتحل واطأ خلفه ، ومد الحجاب »[3].

جـ ـ مهرها:

٥٦٦ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « سبى النبي ﷺ صفية ، فأعتقها، وتزوجها ، فقال ثابت لأنس: ما أصدقها ؟ قال: أصدقها نفسها فأعتقها» [4].

١٧ـ وضع السم للنبي في الشاة التي قدمت له هدية:

٥٦٧ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة ، فأكل منها ، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ ، فسألها عن ذلك ، قالت: أردت لأقتلك ، فقال: (ما كان ليسلطك على ذلك ، أو عليَّ) ، قال: قالوا: ألا تقتلها ، قال: لا ، فما زالت أعرفها في لهوات [5] رسول الله ﷺ » [6].

٥٦٨ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما فتحت خيبر ، أهديت

---

(١) يشمتن بصرعتها: يظهرن السرور بوقعتها .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب النكاح ، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، حديث رقم: ١٣٦٥، ٢/١٠٤٧ـ ١٠٤٨ ، وقد جاء بزيادات يسيرة انظرها في هذا الرقم عند مسلم .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢١٣ ، وقد تفرد به دون مسلم .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠١ ، وقد انفرد به البخاري من هذا الوجه.

(٥) لهوات: جمع لهاة ، اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك ، كأنه بقى للسم علامة، سواداً وغيره .

(٦) أخرجه البخاري في الهبة باب قبول الهدية من المشركين حديث رقم: ٢٦١٧ ، مسلم في السلام باب اسم حديث رقم: ٢١٩٠ ، أبو داود في الديات رقم: ٤٥٠٨ .

لرسول الله ﷺ شاة فيها سم ، فقال رسول الله ﷺ: اجمعوا لي من ها هنا من اليهود) . فجمعوا له ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني عنه ؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أبوكم ؟) قالوا: أبونا فلان ، فقال رسول الله ﷺ: (كذبتم بل أبوكم فلان) فقالوا: صدقت وبررت .

فقال: (هل أنتم صادقوني عن شيء إن أنا سألتكم عنه ؟) فقالوا: نعم يا أبا القاسم ، وإن كذبناك عرفت كما عرفته في أبينا ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (من أهل النار ؟) فقالوا: نكون فيها يسيراً ، ثم تخلفونا فيها ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (اخسؤوا فيها ، والله لا نخلفكم فيها أبداً) .

ثم قال لهم: (هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه ؟) فقالوا: نعم، فقال: (هل جعلتم في هذه الشاة سماً ؟) فقالوا: نعم، فقال: (ما حملكم على ذلك؟) فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً أن نستريح منك ، وإن كنت نبياً لم يضرك»[1] .

وهذا يثبت أن المرأة ما فعلت فعلتها إلا بأمر من رؤساء اليهود وزعمائهم وبإقرار منهم كما جاء في هذا الحديث الصحيح .

شدة تأثره عليه السلام بالسم:

٥٦٩- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا آوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » [2] .

---

(١) أخرجه البخاري في الطب باب ما يذكر في سم النبي ﷺ رقم: ٥٧٧٧ ، وأبو داود في سننه الديات باب فيمن سقى رجلاً سماً حديث رقم: ٤٥٠٩ ، وأحمد في المسند: ٢/ ٤٥١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته برقم:٤٤٢٨، معلقاً، أحمد في المسند:٦/ ١٨، والدارمي: ١/ ٣٢ ، ٣٣ والحاكم: ٣/ ١٩ ، قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة . وقال الحافظ في الفتح: « وقد وصله البزار والحاكم والإسماعيلي من طريق عتبة بن خالد عن يونس بهذا الإسناد ، وقال البزار: تفرد به عنبسه عن يونس اي بوصله ، وإلا فقد رواه موسى بن عقبة في المغازي عن الزهري لكنه أرسله ، وله شاهدان مرسلان أيضاً أخرجهما إبراهيم الحربي في غرائب الحديث » وقد أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٢٠٩ ، عن أم بشر بن البراء بن معرور قريباً من هذا الحديث ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، ومن حديث أبي هريرة عند ابن سعد .

هل قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة التي وضعت السم:

قال القاضي عياض: واختلفت الآثار والعلماء هل قتلها النبي ﷺ أم لا، فوقع في مسلم أنهم قالوا الا نقتلها ؟ قال: (لا) ومثله عن أبي هريرة وجابر، وعن جابر من رواية أبي سلمة أنه قتلها ، وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء بشر بن البراء بن معرور ، وكان أكل منها ، فمات بها ، فقتلوها ، وفي لفظ قتلها وصلبها ، وفي جامع معمر عن الزهري لما أسلمت تركها ، قال معمر كذا قال الزهري أسلمت ، والناس يقولون قتلها ولم تسلم .

وقال السهيلي قيل: إنه صفح عنها ، قال القاضي وجه الجمع بين هذه الروايات والأقاويل أنه لم يقتلها حين اطلع على سمها ، وقيل له: اقتلها فقال: لا ، فلما مات بشر بن البراء بن معرور من ذلك سلمها لأوليائه ، فقتلوها قصاصاً ، فصح قولهم لم يقتلها أي في الحال ، ويصح قولهم قتلها أي بعد ذلك والله أعلم » [(١)].

١٨ـ تقسيم الغنائم يوم خيبر

أـ كيفية القسمة:

٥٧٠ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر للفرس سهمين وللراجل سهماً ، قال: فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم ، فإن لم يكن له فرس فله سهم » [(٢)].

٥٧١ـ من حديث بشير بن أبي حثمة قال: « قسم رسول الله ﷺ خيبر نصفين نصفاً لنوائبه وحاجته ، ونصفاً بين المسلمين قسمها بينهم على ثمانية عشر سهماً» [(٣)].

---

(١) شرح صحيح مسلم: ١٤/١٧٩ .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٢٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب كيفية القسمة الغنيمة بين الحاضرين حديث رقم: ١٧٦٢ ، مالك في الموطأ: ٢/٤٥٦ ، الجهاد باب القسم للخيل في الغزو ، أبو داود في الجهاد باب في سهمان الخيل حديث رقم: ٢٧٣٣ ، الترمذي في السير باب في سهم الخيل رقم: ١٥٥٤ ، وأحمد في المسند: ٢/٢، ٦٢ ، ٧٢ ، ٨٠ .

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الخراج والفيء .. باب ما جاء في حكم خيبر حديث رقم: ٣٠١٠ ، سنده حسن .

ب ـ سهم ذوي القربى:

٥٧٢ـ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه: « أنه جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله ﷺ فيما قسم الخمس بين بني هاشم وبني المطلب، فقلت: يا رسول الله قسمت لإخواننا بني المطلب ولم تعطنا شيئاً، وقرابتنا وقرابتهم منك واحدة، فقال النبي ﷺ: (إنما بنو هاشم وبنو المطلب واحد) قال جبير: ولم يقسم لبني عبدشمس، ولا لبني نوفل من ذلك الخمس، كما قسم لبني هاشم وبني المطلب، قال: وكان أبو بكر يقسم الخمس نحو قسم رسول الله ﷺ غير أنه لم يكن يعطي قربى رسول الله ﷺ ما كان النبي ﷺ يعطيهم، قال: وكان عمر بن الخطاب يعطيهم منه، وعثمان بعده »[1] اللفظ لأبي داود.

جـ ـ إعطاء العبيد من الغنائم وعدم الاسهام لهم.

٥٧٣ـ من حديث عمير مولى ابي اللحم قال: « شهدت خيبر مع سادتي، فكلموا في رسول الله ﷺ، فأمرني فقلدت سيفاً، فإذا أنا أجُرُّهُ، فأخبر أني مملوك، فأمر لي بشيء من خرثي المتاع[2] »[3].

د ـ إعطاء النبي عليه السلام للنساء من الغنائم والإسهام لهن من الثمار:

٥٧٤ـ من حديث ثابت بن الحارث الأنصاري قال: « قسم رسول الله ﷺ يوم خيبر لسهلة بنت عاصم بن عدي، ولابنة لها ولدت »[4].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر رقم: ٤٢٢٩، أبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذوي القربى حديث: ٢٩٧٨ـ٢٩٨٠، النسائي في كتاب قسم الفيء: ٧/ ١٣٠، وابن ماجه حديث رقم: ٢٨٨١، وأحمد في المسند: ٤/ ٨١، ٨٣، ٨٥، البيهقي: ٦/ ٣٤١، أبو عبيد في الاموال: ٨٤٢.

(٢) خرثي المتاع: أثاث البيت كالقدر ونحوه.

(٣) اخرجه أبو داود في الجهاد باب في المرأة والعبد يحذيان من الغنيمة حديث رقم: ٢٧٣٠، الترمذي في السير باب هل يسهم للعبد: ١٥٥٧، وقال حسن صحيح، ابن ماجه حديث رقم: ٢٨٥٥، ابن حبان: ١٦٦١، الدارمي: ٢/ ٢٢٦، البيهقي: ٦/ ٣٣٢، والحاكم: ٢/ ١٣١، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه الطبراني برقم: ١٣٦٩، قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٧: رواه الطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وحديثه حسن، وقد أخرجه الطبراني في الكبير: برقم: ١٣٦٩، قال: حدثنا علي بن عبدالعزيز الحسن بن الربيع الكوفي عن ابن المبارك عن ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي عن ثابت ... ورواية العبادلة عن ابن لهيعة صحيحة فسند الحديث صحيح رجاله ثقات.

٥٧٥ـ من حديث زينب بنت أبي معاوية الثقفية « أن النبي ﷺ أعطاها بخيبر خمسين وسقاً تمراً ، وعشرين وسقاً شعيراً بالمدينة » (١) .

هـ ـ قصة أبي هريرة مع أبان بن سعيد بن العاص في قسمة الغنائم:

٥٧٦ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعث رسول الله ﷺ أبان على سرية من المدينة قبل نجد ، قال أبو هريرة: فقدم أبان وأصحابه على النبي ﷺ بخيبر بعدما افتتحها ، وإن حزم خيلهم لليف ، قال أبو هريرة: قلت يا رسول الله ، لا تقسم لهم، قال أبان: وأنت بهذا يا وبر تحدر من رأس ضان ، فقال النبي ﷺ: (يا أبان اجلس فلم يقسم له)»(٢) .

قلت: وإن كان ورد أن القائل: « لا تعطه من الغنائم أبان بن سعيد » ، وأن السائل هو أبو هريرة رضي الله عنه ، وهذا أيضاً في الصحيح ، والراجح عندي، والله أعلم ـ أن الذي سأل أن يعطى من الغنائم هو أبان بن سعيد ، وأن القائل: لا تعطه من الغنائم هو أبو هريرة .

ويؤيد ما ذهبت إليه أن أبا هريرة صرح بأن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أعطاه ، ومن جاء معه من الغنائم يوم خيبر ، وذلك في حديثه الذي بين فيه أن رسول الله ﷺ أمر على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري ، وقد سبق الإشارة إلى هذا الحديث الذي أخرجه أحمد بسند جيد في بداية الحديث عن غزوة خيبر برقم: ٥٤٢، فانظره هناك .

١٩ـ حديث الحجاج بن علاط مع أهل مكة:

٥٧٧ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: « لما افتتح رسول الله ﷺ خيبر قال الحجاج بن علاط: يا رسول الله ! إن لي بمكة مالاً ، وإن لي بها أهلاً ، وإني أريد أن آتيهم ، فأنا في حل إن أنا نلت منك ؟ وقلت شيئاً ؟ فأذن له رسول الله ﷺ أن يقول ما شاء ، فأتى امرأته حين قدم ، فقال: اجمعي لي

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٤/٢٨٧ـ ٢٨٨، رقم: ٧٣٢ ، قال الهيثمي في المجمع: ٦/٧: رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر تعليقاً رقم: ٤٢٣٨ ، ووصله أبو داود من طريق إسماعيل بن عياش في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٢٣ ، ووصلها أبو نعيم في المستخرج من طريق إسماعيل بن عياش أيضاً ، ومن طريق عبدالله بن سالم ، كلاهما عن الحميدي كما اشار إلى ذلك الحافظ في الفتح: ٧/٤٩١ .

ما كان عندك ، فإني أريد أن أشتري من غنائم محمد وأصحابه ، فإنهم قد استبيحوا ، أو أصيبت أموالهم ، قال: ففشا ذلك في مكة فانقمع المسلمون ، وأظهر المشركون فرحاً وسروراً ، قال: وبلغ الخبر العباس (رضي الله عنه) فعقر، وجعل لا يستطيع أن يقوم .

قال معمر: فأخبرني عثمان الجزري عن مقسم قال: فأخذ ابناً له يشبه رسول الله ﷺ يقال له قثم ، فاستلقى فوضعه على صدره وهو يقول:

حبِّي قثم ، حبِّي قثم   شبيه ذي الأنف الأشم

نبي رب ذي النعم   برغم أنف من رغم

قال ثابت عن أنس: ثم أرسل غلاماً له إلى الحجاج: ويلك ما جئت به؟ وماذا تقول ؟ فما وعد الله خير مما جئت به ، قال: فقال الحجاج بن علاط لغلامه: أقرأ على أبي الفضل السلام ، وقل له: فليخل لي في بعض بيوته لآتيه، فإن الخبر على ما يسره ، فجاءه غلامه ، فلما بلغ باب الدار قال: أبشر يا أبا الفضل ، قال: فوثب العباس فرحاً ، حتى قبل بين عينيه، فأخبره بما قال الحجاج، فأعتقه . قال: ثم جاء الحجاج فأخبره أن رسول الله ﷺ قد افتتح خيبر ، وغنم أموالهم ، وجرت سهام الله في أموالهم ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بن حيي ، فأخذها لنفسه وخيرها أن يعتقها، وتكون زوجته ، أو تلحق بأهلها ، فاختارت أن يعتقها ، وتكون زوجته ، ولكني جئت لما كان لي ههنا أردت أن أجمعه ، فاذهب به ، فاستأذنت رسول الله ﷺ ، فأذن لي أن أقول ما شئت ، فأخف عني ثلاثاً ثم اذكر ما بدا لك ، قال: فجمعت امرأته ما كان عندها من حلي ومتاع فجمعه ، فدفعته إليه ثم انشمر به .

فلما كان بعد ثلاث أتى العباس امرأة الحجاج ، فقال: ما فعل زوجك؟ فأخبرته أنه ذهب يوم كذا وكذا ، وقالت: لا يخزيك الله يا أبا الفضل ، لقد شق علينا الذي بلغك ، قال: أجل ، لا يخزيني الله ، ولم يكن بحمدالله إلا ما أحببنا ، فتح الله خيبر على رسول الله ﷺ ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى رسول الله ﷺ صفية بنت حيي لنفسه ، فإن كانت لك حاجة في زوجك فالحقي به ، قالت: أظنك والله صادقاً ، قال: فإني صادق ، الأمر على ما أخبرتك .

فقال: ثم ذهب حتى أتى مجالس قريش ، وهم يقولون إذا مر بهم: لا

يصيبك إلا خير يا أبا الفضل، قال لهم: لم يصبني إلا خير بحمد الله ، قد أخبرني الحجاج بن علاط أن خيبر قد فتحها الله على رسوله ﷺ ، وجرت فيها سهام الله ، واصطفى صفية لنفسه ، وقد سألني أن أخفي عليه ثلاثاً ، وإنما جاء ليأخذ ماله ، وما كان له من شيء ها هنا ، ثم يذهب . قال: فرد الله الكآبة التي كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرج المسلمون ومن كان دخل بيته مكتئباً حتى أتوا العباس، فأخبرهم الخبر وسر المسلمون ، ورد الله ـ تبارك وتعالى ـ ما كان من كآبة أو غيظ أو حزن على المشركين » [1] .

٢٠ـ مسير النبي إلى وادي القرى وقصة الذي غل من الغنيمة:

٥٧٨ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر ، فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، فأهدى رجل من بني الضبيب ، يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً يقال له مدعم .

فوجه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى حتى إذا كان بوادي القرى ، بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئاً له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (كلا والذي نفسي بيده، أن الشملة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً) .

فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال: (شراك من نار أو شراكان من نار) [2] اللفظ للبخاري .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/١٣٨ـ ١٣٩ بسند صحيح ، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٧٧١ ، وأبو يعلى برقم: ٣٤٧٩، والبيهقي في السنن: ٩/١٥١، والدلائل: ٤/٢٦٦ـ ٢٦٧ ، والطبراني في الكبير برقم: ٣١٩٦ ، والفسوي في المعرفة والتاريخ: ١/٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، والنسائي في السنن الكبرى في السير كما في تحفة الأشراف: ١/١٥٣ ، رقم الحديث ٤٨٦ ، وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار: ١٨١٦، وابن حبان: ١٦٩٨ـ موارد ـ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٥٤ ـ١٥٥ ، رواه أحمد ، وأبو يعلى ، والبزار ، والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح وقال ابن كثير في البداية: ٤/٢٣، عن سند أحمد: وهذا الإسناد على شرط الشيخين.

(٢) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب هل يدخل في الأيمان والنذور الأرض والغنم والزرع والأمتعة حديث رقم: ٦٧٠٧ ، وفي المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٣٤ ، مسلم في الإيمان باب غلظ تحريم الغلول حديث رقم: ١١٥، مالك في الموطأ في الجهاد باب ما جاء في الغلول: ٢/٤٥٩ ، حديث رقم: ٢٥، أبو داود في الجهاد باب في تعظيم الغلول حديث رقم: ٢٧١١، والنسائي: ٧/٢٤، الأيمان والنذور باب هل تدخل الأرضون في المال والنذر .

٢١ـ نومهم عن صلاة الفجر وعدم استيقاظهم حتى طلعت الشمس:

٥٧٩ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ ، حين قفل من غزوة خيبر ، سار ليلة ، حتى إذا أدركه الكرى عرَّس ، وقال لبلال: (اكلأ لنا الليل) فصلى بلال ما قدر له . ونام رسول الله ﷺ وأصحابه . فلما تقارب الفجر استند بلال إلى راحلته مواجه الفجر ، فغلبته عيناه ، وهو مستند إلى راحلته، فلم يستيقظ رسول الله ﷺ ، ولا بلال ، ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس .

فكان رسول الله ﷺ أولهم استيقاظاً ، ففزع رسول الله ﷺ ، فقال: (أي بلال ؟) فقال بلال: أخذ بنفسي الذي ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! ـ أخذ بنفسك . قال: (اقتادوا) فاقتادوا رواحلهم شيئاً ، ثم توضأ رسول الله ﷺ ، وأمر بلالاً فأقام الصلاة ، فصلى بهم الصبح ، فلما قضى الصلاة قال: (من نسي الصلاة فليصليها إذا ذكرها ، فإن الله قال: ﴿ **أقم الصلاة لذكرى** ﴾[١] ، قال يونس: وكان ابن شهاب يقرؤها: للذكرى)[٢] .

٢٢ـ معجزة زيادة الماء القليل حتى سقى الجيش الكثير:

٥٨٠ـ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: « خطبنا رسول الله ﷺ فقال: (إنكم تسيرون عشيتكم وليلتكم ، وتأتون الماء ، إن شاء الله غداً) فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد ، قال أبو قتادة: فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهار الليل[٣] ، وأنا إلى جنبه ، قال: فنعس رسول الله ﷺ ، فمال عن راحلته . فأتيته فدعمته[٤] من غير أن أوقظه . حتى اعتدل على راحلته . قال ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة . هي أشد من الميلتين الأولين ، حتى كاد

---

(١) سورة طه: ١٤ .

(٢) اخرجه مسلم في كتاب المساجد مواضع الصلاة حديث رقم: ٦٨٠ ، مالك في الموطا كتاب وقوت الصلاة باب النوم عن الصلاة: ١/ ١٣ـ١٤، أبو داود في الصلاة باب في من نام عن الصلاة أو نسيها حديث رقم: ٤٣٥ـ٤٣٦ ، والترمذي في تفسير القرآن باب ومن سورة طه حديث رقم: ٣١٦٣، النسائي: ١/ ٢٩٥ـ٢٩٨، كتاب الصلاة باب إعادة من نام عن الصلاة أو نسيها ، باب كيف يقضي الفائت عن الصلاة ، وابن ماجه الصلاة باب من نام عن الصلاة أو نسيها حديث رقم: ٦٩٧ .

(٣) ابهار الليل: انتصف .

(٤) فدعمته: أقمت عليه من النوم وصرت تحته كالدعامة للبناء فوقها.

ينجفل[1]، فأتيته فدعمته ، فرفع رأسه .

فقال: (من هذا ؟) قلت: أبو قتادة، قال: (متى كان هذا مسيرك مني ؟) قلت: ما زال هذا مسيري منذ الليلة . قال: (حفظك الله بما حفظت به نبيه) ثم قال: (هل ترانا نخفى على الناس ؟) ثم قال: (هل ترى من أحد ؟) قلت: هذا راكب ثم قلت: هذا راكب آخر . حتى اجتمعنا فكنا سبعة ركب.

قال: فمال رسول الله ﷺ عن الطريق. فوضع رأسه . ثم قال: (احفظوا علينا صلاتنا) ، فكان أول من استيقظ رسول الله ﷺ ، والشمس في ظهره ، قال: فقمنا فزعين . ثم قال: (اركبوا) فركبنا . فسرنا حتى إذا ارتفعت الشمس نزل . ثم دعا بميضأة[2] كانت معي فيها شيء من ماء . قال فتوضأ منها وضوءاً دون وضوء[3] . قال وبقي فيها شيء من ماء . ثم قال لأبي قتادة: (احفظ علينا ميضأتك . فسيكون لها نبأ) ثم أذن بلال بالصلاة . فصلى رسول الله ﷺ ركعتين . ثم صلى الغداة فصنع كما كان يصنع كل يوم . قال وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه .

قال فجعل بعضنا يهمس إلى بعض[4]: ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا؟ ثم قال: (ما لكم فيَّ أسوة[5] ؟) ثم قال: (أما أنه ليس في النوم تفريط[6] ، إنما التفريط على من لم يصل حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها ، فإذا كان من الغد فليصلها عند وقتها) ثم قال: (ما ترون الناس صنعوا ؟) قال: ثم قال: (أصبح الناس فقدوا نبيهم ، فقال أبو بكر وعمر: رسول الله ﷺ بعدكم، لم يكن ليخلفكم ، وقال الناس: إن رسول الله ﷺ بين أيديكم ، فإن يطيعوا أبا بكر وعمر يرشدوا) .

قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار ، وحمي كل شيء ، وهم يقولون:

---

(١) ينجفل: يسقط .

(٢) الميضأة: الإناء الذي يتوضأ به كالركوة.

(٣) وضوء دون وضوء: وضوءاً خفيفاً .

(٤) يهمس إلى بعض: يكلمه بصوت خفي .

(٥) أسوة: قدوة .

(٦) ليس في النوم تفريط: أي تقصير لانعدام الاختيار من النائم .

يا رسول الله ! هلكنا ، عطشنا . فقال: (لا هلك عليكم)[1]، ثم قال: (اطلقوا لي غُمري)[2] قال: « ودعا بالميضاة ، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضأة تكابوا عليها[3] ، فقال: رسول الله ﷺ: (أحسنوا الملأ[4] كلكم سيروى) قال ففعلوا . فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم ، حتى ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ. قال: ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: (اشرب): فقلت: لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله ! قال: (إن ساقي القوم آخرهم شرباً) قال: فشربت . وشرب رسول الله ﷺ . قال فأتى الناس الماء جامين رواءً .

قال: فقال عبدالله بن رباح: إني لأحدث هذا الحديث في مسجد الجامع. إذ قال عمران بن حصين: انظر أيها الفتى كيف تحدث . فإني أحد الركب تلك الليلة. قال: قلت: فأنت أعلم بالحديث . فقال: فمن أنت ؟ قلت: من الأنصار. قال: حدث فأنتم أعلم بحديثكم . قال: فحدثت القوم. فقال عمران: لقد شهدت تلك الليلة وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته)[5] واللفظ لمسلم .

٢٣- عودة مهاجري الحبشة وقسمة الرسول لهم من الغنائم:

٥٨١- من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « بلغنا مخرج رسول الله ﷺ ونحن باليمن . فخرجنا مهاجرين إليه . أنا وأخوان لي . أنا أصغرهما . أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم . إما قال بضعاً وإما قال: ثلاثة وخمسين أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي قال: فركبنا سفينة ، فألقتنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة ، فوافقنا جعفر بن أبي طالب وأصحابه عنده . فقال جعفر: إن رسول الله ﷺ بعثنا ههنا ، وأمرنا بالإقامة ، فأقيموا معنا. فأقمنا معه حتى قدمنا جميعاً . قال: فوافقنا رسول الله ﷺ حين افتتح خيبر فأسهم لنا ، أو أعطانا

(١) لاهلك عليكم: أي لا هلاك .

(٢) اطلقوا لي غمري: ايتوني به والغمر القدح الصغير .

(٣) فلم يعد أن رأى الناس ماءً في الميضاه تكابوا عليها: أي لم يتجاوز رؤيتهم الماء في الميضأة تكابهم: أي تزاحمهم عليها مكباً بعضهم على بعض .

(٤) احسنوا الملأ: الخلق والعشرة.

(٥) أخرجه البخاري في المواقيت باب الأذان بعد ذهاب الوقت حديث رقم: ٥٩٥ ، ومسلم في المساجد باب قضاء الصلاة الفائته رقم: ٦٨١ ، وأبو داود في الصلاة باب فيمن نام عن الصلاة أو نسيها رقم: ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

منها. وما قسم لأحد غاب عن فتح خيبر منها شيئاً إلا لمن شهد معه إلا لأصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه ، فقسم لهم معهم . قال: فكان ناس من الناس يقولون لنا ـ يعني لأهل السفينة ـ نحن سبقناكم بالهجرة » .

فضل أهل هجرة الحبشة :

قال: « فدخلت أسماء بنت عميس ، هي ممن قدم معنا على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة . وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه . فدخل عمر على حفصة ، وأسماء عندها . فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه ؟ قالت: أسماء بنت عميس . قال عمر: الحبشية هذه ؟ البحرية هذه ؟ فقالت أسماء: نعم . فقال عمر: سبقناكم بالهجرة . فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر ! كلا والله ! كنتم مع رسول الله ﷺ يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم ، وكنا في دار . أو في أرض البعداء البغضاء [1] في الحبشة . وذلك في الله وفي رسوله ، وايم الله ! لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله ﷺ ، ونحن كنا نؤذى ونخاف ، وسأذكر ذلك لرسول الله ﷺ وأسأله ، والله لا أكذب ، ولا أزيغ ، ولا أزيد على ذلك ، قال: فلما جاء النبي ﷺ قالت: يا نبي الله ! إن عمر قال كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ: (ليس بأحق بي منكم ، وله ولأصحابه هجرة واحدة ، ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان) .

قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني أرسالاً . يسألوني عن هذا الحديث ، ما من الدنيا شيء هم أفرح ، ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله ﷺ .

قال أبو بردة: فقالت أسماء: لقد رأيت أبا موسى ، وإنه يستعيد هذا الحديث مني » [2] اللفظ لمسلم .

---

(١) البعداء البغضاء: قال العلماء: البعداء في النسب ، البغضاء في الدين لأنهم كفار إلا النجاشي وكان يستخفي بإسلامه عن قومه ويوري لهم .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٣٠ ، ٤٢٣١ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم أحاديث رقم: ٢٥٠٢ ، ٢٥٠٣، أبو داود في الجهاد باب فيمن جاء بعد الغنيمة لا سهم له حديث رقم: ٢٧٤٥ ، بعض الحديث ، والترمذي في السير باب أهل الذمة ينفروا مع المسلمين هل يسهم لهم حديث رقم: ١٥٥٩ ، وقال: حسن صحيح غريب .

٢٤ـ النهي عن رفع الصوت بالتكبير :

٥٨٢ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: « قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر . أو قال لما توجه رسول الله ﷺ ـ أشرف الناس على واد ، فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر ، الله أكبر ، فقال رسول الله ﷺ: (أربعوا على أنفسكم ، إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنكم تدعون سميعاً قريباً ، وهو معكم) . وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال لي: (يا عبدالله بن قيس) ، قلت: لبيك رسول الله . قال: (ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟) قلت: بلى يا رسول الله ، فداك أبي وأمي . قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله) [١] .

٢٥ـ رد المهاجرين المنائح التي أعطاهم إياها الأنصار:

٥٨٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما قدم المهاجرون من مكة المدينة ، قدموا وليس بأيديهم شيء ، وكان الأنصار أهل الأرض والعقار ، فقاسمهم الأنصار على أن أعطوهم أنصاف ثمار أموالهم ، كل عام ، ويكفونهم العمل والمؤونة ، وكانت أم أنس بن مالك وهي تدعى أم سليم ، وكانت أم عبدالله ابن أبي طلحة ، كان أخاً لأنس لأمه ، وكانت أعطت أم أنس رسول الله ﷺ عذاقاً [٢] لها.

فأعطاها رسول الله ﷺ أم أيمن مولاته ، أم أسامة بن زيد .

قال ابن شهاب: فأخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من قتال أهل خيبر وانصرف إلى المدينة ، رد المهاجرون إلى الأنصار منائحهم [٣] التي كانوا منحوهم من ثمارهم . قال: فرد رسول الله ﷺ إلى أمي عذاقها. وأعطى رسول الله ﷺ أم أيمن مكانهن من حائطه .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٠٥ ، وفي الدعوات باب الدعاء إذا علا هضبية رقم: ٦٣٨٤ ، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب خفض الصوت بالذكر رقم: ٧٠٤ ، وأبو داود في الصلاة باب في الاستغفار حديث رقم: ١٥٢٦ ، ١٥٢٧, ١٥٢٨ ، الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد حديث رقم: ٣٤٦١، وقال: حسن صحيح ، وابن ماجه في الدعوات كتاب الأدب باب ما جاء في لا حول ولا قوة إلا بالله حديث رقم: ٣٨٢٤ ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، باب ما يقول إذا أشرف على وادي حديث رقم: ٥٣٨ .

(٢) العذاق: جمع عذق وهي النخلة .

(٣) منائحهم: جمع منيحة والمنيحة هي المنحة .

قال ابن شهاب: وكان من شأن أم أيمن ، أم أسامة بن زيد ، أنها كانت وصيفة لعبدالله بن عبدالمطلب وكانت من الحبشة ، فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ، بعدما توفي أبوه فكانت أم أيمن تحضنه ، حتى كبر رسول الله ﷺ ، فأعتقها ، ثم أنكحها زيد بن حارثة ، ثم توفيت بعدما توفي رسول الله ﷺ بخمسة أشهر » [(١)] .

٢٦ـ شبع المسلمين من التمر بعد فتح خيبر:

٥٨٤ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (فلما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر) [(٢)] .

٥٨٥ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر) [(٣)] .

٢٧ـ تأمير أحد الأنصار على خيبر :

٥٨٦ـ من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: (إن النبي ﷺ بعث أخا بني عدي من الأنصار إلى خيبر ، فأمره عليها » [(٤)] .

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٤٩٦٨: وفي رواية ابن عوانة والدارقطني (سواد بن غزيه) وهو من بني عدي بن النجار .

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجهاد والسير باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر حديث رقم: ١٧٧١ ، البخاري في كتاب الهبة باب فضل المنية حديث رقم: ٢٦٣٠ ، وانظر أرقام: ٣١٢٨ ، ٤٠٣٠ ، ٤١٢٠ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٤٢ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة خيبر حديث رقم: ٤٢٤٣ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب استعمال النبي ﷺ على أهل خيبر حديث رقم: ٤٢٤٦ـ٤٢٤٧ .

الأحكام والفوائد المستقاة من غزوة خيبر:

لخص الحافظ ابن حجر قسماً من هذه الفوائد في فتح الباري: ٤٩٨/٧ ، في تعليقه على الحديث رقم: ٤٢٤٩ ، في كتاب المغازي ، باب الشاة التي سمت للنبي ﷺ بخيبر فقال: وقد اشتملت قصة خيبر على أحكام كثيرة منها:

١ـ جواز قتال الكفار في أشهر الحرم .

٢ـ والإغارة على من بلغته الدعوة بغير إنذار .

٣ـ وقسمة الغنائم على السهام .

٤ـ وأكل الطعام الذي يصاب من المشركين قبل القسمة لمن يحتاج إليه بشرط أن لا يدخره ولا يحوله .

٥ـ وإن مدد الجيش إذا حضر بعد انقضاء الحرب يسهم لهم إن رضي الجماعة كما وقع لجعفر والأشعريين .

٦ـ ولا يسهم لهم إذا لم يرضوا كما وقع لإبان بن سعيد وأصحابه .

٧ـ ومنها تحريم لحوم الحمر الأهلية ، وأن ما لا يؤكل لحمه لا يطهر بالزكاة .

٨ـ وتحريم متعة النساء .

٩ـ وجواز المساقاة والمزارعة .

١٠ـ ويثبت عقد الصلح والتواثق من أرباب التهم .

١١ـ وإن من خالف من أهل الذمة ما شرط عليه انتقض عهده وهدر دمه .

١٢ـ وإن من أخذ شيئاً من الغنيمة قبل القسمة لم يملكه ولو كان دون حقه.

١٣ـ وأن الإمام مخير في أرض العنوة بين قسمتها وتركها .

١٤ـ وجواز إجلاء أهل الذمة إذا استغنى عنهم .

١٥ـ وجواز البناء بالأهل بالسفر .

١٦ـ والأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم » انتهى .

وقد أورد الحافظ ابن القيم رحمه الله كثيراً من هذه الفوائد وزاد عليها في كتابه العظيم زاد المعاد في هدي خير العباد فانظرها هناك (٣/ ٣٣٩ ـ ٣٥٨).

المبحث السابع: سرية أبي بكر الصديق إلى بني فزارة

٥٨٧- من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: (غزونا فزارة ، وعلينا أبو بكر ، أمره رسول الله ﷺ علينا . فلما كان بيننا وبين الماء ساعة، أمرنا أبو بكر فعرسنا [١] ثم شن الغارة ، فورد الماء ، فقتل من قتل عليه ، وسبى ، وأنظر إلى عنق من الناس [٢] ، فيهم الذراري [٣] فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل ، فرميت بسهم بينهم وبين الجبل . فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم . وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع من أدم [٤] . معها ابنة من أحسن العرب . فسقتهم حتى أتيت بهم أبا بكر . فنفلني أبو بكر ابنتها ، فقدمنا المدينة ، وما كشفت لها ثوباً . فلقيني رسول الله ﷺ في السوق . فقال: (يا سلمة ! هب لي المرأة) فقلت: « يا رسول الله ! والله لقد أعجبتني ، وما كشفت لها ثوباً » [٥] ، ثم لقيني رسول الله ﷺ من الغد في السوق ، فقال لي: (يا سلمة! هب لي المرأة . لله أبوك!) فقلت: هي لك يا رسول الله فوالله ما كشفت لها ثوباً . فبعث بها رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ، ففدى بها ناساً من المسلمين كانوا أسروا بمكة » [٦] .

المبحث الثامن: سرية غالب بن عبدالله الليثي إلى الحرقات من جهينة

٥٨٨- من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما قال: « بعثنا رسول الله ﷺ في سرية . فصبحنا الحرقات [٧] من جهينة ، فأدركت رجلاً ، فقال: لا إله إلا الله ، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: (أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟) قال: قلت: يا رسول الله ! إنما

---

(١) التعريس: نزول آخر الليل .

(٢) عنق من الناس: جماعة .

(٣) الذراري: النساء والصبيان .

(٤) قشع من أدم: نطع .

(٥) وما كشفت لها ثوباً: كناية عن الجماع .

(٦) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب التنفيل حديث رقم: ١٧٥٥ ، وأبو داود في السنن في الجهاد باب الرخصة في المدركين يفرق بينهم حديث رقم: ٢٦٩٧ ، أحمد في المسند: ٤/٤٦ ، البيهقي في الدلائل: ٤/ ٢٩٠ .

(٧) فصبحنا الحرقات: أتيناهم صباحاً ، الحرقات موضع ببلاد جهينة .

قالهـا خوفاً من السلاح . قـال: (أفلا كشـفت عن قلبه حتى تعلم أقـالها أم لا) فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ .

قال: فـقال سعـد - يعني سعد ابن أبـي وقاص -: « وأنا والله لا أقتل مـسلماً حتى يقتله ذو البطين يعني أسـامة قال: قال رجل: الم يقل الله: ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين كله لله** ﴾ الأنفال آية (٣٩) فقال سعـد: قد قاتلنا حتى لا تكون فـتنة ، وأنت وأصـحـابك تريدون أن تقـاتلوا حـتى تكون فـتنة »[1] اللفظ لمسلم.

المبحث التاسع: سرية غالب بن عبدالله الليثي لبني الملوح بالكديد

٥٨٩- من حـديـث جندب بن مكيث الجـهني: قـال: « بـعث رسـول الله ﷺ غـالب بن عبـدالله الكلبي كلب ليث ، إلـى بني ملوح بالكديد[2] ، وأمره أن يغـير عليهم ، فخـرج فكنت في سريته، فمضـينا حتى إذا كنا بقديد [3] لقينا بها الحارث ابن مالك، وهو ابن البرصاء الليثي، فأخذناه فقال: إنما جئت لأسلم ، فقال غالب ابن عبدالله: إن كنت إنما جئت مسلماً، فلن يضرك رباط يوم وليلة، وإن كنت غير ذلك استـوثقنا منك . قال فـأوثقه رباطاً ، ثم خلف عليـه رجلاً أسود كـان معنا، فقـال امكث معه حتى نمر عليك، فإن نازعك ، فـاحتز رأسـه ، قال: ثم مـضينا حتى أتينا بطن الكديـد، فنزلنا عشيشـية بعد العـصر، فبعـثني أصحابي في ربيئة[4] ، فعمدت إلى تل يطلعني على الحاضر ، فـانبطحت عليه وذلك المغرب، فخرج رجل منهم، فنظـر فرآني مـنبطحـاً على التل ، فـقـال لامرأتـه: والله إني لأرى على التل سواداً ما رأيته أول النهار ، فانظري لا تكون الكلاب اجترت بعض أوعيتك.

قال: فنظرت ، فقالت: لا والله ما أفقد شيئاً ، قال: فناوليني قوسي وسهمين من كنانتي ، قال: فناولته فرماني بسهم فوضعـه في جنبي ، قال: فنزعته فوضعته، ولم أتحرك ، ثم رماني بآخر فوضعـه في رأس منكبي ، فنزعته ، ووضعته ، ولم

---

(١) أخرجه البـخاري في المغازي باب بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد إلى الحرقات: ٤٢٦٩ ، وانظر: ٦٨٧٢، ومسـلم في الإيمان باب تحريم قـتل الكافر إذا قـال لا إله إلا الله رقم: ٩٦ ، وأبو داود في الجهـاد باب على ما يقاتل المشركون: ٢٦٤٣ ، وأحمد في المسند: ٥/٢٠٧ .

(٢) بني ملوح بالكديد: ماء بين الحرمين الشريفين .

(٣) قديد: موضع بين مكة والمدينة.

(٤) ربيئة: العين والطليعة.

اتحرك ، فقال لامرأته: والله لقد خالطه سهامي ، ولو كان دابة لتحرك ، فإذا أصبحت ، فابتغى سهمي فخذيهما لا تمضغهما علي الكلاب .

قال: وأمهلناهم حتى راحت رائحتهم حتى إذا احتلبوا [(١)] ، وعطنوا ، أو سكنوا [(٢)] ، وذهبت عتمة من الليل [(٣)] شننا عليهم الغارة[(٤)]، فقتلنا من قتلنا منهم، واستقنا النعم فوجهنا قافلين [(٥)] وخرج صريخ القوم إلى قومهم مغوثاً [(٦)] ، وخرجنا سراعاً حتى نمر بالحارث بن البرصاء وصاحبه فانطلقنا به معنا ، وأتانا صريخ الناس ، فجاءنا مالا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي أقبل سيل حال بيننا وبينهم بعثة الله تعالى من حيث شاء ، ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا حالاً ، فجاء بما لا يقدر أحد أن يقوم عليه ، فلقد رأيناهم وقوفاً ينظرون إلينا ما يقدر أحد منهم أن يتقدم ، ونحن نحوزها [(٧)] سراعاً ، حتى اسندناها في المشلل [(٨)] ثم حدرناها عنا فأعجزنا القوم بما في أيدينا » [(٩)].

المبحث العاشر: قصة محلم بن جثامة وقتله الرجل الذي جاء مسلماً

٥٩٠ـ من حديث عبدالله بن أبي حدرد رضي الله عنه قال: « بعثنا رسول الله ﷺ إلى أضم ، فخرجت في نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحرث بن ربعي ، ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعي على قعود له [(١٠)] مع متيع [(١١)] له ووطب [(١٢)] من لبن ، فسلم علينا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه، مجلم بن جثامة ، فقتله لشيء

---

(١) احتلبوا: حلبوا ماشيتهم .

(٢) سكنوا: قاموا .

(٣) عتمة من الليل: ذهبت مدة من ظلمة النيل .

(٤) شننا عليهم الغارة: فرقنا عليهم الجيوش في كل الجهات .

(٥) قافلين: راجعين .

(٦) مغوثاً: طالباً الإغاثة والإعانة .

(٧) نحوزها: نسوق ما غنمناه ، وملكناه من النعم.

(٨) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد .

(٩) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٦٧ـ٤٦٨ ، ورواه أبو داود برقم: ٢٦٧٨ ، مختصراً إلى قوله فوثقناه رباطاً ورجاله ثقات خلا مسلم بن عبدالله الجهني فإنه لم يوثقه غير ابن حبان . وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ . رواه الطبراني ، وأحمد ، ورجاله ثقات ، فقد صرح ابن إسحاق بالسماع من رواية الطبراني .

(١٠) مقود: البعير المتخذ للركوب .

(١١) متيع: تصغير متاع.

(١٢) ووطب: وعاء اللبن.

كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره ومتاعه ، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ أخبرناه الخبر ، فنزل فينا القرآن: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله كان بما تعملون خبيراً** ﴾ [١][٢] .

المبحث الحادي عشر: سرية عبدالله بن حذافة السهمي رضي الله عنه

٥٩١- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ بعث علقمة بن مجزز على بعث ، وأنا فيهم . فلما انتهى إلى رأس غزاته ، أو كان ببعض الطريق استأذن منه طائفة من الجيش ، فأذن لهم ، وأمر عليهم عبدالله ابن حذافة بن قيس السهمي ، فكنت فيمن غزا معه ، فلما كان بعض الطريق ، أوقد ناراً ليصطلوا ، أو ليصنعوا عليها صنيعاً ، فقال عبدالله « وكانت فيه دعابة » أليس لي عليكم السمع والطاعة؟ قالوا ؟ بلى . قال: فما أنا بآمركم بشيء إلا صنعتموه ؟

قالوا: نعم. قال: فإني أعزم عليكم إلا تواثبتم في هذه النار . فقام ناس فتحجزوا . فلما ظن أنهم واثبون ، قال: أمسكوا على أنفسكم ، فإنما كنت أمزح معكم . فلما قدمنا ذكروا ذلك للنبي ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (من أمركم منهم بمعصية الله ، فلا تطيعوه) [٣] .

٥٩٢- ومن حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿ **أطيعوا الله، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية » [٤] .

---

(١) النساء: ٩٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٦/ ١١ ، ورجاله ثقات ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٦٢٧ ، وأورده السيوطي في الدر المنثور: ٢/ ١٩٩ - ٢٠٠ ، وزاد نسبته إلى ابن سعد ، وابن أبي شيبة ، وابن جرير ، والطبراني ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو نعيم ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٠٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٧/ ٨ ، رواه أحمد ، والطبراني ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجهاد باب لا طاعة في معصية الله حديث رقم: ٢٨٦٣ ، وابن حبان ، برقم: ١٥٥٢ موارد، وأحمد في المسند: ٣/ ٦٧ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٦٣٠-٦٣١ وأبو يعلى برقم: ١٣٤٩ ، وقال البوصيري في الزوائد: ٢/ ٤٢٣ ، إسناده صحيح ونقل الحافظ في الفتح: ٨/ ٥٨ تصحيحه عن ابن خزيمة وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير تفسير سورة النساء باب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم حديث رقم: ٤٥٨٤ ، مسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء حديث رقم: ١٨٣٤ ، وأبو داود في الجهاد باب في الطاعة: ٢٦٢٤ ، الترمذي: في الجهاد: ١٦٧٣ ، النسائي في البيعة: ٧/ ١٥٤، ١٥٥ ، أحمد في المسند: ٣١٢٤ .

المبحث الثاني عشر: غزوة ذات الرقاع

وهي غزوة محارب خصفة من بني ثعلبة من غطفان . وهي التي صلى النبي فيها صلاة الخوف وكانت تسمى أيضاً (غزوة نجد) .

١ـ سبب تسميتها بهذا الاسم:

٥٩٣ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « خرجنا مع النبي ﷺ في غزاة ، ونحن في تسعة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماي، وسقطت أظفاري ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وحدث أبو موسى بهذا الحديث ثم كره ذاك قال: ما كنت أصنع بأن أذكره، كأنه كره أن يكون شيء من عمله أفشاه»[١] .

٢ـ وقتها:

قال الإمام البخاري: إن غزوة ذات الرقاع كانت بعد غزوة خيبر[٢] ، وأيده في ذلك ابن كثير في سيرته[٣]، وابن حجر في الفتح[٤]، وابن القيم في زاد المعاد[٥].

إلا أن محمد بن إسحاق وجماعة من أهل السير والمغازي قالوا: إنها كانت في جمادى الأولى بعد غزوة بني النضير بشهرين ، وذلك في السنة الرابعة للهجرة[٦].

قلت: وما في الصحيح أصح، وأولى بالتقديم ، وله من أحاديث الصحابة رضوان الله عليهم ما يسنده ويقويه ، من قول أبي هريرة: « صليت مع النبي ﷺ في غزوة نجد صلاة الخوف » ، وإنما جاء أبو هريرة إلى النبي ﷺ أيام خيبر[٧] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٢٥ ، ومسلم في صحيحه كتاب الهجرة والمغازي باب غزوة الرقاع حديث رقم: ١٨١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع ، وهي غزوة محارب حفصة من بني ثعلبة من غطفان ، ونزل نخلاً وهي بعد خيبر ، لأن أبا موسى جاء بعد خيبر فتح: ٤١٦/٧ .

(٣) السيرة النبوية ابن كثير: ١٦١/٣ .

(٤) ابن حجر في الفتح: ٤١٨/٧ .

(٥) زاد المعاد: ٢٥٣/٣ .

(٦) ابن هشام في السيرة: ١٥٧/٣ .

(٧) أخرجه أحمد: ٣٢٠/٢ ، والنسائي: ١٧٣/٣ ، وإسناده صحيح ، وابن حبان في صحيحه: ٥٨٥ موارد الظمآن ، وأبو داود في الصلاة باب من قال يكبرون جميعاً وإن كانوا مستدبري القبلة حديث رقم: ١٢٤٠ .

ويؤيده أيضاً ما جاء من حديث أبي موسى الأشعري السابق في سبب تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم ، وإخباره بأنه حضرها ، وإنما جاء أبو موسى الأشعري مع جعفر بعد غزوة خيبر » .

ويؤيده أيضاً ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: « غزوت مع رسول الله ﷺ قبل نجد ، فذكر صلاة الخوف »[1] ، وإنما كانت إجازة النبي ﷺ لابن عمر بالقتال عام الخندق » .

٣ـ محاولة اغتيال النبي عليه السلام ، وصلاته بالمسلمين صلاة الخوف:

٥٩٤ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « أقبلنا مع رسول الله ﷺ، حتى إذا كنا بذات الرقاع قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة ، تركناها لرسول الله ﷺ، قال: فجاء رجل من المشركين ، وسيف رسول الله ﷺ معلق بشجرة ، فأخذ سيف نبي الله ﷺ فاخترطه ، فقال لرسول الله ﷺ: أتخافني ؟ قال: (لا) قال: فمن يمنعك مني ؟ قال: (الله يمنعني منك) قال: فتهدده أصحاب رسول الله ﷺ ، فأغمد السيف ، وعلقه ، قال: فنودي بالصلاة ، فصلى بطائفة ركعتين، ثم تأخروا ، وصلى بالطائفة الأخرى ركعتين ، قال فكانت لرسول الله ﷺ أربع ركعات ، وللقوم ركعتان ».

وقد جاء التصريح باسم هذا الرجل في رواية أحمد كما يلي: « قاتل رسول الله ﷺ محارب خصفة ، فرأوا من المسلمين غرة ، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث حتى قام على رأس رسول الله ﷺ بالسيف فقال: من يمنعك مني ؟ قال: (الله عزَّ وجلَّ) فسقط السيف من يده ، فأخذه رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني ؟ قال: كن كخير آخذ ، قال: (أتشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: لا ، ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ، ولا أكون مع قوم يقاتلونك ، فخلى سبيله ، قال: فذهب إلى أصحابه ، قال: قد جئتكم من عند خير الناس»[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٣٢ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذات الرقاع حديث رقم: ٤١٣٦ ، مسلم في صلاة المسافرين باب صلاة الخوف حديث رقم: ٨٤٣ ، وأحمد في المسند: ٣/١١١، ٣٦٤ ، ٣٦٥ .
أما عن تفصيلات صلاة الخوف فيستطاع الرجوع إلى ذلك إلى كتاب الصلاة باب صلاة الخوف في كل من صحيحي البخاري ومسلم ، وسائر كتب السنة المشرفة ، وكتب الفقه .

٤ـ عباد بن بشر وما حصل معه أثناء الحراسة:

٥٩٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع فأصيبت امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، وجاء زوجها ، وكان غائباً ، فحلف أن لا ينتهي حتى يهريق دماً في أصحاب محمد ﷺ ، فخرج يتبع أثر النبي ﷺ، فنزل النبي ﷺ منزلاً ، فقال: (من رجل يكلؤنا)[١] فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل من الأنصار، فقالا: نحن يا رسول الله ، قال:(فكونا بفم الشعب)[٢] .

قال: وكانوا نزلوا إلى شعب الوادي ، فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب قال الأنصاري للمهاجري: أي الليل أحب إليك أن أكفيكه أوله أو آخره ؟ قال: اكفني أوله ، فاضطجع المهاجري ، فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة[٣] القوم ، فرماه بسهم ، ، فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه وثبت قائماً، ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه وثبت قائماً ثم عاد له بثالث فوضعه فيه ، فنزعه فوضعه ، ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه[٤] فقال: اجلس فقد أوتيت ، فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذروا به[٥] فلما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال: سبحان الله ألا أهببتني قال: كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفذها[٦] ، فلما تابع الرمي ركعت فأريتك ، وأيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها وأنفذها »[٧] .

---

(١) يكلؤنا: يحرسنا .

(٢) الشعب: الوادي ، وزاد ابن إسحاق: وهما عمار بن ياسر وعباد بن بشر الأنصاري .

(٣) ربيئة: العين أو الطليعة التي تقوم على حراسة القوم من عدوهم .

(٤) أهب صاحبه: أيقظه .

(٥) نذروا به: عرفوا بخطره .

(٦) أنفذها: أفرغ منها .

(٧) أخرجه أحمد في المسند: ٣/٣٤٤ ، ٣٥٩ ، أبو داود في الطهارة باب الوضوء من الدم حديث: ١٩٨، وابن هشام في السيرة: ٢/٢٠٨ ـ٢٠٩ ، والبيهقي في السنن: ٩/١٥٠ ، كتاب السير باب صلاة الحرص ، وفي الدلائل: ٣/٣٧٩ ، وفي سند هذا الحديث عقيل بن جابر بن عبدالله ، وثقه ابن حبان، وباقي رجاله ثقات ، وصححه ابن خزيمة: ٣٦ ، وذكره البخاري معلقاً ، كذا قال في التلخيص الحبير: ١/١١٤ ـ ١١٥ ، قلت: وإسناده حسن .

٥ـ قصة جمل جابر بن عبدالله رضي الله عنه:

٥٩٦ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « خرجت مع رسول الله ﷺ في غزاة، فأبطأ بي جملي، فأتى عليَّ رسول الله ﷺ، فقال لي: (يا جابر) قلت: نعم. قال: (ما شأنك)، قلت: أبطأ بي جملي وأعيا[1] فتخلفت، فنزل فحجنه بمحجنة[2] ثم قال: (اركب) فركبت فلقد رأيتني أكفه عن رسول الله ﷺ فقال: (أتزوجت؟) فقلت: نعم، فقال: (أبكراً أم ثيباً؟) فقلت: بل ثيب. قال: (فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك؟) فقلت: إن لي أخوات، فأحببت أن أتزوج امرأة تجمعهن، وتمشطهن، وتقوم عليهن. قال: (أما إنك قادم، فإذا قدمت فالكيس الكيس!) ثم قال: (أتبيع جملك؟) قلت: نعم، فاشتراه مني بأوقية.

ثم قدم رسول الله ﷺ، وقدمت بالغداة، فجئت المسجد فوجدته على باب المسجد، فقال: (الآن حين قدمت؟) قلت: نعم، قال: (فدع جملك، وادخل فصل ركعتين) قال: فدخلت فصليت، ثم رجعت. فأمر بلالاً أن يزن لي أوقية. فوزن لي بلال، فأرجح في الميزان. قال فانطلقت. فلما وليت قال: (ادع لي جابراً) فدعيت. فقلت: الآن يرد علي الجمل ولم يكن شيء أبغض إلي منه. فقال: (خذ جملك ولك ثمنه)[3].

ولم يأت في لفظ الصحيحين التصريح باسم الغزوة التي حصلت فيها قصة جابر، ولكن جاء من نفس الطريق طريق وهب بن كيسان عن جابر التصريح بأن الغزوة هي غزوة ذات الرقاع، وذلك عند ابن هشام في السيرة: ٢/٢٠٦ـ٢٠٧، عن ابن إسحاق حدثني وهب بن كيسان عن جابر ...، وهذا سند صحيح،

---

(١) أعيا: عجز عن السير.

(٢) حجنه بمحجنه: المحجن: العصا فيها تعقيف يلتقط بها الراكب ما سقط منه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع باب شراء الدواب والحمير حديث رقم: ٢٠٩٧ وفي مواطن أخرى متعددة، ومسلم في كتاب الرضاع باب استحباب نكاح البكر حديث: ٥٧/٧١٥، ص: ١٠٨٩، ومسلم في المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه: ١١٤/٧١٥، والطيالسي: ٣٠٥/١ برقم: ١٥٥٠، وأحمد في المسند: ٢٩٩/٣، ٣٠٣، والحميدي رقم: ١٢٨٧، والترمذي في البيوع باب ما جاء في اشتراط ظهر الدابة عند البيع رقم: ١٢٥٣، وأبو داود في الإمارة باب في شرط في بيع: ٣٥٠٥، والنسائي في البيع باب البيع يكون فيه اشتراط فيصح البيع والشرط: ٢٩٧/٧، وابن ماجه في التجارات باب في السوم: ٢٢٠٥، وأبو يعلى في المسند: ١٧٩٣، وكل هؤلاء أخرجوه عنه بطرق متعددة وكلها صحيحه والحمدلله.

لأن ابن إسحاق صرح بالتحديث ، فزالت عنه شبهة التدليس .

فوائد حديث جابر :

١ـ في الحديث جواز المساومة لمن يعرض سلعته للبيع .

٢ـ وفيه أن القبض ليس شرطاً في صحة البيع .

٣ـ وجواز التحدث بالعمل الصالح للإتيان بالقصة على وجهها لا على وجه تزكية النفس ، وإرادة الفخر .

٤ـ وفيه تفقد الإمام والكبير لأصحابه وسؤاله عما ينزل بهم ، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء .

٥ـ وفيه جواز الضرب للدابة للمسير ، وإن كانت غير مكلفة ، إذا لم تكن قادرة.

٦ـ وفيه توقير التابع لرئيسه .

٧ـ وفيه الوكالة في وفاء الدين ، والشراء بالنسيئة .

٨ـ وفيه جواز الزيادة في الثمن عند الأداء ، والرجحان في الوزن لكن برضا المالك.

٩ـ وفيه فضيلة لجابر حيث ترك حظ نفسه وامتثل أمر النبي ﷺ له ببيع جمله مع احتياجه إليه .

١٠ـ وفيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ .

المبحث الثالث عشر: عمرة القضاء
أو عمرة القضية، أو عمرة القصاص أو عمرة الصلح[1].

١ـ وقتها:

قال الحافظ في الفتح: « روى يعقوب بن سفيان في تاريخه بسند حسن عن ابن عمر قال: « كانت عمرة القضية في ذي القعدة سنة سبع »، وفي مغازي سليمان التيمي قال: « لما رجع النبي ﷺ من خيبر بث سراياه، وأقام بالمدينة حتى استهل ذو القعدة، فنادى في الناس أن تجهزوا إلى العمرة»[2].

وكذلك قال نافع: كانت في ذي القعدة سنة سبع، وقال ذلك أيضاً موسى بن عقبة: « ثم خرج رسول الله ﷺ من العام المقبل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع ». وقال ذلك ابن إسحاق وأبو الأسود عن عروة وسليمان التيمي جميعاً في مغازيهم: « إنه ﷺ خرج إلى عمرة القضاء في ذي القعدة »[3].

٢ـ مقالة قريش أن الحمى في يثرب قد أوهنت قوى المسلمين:

٥٥٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قدم رسول الله ﷺ وأصحابه، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة، وأن يمشوا ما بين الركنين ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم، وزاد ابن سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: « لما قدم النبي ﷺ لعامه الذي استأمن قال: (ارملوا ليرى المشركون قوتكم) والمشركون من قبل قعيقعان »[4].

وفي لفظ مسلم بعد قوله وأن يمشوا بين الركنين قوله (ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون: هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم. هؤلاء أجلد من كذا وكذا).

---

(١) فتح الباري: ٧/٥٠٠ سيرة ابن كثير: ٣/٤٢٨.

(٢) فتح الباري: ٧/٥٠٠، باب عمرة القضاء كتاب المغازي.

(٣) فتح الباري: ٧/٥٠٠، زاد المعاد: ٣/٣٧٠، دلائل النبوة البيهقي: ٤/٣١٣.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٦، مسلم في صحيحه الحج باب استحباب الرجل في الطواف والعمرة حديث رقم: ١٢٦٦، وأحمد في المسند: ١/٣٠٦ وأبو داود في المناسك باب في الرمل: ١٨٨٦، والنسائي في الحج باب العلة التي من أجلها سعى النبي: ٥/٢٣٠ـ ٢٣١.

٣ـ إنشاد عبدالله بن رواحة بين يدي رسول الله في اثناء الطواف:

٥٩٨ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء ، وعبدالله بن رواحة ينشد بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله   قد أنزل الرحمن في تنزيله

بأن خير القتل في سبيله   نحن قتلناكم على تأويله

كما قتلناكم على تنزيله

وقد جاء من وجه آخر بلفظ « أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبدالله بن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله   اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ ، وفي حرم الله عزَّ وجلَّ تقول الشعر ، قال النبي ﷺ: (خل عنه ، فهو أسرع فيهم من نضح النبل) [1] هذا لفظ النسائي .

٤ـ ستر النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً عليه من المشركين:

٥٩٩ـ من حديث ابن أبي أوفى رضي الله عنه قال: « لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ، ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ » [2].

---

(١) اخرجه عبدالرزاق عنه من وجهين صحيحين ، ومن طريق عبدالرزاق اخرجه ابو يعلى والطبراني ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٢٢ـ٣٢٣ ، كذا قال الحافظ في الفتح: ٧/ ٥٠١ ، ومن احد هذين الوجهين عن عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس اخرجه الترمذي في الأدب باب ما جاء في إنشاد الشعر حديث رقم: ٢٨٤٧ ، وقال: حسن صحيح غريب ، والنسائي في الحج باب إنشاد الشعر في الحرم والمشي بين يدي الإمام: ٥/ ٢٠٢ ، وابن حبان في صحيحه: ٢٠٢٠ـ٢٠٢١ ، الأدب باب هجاء أهل الشرك، موارد، وأبو يعلى برقم: ٣٤٤٠، والبيهقي: ١٠/ ٢٨٨، وأبو نعيم في الحلية: ٦/ ٢٩٢، والحديث صحيح على شرط مسلم كما قاله الحافظ في الفتح: ٧/ ٥٠٢ ، وقد جاء مرسلاً من حديث عبدالله بن أبي بكر بن حزم عند ابن هشام في السيرة: ٢/ ٣٧١ ، ومن مرسلات ابن شهاب أخرجه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٤٦ـ ١٤٧ .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٥ ، أبو داود في الحج باب أمر الصفا والمروة حديث رقم: ١٩٠٣ ، ابن ماجه في السنن المناسك باب العمرة حديث رقم: ٢٩٩٠ .

٥ـ زواجه بميمونة في رحلة عمرة القضاء:

٦٠٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « تزوج النبي ﷺ ميمونة، وهو محرم وبنى بها وهو حلال، وماتت بسرف »(١).

٦٠١ـ وقد جاء من طريق آخر بزيادة لطيفة أوضحت بعض أحداث قصة الزواج، وذلك من حديث ابن إسحاق قال حدثني أبان بن صالح وعبدالله بن أبي نجيح عن عطاء ومجاهد عن ابن عباس: « أن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك، وهو حرام، وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبدالمطلب»(٢).

٦٠٢ـ وقد جاء من حديث ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها قولها: «تزوجني رسول الله ﷺ ونحن حلالان بسرف »(٣).

انظر التوفيق بين هذين الحديثين في زاد المعاد: ٣/ ٣٧٢ـ٣٧٤، وفي نصب الراية: ٣/ ١٧٣، وفتح الباري كتاب الحج باب تزويج المحرم، وفي النكاح باب نكاح المحرم، وشرح صحيح مسلم في كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم.

٦ـ طلب المشركين من الرسول عليه الصلاة والسلام الخروج من مكة:

٦٠٣ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب كتبوا: « هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله ﷺ، قالوا: لا نقر بهذا لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً، ولكن أنت محمد بن عبدالله، فقال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبدالله، ثم قال لعلي: امح رسول الله، قال علي: لا والله لا أمحوك أبداً.

فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب ـ وليس يحسن يكتب ـ، فكتب: « هذا ما قاضى محمد بن عبدالله، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٨، مسلم في النكاح باب تحريم نكاح المحرم حديث رقم: ١٤١٠، وابو داود حديث رقم: ١٨٤٤، والترمذي: ٨٤٢، والنسائي: ٥/ ١٩١، ابن ماجه: ١٩٦٥، الدارمي: ٢/ ٣٧، ابن سعد: ٨/ ١٣٦.

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب عمرة القضاء حديث رقم: ٤٢٥٩، معلقاً، وابن هشام في السيرة: ٣/ ٣٧٢.

(٣) اخرجه مسلم في كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم حديث رقم: ١٤١١، ابو داود في الحج باب المحرم يتزوج حديث رقم: ١٨٤٣، وابن ماجه: ١٩٦٤، واحمد في المسند: ٦/ ٣٣٣، ٦/ ٣٣٥، والبيهقي: ٥/ ٦٦، والترمذي: ٨٤٥.

يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه ، وأن لا يمنع من أصحابه أحداً أن أراد أن يقيم بها » فلما دخلها ومضى الأجل أتوا علياً فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا ، فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ﷺ ...»[1] .

٦٠٤ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه: « ... فأقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً ، فأتاه حويطب بن عبدالعزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة ، فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا، فقال النبي ﷺ: (وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه) .

قالوا: لا حاجة لنا في طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله ﷺ ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسرف ، فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك ، ثم انصرف رسول ﷺ إلى المدينة في ذي الحجة »[2] .

٧ـ خروج ابنة حمزة بن عبدالمطلب خلف النبي عليه الصلاة والسلام:

٦٠٥ ـ من حديث البراء بن عازب قال: « ... فقالوا: قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الأجل ، فخرج النبي ﷺ فتبعته ابنة حمزة تنادي ، يا عم ، يا عم ، فتناولها علي فأخذها بيدها ، وقال لفاطمة عليها السلام ، دونك ابنة عمك احمليها ، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر قال علي: أنا أخذتها ، هي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي ، وخالتها تحتي ، وقال زيد: ابنة أخي فقضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال: (الخالة بمنزلة الأم) .

وقال لعلي: (أنت مني وأنا منك) .

وقال لجعفر: (أشبهت خلقي وخُلقي) .

وقال لزيد: (أنت أخونا ومولانا).

وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة ؟ قال: (إنها ابنة أخي من الرضاعة)[3].

---

(١) أخرجه البخاري في الصلح باب كيف يكتب حديث رقم: ٢٦٩٩ ، وفي المغازي باب عمرة القضاء الحديث: ٤٢٥١ ، أبو داود في السنن: ٢٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، والدارمي في سننه: ٢/ ٢٣٧ـ ٢٣٨ ، والبيهقي في السنن: ٨/ ٥ـ٦ ، والترمذي مختصراً: ٣٧٦٩ ، وأحمد: ١/ ٩٩، ١١٥، ٢٣٠ .

(٢) ابن هشام في السيرة: ٣/ ٣٧٢ ، وقد سبق مقطع منه برقم: ٦٠١ ، وقد خرج البخاري بعضه معلقاً فانظره هناك .

(٣) قد سبق جزء من هذا الحديث برقم: ٦٠٣ .

كان من هدي نبينا ﷺ أنه لا يبدأ أحداً بقتال إلا إذا بلغه الدعوة ، ودعاه إلى الله تعالى ، وقد اتبع رسول الله ﷺ هذا المنهج التزاماً بأوامر الله تعالى له ، اتبع هذا المنهج مع جميع من حاربهم من القبائل العربية ، واتبع هذا المنهج مع ملوك الأرض وأباطرتها في عصره ، فدعاهم إلى الله تعالى ، فأرسل إليهم رسله ، وبعث إليهم كتبه يدعوهم إلى الله تعالى ، ولم يستثن أحداً منهم .

٦٠٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر ، وإلى النجاشي وإلى كل جبار ، يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ »[(١)].

١- رسالته إلى هرقل ملك الروم:

٦٠٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « أن أبا سفيان أخبره من فيه إلى فيه قال: « انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ . قال: فبينما أنا بالشام ، إذ جيء بكتاب من رسول الله ﷺ إلى هرقل: يعني عظيم الروم . قال: وكان دحية الكلبي جاء به ، فدفعه إلى عظيم بصرى[(٢)]، فدفعه عظيم بصرى إلى هرقل .

فقال هرقل: هل ههنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ قالوا: نعم . قال: فدعيت في نفر من قريش ، فدخلنا على هرقل . فأجلسنا بين يديه. فقال: أيكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا. فأجلسوني بين يديه . وأجلسوا أصحابي خلفي. ثم دعا بترجمانه فقال له: قل لهم: إني سائل هذا عن الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فإن كذبني فكذبوه، قال: فقال أبو سفيان: وايم الله ! لولا مخافة أن يؤثر علي الكذب لكذبت .

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ حديث رقم: ١٧٧٤ ، الترمذي في الاستئذان باب في مكاتبة المشركين رقم: ٢٧١٦ ، وقال: حديث حسن صحيح غريب ، والنسائي في السنن الكبرى كتاب السير كما أشار إليه في تحفة الأشراف . الحافظ المزي حديث ١١٧٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٧٦/٤ .

(٢) بصرى: منطقة حوران وهي منطقة ذات قلاع وأعمال قريبة من طرف البرية التي بين الشام والحجاز ، والمراد بعظيم بصرى: أميرها ، وحوران الآن هي منطقة جنوب سورية وجزء من شمال الأردن وشمال فلسطين .

ثم قال لترجمانه: سله كيف حسبه فيكم ؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه ملك ؟ قلت: لا ، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قلت: لا . قال: ومن يتبعه: أشراف الناس [1] أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم . قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قال: قلت: لا . بل يزيدون .

قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له ؟ قال: قلت: لا . قال: فهل قاتلتموه ؟ قلت: نعم . قال: فكيف كان قتالكم إياه ؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سجالاً ، يصيب منا ، ونصيب منه . قال: فهل يغدر ؟ قلت: لا . ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: فوالله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه . قال: فهل قال هذا القول أحد قبله ؟ قال: قلت: لا .

قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها .

وسألتك: هل كان في آبائه ملك ؟ فزعمت أن لا . فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك آبائه .

وسألتك عن أتباعه ، أضعفاؤهم أم أشرافهم ؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل .

وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا ؟ فقد عرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ، ثم يذهب فيكذب على الله .

وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخله سخطة له ؟ فزعمت أن لا . وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب .

وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون ؟ فزعمت أنهم يزيدون. وكذلك الإيمان حتى يتم .

وسألتك: هل قاتلتموه ؟ فزعمت أنكم قد قاتلتموه . فتكون الحرب بينكم وبينه سجالاً . ينال منكم وتنالون منه . وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

---

(١) أشراف الناس: كبارهم وأهل الأحساب فيهم .

وسالتك: هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر . وكذلك الرسل لا تغدر .

وسالتك: هل قال هذا القول أحد قبله ؟ فزعمت أن لا . فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله . قلت رجل ائتم بقول قيل قبله .

قال: ثم قال: بم يامركم ؟ قلت: يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف .

قال: إن يكن ما تقول فيه حقاً ، فإنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولم اكن أظنه منكم . ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه وليبلغن ملكه ما تحت قدمي .

قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه ، فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام [1] ، أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين . وإن توليت فإن عليك اثم الأريسيين [2] ﴿ **ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾ [3] .

قال أبو سفيان: فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات وأخرجنا ، فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمِرَ أمرُ ابن أبي كبشه ، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

وكان ابن الناطور - صاحب إيلياء وهرقل - أسُقفاً على نصارى الشام، يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك . قال ابن الناطور: وكان هرقل حزاءً ينظر في النجوم .

---

(١) دعاية الإسلام: دعوة الإسلام وهي كلمة التوحيد .

(٢) الأريسيين: الأكارون ، أي الفلاحون والزراعون ، ومعناه أن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون بانقيادك ، ويقال إنهم اليهود والنصارى أتباع عبدالله اريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى ، ويقال: إنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها ، والقول الأول: هو الأصح والأشهر .

(٣) ٣/ آل عمران آية ٦٤ .

فقال لهم حين سألوه ، إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة ؟ قالوا: ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك ، فيقتلوا من فيهم من اليهود . فبينما هم على أمرهم أتي هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول الله ﷺ .

فلما استخبره هرقل قال: اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مختتن ، وسأله عن العرب فقال: هم يختتنون . فقال هرقل: هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم . وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأي هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي .

فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال: « يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم ، وأيس من الإيمان قال: ردوهم عليَّ . وقال: إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل »[1] .

٢- رسالة النبي إلى كسرى ملك الفرس

٦٠٨- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى ، فلما قرأه مزقه ، فحسبت ابن المسيب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق »[2] .

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب حديث أبي سفيان عند هرقل حديث رقم: ٧ ، وله أطراف في صحيح البخاري بأرقام: ٥١ ، ٢٦٨١ ، ٢٨٠٤ ، ٢٩٤١ ، ٢٩٧٨ ، ٣١٧٤ ، ٤٥٥٣ ، ٥٩٨٠ ، ٦٢٦٠ و ٧١٩٦ ، ٧٥٤١ ، وفي صحيح مسلم الجهاد والسير باب كتاب النبي إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام: ١٧٧٣ . الترمذي في سننه رقم: ٢٧١٨ ، الاستئذان ، باب ما جاء كيف يكتب لأهل الشرك، وأبو داود في الأدب: ٥١٣٦ ، باب كيف يكتب إلى الذمي ، أحمد: ٢٦٣/١ ، والبيهقي في السير: ١٧٧/٩ ، باب إظهار دين النبي ﷺ على الأديان ، وأبو نعيم في دلائل النبوة برقم: ٢٣٩ ، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٧٢٤ ، وابن مندة في الإيمان رقم: ١٤٣ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر حديث رقم:٤٤٢٤، فتح:١٢٦/٨، أحمد في المسند: ٢٤٣/١ ، ٣٠٥ .

٦٠٩ـ من مرسلات سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال: « كتب رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر ، والنجاشي كتاباً واحداً

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله ﷺ إلى كسرى وقيصر والنجاشي أما بعد:

﴿ تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا ، فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ .

فأما كسرى ، فمزق كتابه ، ولم ينظر فيه فقال رسول الله ﷺ: (مزق ومزقت أمته) [1] .

٦١٠ـ من مرسل يزيد بن حبيب رضي الله عنه قال: « وبعث رسول الله ﷺ عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه:

بسم الله الرحمن الرحيم

(من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله ، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين ، فإن تسلم ، وإن أبيت فإن إثم المجوس عليك) .

قال: فلما قرأه شقه وقال: يكتب إلي بهذا وهو عبدي » .

قال: ثم كتب كسرى إلى باذان ، وهو على اليمن ، أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين ، فليأتياني به ، فبعث باذان قهرمانه، وهو بابويه وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس ، وبعث معه رجلاً من الفرس يقال له خرخسرة ، وكتب معهما إلى رسول الله ﷺ يأمره أن ينصرف

---

(١) اخرجه أبو عبيد في الأموال رقم: ٥٩ ، صفحة ٣٢ ، وقد اتفقت كلمة العلماء على سعيد بن المسيب وأن جميع مراسيله صحيحه وأنه كان لا يرسل إلا عن ثقة من كبار التابعين أو صحابي معروف انظر أقوال العلماء في ذلك (جامع التحصيل في أحكام المراسيل ص: ٤٥ـ ٤٦ ـ ٩٩ ، وقد جاء ما يؤيده من مرسل يزيد بن أبي حبيب عند ابن جرير الطبري في تاريخه: ٢/٣/٩٠ ، قبل غزوة خيبر فالحديث بذلك حديث حسن .

معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه: ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه ، وائتني بخبره، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجالاً من قريش بجنب من أرض الطائف ، فسألاهم عنه ، فقالوا: هو بالمدينة ، واستبشروا بهما ، وفرحوا ، وقال بعضهم لبعض: ابشروا فقد نصب له كسرى ملك الملوك كفيتم الرجل !

فخرجا حتى قدما على رسول الله ﷺ ، فكلمه بابويه فقال: إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ، وقد بعثني إليك لتنطلق معي ، فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ، ويكفه عنك، وإن أبيت فهو من قد علمت ، فهو مهلكك ، ومهلك قومك، ومخرب بلادك.

ودخلا على رسول الله ﷺ ، وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما، فكره النظر إليهما ، ثم أقبل عليهما ، فقال: (ويلكما من أمركما بهذا ؟) قالا: أمرنا بهذا ربنا ؛ يعنيان كسرى ، فقال رسول الله ﷺ: (ولكن ربي أمرني بإعفاء لحيتي، وقص شاربي) ، ثم قال: (ارجعا حتى تأتياني غداً) .

قال: وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بأن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله ، في شهر كذا وكذا في ليلة كذا وكذا من الليل سلط عليه ابنه شيروه فقتله ، قال: فدعاهما فأخبرهما فقالا: هل تدري ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، فنكتب عنك بهذا ، ونخبر الملك ؟ قال: (نعم أخبراه ذلك عني وقولا له: إن ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى ، وينتهي إلى منتهى الخف والحافر ، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك ، وملكتك على قومك من الأبناء » .

ثم أعطى خرخسرة منطقة فيها ذهب وفضة كان أهداها له بعض الملوك . فخرجا من عنده حتى قدما على باذان ، فأخبراه الخبر ، فقال: والله ما هذا بكلام ملك ، وإني لأرى الرجل نبياً كما يقول ، وليكونن ما قد قال ، فلئن كان هذا حقاً فهو نبي مرسل ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا ، فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتاب شيرويه: « أما بعد فإني قد قتلت كسرى ، ولم أقتله إلا غضباً لفارس لما كان استحل من قتل أشرافهم وتجميرهم في ثغورهم ، فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة من قبلك ، وانطلق إلى الرجل الذي كان كسرى قد كتب فيه فلا تهجه حتى يأتيك أمري فيه » .

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: « إن هذا الرجل لرسول . فأسلم ، وأسلمت الأبناء من فارس من كان منهم باليمن، وقال: وقد قال بابويه لباذان: ما كلمت رجلاً قط أهيب عندي منه ، فقال له باذان: هل معه شرط ؟ قال لا)[1].

٣ـ رسالته إلى النجاشي:

٦١١ـ من حديث أنس رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى ، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ »[2].

وقد أوضح ابن القيم أن النجاشي الذي صلى عليه رسول الله ﷺ، وهو الذي آمن وأكرم أصحابه ، هو غير النجاشي الذي كتب إليه يدعوه إلى الإسلام فهما اثنان[3].

٤ـ رسالته إلى المقوقس حاكم مصر:

٦١٢ـ من مرسل عبدالرحمن بن عبد القارئ: « أن رسول الله ﷺ بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ، فمضى بكتاب رسول الله ﷺ إلى المقوقس ، فقبَّل الكتاب ، وأكرم حاطباً ، وأحسن نزله ، وسرَّحه إلى النبي ﷺ ، وأهدى له مع حاطب كسوة ، وبغلة بسرجها ، وخادمتين إحداهما أم إبراهيم ، وأما الأخرى ، فوهبها رسول الله ﷺ لجهم بن قيس العبدي ، فهي أم زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر »[4].

---

(١) اخرجه ابن جرير الطبري في تاريخه المجلد الثاني الجزء الثالث ص: ٩٠ـ٩١ ، وابن كثير في سيرته: ٣/ ٥٠٨ ـ ٥١٠ ، نقلاً عن ابن جرير ، وابن سعد في الطبقات: ١/ ٢/ ١٤٧ ، من حديث عبيد الله بن عبدالله بن مسعود مرسلاً أيضاً بإسناد صحيح ، ووصله ابن بشران في الأمالي من حديث أبي هريرة بسند واه ، وحسنه الألباني بهذين الشاهدين » بدون ذكر ابن كثير كما في تعليقه على فقه السيرة: ص: ٣٨٩ .

(٢) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٠٦ .

(٣) زاد المعاد: ٣/ ٦٩٠ .

(٤) سيرة ابن هشام: ٤/ ٢١٦ وعنه ابن كثير في سيرته: ٣/ ٥١٤، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٩٥ ، وإسناده ثقات ، قد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وله شاهد من حديث حاطب أخرجه البيهقي في الدلائل : ٤/ ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، وابن كثير: ٣/ ٥١٤ ـ ٥١٥ ، وقال الحافظ في الإصابة: ١/ ٣٠٠ ، في ترجمة حاطب رقم: ١٥٣٨ ، أخرجه ابن شاهين من طريق يحيى بن عبدالرحمن بن حاطب عن أبيه عن جده قلت: وفي سنده عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف كما في التقريب ، فيرتقي الحديث إلى درجة الحسن ، وابن سعد في الطبقات: ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ .

المبحث الخامس عشر

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وعثمان بن أبي طلحة

٦١٣- من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش ، كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون والله اني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا: وماذا رأيت ؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي، فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا ، فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير، قالوا: إن هذا الرأي ، قلت: فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم [١] فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري ، وكان رسول الله ﷺ قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه، قال: فدخل عليه، ثم خرج من عنده ، قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي، وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني أجزأت عنها [٢]، حين قتلت رسول محمد ، قال: فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال: مرحباً صديقي ، أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قال: قلت: نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال: ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه .

ثم قلت له: أيها الملك ، إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال: فغضب ، ثم مد يده ، فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه ، ثم قلت له: أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله !

قال: قلت: أيها الملك ، أكذاك هو ؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون

---

(١) الأدم: الجلد .

(٢) اجزات عنها: كفيتها .

وجنوده ، قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال: نعم ، فبسط يده، فبايعته على الإسلام، ثم خرجت إلى أصحابي، وقد حال رأيي عما كان عليه، وكتمت أصحابي إسلامي».

اجتماع عمرو وخالد على الإسلام:

« ثم خرجت عامداً إلى رسول ﷺ لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت: أين يا أبا سليمان ؟

قال: والله لقد استقام المنسم [(١)] ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله فأسلم، فحتى متى، قال: قلت: والله ما جئت إلا لأسلم . قال: فقدمنا المدينة على رسول الله ﷺ ، فتقدم خالد بن الوليد ، فأسلم ، وبايع ، ثم دنوت ، فقلت: يا رسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر.

قال: فقال رسول الله ﷺ: (يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ، قال: فبايعته ثم انصرفت) .

قال ابن إسحاق: وقد حدثني من لا أتهم أن عثمان بن طلحة بن أبي طلحة كان معهما أسلم حين أسلما) [(٢)] .

٦١٤- ومن طريق عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «.... فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك . فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: (مالك يا عمرو؟) قال: قلت: أردت أن أشترط . قال: (تشترط بماذا ؟) قلت: أن يغفر لي . قال: (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟...)» [(٣)].

---

(١) استقام المنسم: تبين الطريق ووضح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ١٩٨ - ١٩٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٥٤ ، وإحدى طرقه عند أحمد: ٤/ ٢٠٥ يحيى بن إسحاق أنا ليث بن سعد عن يزيد إسنادها صحيح على شرط مسلم رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير ابن شماسه ، وهو عبدالرحمن فهو على شرط مسلم فقط ، بل وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (الإسلام يهدم ما قبله) برقم: ١٢١ ، الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ٢١/ ١٣٤ - ١٣٦ ، رواه ابن إسحاق ، وسنده جيد ، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٣٥٠ ، ٣٥١: مناقب عمرو بن العاص: رواه أحمد والطبراني ، ورجالهما ثقات ، فالحديث بذلك صحيح .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله حديث رقم: ١٢١ ، أبو عوانة في صحيحه: ١/ ٧٠ .

المبحث الساس عشر: غزوة مؤتة

١ـ وقت الغزوة:

قال ابن إسحاق رحمه الله: « حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول الله ﷺ بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان »(١).

وقال الحافظ في الفتح: «وفي مغازي أبي الأسود عن عروة بعث رسول الله ﷺ الجيش إلى مؤتة في جمادى من سنة ثمان، وكذا قال ابن إسحاق وموسى ابن عقبة وغيرهما من أهل المغازي لا يختلفون في ذلك، إلا ما ذكر خليفة في تاريخه أنها كانت سنة سبع »(٢).

٢ـ تعيين القادة على جيش مؤتة:

٦١٥ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « أمَّر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة فقال رسول الله ﷺ: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبدالله بن رواحة، قال عبدالله: كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلى، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية »(٣).

٣ـ وداع أهل المدينة الجيش الخارج إلى مؤتة:

٦١٦ـ من حديث عروة بن الزبير « مرسلاً » قال: « بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة، وقال: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس، فإن أصيب جعفر، فعبدالله بن رواحة عى الناس.

---

(١) ابن هشام في السيرة: ٢/٣٧٣، ونقله عنه ابن كثير في سيرته: ٣/٤٥٥، زاد المعاد: ٣/٣٨١، دلائل النبوة البيهقي: ٤/٣٥٩.

(٢) فتح الباري: ٧/٥١١.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦١، وقد جاء تعيين القادة من رواية عدة من الصحابة منهم ابن عباس في المسند: ١/٢٥٦، ٣٠٤، وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ١٤/١٦، سنده لا بأس به، ومن حديث أنس كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٥٦، رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح، أبو نعيم في الحلية: ١/١١٧ ـ ١١٨، والحاكم: ٣/٢١٢ وابن سعد: ٤/١/٢٦. وسيأتي أيضاً ذكر تعيين القادة في أحاديث عدّة في أثناء الحديث عن الغزوة.

فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج ، هم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله ﷺ ، وسلموا عليهم، فلما ودع عبدالله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله ﷺ بكى ، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأه آية من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، يذكر فيها النار ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً** ﴾ [1] فلست أدري كيف لي بالصدر بعد الورود . فقال المسلمون: صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين، فقال عبدالله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ[2] تقذف الزبدا[3]

أو طعنة بيدي حران مجهزة[4] بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا[5]

حتى يقال إذا مروا على جدثي[6] أرشده الله من غاز وقد رشدا[7]

٤ـ تخلف عبدالله بن رواحة لحضور صلاة الجمعة :

٦١٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « بعث رسول الله ﷺ ابن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة ، قال فقدم أصحابه وقال: أتخلف ، فأصلي مع النبي ﷺ الجمعة ، ثم ألحقهم ، قال: فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ما منعك أن تغدو مع أصحابك ؟) قال: أردت أن أصلي معك الجمعة قال: فقال رسول الله ﷺ: (لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت غدوتهم) [8] .

---

(١) مريم: ٧١ .

(٢) ذات فرغ: يريد طعنة واسعة .

(٣) الزبد: أصله ما يعلو الماء إذا غلا ، وأراد هنا ما يعلو الدم الذي ينفجر من الطعنة .

(٤) مجهزة: سريعة القتل .

(٥) تنفذ الأحشاء: تخرقها وتصل إليها .

(٦) الجدث: القبر .

(٧) ابن هشام في السيرة: والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠ ، والطبري في التاريخ: ٣/ ١٠٧، ٢/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ، عن عروة مرسلاً ، ورجاله ثقات ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٥٧ ـ ١٥٨ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلى عروة وله شاهد من الحديث الذي بعده.

(٨) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٢٥٦ ، وفي الطبعة المرقمة تحقيق أحمد شاكر برقم: ٢٣١٧ ، وقال الشيخ الساعاتي: ١٤/ ١٦: لم أقف عليه لغير الإمام أحمد ، وسنده لا بأس به: قلت: بل أخرجه الترمذي في سننه كتاب الصلاة باب ما جاء في السفر يوم الجمعة رقم: ٥٢٧ ، وقال: حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وابن أبي شيبة في المصنف: ١٤/ ٥١٢ ، وقد أعل بأن هذا الحديث ليس مما رواه الحكم

٥ـ قتال جعفر بن أبي طالب :

٦١٨ـ من حديث يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه عباد ، قال: (حدثني أبي الذي أرضعني ، وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مؤتة قال: والله لكأني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء، ثم عقرها ، ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها ... طيبة وبارداً شرابها

والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها [1]

٦ـ قتال عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

٦١٨ـ بنفس إسناد الحديث السابق قال أحد بني مرة بن عوف: «... فلما قتل جعفر أخذ عبدالله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ثم قال:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

قد طال ما قد كنت مطمئنة ... هل أنت إلا نطفة في شنة [2]

عن مقسم عن ابن عباس قال الشيخ أحمد شاكر ورواه البيهقي في السنن: ١٨٧/٣ ، من طريق الحسن بن عياش عن الحجاج ثم قال البيهقي ورواه أيضاً حماد بن سلمة وأبو معاوية عن حجاج بن أرطاة والحجاج ينفرد به » وللحديث شاهد بإسناد جيد يدل على صحة رواية الحجاج والحكم عن مقسم ، فقد روى ابن عبدالحكم في فتوح مصر ص: ٢٩٨ من طريق ابن لهيعة عن زبان ابن فائد عن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه عن رسول الله ﷺ: أنه أمر أصحابه بالغزو وأن رجلاً تخلف وقال لأهله: أتخلف حتى أصلي مع رسول الله ... فذكر نحو الحديث السابق ، ويشهد له الحديث السابق.

(١) سيرة ابن هشام المجلد الثاني صفحة: ٣٧٨ ، من طريق ابن إسحاق ، وسنده ثقات ، فقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وأخرجه أبو داود بدون الشعر في كتاب الجهاد باب في الدابة تعرقب في الحرب رقم: ٢٥٧٣ ، وقال: هذا الحديث ليس بالقوي والطبري في التاريخ: ١٠٨/٣ـ ١٠٩، والبيهقي في الدلائل: ٣٦٣/٤، قلت: وقد حسن هذا الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح: ٥١١/٧ ، وقال: إسناده حسن وقال الهيثمي في المجمع: ١٥٩/٦ ـ ١٦٠: رواه الطبراني ، ورجاله ثقات » وصححه أحمد شاكر في تعليقه على مختصر سنن أبي داود :٣٩٧/٣، بقوله: والإسناد صحيح لا علة فيه. فالحديث بذلك حسن: ولا يضر جهالة الصحابي الذي روى الحديث .

(٢) شنة: السقاء البالي .

وقال أيضاً:

يا نفس إلا تقتلي تموتي   هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه: زيداً وجعفراً ، ثم نزل ، فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق[(١)] من لحم فقال: شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس[(٢)] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة[(٣)] في ناحية الناس فقال: وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم، فقاتل حتى قتل »[(٤)].

٧ـ تولي خالد بن الوليد الإمارة وشدة بأسه :

٦١٩ـ بنفس الإسناد السابق: « ... ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان ، فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا: أنت ، قال: ما أنا بفاعل فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس »[(٥)].

٦٢٠ـ من حديث خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: « لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»[(٦)].

٦٢١ـ ومن حديث أبي قتادة رضي الله عنه: « بعث رسول الله ﷺ جيش الأمراء وقال: عليكم زيد بن حارثة ، فإن أصيب زيد فجعفر ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة الأنصاري ، فوثب جعفر فقال: بأبي أنت يا نبي الله ما كنت

---

(١) العرق: العظم الذي عليه بعض لحم .

(٢) انتهس: أخذ منه بفمه يسيراً .

(٣) الحطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً .

(٤) سبق تخريجه في الحديث السابق: ٦١٧ .

(٥) سبق تخريجه في الحديث السابق رقم: ٦١٧، وقد جاء من مرسل ابن شهاب الزهري مثل ذلك رواه الطبراني ، ورجاله ثقات إلى ابن شهاب كذا قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٦٠ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة رقم: ٤٢٦٥ ، ٤٢٦٦ وأحمد في الفضائل: ١٤٧٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٤/ ٣٧٣ ، والطبراني في الكبير: ٣٨٠٢ ، وابن سعد: ٤/ ٢٥٣ ، ٧/ ٣٩٥ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٢ .

أرهب أن تستعمل عليَّ زيداً ، قال: امضوا فإن لا تدري أي ذلك خير ، قال: فانطلق الجيش فلبثوا ما شاء الله ثم إن رسول الله ﷺ صعد المنبر ، وأمر أن ينادي الصلاة جامعة ، فقال رسول الله ﷺ: (ناب خبر ، أو ثاب خبر[1] «شك عبدالرحمن » .

الا اخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، إنهم انطلقوا حتى لقوا العدو ، فاصيب زيد شهيداً ، فاستغفروا له)، فاستغفر له الناس ، (ثم اخذ اللواء جعفر بن أبي طالب ، فشد على القوم حتى قتل شهيداً ، اشهدوا له بالشهادة ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة ، فاثبت قدميه حتى أصيب شهيداً ، فاستغفروا له، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ولم يكن من الأمراء ، هو أمر نفسه) ، فرفع رسول الله ﷺ اصبعيه ، وقال: (اللهم هو سيف من سيوفك فانصره) ، «وقال عبدالرحمن » مرة (فانتصر به) .

فيومئذ سمي خالد سيف الله ، ثم قال النبي ﷺ: (انفروا فأمدوا إخوانكم ، ولا يتخلفن أحد)، فنفر الناس في حر شديد مشاة وركباناً)[2] .

٨ ـ لمن كان النصر في هذه المعركة:

إن سياق أصحاب المغازي والسير فيه اختلاف في وصف معركة مؤتة والحال التي كان عليها الجيش الإسلامي بين نصر أو هزيمة ، فانقسموا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قالوا: إن المسلمين قد انتصروا، وممن قال بذلك موسى بن عقبة، والواقدي ، والزهري ، ورجح هذا الرأي البيهقي ، وابن كثير في سيرته.

القسم الثاني: قالوا إن المسلمين هزموا شر هزيمة عرفوها في تاريخهم عقب

---

(١) عبدالرحمن هو ابن مهدي شيخ الإمام احمد ، يشك هل قال رسول الله ﷺ ناب خبر بالنون أو ثاب خبر بالثاء ، وسواء كان ناب أو ثاب فمعناه الرجوع أي رجع إلى خبر ، أي بلغني أما بطريق الوحي أو بطريق الكشف .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٢٩١ ـ ٣٠٠ـ ٣٠١ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٢٠٩٥ ، ٩/ ٢٤٧ ، وعند البيهقي كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن كثير في تاريخه قلت: والحديث صحيح رجاله ثقات .قلت: وقد جاء تولي خالد إمرة الجيش ايضاً من حديث انس بن مالك رضي الله عنه كما أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٢ ، والنسائي في السنن: ٤/ ٢٦ كتاب الجنائز باب النعي دون ذكر خالد بن الوليد وتوليه إمرة الجيش . ومن حديث عبدالله بن جعفر وسيأتي تخريجه عند عنوان رعاية الرسول عليه السلام لأسرة جعفر رضي الله عنه .

استشهاد القادة الثلاثة ، وممن قال بهذا القول ابن سعد في الطبقات: ٢/ ١٣٠ .

القسم الثالث: قال بأن كل فئة انحازت عن الأخرى ، وممن ذهب إلى هذه المقالة ابن إسحاق في السيرة ، وأيده على مقالته ابن القيم في زاد المعاد.

والرأي الذي أميل إليه وأرجحه هو رأي القسم الأول القائل بأن المسلمين قد انتصروا في غزوة مؤتة لوجود مرجحات لهذا القول من حديثي أنس بن مالك رضي الله عنه ، وعوف بن مالك الأشجعي سأوردهما فيما يلي:

٦٢٢ـ أما حديث أنس رضي الله عنه « أن النبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: (أخذ الراية زيداً فأصيب ، ثم أخذ جعفر فأصيب ، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب ـ وعيناه تذرفان ـ حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم) [(١)] .

وموطن الشاهد قوله عليه السلام: (حتى فتح الله عليهم) ، في هذا دلالة على أن النصر والفتح كان بجانب المسلمين حين تولى خالد بن الوليد القيادة وتسلم الراية، وقد جاءت هذه اللفظة من حديث عبدالله بن جعفر الذي سيأتي برقم: ٦٢٩ .

٦٢٣ـ وأما حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: «خرجت مع من خرج مع زيد بن حارثة من المسلمين في غزوة مؤتة ، ووافقني مددي من اليمن ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طابقة من جلده ، فأعطاه إياه فاتخذه كهيئة الدرقة ، ومضينا ، فلقينا جموع الروم ، وفيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين، وقعد له المددي خلف صخرة ، فمر به الرومي ، فعرقب فرسه فخر وعلاه فقتله ، وحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله للمسلمين بعث إليه خالد ابن الوليد فأخذ من السلب ، قال عوف: فأتيته فقلت: يا خالد أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل ؟ قال: بلى ولكني استكثرته . فقلت: لتردَّنه

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٢ ،وانظر أرقام البخاري التالية: ١٢٤٦، ٢٧٩٨، ٣٠٦٣، ٣٦٣٠، ٣٧٥٧ ، والبيهقي في الجنائز: ٤/ ٧٠ ، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٤٥٨، وأحمد في المسند: ٣/ ١١٣، ١١٧ـ ١١٨ ، والبغوي في شرح السنة: ١١/ ٣ ، رقم: ٢٦٦٧ ، والنسائي في السنن: ٤/ ٢٦ ، كتاب الجنائز باب النعي وجاء لفظ النسائي دون ذكر تولي سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم .

إليه ، ولأعرِّفنكها عند رسول الله ﷺ - فأبى أن يرد عليه .

قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله ﷺ ، فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ: (يا خالد رُدَّ عليه ما أخذت منه) قال عوف: فقلت: دونك يا خالد ألم أفِ لك ؟ فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك ؟) فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال: (يا خالد لا ترد عليه ، هل أنتم تاركوا أمرائي ؟ لكم صفوة أمرهم ، وعليهم كدره) [1] واللفظ لأحمد .

وموطن الشاهد في هذا الحديث أن جيش المسلمين قد غنم من الروم غنائم عدة كان هذا السلب من بينها ، ولا يغنم جيش من آخر إلا إذا كان منتصراً ، والله أعلم .

وقد تقدم فيما رواه البخاري أيضاً عن خالد أنه قال: اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف ، وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية) .

وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيه قتلاً ، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم ، وهذا وحده دليل مستقل على أنهم كانوا منتصرين ، والله أعلم.

حزن النبي لموت جعفر:

- من حديث عائشة قالت: « لما جاءت وفاة جعفر عرفنا في وجه النبي ﷺ وسلم الحزن » [2]

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث رقم: ١٧٥٣ ، أبو داود في الجهاد باب في الإمام يمنع القاتل السلب إن رأى وباب الفرس والسلاح من السلب حديث رقم: ٢٧١٩، ٢٧٢٠ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن رقم: ١٢٩٩ ، وانظر أرقام: ١٣٠٥ ، ٤٢٦٣ ، ومسلم في الجنائز باب التشديد في النياحة: ٢/ ٦٤٤-٦٤٥، رقم: ٩٣٥ ، والنسائي في الجنائز باب النهي عن البكاء على الميت: ٤/ ١٤-١٥ ، وأحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٨/ ١١٠-١١١، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٠-٤١ ، ٣/ ٢٠٩ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وانظر أسد الغابة: ١/ ٢٩٣ .

٩ـ منزلة القادة الشهداء :

أـ إبدال جعفر بيديه جناحين في الجنة :

٦٢٤ـ عن عامر الشعبي قال: « كان ابن عمر إذا حيا ابن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين »[١] .

٦٢٥ـ ومن حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (رأيت جعفر بن أبي طالب ملكاً في الجنة مضرجة قوادمه بالدماء يطير في الجنة)[٢] .

والرواية الثانية عن ابن عباس ، إسنادها جيد (إن جعفراً يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه) .

ب ـ زيد بن حارثة رضي الله عنه :

٦٢٦ـ من حديث بريده رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: (دخلت الجنة ، فاستقبلتني جارية شابة ، فقلت: لمن أنت ؟ قالت: أنا لزيد بن حارثة)[٣] .

فضيلة الأمراء الثلاثة مجتمعين :

٦٢٧ـ في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بينما أنا نائم إذا أتاني رجلان ، فأخذا بضبعي ، فأتيا بي جبلاً وعراً ، فقالا: اصعد ، فقلت: (لا أطيقه) . فقالا: أنا سنسهله لك . قال: فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل إذا أنا بأصوات شديدة ، فقلت: (ما هؤلاء الأصوات ؟) فقالا: عواء أهل النار ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم

---

(١) اخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب جعفر حديث رقم: ٣٧٠٩ ، وفي المغازي باب غزوة مؤتة حديث رقم: ٤٢٦٤ ، والطبراني في الكبير برقم: ١٤٧٤ ، واحمد في الفضائل برقم: ١٦٨٤ .

(٢) اخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٢٠٩ ، وله طريق اخرى عند الطبراني في الكبير برقم: ١٤٦٦، والحاكم ، وإسناده جيد ، وقال الهيثمي في الزوائد: ٩/٢٧٢ ، رواه الطبراني بإسنادين ، احدهما حسن وقال الحافظ في الفتح: ٧/٧٦ ، إسناده جيد، وله شاهد من حديث أبي هريرة عند الترمذي: ٣٧٦٧ ، المناقب باب مناقب جعفر وعند الحاكم: ٣/٢٠٩ ، وفي سنده ضعيف هو عبدالله بن جعفر المدني ، وقال الحافظ في الفتح ،والحديث أبي هريرة طريق ثانية أيضاً عند الترمذي والحاكم إسنادها قوي على شرط مسلم، فتح الباري: ٧/٧٦ ، قلت: وللحديث شواهد أخرى أوردها ابن سعد في الطبقات:٤/ ٢٥/ ٢٧، يصح بها الحديث والله اعلم .

(٣) ذكره صاحب كنز العمال بأرقام: ٣٣٢٩٩، ٣٣٣٠٢، ونسبه إلى الروياني ، والضياء في المختاره ، وابن عساكر ، وقال الذهبي: إسناده حسن ، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة برقم: ١٨٥٩ .

مشققة أشداقهم ، تسيل أشداقهم دماً ، فقلت: ما هؤلاء ؟ فقالا: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم . فقال: خابت اليهود والنصارى » قال سليم « يعني بن عامر الخبائري الراوي عن ابن أمامة»: سمعت من رسول الله ﷺ أم رأيه » .

(ثم انطلقا بي ، فإذا قوم أشد شيء انتفاخاً ، وأنتن شيء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت: (من هؤلاء ؟) قالا: هؤلاء قتلى الكفار، ثم انطلقا بي ، فإذا بقوم أشد انتفاخاً وأنتن شيء ريحاً كأن ريحهم المراحيض ، قلت: (من هؤلاء ؟) قالا: هؤلاء الزانون والزواني . ثم انطلقا بي ، فإذا بنساء ينهشن ثُديهن الحيات ، فقال: (ما بال هؤلاء ؟) قالا: هؤلاء اللاتي يمنعن أولادهن ألبانهن ، ثم انطلقا بي ، فإذا بغِلمان يلعبون بين بحرين قلت: من هؤلاء ؟ قالا: هؤلاء ذراري المؤمنين .

ثم أشرفا بي شرفاً ، فإذا بنفر ثلاثة يشربون من خمر لهم فقلت: من هؤلاء؟ قالا: هذا جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبدالله بن رواحة ، ثم أشرفا شرفاً آخر فإذا أنا بنفر ثلاثة ، فقلت: من هؤلاء ؟ قالا: هذا إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وهم ينتظرونك)[1] .

١٠ـ رعاية الرسول عليه الصلاة والسلام لآل جعفر وأمر النبي بأن يصنع لأهل الميت طعام :

٦٢٨ـ من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما قال: « لما جاء نعي جعفر قال النبي ﷺ: (اصنعوا لأهل جعفر طعاماً ، فإنه قد جاءهم ما يشغلهم)[2] .

---

(١) أخرجه الطبراني برقم: ٧٦٦٦، ٧٦٦٧، وابن خزيمة برقم: ١٩٨٦ ، والحاكم مختصراً: ١/ ٤٣٠ ، والبيهقي: ٤/ ٢١٦ ، والنسائي في الكبرى كما في التحفة: ٤/ ١٦٦ ، وابن حبان رقم: ١٨٠٠ موارد ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ١/ ٧٦ـ٧٧ رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وأخرجه أبو زرعة الرازي في كتاب دلائل النبوة بإسنادين عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر قال سمعت سليم بن عامر الخبائري يقول: أخبرني أبو أمامة الباهلي ، سمعت رسول الله ﷺ يقوله . قلت: وأحد الإسنادين رجاله ثقات ، بل وإسناده صحيح » انظر سيرة ابن كثير: ٣/ ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٢٠٥ ، الترمذي في الجنائز باب في الطعام يصنع لأهل الميت حديث رقم: ٩٩٨ ، وقال: حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الجنائز باب صنع الطعام لأهل الميت حديث رقم: ٣١٣٢ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الطعام يبعث لأهل الميت حديث رقم: ١٦١٠، البيهقي: ٤/ ٦١ ، الشافعي في مسنده: ١/ ٢٠٨ ، وفي الأم: ١/ ٢٧٤ ، والحاكم في المستدرك: ١/ ٣٧٢ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا.

٦٢٩ـ ومن حديث عبدالله بن جعفر أيضاً قال: بعث رسول الله ﷺ جيشاً استعمل عليه زيد بن حارثة وقال: (فإن قتل زيد ، فأميركم جعفر ، فإن قتل ، واستشهد ، فأميركم عبدالله بن رواحة) ، فلقوا العدو فأخذ الراية زيد ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية جعفر ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه .

وأتى خبرهم النبي ﷺ ، فخرج إلى الناس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وقال: (إن إخوانكم لقوا العدو ، وإن زيداً أخذ الراية ، فقاتل حتى قتل ، أو استشهد ، ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب ، فقاتل حتى قتل ، أو استشهد ، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة ، فقاتل حتى قتل ، واستشهد ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ، ففتح الله عليه) .

فأمهل ثم أمهل آل جعفر ثلاثاً أن يأتيهم ، ثم أتاهم فقال: (لا تبكوا على أخي بعد اليوم ، ادعوا إلي بني أخي) ، قال: فجيء بنا كأنا أفرخ ، فقال: (ادعوا إليَّ الحلاق فجيء بالحلاق ، فحلق رؤوسنا ثم قال: (أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب ، وأما عبدالله فشبيه خلقي وخُلقي) ، ثم أخذ بيدي فأشالها[1] ، فقال: (اللهم اخلف جعفراً في أهله ، وبارك لعبدالله في صفقة يمينه) . قالها ثلاث مرات ، قال: فجاءت أمنا تفرح له[2] .

فقال: (العيلة تخافين عليهم ، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة) صلى الله عليه وآله وسلم[3] .

---

(١) أشالها: رفعها .

(٢) تفرح له: أي كأنها أردات أن أباهم توفي ولا عشيرة لهم .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ١/٢٠٤ ، بإسناد صحيح على شرط مسلم ، وروى أبو داود في كتاب الترجل باب في حلق الرأس حديث رقم: ٤١٩٢ ، هو والنسائي في السنن الكبرى بعض من قوله وأمهل آل جعفر ثلاثاً وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٥٦ ، ١٥٧ : رواه أحمد ، والطبراني ، ورجالهما رجال الصحيح ، وانظر تحفة الأشراف ، حديث رقم: ٥٢١٦ ، ٤/٣٠٠ .

المبحث السابع عشر: سرية ذات السلاسل

١ـ وقتها:

كانت هذه السرية في جمادى الثانية سنة ثمان للهجرة كما قال ابن سعد والجمهور، ونقل ابن عساكر الاتفاق على أنها كانت بعد غزوة مؤتة، إلا أن ابن إسحاق قال: إنها قبلها »[1].

وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة: هي بلاد بكي وعُذرة، وبنى القين. وهذه القبائل التي ذكرها هي بطون من قضاعة كما قال الحافظ في الفتح.

٢ـ إمرة عمرو بن العاص على هذه السرية وفيها أبو بكر وعمر:

٦٣٠ـ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « بعث إليَّ رسول الله ﷺ، فقال: (خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني)، فأتيته، وهو يتوضأ، فصعَّد فيَّ النظر، ثم طأطأ، فقال: (إني أريد أن أبعثك على جيش[2] فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك من المال رغبة صالحة)، قال: قلت: يا رسول الله ما أسلمت من أجل المال، ولكني سلمت رغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ فقال: (يا عمرو نعم المال الصالح للمرء الصالح)»[3].

٦٣١ـ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « إن رسول الله ﷺ بعثه في ذات السلاسل، فسأله أصحابه أن يوقدوا ناراً فمنعهم، فكلموا أبا بكر، فكلمه في ذلك، فقال: لا يوقد أحد منهم ناراً إلا قذفته فيها، قال: فلقوا العدو فهزمهم، فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم.

---

(١) انظر فتح الباري: ٨/ ٧٤، المغازي باب غزوة ذات السلاسل، الفتح الرباني: ٢١/ ١٣٩، زاد المعاد: ٣/ ٣٨٦، وقيل: إنها سميت ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا، وقيل لأنها بها ماءً يقال له السلسل، وقال ابن سعد: إنها وراء وادي ذي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام. كذا قال.

(٢) جيش: جيش سرية ذات السلاسل.

(٣) أخرجه ابن حبان كما في الموارد: ٢٢٧٧، وأحمد في المسند: ٤/ ١٩٧، ٢٠٢، والبخاري في الأدب المفرد رقم: ٢٩٩، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٢، ٢٣٦، والقضاعي في مسند الشهاب رقم: ١٣١٥، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في الفتح: ٨/ ٧٥ تعليقاً على حديث رقم: ٤٣٥٨، رواه أحمد والبخاري في الأدب وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم، وقال الهيثمي في المجمع: ٨/ ٣٥٢، ٣٥٣: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وأبو يعلى، ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح.

فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ ، فسأله فقال: كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد ، فحمد أمره فقال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة). قلت: من الرجال: قال: (أبوها): قلت: ثم من ؟ قال: (عمر) فعد رجالاً . فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم »[1] .

٣ـ صلاته بأصحابه وهو على جنابة بعد أن تيمم:

٦٣٢ـ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: « احتلمت في ليلة باردة في غزوة ذات السلاسل ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ، ثم صليت بأصحابي الصبح ، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: (يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب ؟) فأخبرته بالذي منعني من الاغتسال، وقلت: إني سمعت الله يقول ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً)[2].

وفي لفظ آخر « عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص: « أن عَمراً كان على سرية ، فأصابهم برد شديد لم يروا مثله ، فخرج لصلاة الصبح ، فقال: احتلمت البارحة ، ولكني والله ما رأيت برداً مثل هذا ، فغسل مغابنه[3]، وتوضأ للصلاة، ثم صلى بهم ، فلما قدم على رسول الله ﷺ ، سأل رسول الله ﷺ أصحابه: (كيف وجدتم عمراً وصحابته ؟) فأثنوا عليه خيراً ، وقالوا: يا رسول الله صلى بنا وهو جنب ، فأرسل إلى عمرو فسأله: فأخبره بذلك وبالذي لقي من

---

(١) اخرجه الترمذي في المناقب باب فضل عائشة رقم: ٣٨٨٦ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٧/ ٣٦ ،رقم: ٤٥٢٣، وأخرجه مختصراً البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً رقم: ٣٦٦٢، والمغازي رقم: ٤٣٥٨، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل أبي بكر الصديق رقم: ٢٣٨٤ ، والترمذي رقم: ٣٨٨٥ ، والبيهقي: ١٠/ ٢٣٣ ، واحمد في فضائل الصحابة رقم: ١٦٣٧ ،والحاكم : ٤/ ١٢ ، واحمد في المسند: ٤/ ٢٠٣ .اخرجه ابن راهويه والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٢ـ ٤٣ ، وصححه، ووافقه الذهبي من حديث بريدة كما قال الحافظ في الفتح: ٨/ ٧٥ .

(٢) اخرجه أبو داود في الطهارة باب إذا خاف الجنب من البرد أيتيمم حديث رقم: ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، البيهقي: ١/ ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، وعلقه البخاري: ١/ ٣٨٥ ، وقواه الحافظ وصححه الحاكم: ١/ ١٧٧ ، ووافقه الذهبي ، وصححه ابن حبان: ٢٠٢ موارد وحسنه المنذري ، واخرجه الدار قطني: ١/ ١٧٩ ، واحمد في المسند: ٤/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، قلت: والحديث إسناده صحيح .

(٣) المغابن: الأرفاغ وهي بواطن الأفخاذ عند الحوالب .

البرد ، وقال: إن الله قال: ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً ﴾ [1] ولو اغتسلت مت ، فضحك رسول الله ﷺ » .

سؤاله للنبي من أحب الناس إليك:

٦٣٣ـ من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك ؟ قال: (عائشة) ، فقلت: من الرجال؟ قال: (أبوها) . قلت: ثم من ؟ قال: (ثم عمر بن الخطاب) فعد رجالاً »[2] .

---

(١) النساء: ٢٨ .

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة في فضائل أبي بكر لو كنت متخذاً خليلاً حديث رقم: ٣٦٦٢ ، وفي المغازي باب غزوة ذات السلاسل حديث رقم: ٤٣٥٨ ، مسلم في صحيحه حديث رقم: ٢٣٨٤ ، أحمد في المسند ٤/٢٠٣ ، الترمذي حديث رقم: ٣٨٨٥ .

الفصل التاسع

الأحداث من فتح مكة إلى غزوة تبوك

المبحث الأول: غزوة الفتح الأعظم

فتح مكة

١ـ سببها:

٦٣٤ـ قال محمد بن إسحاق في المغازي: حدثني الزهري عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه جميعاً قالا: « كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل » فتواثبت خزاعة ، فقالوا: نحن ندخل في عقد محمد ﷺ وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا: نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً .

ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم ، وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له: الوتير قريب من مكة، فقالت قريش: ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل وما يرانا أحد ، فأعانوهم بالكراع والسلاح ، فقاتلوهم معه للطعن على رسول الله ﷺ ، وأن عمرو بن سالم ركب إلى رسول الله ﷺ عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره الخبر وقد قال أبيات شعر ، فلما قدم على رسول الله ﷺ أنشده إياها:

يا رب إني ناشد محمداً ... حلف أبينا وأبيه الاتلدا[1]

قد كنتم ولداً وكنا والداً ... ثمت أسلمنا فلم ننزع يداً[2]

فانصر رسول الله نصراً أعتدا[3] ... وادع عباد الله يأتوا مدداً[4]

---

(١) الأتلد: القديم

(٢) وننزع يداً : لم ننقض عهدنا فنرجع عن الإسلام.

(٣) نصراً أعتدا: أي حاضراً .

فيهم رسول الله قد تجرداً | أن سيم خسفاً وجهه تربدا[1]
في فيلق[2] كالبحر يجري مزبداً | أن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا | وزعموا أن لست أدعو أحداً
فهم أذل وأقل عدداً | قد جعلوا لي بكداء مرصدا[3]
هم بيتونا بالوتير هجداً | وقتلونا ركعاً وسجدا[4]

فقال رسول الله ﷺ: (نصرت يا عمرو بن سالم)، فما برح رسول الله ﷺ مرت عنانة في السماء ، فقال رسول الله ﷺ: (إن هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب)[5].

٦٣٥- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « إن قائد خزاعة قال:

اللهم إني ناشد محمداً | حلف أبينا وأبيه الأتلدا
انصر هداك الله نصراً أعتداً | وادع عباد الله يأتوا مددا[6]

---

(٤) المدد: العون .

(١) سيم خسف: طلب منه وكلفه ، الخسف: الذل ، تربد: تغير .

(٢)ا الفيلق: الجيش .

(٣) كداء: موضع بمكة ، الرصد: الذي يترصد للأمر ويطلبه ، أو الكمين .

(٤) الوتير: اسم ماء ، هجد: جمع هاجد ويطلق على النائم او المستيقظ .

(٥) اخرجه ابن إسحاق في المغازي ، وسنده صحيح ، ورجاله ثقات صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/٥٢٩، ترجمه عمرو بن سالم رقم:٥٨٣٧ ، ابن كثير في السيرة: ٣/٥٢٦، ٥٢٧ ، البيهقي في دلائل النبوة: ٥/٥ - ٧ ،وانظر الحديث بطوله هناك فإن فيه قدوم أبي سفيان بن حرب لتجديد العقد ، وموقف الصحابة رضوان الله عليهم منه ، ودعاء النبي ﷺ بتعمية الأخبار عن قريش ، ولهذا الحديث شاهد من حديث ميمونة بنت الحارث أخرجه الطبراني في المعجم الصغير حديث رقم: ٩٦٨ ، الروض الداني إلى معجم الطبراني بإسناد ضعيف ، وفي الكبير: ٢٣/٤٣٣. وله شاهد من حديث عائشة قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٦١ ، ١٦٢ ، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام عن أبيه عن عائشة وقد وثقهما ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح وقد ضعف هذه الحادثة غير واحد لأنهم لم يطلعوا على إسنادها ، فهذا الإسناد كما أوردناه في بداية الحادثة وبذلك يزول سبب التضعيف والحمدلله .

(٦) كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨١٧ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٦٢ ، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، البيهقي دلائل النبوة: ٥/١٣، وحسنه الحافظ في الفتح: ٧/٥٢٠ ، ورواه ابن أبي شيبه عن يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلاً ، ومن طريق عكرمة مرسلاً .

٢ـ وقتها:

كانت غزوة الفتح سنة ثمان للهجرة والذي اتفق عليه أهل السير أنه خرج ﷺ في عاشر رمضان ودخل مكة لتسع عشرة ليلة خلت منه [(١)].

٦٣٦ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ، ومعه عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة ، فسار هو ومن معه من المسلمين إلى مكة ، يصوم ، ويصومون ، حتى بلغ الكديد ـ وهو ماء بين عسفان وقديد ـ أفطر وأفطروا » [(٢)].

٣ـ رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة:

٦٣٧ـ من حديث علي رضي الله عنه قال: « بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ ، فإن بها ظعينة معها كتاب ، فخذوا منها ، قال: فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة ، فإذا نحن بالظعينة ، قلنا لها: أخرجي الكتاب ، قالت: ما معي كتاب ، فقلنا: لتخرجن الكتاب ، أو لنلقين الثياب ، قال: فأخرجته من عقاصها .

فأتينا به رسول الله ﷺ ، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة ـ إلى ناس بمكة من المشركين ـ يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: (يا حاطب ما هذا ؟) قال: يا رسول الله ، لا تعجل علي ، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش ـ يقول: كنت حليفاً ـ ولم أكن من أنفسها ، وكان من معك من المهاجرين من لهم بها قرابات يحمون أهليهم وأموالهم ، فأحببت إذ فاتني ذلك من

---

(١) فتح الباري: ٤/ ١٨١،قلت: ومما يؤيد أن خروج النبي كان لعشر خلون من رمضان سنة ثمان للهجرة قوة ، ما جاء عن ابن عباس أيضاً قال: « ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج لعشر مضين من رمضان ... »فذكر الحديث ، أورده ابن إسحاق في المغازي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٦٤ ، رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فالحديث صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي: باب غزوة الفتح من رمضان حديث رقم: ٤٢٧٦ ، وانظر أرقام: ١٩٤٨، ١٩٤٤ ، ٤٢٧٩ ،مسلم في الصيام باب جواز الصوم والفطر في رمضان للمسافر في غير رخصة حديث رقم: ١١١٣ ، الموطأ: ١/ ٢٩٤ ، النسائي في الصيام باب الرخصة للمسافر أن يصوم بعضاً ويفطر بعضاً: ١٨٩/٤ ، وأحمد في المسند: ٢٥٩/١ ، ٢٩١ ، ٣٢٥ ، أبو داود في الصوم: ٢٤٠٤ ، باب الصوم في السفر ، والبيهقي في الصيام: ٢٤٣/٤ ، باب الرخصة في الصوم ، والطحاوي في الصيام: ٢/ ٦٤ ، ٦٥ ، باب الصيام في السفر ، وصححه ابن خزيمة: ٢٠٣٦ ، وابن حبان برقم: ٣٥٦٠ ، الدارمي : ٢/ ٩ ،الصيام باب الصوم في السفر ، عبدالرزاق في الصيام: ٧٧٦٢ ، باب السفر في شهر رمضان ، الحميدي رقم: ٥١٤ ، الطيالسي في الصوم: ١/ ١٩٠ برقم: ٩١٥ .

النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون قرابتي ، ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام .

فقال رسول الله ﷺ: (أما إنه قد صدقك) . فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق . فقال: (إنه قد شهد بدراً ، وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدراً قال: اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم) ، فأنزل الله السورة: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ إلى قوله: ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ [1] [2] .

٤ـ كتمان الرسول وجهته عن أصحابه:

٦٣٨ـ قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة: « أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تغربل حنطة ، فقال: ما هذا ؟ أمركم رسول الله ﷺ بالجهاز ؟ قالت: نعم فتجهز ، قال: وإلى أين؟ قالت: ما سمى لنا شيئاً غير أنه قد أمرنا بالجهاز » [3] .

٥ـ تأمير أبو رهم الغفاري على المدينة:

٦٣٩ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، واستخلف على المدينة أبارهم كلثوم بن الحصين بن عتبة بن خلف الغفاري، وخرج لعشر مضين من رمضان فصام رسول الله وصام الناس معه حتى إذا كانوا بالكديد بين عسفان وأمج أفطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين » [4] .

---

(١) سورة الممتحنة: ١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً رقم: ٣٩٨٣ ، وفي باب غزوة الفتح رقم: ٤٢٧٤ ، والبخاري في الجهاد رقم: ٣٠٠٧ ، ومسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر حديث رقم: ٢٤٩٤ ، أبو داود في الجهاد باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً: ٢٦٥٠ ، ٢٦٥١ ، الترمذي في التفسير باب ومن سورة الممتحنة حديث: ٣٣٠٥ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٠٢٢٧ ، والطبري في تفسيره: ٥٨/٢٨ ، أحمد في المسند: ٨٠/١ ، والحميدي رقم: ٤٩ من طرق عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار ، وقد جاء من حديث جابر عند أحمد بإسناد على شرط مسلم مختصراً انظر الفتح الرباني: ١٤٨/٢١ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات ، وقد صرح بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه، ابن كثير في السيرة النبوية: ٥٣٥/٣ ، وقد جاء من طريق أخرى عن عائشة وقال الهيثمي: ١٦١/٦ ـ ١٦٢ ، رواه أبو يعلى عن حزام بن هشام بن حبيش عنها ، وقد وثقهما ابن حبان ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد من حديث ميمونة عند الطبراني في الصغير: ٩٦٨ ، بإسناد ضعيف .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ١٦٤/٦: في الصحيح طرف منه في الصيام ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحاق وصرح بالسماع ، سيرة ابن هشام: ٣٩٩/٢ ـ ٤٠٠ .

٦ـ قصة اسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية:

٦٤٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « مضى رسول الله ﷺ وأصحابه عام الفتح حتى نزل مر الظهران ، في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم وألّفت مزينة ، وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد .

وقد عميت الأخبار على قريش فلا يأتيهم خبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يدرون ما هو صانع ، وكان أبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ ثنية العقاب فيما بين مكة والمدينة ، فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فقالت: يا رسول الله ابن عمك ، وابن عمتك ، وصهرك ، فقال: (لا حاجة لي فيهما أما ابن عمي ، فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري ، فهو الذي قال لي بمكة ما قال) .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له فقال: والله ليأذنن رسول الله ﷺ ، أو لآخذن بيد ابني هذا ، ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رق لهما ، فدخلا عليه ، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى فيه فقال:

لعمرك إني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوان الحق أهدي وأهتدي
فقل لثقيف لا أريد قتالكم	وقل لثقيف تلك عندي فأوعدي
هداني هاد غير نفسي ودلني	إلى الله من طردت كل مطرد
أفر سريعاً جاهداً عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب لمحمد
هم عصبة من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلاقط	مع القوم مالم أهد في كل مقعد
فما كنت في الجيش الذي نال عامراً	ولا كلَّ عن خير لساني ولا يدي
قبائل جاءت من بلاد بعيدة	توابع جاءت من سهام وسردد
وإن الذي أخرجتم وشتمتم	سيسعى لكم سعي امرء غير مقعد

قال فلما أنشد رسولِ الله ﷺ إلى الله من طردت كل مطرد ، ضرب رسول الله ﷺ في صدره ، فقال: (أنت طردتني كل مطرد) »[1] .

٧- نزول النبي صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وإيقاد النيران الكثيرة:

٦٤١- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعدما ذكر قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أمية بن المغيرة ...« ... فلما نزل رسول الله بمر الظهران قال العباس: واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش آخر الدهر .

قال: فجلست على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء ، فخرجت عليها حتى جئت الأراك ، فقلت: لعلي ألقى بعض الحطابة أو صاحب لبن ، أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة ، قال: فوالله إني لأسير عليها ، والتمس ما خرجت له إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل به ورقاء، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول: ما رأيت كاليوم قط نيراناً ولا عسكراً ، قال: يقول بديل: هذه والله نيران خزاعة قد حمشها الحرب فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها »[2] .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/٤٣-٤٤ ، هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقد جاءت قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أمية بن أبي المغيرة من رواية أخرى عن ابن عباس دون ذكر الشعر رواها الطبراني ، ورجالها رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/١٦٤- ١٦٧ ، في حديث طويل ذكر في سياقه قصة أسر أبي سفيان بن حرب وإسلامه وإعطائه الأمان من الرسول عليه السلام ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/٢٧-٢٨، والإسناد صحيح صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وسيأتي لفظ ذلك كله في مكانه .

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/١٦٤- ١٦٧ ، وانظر المطالب العالية حديث رقم: ٤٣٦٢ حيث قال: أخرجه إسحاق بن راهويه ، وقال ابن حجر: هذا حديث صحيح . وأخرج البخاري من مرسل عروة في المغازي باب ابن ركز النبي الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨٠ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/١٣٤-١٣٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/٣٣-٣٥ ، وفيه مراجعه أبو سفيان لبديل بن ورقاء في كثرة النيران والقبض على أبي سفيان وورود الكتائب عليه ... سيرة ابن هشام: ٢/٣٩٩ - ٤٠٥ .

٨ـ إسلام أبي سفيان ، وإعطاؤه الأمان:

٦٤٢ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وهو جزء من الحديث السابق وتكملة له قال: « ... فقال أبو سفيان: خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فقلت: يا أبا حنظلة ، تعرف صوتي ؟ فقال: أبو الفضل ؟ قلت: نعم ، قال: مالك فداك أبي وأمي ؟ فقلت: هذا والله رسول الله في الناس، واصباح قريش ! قال: فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال: قلت: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب عجز هذه البغلة ، فركب ، ورجع صاحباه، فخرجت به فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ، فقالوا: ما هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه قالوا: هذه بغلة رسول الله ﷺ عليها عمه ، حتى مررنا بنار عمر بن الخطاب فقال: من هذا ؟ وقام إلي فلما رآه على عجز البغلة عرفه ، فقال: والله عدو الله ، الحمدلله الذي أمكن منك ، فخرج يشتد نحو رسول الله ﷺ ودخل ، ورفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عمر.

فقال: هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه ، في غير عهد ولا عقد ، فدعني أضرب عنقه ، فقلت: قد أجرته يا رسول الله ، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه ، فقلت: والله لا يناجيه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر ، قلت: مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا ، ولكنه من بني عبدمناف ، فقال: مهلاً يا عباس ، لا تقل هذا ، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب أبي لو أسلم ، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله ﷺ: (يا عباس اذهب به إلى رحلك ، فإذا أصبحت فاتنا به) .

فذهبت به إلى الرحل ، فلما أصبحت غدوت به ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى شيئاً بعد، فقال: (ويحك يا أبا سفيان: ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟) فقال: بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، أما هذا فكان في النفس منها حتى الآن شيء .

قال العباس: فقلت: ويلك أسلم ، واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك ، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، قال العباس: فقلت: يا رسول الله ! إن أبا سفيان يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال: نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن اغلق بابه فهو آمن).

فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم ، قال رسول الله ﷺ: (احبسه بمضيق من الوادي عند حطم الخيل [1] ، حتى تمر به جنود الله) .

فحبسه العباس حيث أمره رسول الله ﷺ ، فمرت القبائل على ركابها ، فكلما مرت قبيلة ، قال: من هذه ؟ فأقول: بنو سليم ، فيقول: ما لي ولبني سليم ، ثم تمر أخرى فيقول: ما هؤلاء ؟ فأقول: مزينة ، فيقول: ما لي ولمزينة ، فلم يزل يقول ذلك حتى مرت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء [2] ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم إلا الحدق [3] ، قال: من هؤلاء ؟ فقلت: هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ، فقال: ما لأحد بهؤلاء قبل [4] ، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم ، فقلت: ويحك يا أبا سفيان ، إنها النبوة ، قال: فنعم إذا ، فقلت: النجاء إلى قومك .

فخرج حتى أتاهم بمكة ، فجعل يصيح بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد ، قد أتاكم بما لا قبل لكم به ، فقامت امرأته هند بنت عتبة ، وأخذت بشاربه فقالت: اقتلوه الحميث [5] الدسم [6] فبئس طليعة قوم ، فقال أبو سفيان: لا يغرنكم هذه من أنفسكم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن . فقالوا: ويحك ما تغني عنا دارك . قال: ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد » [7] .

---

(١) حطم الخيل: أي ازدحامها وفي رواية خطم الجبل: أي أنفه .

(٢) الكتيبة الخضراء: ما غلب عليها لبس الحديد، شبه سواده بالخضره ، والعرب تطلق الخضرة على السواد.

(٣) الحدق: العيون.

(٤) قبل: طاقة ومقدرة .

(٥) الحميت: الزق .

(٦) الدسم الحمش: الأسود الدني .

(٧) انظر تخريجه في الحديث السابق فإنه جزء منه .

٩ـ لباس النبي عليه السلام أثناء دخوله مكة:

٦٤٣ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام »[١].

٦٤٤ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح ، وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة فقال: (اقتله)، قال مالك: ولم يكن النبي ﷺ فيما نرى والله أعلم يومئذ محرماً »[٢].

٦٤٤ـ أـ وقد جاء أيضاً من حديث عمرو بن حريث « أن النبي ﷺ كان يوم فتح مكة يلبس عمامة حرقانية سوداء »[٣].

١٠ـ مقولة سعد بن عبادة وأخذ الراية منه:

٦٤٥ـ من مرسل عروة بن الزبير قال: « ... فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند خطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين ، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ: تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان ، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه ؟ فقال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار ، ثم مرت جهينة ، قال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك ، ومرت سليم ، فقال مثل ذلك ، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها ، قال: من هذه ؟ قال: هؤلاء الأنصار

---

(١) أخرجه مسلم في الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام حديث: ١٣٥٨ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الألوية حديث: ١٦٧٩ ، ورقم: ١٧٣٥ ، اللباس باب ما جاء في العمامة السوداء ، أبو داود: ٤٠٧٦ ، اللباس باب في العمائم ، والنسائي: ٥/٢٠١ ، الحج باب دخول مكة بغير إحرام: ٨/٢١١ ، اللباس والزينة باب لبس العمائم السود ، ابن ماجه: ٢٨٢٢ ، الجهاد باب لبس العمائم في الحرب ، أحمد في المسند: ٣/٣٦٣ ، ٣٨٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز الراية حديث رقم: ٤٢٨٦ ، مسلم في الحج باب جواز دخول مكة بغير إحرام: ١٣٥٧ ، أبو داود في الجهاد باب الأسير يقتل ولا يعرض عليه الإسلام: ٢٦٨٥، الترمذي الجهاد باب ما جاء في المغفر : ١٦٩٣ ، النسائي في الحج باب دخول مكة بغير إحرام: ٥/٢٠١ ، ابن ماجه في الجهاد باب السلاح حديث رقم: ٢٨٠٥ ، الدارمي: ٢/٢٢١ .

(٣) أخرجه مسلم: ١٣٥٩ الحج باب دخول مكة بغير إحرام ، أبو داود: ٤٠٧٧ ، اللباس باب العمائم ، النسائي: ٨/٢١١ الزينة ، ابن ماجه حديث رقم: ١١٠٤ ، ٢٨٢١ ، أحمد: ٤/٣٠٧ .

عليهم سعد بن عبادة معه الراية ، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: با عباس، حبذا يوم الذمار .

ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب ، فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه ، وراية النبي ﷺ مع الزبير بن العوام ، فلما مر رسول ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة ؟ قال: (ما قال ؟) قال: قال كذا وكذا ، فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ، ويوم تكسى فيه الكعبة) (١).

٦٤٦ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « كان قيس « يعني ابن سعد بن عبادة » في مقدمة النبي ﷺ لما قدم مكة ، فكلم سعد النبي ﷺ أن يصرفه عن الموضع الذي فيه مخافة أن يقدم على شيء فصرفه عن ذلك » (٢).

« والمذكور أن الرسول عليه السلام أخذ الراية من سعد بن عبادة وأمر علياً بنزعها منه ، ثم ردها من علي بن أبي طالب إلى قيس بن سعد بن عبادة خشية تغير خاطر سعد ، فأمر بدفعها لابنه ، ثم إن سعد بن عبادة خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي ﷺ ، فسأل النبي ﷺ أن يأخذها منه ، فحينئذ أخذها الزبير » كذا قال الحافظ في الفتح في الجمع بين أقوال اختلفت فيمن كان يحمل الراية بعد سعد بن عبادة » (٣).

١١ـ قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم سورة الفتح يوم فتح مكة:

٦٤٧ـ من حديث عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته ، وهو يقرأ سورة الفتح ، وقال: لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع » (٤).

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨٠ ، وله شاهد من حديث ابن عباس الذي أوردناه سابقاً وفيه ذكر مرور الكتائب إلا قول سعد رقم: ٦٤١ ، وجاء كذلك من مرسل ابن شهاب الزهري شبيهاً بقول عروة .

(٢) أخرجه البزار في كشف الأستار حديث رقم: ١٨١٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٧٥ ، رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح ، وقال الحافظ في الفتح: ٨/ ٩: إسناده على شرط البخاري .

(٣) الحافظ في فتح الباري: ٨/ ٩ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح حديث رقم: ٤٢٨١ ، مسلم في صلاة المسافرين باب قراءة النبي سورة الفتح يوم فتح مكة حديث رقم: ٧٩٤ ، أبو داود في الصلاة حديث رقم: ١٤٧٦ ، الترمذي في الشمائل حديث رقم: ٣١٢ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٩٦٦٦ .

١٢ـ محاولات يائسة للتصدي لجيش المسلمين:

٦٤٨ـ من حديث عبدالله بن رباح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « وفدت وفود إلى معاوية: وذلك في رمضان ، فكان يصنع بعضنا لبعض الطعام ، فكان أبو هريرة مما يكثر أن يدعونا إلى رحله ، فقلت: ألا أصنع طعاماً فأدعوهم إلى رحلي ؟ فأمرت بطعام يصنع ، ثم لقيت أبا هريرة من العشي ، فقلت: الدعوة عندي الليلة . فقال: سبقتني . قلت: نعم . فدعوتهم .

فقال أبو هريرة: ألا أعلمكم بحديث من حديثكم ؟ يا معشر الأنصار ! ثم ذكر فتح مكة فقال: أقبل رسول الله ﷺ حتى قدم مكة ، فبعث الزبير على إحدى المجنبتين [(١)] ، وبعث خالد على المجنبة الأخرى ، وبعث أبا عبيدة على الحسَّر [(٢)] ، فأخذوا بطن الوادي [(٣)] . ورسول الله في كتيبة . قال: فنظر فرآني فقال: (أبو هريرة)، قلت: لبيك يا رسول الله ، قال: فقال: (اهتف لي بالأنصار) [(٤)] ولا يأتيني إلا أنصاري)، قال: فأطافوا به [(٥)] ، ووبشت قريش أوباشاً لها [(٦)] وأتباعاً، فقالوا: نقدم هؤلاء. فإن كان لهم شيء كنا معهم ، وإن أصيبوا أعطينا الذي سئلنا ، فقال رسول الله ﷺ :(ترون إلى أوباش قريش وأتباعهم) ثم قال بيديه إحداهما على الأخرى [(٧)] : (حصداً حتى توافوني بالصفا) قال: فانطلقنا . فما شاء أحد منا أن يقتل أحداً إلا قتله ، وما أحد منهم يوجه إلينا بشيء قال: فجاء أبو سفيان فقال يا رسول الله: أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم . قال: فقال رسول الله ﷺ (من أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن) قال: فغلق الناس أبوابهم » [(٨)] .

---

(١) المجنبتين: الميمنة والميسرة ، والقلب يكون بينهما .

(٢) الحسر: الذين لا دروع لهم .

(٣) أخذوا بطن الوادي: جعلوا طريقهم في بطن الوادي .

(٤) اهتف لي بالأنصار: صح بهم وادعهم لي .

(٥) أطافوا به: أحاطوا به .

(٦) وبشت قريش أوباشاً لها: جمعت جموعاً من قبائل شتى .

(٧) قال بيديه: أشار إلى هيئتهم المجتمعة .

(٨) أخرجه مسلم في الجهاد باب فتح مكة حديث رقم: ١٧٨٠ ، أبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب خبر مكة حديث رقم: ٣٠٢٤ مختصراً ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٣٥٦١ ، وأحمد في المسند: ٥٣٨/٢ ، وما بين القوسين فالزيادات من رواية أحمد في المسند: ٥٣٨/٢ ، وابن أبي شيبه رقم: ١٨٧٤٥ وأبو عوانه: ٢١٧/٤ ، ٢٢٩ ، أحمد في فضائل الصحابة رقم: ١٤٢٥ .

١٣ـ مدخل الرسول عليه الصلاة و السلام مكة يوم الفتح :

٦٤٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: (أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كداء التي بأعلى مكة) [١] .

وفعل رسول الله ﷺ هذا ، ودخوله من هذا المكان إنما كان تحقيقاً لقول صاحبه الشاعر المبدع حسان بن ثابت حين هجا قريش ، وأخبرهم بأن خيل الله تعالى ستدخل من كداء ، أذكر بعض الأبيات التي قالها والتي ذكرها الإمام مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها: « قال حسان:

هَجَوتَ مُحَمداً فأجبتُ عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
هَجَوتَ مُحمداً براً تقياً ... رسول الله شيمته الوفاء
فإن أبي ووالده وعرضي[٢] ... لعرض محمد منكم وقاء[٣]
ثكلت بنيتي[٤] إن لم تروها ... تثير النقع[٥] من كتفي كداء[٦]
يبارين الأعنة[٧] مصعدات[٨] ... على أكتافها الأسل الظماء[٩]
تظل جيادنا متمطرات[١٠] ... تلطمهن بالخمر النساء[١١]
فإن أعرضتموا عنا اعتمرنا[١٢] ... وكان الفتح وانكشف الغطاء»[١٣]

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة حديث رقم: ٤٢٩٠ ، وأخرجه مسلم في الحج باب استحباب دخول مكة من الثنية العليا حديث رقم: ١٢٥٨ ، وأحمد في المسند ،الفتح الرباني: ٢١/ ١٥٠ .

(٢) عرض الرجل: أموره كلها التي يحمد بها ويذم .

(٣) وقاء: ما وقيت به الشيء حميته .

(٤) ثكلت بنيتي: الثكل ، فقد الولد .

(٥) تثير النقع: ترفع الغبار وتهيجه .

(٦) كتفي كداء: جانبي كداء ، وكداء ثنية على باب مكة .

(٧) يبارين الأعنة: يجذبن الأعنة كناية عن قوة نفوسها .

(٨) مصعدات: مقبلات إليكم ومتوجهات .

(٩)الأسل الظماء: الأسل: الرماح ، الظماء: الرقاق .

(١٠) تظل جيادنا متمطرات: تظل خيولنا مسرعات يسبق بعضها بعضاً .

(١١) تلطمهن بالخمر النساء: يضربن الخيل بخمرهن .

(١٢) اعتمرنا: أدينا العمرة .

(١٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت حديث رقم: ٢٤٩٠ .

ومما يؤيد ما ذكرت ما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لما دخل رسول الله ﷺ عام الفتح رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر، فتبسم إلى أبي بكر فقال: (يا أبا بكر كيف قال حسان)، فأنشده قوله:

عدمت بنيتي إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأسنة مسرجات ... يلطمهن بالخمر النساء

فقال: أدخلوها من حيث قال حسان »[1].

١٤- أين ركزت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح:

ركزت راية النبي ﷺ يوم الفتح بالحجون كما جاء في مرسل عروة بن الزبير الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه[2].

١٥- إهدار دم بعض المشركين يوم الفتح:

٦٥٠- من حديث أنس رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر ، فلما وضعه عن رأسه قيل: هذا ابن خطل متعلق بأستار الكعبة قال: (اقتلوه)»[3].

٦٥١- من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ وسلم يوم فتح مكة: (الناس آمنون غير عبدالعزى بن خطل)[4].

٦٥٢- من حديث مصعب بن سعد عن ابن سعد بن أبي وقاص قال: « لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس الا أربعة نفر وامرأتين ، وقال: (اقتلوهم ، وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة ، عكرمة بن أبي جهل ، وعبدالله بن خطل ، ومقيس بن صبابة ، وعبدالله بن سعد بن أبي السرح) .

فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث ، وعمار بن ياسر ، فسبق سعيد عماراً ، وكان أشب الرجلين ، فقتله ،

---

(١) أخرجه البيهقي بإسناد حسن كما قال الحافظ في فتح البلري: ٨/ ١٠ ، انظر دلائل البيهقي: ٥/ ٦٦ .

(٢) سبق تخريجه: ٦٤١ ، ٦٤٥ .

(٣) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٤٤ .

(٤) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٤٢٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٦/ ١٧٥ ، رواه أحمد ، والطبراني ، ورجال أحمد ثقات .

وأما مقيس بن صبابة ، فأدركه الناس في السوق فقتلوه . وأما عكرمة ، فركب البحر، فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا . فقال عكرمة: والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده، فلأجدنه عفواً كريماً فجاء فأسلم . وأما عبدالله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان فلما دعا رسول الله ﷺ إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ قال: يا رسول الله بايع عبدالله قال: فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته ، فيقتله) ، فقالوا: وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك هلا أومأت إلينا بعينك ، قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين) [(١)].

٦٥٣ـ من حديث أم هانئ رضي الله عنها قال: « ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح فوجدته يغتسل، وفاطمة ابنته تستره ، قالت: فسلمت عليه فقال: (من هذه ؟) فقلت: أنا أم هانئ ، بنت أبي طالب ، فقال: (مرحباً بأم هانئ). فلما فرغ من غسله قام فصلى ثماني ركعات ملتحفاً في ثوب واحد، فلما انصرف قلت: يا رسول الله زعم ابن أمي علي أنه قاتل رجلاً قد أجرته فلان بن هبيرة . فقال رسول الله ﷺ: (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) قالت: أم هانئ وذاك ضحى) [(٢)] .

---

(١) اخرجه النسائي في تحريم الدم باب حكم المرتد: ٧/ ١٠٥ـ ١٠٦ ، أبو داود في الجهاد باب قتل الأسير، ولا يعرض عليه الإسلام حديث رقم: ٢٦٨٣ ، وفي الحدود باب حكم من ارتد: ٤٣٥٩ ، البيهقي في السنن: ٧/ ٤٠ ، البزار: ١٨٢١ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ٤٥ ، وصححه ووافقه الذهبي ، وأبو يعلى في المسند:٧٥٧، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣/ ٣٣٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد :٦/ ١٦٨، ١٦٩ ، رواه أبو داود وغيره باختصار ، ورواه أبو يعلى والبزار ورجالهما ثقات ، قلت: ورجاله رجال الصحيح وقد جاء من حديث سعيد بن يربوع المخزومي شبيهاً بهذا اللفظ اخرجه أبو داود في الجهاد باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ، رقم: ٢٦٨٤ ، وقال الهيثمي في المجمع : ٦/ ١٧٣ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات .

(٢) اخرجه البخاري في الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد حديث رقم: ٣٥٧ ، في الجزية والموادعة باب أمان النساء: ٣١٧١ ، مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الضحى حديث: ٣٣٦ ، أبو داود في الجهاد باب أمان المرأة: ٢٧٦٣ ، الترمذي السير باب ما جاء في أمان المرأة والعبد: ١٥٧٩ ، وقال حسن صحيح ، ابن ماجه في الطهارة باب المنديل بعد الوضوء: ٤٦٥ ، مالك في الموطأ: ١/ ١٥٢ ، قصر الصلاة باب صلاة الضحى ، الدارمي: ٢/ ٢٣٤ـ ٢٣٥ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٨٠١٨ ، قلت: وعند ابن إسحاق أنهما رجلان من أحمائها أجارتهم فأجارهم عليه السلام (سيرة ابن هشام: ٢/ ٤١١ .

١٦- أذن الله لرسوله بالقتال في مكة ساعة من نهار:

٦٥٤- عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد وهو يبعث البعوث إلى مكة: « ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً ، قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ، سمعته أذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرته عيناي حين تكلم به: إنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال: (إن مكة حرمها الله، ولم يحرمها الناس ، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ، ولا يعضد بها شجراً ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسول الله ولم يأذن لكم، وإنما أذن له فيه ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب) . فقيل لأبي شريح ، ماذا قال لك عمرو ؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، ان الحرم لا يعيذ عاصياً [١] ، ولا فاراً بدم [٢] ، ولا فاراً بِخَرْبَةٍ [٣] » [٤] .

١٧- إزالة الأصنام من حول الكعبة:

٦٥٥- من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿ **جاء الحق ، وزهق الباطل ، جاء الحق ، وما يبدي الباطل وما يعيد**﴾» [٥] .

٦٥٦- من حديث أبي هريرة الذي سبق جزء منه « ... قال: فغلق الناس

(١) لا يعذ عاصياً: لا يجيره ولا يعلمه .

(٢) ولا فاراً بدم: من التجأ إليه هارباً من سبب من الأسباب الموجبة للقتل .

(٣) ولا فاراً بخربة: اللص المفسد في الأرض .

(٤) اخرجه البخاري في المغازي باب حدثني محمد بن بشار حديث رقم: ٤٢٩٥ ، مسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها الحديث ١٣٥٤ ، والترمذي: ٨٠٩ ، الحج باب ما جاء في حرمة مكة ، والنسائي: ٢٠٤/٥ - ٢٠٥ - ٢٠٦ ، الحج باب تحريم القتال فيه ، أحمد في المسند: ٣١/٤، ٣٢ ، وقد جاء شبيهاً بحديث أبي شريح حديث ابن عباس عند مسلم: ١٣٥٣ ، النسائي: ٢٠٣/٥ ، ومن حديث أبي هريرة عند مسلم: ١٣٥٥ .

(٥) اخرجه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح: ٤٢٨٧ ، مسلم في الجهاد باب إزالة الأصنام من حول الكعبة: ١٧٨١ ، الترمذي كتاب التفسير ومن سورة بني إسرائيل: ٣١٣٨ ، وابن حبان: ١٧٠٢ ، مسند الحميدي: ٤٦/١ ، الحديث: ٨٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ١٨٧٥٢ ، وقد جاء مثله من حديث ابن عباس عند البزار رقم: ١٨٢٥ وقال الهيثمي: ١٧٦/٦ ، رواه الطبراني ورجاله ثقات ورواه البزار باختصار .

أبوابهم قال: فأقبل رسول الله ﷺ إلى الحجر، فاستلمه ، ثم طاف بالبيت قال: وفي يده قوس أخذ بسية[1] القوس قال: فأتى في طوافة على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال: فجعل يطعن بها في عينه ويقول: (جاء الحق ، وزهق الباطل) ، قال: ثم أتى الصفا فعلاه حيث ينظر إلى البيت فرفع يديه فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ويدعوه »[2] .

٦٥٧ـ من حديث جابر رضي الله عنه قال: « دخلنا مع النبي ﷺ مكة في البيت ، وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً تعبد من دون الله ، قال: فأمر بها رسول الله ﷺ فكبت كلها لوجوهها ، ثم قال: ﴿ **جاء الحق ، وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً** ﴾[3] ثم دخل رسول الله ﷺ البيت فصلى ركعتين ، فرأى فيه تمثال إبراهيم وإسماعيل وإسحق وقد جعلوا في يد إبراهيم الأزلام يستقسم بها ، فقال رسول الله ﷺ: (قاتلهم الله ، ما كان إبراهيم يستقسم بالأزلام) ، ثم دعا رسول الله ﷺ بزعفران فلطخه بتلك التماثيل »[4] .

١٨ـ مقولة الأنصار أن النبي صلى الله عليه وسلم أدركته رأفة بقومه:

٦٥٨ـ من حديث أبي هريرة الذي سبقت أجزاء منه « ... قال ثم أتى الصفا، فعلاه حيث ينظر إلى البيت ، فرفع يديه ، فجعل يذكر الله بما شاء أن يذكره ، ويدعوه ، قال: والأنصار تحته ، قال يقول بعضهم لبعض أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته .

قال أبو هريرة: وجاء الوحي ، وكان إذا جاء لم يخف علينا فليس أحد من الناس يرفع طرفه إلى رسول الله ﷺ حتى يقضي قال: فلما قضي الوحي رفع رأسه ثم قال: (يا معشر الأنصار قلتم أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ، ورأفة بعشيرته ؟) قالوا: قلنا ذلك يا رسول الله ، قال: (فما اسمي إذاً ؟ كلا ، إني عبدالله ورسوله هاجرت إلى الله وإليكم ، فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم) ،

---

(١) بسية القوس: طرفها المنحني .

(٢) سبق تخريجه حديث: ٦٤٨ .

(٣) آية: ٨١ سورة الإسراء .

(٤) أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف حديث رقم: ١٨٧٥١ ، وحسنه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية حديث رقم: ٤٣٦٤ ، وحسنه البوصيري أيضاً ، وقد جاء قريباً من هذا اللفظ من حديث ابن عباس عند البخاري حديث رقم: ٣٣٥٢ ، وأبو داود: ٢٠٢٧ .

قال: فأقبلوا إليه يكون ، ويقولون: والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله، قال: فقال رسول الله ﷺ: (فإن الله ورسوله ليصدقانكم ويعذرانكم)[1] .

١٩ـ صلاة النبي داخل الكعبة:

٦٥٩ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفاً أسامة بن زيد ، ومعه بلال، ومعه عثمان ابن طلحة من الحجبة حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت ، فدخل رسول الله ﷺ ، ومعه أسامة ابن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهاراً طويلاً ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبدالله بن عمر أول من دخل ، فوجد بلالاً وراء الباب قائماً فسأله، أين صلى رسول الله ﷺ ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه ، قال عبدالله: فنسيت أن أسأله: كم صلى سجدة »[2] .

وقد جاء من حديث ابن عباس المروي في صحيح البخاري ومسلم وعند أحمد « أن النبي ﷺ لم يصل في داخل الكعبة »، والصحيح والله أعلم أن المثبت مقدم على النافي والذين دخلوا مع النبي ﷺ هم الذين رووا أنه صلى داخلها ، وهم أعلم بذلك ممن لم يدخل معه وهو ابن عباس ، وقال الإمام النووي رحمه الله: «أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال ، لأنه مثبت فمعه زيادة علم فواجب ترجيحه »[3] .

وأما القول أن ابن عباس روى عدم الصلاة في الكعبة عن أخيه الفضل وهو ممن دخل مع النبي ﷺ فلعل الفضل قد اشتغل بالدعاء ، ولذلك لم ير النبي ﷺ والله أعلم .

---

(١) سبق تخريجه في حديث: ٦٤٨ .

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب الردف على الحمار حديث رقم: ٢٩٨٨ ، مسلم في الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره حديث رقم: ١٣٢٩ ، أبو داود في المناسك باب دخول الكعبة حديث رقم: ٢٠٢٣ ، النسائي في الحج باب دخول البيت: ٥/٢١٦ ـ ٢١٧ ، ابن ماجه مناسك باب دخول الكعبة حديث رقم: ٣٠٦٣ ، أحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٢١/١٥٤ .

(٣) الفتح الرباني: ٢١/١٥٦ .

٢٠ـ إسلام والد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

٦٦٠ـ من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: « لما وقف رسول الله ﷺ بذي طوى [١] قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده: أي بنية اظهري بي على أبي قبيس [٢] قالت: وقد كف بصره، قالت: فأشرفت به عليه، قال: يا بنية، ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: يا بنية ذلك الوازع يعني الذي يأمر الخيل، ويتقدم إليها، ثم قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد والله إذا دفعت الخيل، فأسرعي بي إلى بيتي، فأغطت به، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته، وفي عنق الجارية طوق لها من ورق، فتلقاها رجل، فاقتطعه من عنقها.

قالت: فلما دخل رسول الله ﷺ مكة، ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده [٣]، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: (هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه)، قال أبو بكر: يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه، قال: فأجلسه بين يديه، ثم مسح صدره، ثم قال له: (أسلم)، فأسلم، ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، ورأسه كأنه ثغامة [٤]، فقال رسول الله ﷺ: (غيروا هذا من شعره)، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته، فقال: أنشد بالله وبالإسلام طوق أختي فلم يجبه أحد فقال: يا أخية احتسبي طوقك » [٥].

(١) ذي طوى: موضع معروف قرب مكة.

(٢) اظهري بي على أبي قبيس: اصعدي بي على جبل أبي قبيس وهو جبل لأنه كان كفيف البصر.

(٣) يقوده: لأنه كان كفيف البصر.

(٤) ثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر يشبه الشيب.

(٥) أخرجه ابن حبان في الموارد: ١٧٠٠، وابن إسحاق في المغازي بسند صحيح رجاله ثقات سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٠٥، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٧٣، ١٧٤، رواه أحمد، والطبراني، ورجالهما ثقات، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ٩٥ـ٩٦، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٦ ـ ٤٧، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي.

٢١ـ قصة الرجل الذي قتلته خزاعة:

٦٦١ـ من حديث أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال: « أذن لنا رسول الله ﷺ يوم الفتح في قتال بني بكر حتى أصبنا منهم ثأرنا وهو بمكة ، ثم أمر رسول الله ﷺ برفع السيف فلقي رهط منا الغد رجلاً من هذيل في الحرم يؤم [١] رسول الله ﷺ ليسلم ، وكان قد وترهم [٢] في الجاهلية ، وكانوا يطلبونه ، فقتلوه ، وبادروا أن يخلص إلى رسول الله ، فيأمر [٣] .

فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ غضب غضباً شديداً ، والله ما رأيته غضب غضباً أشد منه ، فسعينا إلى أبي بكر وعلي رضي الله عنهما نستشفعهما ، وخشينا أن نكون قد هلكنا ، فلما صلى رسول الله ﷺ الصلاة قام ، فأثنى على الله عزَّ وجلَّ بما هو أهله ، ثم قال: (أما بعد ، فإن الله عزَّ وجلَّ هو حرَّم مكة ، ولم يحرمها الناس ، وإنما أحلها لي ساعة من النهار أمس: وهي اليوم حرام كما حرمها الله عزَّ وجلَّ أول مرة .

وإن أعتى الناس على الله عزَّ وجلَّ ثلاثة: رجل قتل فيها ، ورجل قتل غير قاتله ، ورجل طلب بذحل في الجاهلية ، وإني والله لأدينَّ [٤] هذا الرجل الذي قتلتم) فوداه رسول الله ﷺ » [٥].

٢٢ـ مبايعته صلى الله عليه وسلم للناس يوم الفتح:

٦٦٢ـ من حديث مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: « أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ، فقلت: يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة، قال: (ذهب أهل الهجرة بما فيها)، فقلت: على أي شيء تبايعه ؟ قال: (أبايعه على

---

(١) يؤم: يقصد رسول الله ﷺ ليسلم عليه يديه .

(٢) وترهم: أصاب منهم جناية .

(٣) فيأمر: بادروا بقتله قبل أن يصل إلى رسول الله فيأمر بعدم قتله .

(٤) لأدين: اي سادفع دينه لأولياء دمه .

(٥) سبق تخريجه حديث رقم: ٦٥٤ ، قلت: وقد جاء من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده شبيها بهذا اللفظ قال الهيثمي: ١٧٧/٦ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم حديث رقم: ١٣٥٥ .

الإسلام والإيمان والجهاد). قال أبو عثمان ، فلقيت معبداً بعد ، وكان أكبرهما، فسألته: فقال: صدق مجاشع »[1] .

٦٦٣ـ من حديث الأسود بن خلف رضي الله عنه: « أنه رأى النبي ﷺ يبايع الناس يوم الفتح قال: فجلس عند قرب دار سمرة ، قال الأسود: فرأيت النبي ﷺ جلس ، فجاءه الناس الصغار والكبار والنساء ، فبايعوه على الإسلام والشهادة فقلت: فما الإسلام قال: الإيمان بالله ، فقلت: وما الشهادة ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله »[2] .

٦٦٤ـ من حديث عائشة بنت قدامة رضي الله عنها قالت: « أنا مع أمي رائطة بنت سفيان الخزاعية ، والنبي ﷺ يبايع النسوة ، ويقول: (أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئاً ، ولا تسرقن ولا تزنين ، ولا تقتلن أولادكن، ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ، ولا تعصين في معروف) ، قالت: فأطرقن: فقال لهن النبي ﷺ: (قلن نعم فيما استطعتن) ، فكن يقلن وأقول معهن ، وأمي تلقنني قولي أي بنية فيما استطعت)[3] .

٦٦٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: (لا هجرة ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا)[4].

٦٦٦ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن هند بنت عتبة بن ربيعة قالت: يا رسول الله ما كان مما على ظهر الأرض أخباء ، وأهل خباء ـ الشك من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وقال الليث حديث رقم: ٤٣٠٥، ٤٣٠٦ ، ٤٣٠٧ ، ٤٣٠٨ ، مسلم في صحيحه الإمارة باب المبايعة عند فتح مكة حديث رقم: ١٨٦٣ ، احمد في المسند: ٣/ ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤١٥ ، ٤/ ١٦٨ ، وسنده حسن ، والحافظ في المستدرك: ٣/ ٢٩٦ ، ولم يتكلم عنه بشيء ، وسكت عنه الذهبي ، ورجاله ثقات .

(٣) أخرجه أحمد: ٦/ ٣٦٥ ، وسنده حسن ، وانظر الإصابة في تميز الصحابة: ٤/ ٣٥١ ، ترجمة رقم: ٨١١ ، وقال الحافظ بعد أن عزاه لأحمد: « ورويناه بعلو في المعرفة لابن منده من وجه آخر » .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب لا هجرة بعد الفتح حديث رقم: ٣٠٧٧ ، ومسلم في الجهاد والإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة حديث رقم: ١٣٥٣ / ٨٥ ، ص: ٣/ ١٤٨٧ ، أبو داود في الجهاد باب الهجرة هل انقطعت حديث رقم: ٢٤٨٠ ، والترمذي في السير باب ما جاء في الهجرة حديث رقم: ١٥٩٠ ، وقال حديث حسن صحيح ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ٥٧٤٨ ، قلت: وقد جاء بنفس المعنى واللفظ من حديث عائشة أخرجه البخاري حديث رقم: ٣٠٨٠ ، ٣٩٠٠ ، ٤٣١٢ ، ومسلم في صحيحه رقم: ١٨٦٤ .

ابن بكير - احب إلي ان يذلوا من أهل خبائك ، أواخبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء ، أو اخباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك ، أو اخباءك ، قال رسول الله: (وأيضاً والذي نفسي محمد بيده) ، قالت: يا رسول الله أن أبا سفيان رجل ممسك ، فهل علي من حرج أن أطعم من الذي له ؟ قال: (لا إلا بالمعروف) [١].

٦٦٧- عن أيوب قال: قال لي أبو قلابة الا تلقاه فتسأله ؟ قال: فلقيته فسألته، فقال: « كنا بممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان ، فنسألهم: ما للناس ، ما للناس؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون: يزعم أن الله أرسله ، ، أوحى إليه ، أو أوحى الله بكذا ، فكنت أحفظ ذاك الكلام فكأنما يقر في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح، فيقولون اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق.

فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم، فلما قدم قال: جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقاً ، فقال: صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة، فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً .

فنظروا ، فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم ، وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي: الا تغطون عنا است قارئكم ، فاشتروا ، فقطعوا لي قميصاً ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص » [٢] .

---

(١) اخرجه البخاري في الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين رسول الله الحديث رقم:٦٦٤١ ، فتح الباري: ٥٣٥/١١ ، مسلم في الأقضية باب قضية هند حديث رقم: ١٧١٤ ، ص: ١٣٣٩/٣ ، أبو داود في البيوع والإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده حديث رقم: ٣٥٣٢، ٣٥٣٣ ، النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٦٦٣٣ .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب ٥٣ ، حدثنا الليث الحديث رقم: ٤٣٠٢ ، ٢٢/٨ ، أبو داود الصلاة باب من أحق بالأمة حديث رقم: ٥٨٧ ، النسائي في الصلاة باب اجتزاء المرء باذان غيره في الحضر: ٩/٢-١٠ ، باب والصلاة في الإزار: ٧٠/٢-٧١ ، وباب إمامة الغلام قبل أن يحتلم: ٨٠/٢ - ٨١ .

٢٣- لا تغزى الكعبة بعد الفتح ولا يقتل قرشي صبراً بعده:

٦٦٨- من حديث الحارث بن مالك بن برصاء الليثي رضي الله عنه أنه قال: «سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: (لا تغزى هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة)[١].

٦٦٩- من حديث عبدالله بن مطيع عن أبيه [٢] أنه قال: « سمعت النبي ﷺ يوم فتح مكة يقول: (لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة[٣])[٤].

٢٤- قصة مفتاح الكعبة:

٦٧٠- من حديث صفية بنت شيبة: « أن رسول الله ﷺ لما نزل مكة، واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت، فطاف به سبعاً على راحلته، يستلم الركن بمحجن في يده، فلما قضى طوافه، دعا عثمان بن طلحة، فأخذ منه مفتاح الكعبة، ففتحت له، فدخلها، فوجد فيها حمامة من عيدان، فكسرها بيده، ثم طرحها، ثم وقف على باب الكعبة، وقد استكف له الناس في المسجد » [٥].

ومن حديثها أيضاً: (أخبرتني امرأة من بني سليم أن رسول الله ﷺ لما خرج من الكعبة أمر عثمان بن طلحة أن يغيب قرني الكبش، يعني كبش الذبيح وقال: (لا ينبغي للمصلي أن يصلي، وبين يديه شيء يشغله) [٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في السير باب ما جاء قال النبي ﷺ يوم فتح مكة ان هذه لا تغزى بعد اليوم حديث رقم: ١٦١١، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند: ٣/٤١٢، ٤/٣٤٣، والبيهقي في الدلائل: ٥/٧٥، واسناد هذا الحديث صحيح رجاله ثقات. قلت: انظر تخريج الحديث التالي.

(٢) مطيع هو: مطيع بن الأسود بن حارثة بن نضلة بن عوف القرشي أخو مسعود بن الأسود المعروف بابن العجماء، والد عبدالله بن مطيع وكان اسمه العاص فسماه رسول الله ﷺ مطيعاً » انظر صحيح مسلم: ٣/١٤٠٩، حديث رقم: ٨٩.

(٣) لا يقتل قرشي صبراً بعد هذا اليوم إلى يوم القيامة: قال العلماء: معناه الإعلام بأن قريشاً يسلمون كلهم ولا يرتد أحد منهم كما ارتد غيرهم بعده ﷺ، فمن ارتد حورب وقتل صبراً، وليس المراد أنهم لا يقتلون ظلماً صبراً، فقد جرى على قريش بعد ذلك ما هو معلوم.

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب لا يقتل قرشي صبراً بعد الفتح حديث رقم: ١٧٨٢، احمد في المسند: ٣/٤١٢ - ٤/٢١٣، وقد جاء عند أحمد زيادة في اللفظ (أنه لا تغزى الكعبة بعد اليوم ...) شبيهاً بالحديث السابق المروي من حديث الحارث بن برصاء.

(٥) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٢/٤١١- ٤١٢، وسنده قوي، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، فزالت شبهة التدليس، وحسنه الحافظ في الفتح: ٨/١٥، وأخرجه أبو داود: ١٨٧٨ وحسنه المزي أيضاً.

(٦) أخرجه احمد: ٤/٦٨، ٥/٣٨٠، وأبو داود: ٢٠٣٠، والحميدي: ٥٦٥، والطبراني: ٨٣٩٦، وعبدالرزاق في المصنف رقم: ٩٠٨٣، من طريق سفيان عن منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة ».

٢٥ـ قصة المرأة المخزومية التي سرقت:

٦٧١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: « أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ ، فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ: (أتشفع في حد من حدود الله ؟) ثم قام فاختطب ، فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها) [(١)] .

٢٦ـ خطبته عليه الصلاة والسلام يوم الفتح:

٦٧٢ـ من حديث أبي شريح الخزاعي الذي سبق تخريجه وسأذكر الجزء الذي فيه الخطبة فقط: قال رسول الله ﷺ: (إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس ، فلا تحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً ولا يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله فيها ، فقولوا له: إن الله قد أذن لرسوله ، ولم يأذن لكم ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار . وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ، وليبلغ الشاهد الغائب) [(٢)] وانظر لفظاً آخر للحديث برقم: ٦٦١ ، بشيء من الزيادة .

٦٧٣ـ ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما فتح الله عزّ وجلّ على رسول الله ﷺ مكة ، قام في الناس ، فحمدالله وأثنى عليه ، ثم قال: (إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها لن تحل لأحد بعدي . فلا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها [(٣)] ، إلا لمنشد [(٤)] . ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يفدى

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب ذكر أسامة بن زيد رقم: ٣٧٣٣ ، والمغازي باب مقام النبي بمكة زمن الفتح حديث رقم: ٤٣٠٤ ، مسلم في الحدود حديث رقم: ١٦٨٨ ، والترمذي حديث رقم: ١٤٣٠ ، الدارمي: ٢/١٧٣ ، وابن ماجه حديث: ٢٥٤٧ ، والنسائي: ٨/٧٣ ، وابن سعد في الطبقات: ٤/٦٩ـ ٧٠ ، وأبو داود: ٤٣٧٣ .

(٢) سبق تخريجه في الحديث رقم: ٦٥٤، فانظره هناك .

(٣) ساقطتها: ما سقط فيها بغفلة مالكه.

(٤) المنشد: المعرف .

وإما أن يقتل) .

فقال العباس: إلا الاذخر يا رسول الله ! فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ (إلا الاذخر) فقام أبو شاه ـ رجل من أهل اليمن ـ فقال: اكتبوا لي يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ: (اكتبوا لأبي شاة) .

قال: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله ؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله) . لفظ مسلم [(١)] .

٦٧٤ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: (لا هجرة ؛ ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم ، فانفروا)[(٢)] .

وقال يوم الفتح ، فتح مكة (إن هذا البلد حرمه الله منذ خلق السموات والأرض . فهو حرام بحرمة الله تعالى إلى يوم القيامة ، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي .

ولم يحل لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكه [(٣)] ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاها [(٤)] .

فقال العباس: يا رسول الله الا الإذخر [(٥)]. فإنه لقينهم [(٦)] ولبيوتهم . فقال:

---

(١) اخرجه البخاري في كتاب اللقطة باب كيف تعرف لقطة مكة حديث رقم: ٢٤٣٤ ، ومسلم في كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها حديث رقم: ١٣٥٥ ، أبو داود في الديات باب ولي العمد يرضى بالدية حديث رقم: ١٤٠٥ ، والنسائي في القسامة والقود والديات باب هل يؤخذ من قاتل العمد الدية إذا عفا ولي المقتول عن القود: ٨/٣٨ ، وابن ماجه في الديات ، باب من قتل له قتيل فهو بالخيار بين إحدى ثلاث حديث رقم: ٢٦٢٤ ، قلت: وقد أخرجه الأربعة باختصار ، وأخرجه البخاري ومسلم بهذا اللفظ المطول .

(٢) إذا استنفرتم فانفروا: إذا دعاكم السلطان إلى غزو فاذهبوا .

(٣) لا يعضد شوكة: لا يقطع .

(٤) ولا يختلى خلاها: الخلا هو الرطب من الكلا . ومعناه لا يقطع ولا يؤخذ .

(٥) الأذخر: قال العلايلي في معجمه: الأذخر نبات عشبي من فصيلة النجيليات ، له رائحة ليمونية عطرة ، أزهاره تستعمل منقوعاً كالشاي ، ويقال له: طيب العرب . ويقال له: حلفاء مكة .

(٦) لقينهم وبيوتهم: القين هو الحداد والصائغ ، ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار ، ويحتاج إليه في القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنات ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الخشب .

(إلا الإذخر) [1] لفظ مسلم .

٦٧٥ـ ومن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: إن رسول الله ﷺ خطب يوم الفتح بمكة ، فكبر ثلاثاً ، ثم قال: (لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، الا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية تذكر وتدعى من دم أو مال تحت قدمي إلا ما كان من سقاية الحاج ، وسدانة البيت ، ثم قال: الا إن دية الخطأ شبه العمد ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل ، منها أربعون في بطنها أولادها) [2] .

٦٧٦ـ ومن حديثه أيضاً قال: لما فتحت مكة على رسول الله ﷺ قال: (كفوا السلاح إلا خزاعة عن بني بكر) ، فأذن لهم حتى صلى العصر ، ثم قال: (كفوا السلاح). فلقي رجل من خزاعة رجلاً من بني بكر من غد بالمزدلفة فقتله. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، فقام خطيباً ، فقال: ورأيته مسند ظهره إلى الكعبة: قال: (إن أعدى الناس على الله من قتل في الحرم أو قتل غير قاتله ، أو قتل بذحول [3]) فقام إليه رجل فقال: إن فلاناً ابني وفي رواية عاهرت [4] بأمه في الجاهلية » فقال رسول الله ﷺ : (لا دعوة في الإسلام ، ذهب أمر الجاهلية ، الولد للفراش ، وللعاهر الأثلب ، قالوا: وما الأثلب ؟ قال: (الحجر) ، قال: (وفي الأصابع عشر عشر ، وفي المواضح خمس خمس) ، قال: وقال: (لا صلاة بعد الغداة حتى تطلع الشمس) ، ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ، قال: (ولا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها) [5] .

---

(١) اخرجه البخاري في اللقطة باب كيف تعرف لقطة أهل مكة حديث رقم: ٢٤٣٢ ، ومسلم في الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها حديث رقم: ١٣٥٣، والنسائي في الحج باب تحريم القتال في الحرم: ٥/ ٢٠٤، وباب حرمة مكة: ٥/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

(٢) اخرجه ابو داود في كتاب الديات باب في الخطأ شبه العمد حديث رقم: ٤٥٤٧ ، وابن ماجه في الديات باب دية شبه العمد فغلظه حديث رقم: ٢٦٢٧ ، وابن حبان: ١٥٢٦ ، وابن الجارود: ٧٧٣، والبيهقي: ٨/ ٦٨ ، واحمد ٢/ ١٦٤ ، ١٦٦ ، واسناد هذا الحديث صحيح رجاله كلهم ثقات ، وصححه ابن حبان ، وابن القطان في التلخيص: ٤/ ١٥ ، وقال: هو صحيح لا يضره الاختلاف .

(٣) ذحول الجاهلية: العداوة وطلب ثأر من قتل في الجاهلية بعد الإسلام .

(٤) عاهرت: زنيت.

(٥) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٧٧ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات: قلت: وغفل عن عزوه للإمام احمد ، انظر الفتح الرباني: ٢١/ ١٦٠ ، وقد رواه أصحاب الكتب الستة عن غير واحد من الصحابة مقطعاً في أبواب متفرقة قلت: والحديث حسن للخلاف المعروف في عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده.

٦٧٧ـ ومن حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: (إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة ، والخنزير والأصنام) .

فقيل: يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة ، فإنه يطلى به السفن ، ويدهن بها الجلود، ويستصبح بها الناس ، فقال: (لا ، هو حرام) ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك: (قاتل الله اليهود ، إن الله لما حرم عليها شحومها اجملوه [(١)] ثم باعوه، فأكلوا ثمنه) [(٢)] .

٢٧ـ صلاته عليه السلام يوم الفتح :

٦٧٨ـ من حديث أم هانئ: قال ابن أبي ليلى: « ما حدثنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ ، فإنها قالت: إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة ، فاغتسل ، وصلى ثماني ركعات ، فلم أر صلاة قط أخف منها ، غير أنه يتم الركوع والسجود » [(٣)] .

وفي لفظ آخر عنها: « أن رسول الله ﷺ صلى يوم الفتح ثمان ركعات، وذلك ضحى » .

في رواية هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل بيت أم هانئ ، واغتسل عندها وصلى الضحى ، وفي رواية الحديث الذي أخرجه مالك في الموطأ ، ومسلم في الصحيح ، وقد سبق ذكره في إجارة أم هانئ لرجل أهدر دمه أنها ذهبت إلى النبي ﷺ ، فوجدته يغتسل ، وفاطمة تستره ، وقد جمع بين هاتين الروايتين بأن الحادثة تكررت منه ﷺ ، والمحتمل أنه نزل ببيتها في أعلى مكة ، وكانت هي

---

(١) اجملوه: اذابوه .

(٢) اخرجه البخاري في كتاب البيوع باب بيع الميتة والأصنام ، الحديث: ٢٢٣٦ ،مسلم في المساقاة باب تحريم بيع الخمر حديث: ١٥٨١ ، الترمذي في البيوع باب ما جاء في بيع جلود الميتة رقم: ١٢٩٧، وابو داود في البيوع باب في ثمن الخمر والميتة برقم : ٣٤٨٦، والنسائي في البيوع باب بيع الخنزير : ٧/٣٠٩ ـ ٣١٠ ، وابن ماجه في التجارات باب ما لا يحل بيعه حديث: ٢١٦٧ ، وابن الجارود: ٥٧٨، والبيهقي: ٦/١٢ ، واحمد: ٣/٣٢٤ ، ٤٢٦ .

(٣) اخرجه البخاري في التطوع باب صلاة الضحى في السفر: ١١٧٦ ، وفي المغازي ، باب منزل النبي يوم الفتح: ٤٢٩٢ ،مسلم: ٣٣٦ ، صلاة المسافرين باب استحباب صلاة الضحى ، والترمذي: ٤٧٤ ، الصلاة باب ما جاء في صلاة الضحى ، وابو داود: ١٢٩١ ، الصلاة باب صلاة الضحى » وللحديث زيادة تخريج كما مر في الحديث رقم: ٦٥٣ .

في بيت آخر بمكة ، فجاءت إليه فوجدته يغتسل ، فيصح القولان [1].

وقد حكى القاضي عياض عن قوم أنه ليس في حديث أم هانئ دلالة على أنه صلى الضحى ، قالوا: وإنما هي سنة الفتح ، وقد صلاها خالد بن الوليد في بعض فتوحه كذلك .

وقال عياض أيضاً: ليس حديث أم هانئ بظاهر في أنه قصد ﷺ بها سنة الضحى ، وإنما فيه أنها أخبرت عن وقت صلاته فقط ، وقد قيل : إنها كانت قضاء عما شغل عنه تلك الليلة من حزبه فيه ، وتعقبه النووي بأن الصواب صحة الاستدلال به لما رواه أبو داود وغيره من طريق كريب ، عن أم هانئ أن النبي ﷺ صلى سبحة الضحى ، ولمسلم في كتاب الطهارة من طريق أبي مرة عن أم هانئ في قصة اغتساله يوم الفتح « ثم صلى ثمان ركعات سبحة الضحى » فتح الباري: ٣/ ٥٤ .

قلت: وسواء كانت هذه الصلاة التي صلاها عليه السلام هي صلاة الفتح أو سنة الضحى ، فالمهم أنه ﷺ صلاها ، فإن صلاها المرء كسنة للضحى فهو على خير ، وإن صلاها عند الفتح فهو على خير ، والصحيح الذي أرجحه أن سنة الضحى ثابتة لكثرة الأحاديث الواردة في الحث عليها ، وإن كان البعض من السلف يرى أنها غير ثابتة كما جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما عند البخاري « قال مورق لابن عمر رضي الله عنهما: أتصلي الضحى ؟ قال: لا . قلت: فعمر ؟ قال: لا ، قلت: فأبو بكر ؟ قال: لا . قلت: فالنبي ﷺ ؟ قال: لا أخاله»[2].

وكان سبب توقف ابن عمر في ذلك أنه بلغه عن غيره أنه صلاها، ولم يثق بذلك عمن ذكره، وقد جاء عنه الجزم بأنها محدثة لما روى سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن مجاهد عن ابن عمر أنه قال: إنها محدثة وإنها لمن أحسن ما أحدثوا، ولما روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن الحكم بن الأعرج عن الأعرج قال: سألت ابن عمر عن صلاة الضحى فقال: بدعة ، ونعمت البدعة . ولما روى عبدالرزاق بإسناد صحيح عن سالم عن أبيه قال: لقد قتل عثمان وما أحد يسبحه، وما أحدث الناس شيئاً أحب إلي منها ، ولما روى ابن أبي شيبه بإسناد

---

(١) فتح الباري: ٣/ ٥٣ .

(٢) البخاري في التطوع والتهجد باب صلاة الضحى في السفر حديث رقم: ١١٧٥ .

صحيح عن الشعبي عن ابن عمر قال: ما صليت الضحى منذ أسلمت ، إلا أن أطوف بالبيت ، أي فأصلي في ذلك الوقت لا على نية صلاة الضحى بل على نية الطواف . وفي الجملة ليس في أحاديث ابن عمر هذه ما يدفع مشروعية صلاة الضحى، لأن نفيه محمول على عدم رؤيته ، لا على عدم الوقوع في نفس الأمر، قال عياض وغيره: إنما أنكر ابن عمر ملازمتها، وإظهارها في المساجد ، وصلاتها جماعة ، لا أنها مخالفة للسنة ، ويؤيده ما رواه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود أنه رأى قوماً يصلونها ، فأنكر عليهم وقال: إن كان ولا بد ففي بيوتكم[1].

وقد جمع الحاكم الأحاديث الواردة في صلاة الضحى في جزء مفرد ، وذكر لغالب هذه الأقوال مستنداً ، وبلغ عدة رواة الحديث في إثباتها نحو العشرين نفساً من الصحابة »[2].

٢٨ـ سرية خالد إلى بني جذيمة:

٦٧٩ـ من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا ، فجعلوا يقولون صبأنا صبأنا ، فجعل خالد يقتل منهم ، ويأسر ، ودفع إلى كل رجل منا أسيره ، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ﷺ ، فذكرناه ، فرفع النبي ﷺ يديه فقال: (اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد) ، مرتين »[3].

٦٨٠ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: (أن النبي ﷺ بعث سرية قال: فغنموا ، وفيهم رجل فقال لهم: إني لست منهم إني عشقت فلحقتها فدعولي أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بي ما بدا لكم ، فإذا امرأة آدماء طويلة ، فقال لها: اسلمي حبيش قبل نفاذ العيش ثم قال:

---

(١) فتح الباري: ٣/ ٥٢ ـ ٥٣ .

(٢) فتح الباري: ٣/ ٥٥ .

(٣) اخرجه البخاري في المغازي باب بعث النبي ﷺ خالد إلى بني جذيمة حديث رقم: ٤٣٣٩ ، ٧١٨٩ ، النسائي في القضاء باب إذا قضى الحاكم بغير حق: ٨/ ٢٣٦ ، وأحمد في المسند: ٢/ ١٥١ ، ابن سعد في الطبقات: ٢/ ١٤٧ ، ١٤٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١١٣ ، ١١٤ .

أريَتَك إذا طالبتُكُم فوَجدتُكُم بحَلية أو ألفيتُكُم بالخوانق[1]
ألم يك أهلاً أن يُنول عاشقٌ تكلف إدلاج السُّرى والودائق[2]
فلا ذنب لي قد قُلت إذا أهْلُنا معاً أثيبي بوُدّ قبلَ إحدَى الصفائق[3]
أثيبي بوُدّ قبل أنْ تشحط النَّوى وَينْاى الأميـر بالحبيب المفارق[4]

ثم قال: قالت: نعم فديتك ، قال: فقدموه ، فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة ، فوقعت عليه ، فشهقت شهقة ، أو شهقتين ، ثم ماتت ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر ، فقال رسول الله ﷺ: (أما كان فيكم رجل رحيم)[5].

٢٩ـ مدة إقامته صلى الله عليه وسلم في مكة عام الفتح:

٦٨١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوماً يصلي ركعتين »[6].

وقد جاء من روايات عدة أنه مكث ثمانية عشر يوماً ، وهي عند أبي داود من حديث عمران بن حصين ، وأخرى سبعة عشر يوماً وبعضها خمسة عشر يوماً ، وقد جمع البيهقي بين هذا الاختلاف بأن من قال تسع عشرة يوماً عد يومي الدخول والخروج ، ومن قال سبع عشرة يوماً حذفهما ، ومن قال ثماني عشرة

---

(١) حلية والخوانق: اسم موضعين .

(٢) الإدلاج: سار أول الليل ، الودائق: جمع وديقة وهو شدة الحر ، ومعنى ذلك تكلف السير في الليل وفي شدة الحر .

(٣) الصفائق: أراد بها النوائب .

(٤) ينأى: يبعد ، تشحط: تبعد.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٦٢٧٣ ، ابن سعد في الطبقات: ٢/ ١٤٩ ، والطبري في التاريخ: ٣/ ١٢٥، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١١٨ ، وصحح إسنادها الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/ ٥٨ ، وقد أخرج ابن إسحاق من طريقه عن ابن أبي حدرد شبيهاً بهذا اللفظ البيهقي في الدلائل: ٥/ ١١٥ ، والبيهقي بإسناده إلى ابن عاصم المزني شبيهاً بهذه القصة أيضاً في الدلائل: ٥/ ١١٧ ، وكما أشار إلى ذلك الحافظ في الفتح: ٨/ ٥٨ ، سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب مقام النبي بمكة عام الفتح: ٤٢٩٨ ـ ٤٢٩٩ ، أبو داود في الصلاة باب متى يتم المسافر حديث رقم: ١٢٣٠ ، وابن ماجه في إقامة الصلاة باب كم يقصر الصلاة المسافر إذا أقام ببلدة حديث رقم: ١٠٧٥ ، الترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في كم تقصر الصلاة حديث رقم: ٥٤٩ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٢٣، والبيهقي: ٣/ ١٥٠ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ١/ ٢٤٢ .

عد أحدهما وأما رواية « خمسة عشر » فضعفها النووي في الخلاصة ، وليس بجيد لأن رواتها ثقات ولم ينفرد بها ابن إسحاق فقد أخرجها النسائي .

وإذا ثبت أنها صحيحة فليحمل على أن الراوي ظن أن الأصل رواية سبعة عشر ، فحذف منها يومي الدخول والخروج ، فذكر أنها خمسة عشر ، واقتضى ذلك أن رواية تسعة عشر أرجح الروايات ، وبهذا أخذ إسحاق بن راهويه ، ويرجحها أيضاً أنها أكثر ما وردت به الروايات الصحيحة »[1] .

(١) فتح الباري: ٢/٥٦٢ ، في التعليق على حديث رقم: ١٠٨٠ ، كتاب تقصير الصلاة باب ما جاء في التقصير وكم يقيم حتى يقصر .

المبحث الثاني

غزوة حنين

شوال سنة ثمان للهجرة

قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ، فلم تغن عنكم شيئاً ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ،ثم وليتم مدبرين ، ثم أنزل الله سكينته على رسوله ، وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم تروها ، وعذب الذين كفروا ، وذلك جزاء الكافرين ، ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء، والله غفور رحيم ﴾ [(١)] .

وحنين: واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف ، وبينه وبين مكة بضعة عشر ميلاً من جهة عرفات ، قال أبو عبيد البكري: سمي باسم حنين بن قابثة بن مهلائيل [(٢)] .

١ـ وقتها:

قال أهل المغازي: خرج رسول الله ﷺ إلى حنين لخمس خلت من شوال ، وبه قال ابن إسحاق في المغازي ، وهكذا روي عن ابن مسعود ، وبه قال عروة ابن الزبير ، واختاره أحمد ، وابن جرير في تاريخه .

وقيل لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ الخروج في أواخر رمضان، وسار سادس شوال، وكان وصوله إليها في عاشره، وبه قال الواقدي[(٣)] .

٢ـ سببها:

٦٨٢ـ قال ابن إسحاق: حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبدالله وعمرو بن شعيب ، والزهري وعبدالله بن أبي بكر ابن حزم وعبدالله بن المكرم بن عبدالرحمٰن الثقفي عن حديث حنين حين سار إليهم رسول الله ﷺ وساروا إليه فبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض ، وقد اجتمع حديثهم: « أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة ، جمع مالك بن عوف

(١) سورة التوبة: آية: ٢٥ .

(٢) فتح الباري: ٨/ ٢٧ .

(٣) فتح الباري: ٨/ ٢٧ ، سيرة ابن كثير: ٣/ ٦١٠ .

النصري: بني نصر ، وبني جشم ، وبني سعد بن بكر ، وأوزاعاً من بني هلال، وهم قليل ، وناساً من بني عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، وأوعبت معه ثقيف الأحلاف ، وبنو مالك ، ثم سار بهم إلى رسول الله ﷺ ، وساق معه الأموال والنساء والأبناء .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ، بعث عبدالله بن أبي حدرد الأسلمي ، فقال: اذهب ، فادخل في القوم حتى تعلم لنا من علمهم ، فدخل فيهم ، فمكث فيهم يوماً أو اثنين، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره خبرهم .

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب: (ألا تسمع ما يقول ابن أبي حدرد)، فقال عمر رضي الله عنه: كذب ، فقال: ابن أبي حدرد ، والله لئن كذبتني يا عمر لربما كذبت بالحق، فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد فقال: (قد كنت يا عمر ضالاً فهداك الله) .

ثم بعث رسول الله إلى صفوان بن أمية ، فسأله أدراعاً عنده مائة درع ، وما يصلحها من عدتها ، فقال: أغصباً يا محمد ، فقال: (بل عارية مضمونة حتى نؤديها عليك) ثم خرج رسول الله ﷺ سائراً » .

وزاد ابن إسحاق بالإسناد الأول: أن مالك بن عوف أقبل فيمن معه ممن جمع من قبائل قيس وثقيف ، ومعه دريد بن الصمة شيخ كبير في شجار[1] له يعاد به حتى نزل الناس بأوطاس[2] فقال دريد - حين نزلوا بأوطاس فسمع رغاء البعير[3]، ونهيق الحمير[4] ويعار الشاء[5] ، وبكاء الصغير - : بأي واد أنتم ؟ فقالوا: بأوطاس ، قال: نعم مجال الخيل ، لا حزن[6] ضرس[7] ، ولا سهل[8]

---

(١) شجار: شبه الهودج إلا انه مفتوح الأعلى .

(٢) أوطاس: واد في ديار هوازن ، كانت فيه وقعة حنين ، وتسمى ايضاً غزوة اوطاس .

(٣) رغاء البعير: صوتها .

(٤) نهاق الحمير: صوتها.

(٥) يعار الشاء: صوتها.

(٦) حزن: ما غلظ من الأرض .

(٧) ضرس: الأكمة الخشنة وفي الإملاء هو الموضع فيه حجارة محددة .

(٨) سهل: ضد الحزن .

دهس [1] ، ما لي أسمع رغاء البعير، ونهيق الحمار ، ويعار الشاء ؟ فقالوا: ساق مالك مع الناس أموالهم وذراريهم ونساءهم .

قال: فأين مالك ؟ فدعي مالك ، فقال: يا مالك ! إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، فما دعاك إلى أن تسوق مع الناس اموالهم وابناءهم ونساءهم ؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وأمواله ليقاتل عنهم ، قال: فانقض [2] به دريد ، وقال: يا راعي ضأن والله ، وهل يرد وجه المنهزم شيء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك ، فارفع الأموال والنساء ، والذراري إلى علياء قومهم ، وممتنع بلادهم .

ثم قال دريد: وما فعلت كعب وكلاب ، فقالوا: لم يحضرها منهم أحد، فقال: غاب الحد[3] والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب ، ولوددت لو فعلتم ما فعلت كعب وكلاب فمن حضرها ؟ فقالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، فقالوا: ذانك الجذعان[4] لا يضران ولا ينفعان ، فكره مالك أن يكون لدريد فيها رأي، فقال: إنك قد كبرت ، وكبر علمك والله لتطيعن يا معشر هوازن، أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، فقالوا: أطعناك.

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم ، فاكسروا جفان سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد » [5] .

---

(١) دهس: المكان السهل اللين الذي لا يبلغ أن يكون رملاً وهو تراب .

(٢) فانقض: زجره كما تزجر الدابة

(٣) الحد: الشجاعة والحدة .

(٤) الجذعان: يريد أنهما ضعيفان بمنزلة الجذع في سنه .

(٥) أخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/ ١٢٠ ـ ١٢٣ ، سيرة ابن هشام: ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤ وابن حبان كما في الموارد ص: ٤١٧ ، رقم: ١٧٠٤ ، وأخرجه احمد في المسند: ٣/ ٣٧٦، وابو يعلى رقم: ١٨٦٢ ، ١٨٦٣ ، والبزار: ١٨٣٤ ، وفيه ابن إسحاق ، وقد صرح بالتحديث وبقية رجاله احمد رجال الصحيح: قلت: وهو حديث طويل ذكرت جزءاً منه هنا ، وسيأتي أجزاء أخرى سأشير إليها في مواطنها ، وفيها قصة الهزيمة والرجل صاحب الراية ، وقد أخرج أيضاً ابن حبان: ١٧٠٤ ، أجزاء منه بنفس الإسناد الذي ذكرت في بداية الحديث من طريق عبدالرحمن بن جابر عن أبيه ، والسند رجاله ثقات ، فالحديث بذلك حسن ، وقد أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٨ـ ٤٩ ، وقال: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٧٩ « رواه احمد ، وأبو يعلى ورواه البزار باختصار ، وفيه ابن إسحاق وقد صرح بالسماع في رواية أبي يعلى ورجال احمد رجال الصحيح .

٣ـ استعارة الدروع من صفوان بن أمية:

٦٨٣ـ من حديث صفوان بن أميـة رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ استعار منه أدراعاً يوم حنين فقال: أغصب يا محمد ؟ فقال: (لا بل عارية مضمونة)[١].

٤ـ قصة الجاسوس الذي جاء يتجسس على المسلمين:

٦٨٤ـ من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن . فبينمـا نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر ، فأناخه . ثم انتزع طلقاً من حقبه ، فقيد به الجمل . ثم تقدم يتغدى مع القوم . وجعل ينظر ، وفينا ضعفة ورقة في الظهر ، وبعضنا مشاة ، إذ خرج يشتد ، فأتى جمله فأطلق قيده ، ثم أناخه وقعد عليه ، فأثاره ، فاشتد به الجمل، فاتبعه رجل على ناقة ورقاء .

قال سلمة: وخرجت أشتد . فكنت عند ورك الناقة . ثم تقدمت . حتى كنت عند ورك الجمل . ثم تقدمت حتى أخذت بخطام الجمل ، فأنختـه . فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي ، فضربت رأس الرجل فندر ثم جئت بالجمل أقوده . عليه رحله وسلاحه . فاستقبلني رسول الله ﷺ ، والناس معه . فقال: من (قتل الرجل؟) قالوا: ابن الأكوع . قال: (له سلبه أجمع) [٢].

٥ـ تبشير الرسول صلى الله عليه وسلم بغنيمة حنين:

٦٨٥ـ من حديث سهيل بن الحنظلية رضي الله عنه: « أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حنين ، فأطنبوا السير ، حتى كانت عشية ، فحضرت الصلاة عند رسول الله ﷺ ، فجاء رجل فارس ، فقال: يا رسول الله إني انطلقت بين

---

(١) اخرجه أبو داود في السنن كتاب البيوع باب في تضمين العارية حديث رقم٣٥٦٢ ، واحمد في المسند: ٤٠١/٣ ، ٦/ ٤٦٥ ، والبيهقي: ٦/ ٨٩ ، والحاكم: ٢/ ٤٧ ، وهو حسن في الشواهد ، ويشهد له ما جاء في حديث عبدالرحمن بن جابر عن ابيه ، والذي اخرجه الحاكم: ٣/ ٤٨ ، والبيهقي: ٦/ ٨٩ قال الحاكم: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، واقره الذهبي ، وهو كما قالا، فالحديث صحيح .
قلت: ويشهد له أيضاً ما جاء في حديث ابن عباس بنفس اللفظ والذي اخرجه الحاكم: ٢/ ٤٧ ، وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) اخرجه مسلم في صحيحه الجهاد والسير باب استحقاق القاتل سلب القتيل حديث رقم: ١٧٥٤ ، وأبو داود في الجهاد باب الجاسوس المستأمن حديث رقم: ٢٦٥٤ ، والطحاوي: ٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ ، واحمد: ٤/ ٤٩ ـ ٥١ .

أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا ، فإذا أنا بهوازن على بكرة آبائهم بظعنهم ونعمهم وشائهم ، اجتمعوا إلى حنين ، فتبسم رسول الله ﷺ ، وقال: (تلك غنيمة المسلمين غداً إن شاء الله) .

ثم قال: (من يحرسنا الليلة ؟) فقال أنس بن أبي مرثد الغنوي: أنا يا رسول ؟ قال: (فاركب) فركب فرساً له فجاء إلى رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ: (استقبل هذا الشعب حتى تكون في أعلاه ، ولا نغرن من قبلك الليلة) .

فلما أصبحنا خرج رسول الله ﷺ إلى مصلاه، فركع ركعتين ثم قال: (هل أحسستم فارسكم ؟) قالوا: يا رسول الله ، ما أحسسناه فثوب بالصلاة ، فجعل رسول الله ﷺ يصلي ، وهو يلتفت إلى الشِعب حتى إذا قضى صلاته ، وسلم ، قال: (أبشروا فقد جاءكم فارسكم) .

فجعلنا ننظر إلى الشجرة في الشعب فإذا هو قد جاء حتى وقف على رسول الله ﷺ ، فسلم فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث أمرني رسول الله ﷺ ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحداً ، فقال له رسول الله ﷺ: (هل نزلت الليلة ؟) قال: لا إلا مصلياً أو قاضي حاجة . فقال له رسول الله ﷺ: (فقد أوجبت فلا عليك ألا تعمل بعدها) [1]

٦ـ قصة المفاجأة والهزيمة:

أـ الهزيمة:

٦٨٦ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما اجتمع يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة أعجبتهم كثرتهم ، فقال القوم: اليوم والله ما نقاتل حين اجتمعنا ، فكره ﷺ ما قالوا ، ما أعجبهم من كثرتهم » [2] .

٦٨٧ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: « لما استقبلنا وادي

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد باب فضل الحرس في سبيل الله تعالى حديث رقم: ٢٥٠١ ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٤٦٥٠ ، والحافظ ابن كثير في التاريخ: ٤/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، وأخرجه البيهقي في الدلائل: ٥/ ١٢٦ ، واسناد هذا الحديث صحيح ، حسنه الحافظ في الفتح: ٨/ ٢٧ .

(٢) أخرجه الحاكم وصححه ، وابن المنذر وابن مردويه وأبو الشيخ وغيرهم: الفتح الرباني: ٢١/ ١٦٩ .

حنين قال: انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط [1] إنما ننحدر فيه انحداراً قال: وفي عماية الصبح [2] ، وقد كان القوم كمنوا لنا في شعابه ، وفي أجنابه ، ومضايقه ، قد جمعوا وتهيئوا ، وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدت علينا شدة رجل واحد ، وانهزم الناس راجعين ، فاستمروا لا يلوي أحد منهم على أحد ، وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين قال: (إلي أيها الناس ، هلم إلي ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله) ، قال: فلا شيء [3] .

احتملت الإبل بعضها بعضاً فانطلق الناس إلا أن مع رسول الله ﷺ رهطاً من المهاجرين والأنصار وأهل بيته غير كثير ، وفيمن ثبت معه ﷺ أبو بكر وعمر ومن أهل بيته علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبدالمطلب ، وابنه الفضل بن عباس ، وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن بن عبيد ، وهو ابن أم أيمن ، وأسامة بن زيد ، قال: ورجل من هوازن على جمل له أحمر في يده راية له سوداء في رأس رمح طويل أمام الناس ، وهوازن خلفه ، فإذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفعه لمن وراءه ، فاتبعوه [4] .

قال ابن إسحاق « وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن عبدالرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبدالله قال: (بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله ذلك يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب ، ورجل من الأنصار يريدانه ، قال: فيأتيه علي من خلفه فضرب عرقوبي الجمل فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه [5] بنصف ساقه ، فانعجف [6] عن رحله ، واجتلد الناس فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسرى مكتفين عند رسول الله ﷺ » .

---

(١) حطوط: واسع منحدر من أعلى إلى أسفل .

(٢) عماية الصبح: أي بقية ظلمة الليل .

(٣) فلا شيء: يعني فلا مجيب .

(٤) سبق تخريجه في حديث رقم: ٦٨٢ .

(٥) أطن قدمه: قصعه .

(٦) فانعجف: مال وسقط .

ب ـ الثابتون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٦٨٨ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: « وقد جاءه رجل فقال: يا أبا عمارة ، أتوليت يوم حنين ، فقال: أما أنا فاشهد على النبي ﷺ أنه لم يول ، ولكن عجل سرعان القوم ، فرشقتهم هوازن ـ وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء يقول: (أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب) [١] .

وفي لفظ آخر « وقد سأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين ؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر ، كانت هوازن رماة ، وأنا لما حملنا عليهم انكشفوا ، فأكببنا على الغنائم ، فاستقبلنا بالسهام ، ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء ، وإن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها وهو يقول: (أنا النبي لا كذب) .

٦٨٩ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لقد رأيتنا يوم حنين وإن الفئتين لموليتين ، وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل » [٢] .

٦٩٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « افتتحنا مكة ، ثم إننا غزونا حنيناً ، فجلى المشركون بأحسن صفوف رأيت ، قال: فصفت الخيل ، ثم صفت المقاتلة ، ثم صفت النساء من وراء ذلك ، ثم صفت الغنم ، ثم صفت النعم .

قال: ونحن بشر كثير قد بلغنا ستة آلاف [٣] . وعلى مجنبة [٤] خيلنا خالد بن

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ اعجبتكم كثْرتكم ﴾ حديث رقم: ٤٣١٥، ٤٣١٦ ، ٤٣١٧ ، ومسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين حديث رقم: ١٧٧٦ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال حديث رقم: ١٦٨٨ ، والنسائي في الكبرى كما اشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٨٧٣ .

قلت: وقد جاء من حديث زيد بن أرقم: هتاف النبي: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب أخرجه الطبراني، ورجاله ثقات ، كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٨٢ .

(٢) اخرجه الترمذي في الجهاد باب ما جاء في الثبات عند القتال حديث رقم: ١٦٨٩ ، وقال: حديث حسن غريب ، وحسنه الحافظ في الفتح: ٨/ ٢٩ ـ ٣٠ .

(٣) قد بلغنا ستة آلاف: قال القاضي هذا وهم من الراوي عن أنس ، والصحيح ما جاء في الرواية الأولى عشرة آلاف ، ومعه الطلقاء ، لأن المشهور في كتب المغازي أن المسلمين كانوا يومئذ اثنى عشر الفاً ، عشرة آلاف شهدوا الفتح . والفان من اهل مكة ومن انضاف إليهم (انظر الرواية الأولى ، والتي فيها ذكر العشرة الآف في صحيح مسلم حديث: ١٠٥٩/ ١٣٥ .

(٤) مجنبة: هي الكتيبة من الخيل التي تأخذ جانب الطريق .

الوليد . فجعلت خيلنا تلوي [1] خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشف خيلنا ، وفرت الأعراب . ومن نعلم من الناس .

قال: فنادى رسول الله ﷺ: (ياللمهاجرين !) ثم قال: (ياللأنصار) قال: قال أنس . هذا حديث عمية [2]، قال: قلنا لبيك يا رسول الله ، قال: فتقدم رسول الله ﷺ . قال: فأيم الله ! ما أتيناهم حتى هزمهم الله . قال: فقبضنا ذلك المال . ثم انطلقنا إلى الطائف ، فحاصرناهم أربعين ليلة ، ثم رجعنا إلى مكة ، فنزلنا ، قال: فجعل رسول الله ﷺ يعطي الرجل المائة من الإبل » [3] .

٦٩١- من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كنت مع النبي ﷺ يوم حنين قال: فولى الناس ، وثبت معه ثمانون رجلاً من المهاجرين والأنصار فنكصنا على أقدامنا نحواً من ثمانين قدماً ، ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عزَّ وجلَّ عليهم السكينة ، قال: ورسول الله ﷺ على بغلته يمضي قدماً ، فحارت به بغلته فمال عن السرج فقلت: ارتفع رفعك الله فقال: ناولني كفاً من تراب فضرب به وجوههم فامتلأت أعينهم تراباً قال: (أين المهاجرون والأنصار). قلت: هم أولاء قال: (اهتف بهم)، فهتفت بهم ، فجاءوا وسيوفهم بأيمانهم كأنها الشهب ، وولى المشركون أدبارهم » [4] .

قال الحافظ في الفتح: « وهذا لا يخالف حديث ابن عمر ، فإنه نفى أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت أنهم كانوا ثمانين ، وأما ما ذكره النووي في شرح مسلم: أنه ثبت معه اثنا عشر رجلاً ، فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحاق في حديثه أنه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي ، وأبو سفيان بن الحارث ، وأخوه ربيعة ، وأسامة بن زيد ، وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن ، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر ، فهؤلاء تسعة ، وتقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم ، فهؤلاء

---

(١) تلوي: تلوذ ، فجعلت فرساننا يثنون أفراسهم ويعفونها خلف ظهورنا .

(٢) هذا حديث عمية: هذا حديث فضل اعمامي ، أو هذا الحديث الذي حدثني به اعمامي .

(٣) أخرجه مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث رقم: ١٣٦/١٠٥٩ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ٨٩٧ .

(٤) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٨٠: رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني ، ورجاله أحمد رجال الصحيح غير الحارث بن حصيرة ، وهو ثقة ، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٢٩ ، وأخرجه الحاكم: ١١٧/٢ ، أخرجه أحمد في المسند: ١/ ٤٥٤ ، دلائل البيهقي: ١٤٢/٥ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

عشرة ، ووقع في شعر العباس بن عبد المطلب أن الذين ثبتوا كانوا عشرة فقط وذلك قوله:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة ... وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

وعاشرنا وافي الحمام بنفسه ... لما مسه في الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت . ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فعد فيمن لم ينهزم »[1] .

٧ـ هتاف العباس بالأنصار للعودة:

٦٩٢ـ من حديث العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: « شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين . فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب رسول الله ﷺ ، فلم نفارقه . ورسول الله ﷺ على بغلة له ، بيضاء . أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي . فلما التقى المسلمون والكفار ، ولى المسلمون مدبرين ، فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار .

قال العباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ . أكفها إرادة أن لا تسرع. وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (أي عباس ! ناد أصحاب السمرة)[2] فقال العباس: « وكان رجلاً صيتاً »[3] فقلت: بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة ؟

قال: فوالله ! لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي ، عطفة البقر على أولادها . فقالوا: يا لبيك ؟ يا لبيك ! قال: فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الأنصار ،

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٠ .
قلت: وقد جرح خالد رضي الله عنه في هذا اليوم ، أثناء المفاجأة التي فاجأ بها المشركون المسلمين فسارع رسول الله ﷺ للاطمئنان عليه ، فقد جاء عن عبدالرحمن بن أزهر أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم حنين يتخلل الناس ، يسأل عن رحل خالد . فدل عليه ، فنظر إلى جرحه ، وحسبت أنه نفث فيه ، أخرجه أحمد: ٤/٨٨ ، ٣٥١ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٩٤٧١ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١٣٩ ـ ١٤٠ ، وأخرجه مختصراً : الحاكم: ٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ، وأبو داود : ٤٤٨٧ ـ ٤٤٨٩، وأحمد في المسند: ٤/٨٨، ٣٥٠ . وإسناده صحيح .

(٢) أصحاب السمرة: هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان . ومعناه: ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية .

(٣) صيتاً: قوي الصوت .

يقولون: يا معشر الأنصار ! يا معشر الأنصار ! ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج ! ، يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ ، وهو على بغلته ، كالمتطاول عليها ، إلى قتالهم ، فقال رسول الله ﷺ: (هذا حين حمي الوطيس)[1]

قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات ، فرمى بهن وجوه الكفار . ثم قال: (انهزموا ، ورب محمد!) قال: فذهبت أنظر ، فإذا القتال على هيئته فيما أرى. قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته . فما زلت أرى حدّهم كليلاً[2] وأمرهم مدبراً »[3].

قال النووي رحمه الله « قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً ، وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم ، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا ، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ، ورشقهم بالسهام ، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه ، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر ، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة ، فتقدم أخفاؤهم ، فلما رشقوهم بالنبل ولوا ، فانقلبت أولاهم على أخراهم إلى أن أنزل الله سكينته على المؤمنين ، كما ذكر الله تعالى في القرآن »[4] .

٦٩٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « التقى يوم حنين أهل مكة وأهل المدينة ، واشتد القتال فولوا مدبرين ، فندب رسول الله ﷺ الأنصار فقال: (يا معشر المسلمين أنا رسول الله) فقالوا: إليك والله جئنا ، فنكسوا رؤوسهم ، ثم قاتلوا حتى فتح الله عليهم »[5].

وقد جاء في أحاديث المفاجأة والهزيمة ، وثبات النبي ﷺ فوائد كثيرة ذكرها

---

(١) هذا حين حمي الوطيس: الضرب في الحرب .

(٢) حدهم كليلاً: ما زلت أرى قوتهم ضعيفة .

(٣) أخرجه مسلم في الجهاد باب في غزوة حنين حديث رقم: ١٧٧٥ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٠٧ ، وعبدالرزاق في المصنف حديث رقم: ٩٧٤١ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٤٤٤ ، والحاكم في المستدرك: ٣/٣٢٧ ، ٣٢٨ ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ٥١٣٤ .

(٤) شرح صحيح مسلم النووي: ١٢/ ١١٥ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٤٨ ، وقال: حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

الحافظ في الفتح منها :

وفي الحديث (يعني حديث البراء بن عازب في ثبات النبي) من الفوائد: حسن الأدب في الخطاب ، والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب ، وذم الإعجاب ، وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية ، والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب ، ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها ، وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله ، ولا يقال كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك ، وهو حق، لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذاً بلجام بغلته ، وليس هو على اليقين مثل النبي ﷺ .

وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ، لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي ، وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار ، وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لاتباعه على الثبات ، وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو » [(١)] .

٨ـ اشتداد المعركة وقوله عليه السلام في ذلك:

٦٩٤ـ من حديث جابر بن عبدالله: « أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: (الآن حمي الوطيس) ، ثم قال: (هزموا ورب الكعبة) » [(٢)] .

٩ـ رميه عليه السلام الحصى في وجوه الأعداء:

أ ـ قد سبق ذكر رمي الحصى من حديث ابن مسعود رقم: ٦٩١، ومن حديث العباس بن عبدالمطلب رقم: ٦٩٢ ، وقد جاء أيضاً من حديث أبي عبدالرحمن الفهري في قصة حنين [(٣)] .

٦٩٥ـ وقد جاء أيضاً من حديث يزيد بن عامر السسوائي أنه قال: « عند انكشافة انكشفها المسلمون يوم حنين ، فتبعتهم الكفار، فأخذ رسول الله ﷺ قبضة

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٣٢ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح كذا قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٨٢ .

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب في الرجل ينادي فيقول لبيك حديث رقم: ٥٢٣٣ ، أحمد: ٥/ ٢٨٦، وأبو داود الطيالسي: ٣٢٧٢ ، ٢/ ١٠٧ ، وقال الزرقاني في شرح المواهب: رواه الترمذي ، وابن سعد وابن أبي شيبة ، والطبراني وابن مردويه والبيهقي ، ورجاله ثقات .

من الأرض ، فرمى بها وجوههم ، وقال: (ارجعوا شاهت الوجوه)، فما من أحد يلقى أخاه إلا وهو يشكو القذى ، ويمسح عينيه » [(١)] .

٦٩٦- ومن حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: « غزونا مع رسول الله ﷺ حنيناً ، فلما واجهنا العدو تقدمت ، فأعلو ثنية ، فاستقبل رجلاً من العدو ، فأرميه بسهم وتوارى عني ، فما دريت ما صنع .

ثم نظرت إلى القوم ، فإذا هم قد طلعوا من ثنية أخرى ، فالتقوا هم وصحابة للنبي ﷺ ، فولى صحابة النبي ﷺ ، فأرجع منهزماً وعلي بردتان مؤتزراً بإحداهما، مرتدياً بالأخرى ، قال: فاستطلق إزاري [(٢)] ، فجمعتها جمعاً، ومررت على رسول الله ﷺ منهزماً [(٣)] وهو على بغلته الشهباء ، فقال رسول الله ﷺ: (لقد رأى ابن الأكوع فزعاً) .

فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ، ثم استقبل به وجوههم ، فقال: (شاهت الوجوه) [(٤)] فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة ، فولوا مدبرين فهزمهم الله ، وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين » [(٥)] .

قلت: جاء في الأحاديث السابقة أنه ﷺ قد تناول كفاً من تراب أو حصى ، ورمى بها المشركين ، وقد جاء من حديث ابن مسعود ، فيما مضى أيضاً أنه طلب منه أن يناوله كفاً من التراب فرمى به المشركين ، ومن حديث ابن عباس أنه طلب من علي أن يناوله التراب ، فرمى به المشركين ، ويجمع بين هذه الأحاديث أنه ﷺ أولاً قال لصاحبه ناولني ، فناوله ، فرماهم ، ثم نزل عن البغلة ، فأخذ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٢/٢٣٧ ، رقم: ٦٢٢، والبخاري في التاريخ الكبير: ٤/٢/٣١٦ ، المطالب العالية: ٤٣٧٢، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وسكت عنه البوصيري، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/١٨٢-١٨٣: رواه الطبراني ، ورجاله ثقات .

(٢) فاستطلق إزاري: انحل لاستعجالي .

(٣) منهزماً: قال العلماء: قول منهزماً ، حال من ابن الأكوع ، كما صرح أولاً بانهزامه ، ولم يرد أن النبي ﷺ انهزم وقد قالت: الصحابة كلهم رضي الله عنهم: إنه ﷺ ما انهزم ، ولم ينقل أحد قط أنه انهزم في موطن من المواطن ، وقد نقلوا إجماع المسلمين على انه لا يجوز أن يعتقد انهزامه ﷺ ، ولا يجوز ذلك عليه .

(٤) شاهت الوجوه: أي قبحت .

(٥) أخرجه مسلم في باب غزوة حنين حديث رقم: ١٧٧٧ .

بيده ، فرماهم أيضاً ، فيحتمل أن الحصى في إحدى المرتين ، وفي الأخرى التراب ، والله أعلم » كذا قال الحافظ .[1]

ب ـ الرعب الذي أوقعه الله في قلوب المشركين يوم حنين:

٦٩٧ـ من حديث يزيد بن عامر السسوائي « وكان شهد حنيناً مع المشركين ، ثم أسلم قال أبو السائب: سألناه عن الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم يوم حنين ، كيف كان ، فأخذ حصاة ، فرمى بها طستاً فطن قال: كنا نجد في أجوافنا مثل هذا »[2] .

١٠ـ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين:

٦٩٨ـ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال رجل للبراء: أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة ؟ فقال: أشهد على نبي الله ﷺ ما ولى . ولكنه انطلق أخفاء الناس ، وحُسَّرٌ إلى هذا الحي من هوازن ، وهم قوم رماة . فرموهم برشق من نبل ، كأنها رجل من جراد[3] فانكشفوا: فأقبل القوم إلى رسول الله ﷺ ، وأبو سفيان بن الحارث يقود به بغلته ، فنزل ، ودعا ، واستنصر ، وهو يقول:

(أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب)

(اللهم نزل نصرك) .

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ »[4].

---

(١) الحافظ في الفتح: ٨/ ٣٢ .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨ ، رقم: ٦٢٣ ، وانظر المطالب العالية: ٤٣٧١ ، وعزاه إلى عبد بن حميد ، وسكت عليه البوصيري ، وقال الهيثمي: ٦/ ١٨٣ ، رواه الطبراني ، ورجاله ثقات.

(٣) رجل من جراد: كأنها قطعة من جراد ، والرجل: الجراد الكثير.

(٤) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب في غزوة حنين: ١٧٧٦ / ٧٩ ، وقد سبق تخريجه حديث رقم: ٦٨٨ ، ولكن مسلم تفرد بلفظ الدعاء للنبي ﷺ .

١١ـ ثبات أبي سفيان بن الحارث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم:

وقد سبق ذكر ثباته من حديث العباس بن عبدالمطلب [١] ، ومن حديث البراء ابن عازب [٢] ومن حديث جابر بن عبدالله [٣] ، وهذا مما يدل على شجاعته ، وتضحيته ، وصدق إيمانه رضي الله عنه .

أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم الصارمة بحق المشركين يوم حنين:

٦٩٩ـ من حديث أنس رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ قال يوم حنين: (جزوهم جزاً) ، وأومأ بيده إلى الحلق » [٤] .

١٢ـ أساليب النبي التشجيعية يوم حنين في القتال:

أـ أبو طلحة رضي الله عنه:

٧٠٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ يومئذ يعني يوم حنين: (من قتل كافراً ، فله سلبه) ، فقتل أبو طلحة يومئذ عشرين رجلاً، وأخذ أسلابهم » [٥]

ب ـ أبو قتادة رضي الله عنه:

٧٠١ـ من حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين . فلما التقينا كانت للمسلمين جولة [٦] . قال: فرأيت رجلاً من

---

(١) انظر رقم: ٦٩٢ .

(٢) انظر رقم: ٦٨٨ .

(٣) انظر رقم: ٦٨٧ .

(٤) اخرجه البزار حديث رقم: ١٨٣٠ ، كما في كشف الأستار ، وقال الهيثمي: ٦/ ١٨١: رواه البزار ، ورجاله ثقات .

(٥) اخرجه أبو داود في الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل رقم: ٢٧١٨ ، والدارمي: ٢/ ٢٢٩ ، وابن سعد: ٣/ ٥٠٥ ، وصححه الحاكم: ٣/ ٣٥٣ ، ووافقه الذهبي ، وإسناده صحيح كما قالا . وابن حبان في الموارد: ١٦٧١ ، وأحمد: ٣/ ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ٢٧٩ ، والطيالسي حديث رقم: ٢٠٧٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١٥٠ .

(٦) جولة: أي انهزم وخيفه ذهبوا فيها . وهذا إنما كان في بعض الجيش ، وأما رسول الله ﷺ وطائفة معه فلم يولوا . والأحاديث الصحيحة بذلك مشهورة قد سبق بعضها فيما مضى من الأحاديث .

المشركين قد علا رجلاً من المسلمين [١] ، فاستدرت إليه حتى أتيته من ورائه ، فضربته على حبل عاتقه [٢] ، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت[٣]. ثم أدركه الموت. فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب. فقال: ما للناس ؟ فقلت: أمر الله.

ثم إن الناس رجعوا ، وجلس رسول الله ﷺ فقال: (من قتل قتيلاً ، له عليه بينة ، فله سلبه)[٤] قال: فقمت فقلت: من يشهد لي ؟ [٥] ، ثم جلست ثم قال مثل ذلك . فقال فقمت فقلت: من يشهد لي ؟ ثم جلست . ثم قال ذلك. الثالثة فقمت .

فقال رسول الله ﷺ (مالك ؟ يا أبا قتادة !) فقصصت عليه القصة فقال رجل من القوم: صدق . يا رسول الله ! سلب ذلك القتيل عندي . فأرضه من حقه ، وقال أبو بكر الصديق: لاها الله [٦] إذاً لا يعمد [٧] إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله وعن رسوله ، فيعطيك سلبه . فقال رسول الله ﷺ: (صدق . فأعطه إياه) فأعطاني قال: فبعت الدرع ، فابتعت به مخرفاً [٨]في بني سلمة . فإنه لأول مال تأثلته [٩] في الإسلام .

وفي حديث الليث: فقال أبو بكر: كلا لا يعطيه أضيبع في قريش ويدع أسداً من أسد الله » [١٠] .

---

(١) قد علا رجلاً من المسلمين: يعني ظهر عليه وأشرف على قتله ، أو صرعه وجلس عليه ليقتله .

(٢) على حبل عاتقه: هامه بين العنق والكتف .

(٣) وجدت منها ريح الموت: يحتمل أنه أراد شده كشدة الموت: ويحتمل قاربت الموت .

(٤) له عليه بينة: أي شاهد ، فله سلبه: هو ما على القتيل ومعه من ثياب وسلاح ومركب وجنيب يقاد بين يديه .

(٥) من يشهد لي: بأني قتلت رجلاً من المشركين ، فيكون سلبه لي .

(٦) لاها الله: هكذا هو في روايات جميع المحدثين وهو قسم ويمين بمعنى (لا والله) .

(٧) لا يعمد: الضمير عائد إلى النبي ﷺ . أي لا يقصد عليه السلام إلى إبطال حق أسد من أسود الله يقاتل في سبيله وهو أبو قتادة بإعطاء سلبه إياك .

(٨) مخرفاً: البستان وقيل السكة من النخيل وقيل هي الجنينة الصغيرة .

(٩) تأثلته: اقتنيته وتأصلته.

(١٠) اخرجه البخاري باب غزوة حنين حديث رقم: ٤٣٢١، ومسلم في الجهاد والسير باب غزوة حنين رقم: ١٧٥١ ، وأبو داود في الجهاد باب في السلب يعطى للقاتل: ٢٧١٧ ، والترمذي في السير باب ما جاء فيمن قتل قتيلاً له سلبه: ١٥٦٢ ، وقال: حسن صحيح ، مالك في الموطأ: ١٢/١٠/٢ ، الجهاد باب ما

١٣ـ شجاعة ممثلة النساء أم سليم يوم حنين:

٧٠٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجراً [(١)] ، فكان معها فرآها أبو طلحة . فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر ، فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر ؟) قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه . فجعل رسول الله ﷺ يضحك . قالت: يا رسول الله ! اقتل من بعدنا [(٢)] من الطلقاء [(٣)] انهزموا بك [(٤)] . فقال رسول الله ﷺ : (يا أم سليم إن الله قد كفى وأحسن)[(٥)] .

١٤ـ اعتصام بعض الفارين بأوطاس ، وملاحقة المسلمين لهم:

٧٠٣ـ من حديث أبي موسى الأشعري: قال: « لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقي دريد بن الصمة ، فقتل دريد ، وهزم الله أصحابه قال أبو موسى: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته، رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته ، فانتهيت إليه فقلت: يا عم ! من رماك؟ فأشار أبو عامر إلى أبي موسى، فقال: إن ذلك قاتلي ، تراه ذلك الذي رماني .

قال أبو موسى فقصدت له ، فاعتمدته ، فلحقته ، فلما رآني ولى عني ذاهباً، فاتبعته وجعلت أقول له: الا تستحي ؟ ألست عربياً ؟ الا تثبت ؟ فكف فالتقيت أنا وهو فاختلفنا ضربتين أنا وهو فقتلته . ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت: قد قتل الله صاحبك ، قال: فانتزع هذا السهم ، فنزعته ، فنزا منه الماء [(٦)] فقال: يا ابن أخي ، انطلق إلى رسول الله ﷺ ، فاقرئه عني السلام ، ثم قل له إنه يقول

جاء في السلب ، وابن الجارود: ١٠٧٦ ، البيهقي: ٩/ ١٥٠ ، والطحاوي: ١/ ١٣٠ ، وهو مختصر عند ابن ماجه: ٢٨٣٧ والدارمي: ٢/ ٢٢٩ ، وسعيد بن منصور رقم: ٢٦٩٦ .

(١) خنجراً: سكين كبير ذات حدين .

(٢) من بعدنا: من سوانا .

(٣) الطلقاء هم الذين أسلموا يوم فتح مكة سمو بذلك لأن النبي ﷺ منّ عليهم وأطلقهم وكان في إسلامهم ضعف فاعتقدت أم سليم أنهم منافقون يستحقون القتل لانهزامهم .

(٤) انهزموا بك: أي انهزموا عنك . على حد قوله تعالى: ﴿ فاسأل به خبيراً ﴾ ، أي عنه وبما تكون للسببية . أي انهزموا بسببك لنفاقهم .

(٥) أخرجه مسلم في الجهاد والسير باب غزوة النساء مع الرجال حدث رقم: ١٨٠٩ ، وأحمد: ٣/ ١٩٠ ، وسنده صحيح على شرط مسلم ، وابن سعد في الطبقات: ٨/ ٤٢٥ ، وإسناده صحيح .

(٦) فنزا منه الماء: ظهر وجرى .

لك استغفر لي .

قال: واستخلفني أبو عامر على الناس يسيراً ، ثم مات . فلما رجعت إلى النبي ﷺ ، دخلت عليه ، وهو في بيت على سرير مرمل وعليه فراش ، وقد أثر رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه ، فأخبرته بخبرنا ، وخبر أبي عامر، وقلت له: قال: قل له يستغفر لي .

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ ، ثم رفع يديه ، فقال: (اللهم اغفر لأبي عامر عبدك) ، حتى رأيت بياض إبطيه ، ثم قال: (اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ، أو من الناس) ، فقلت: يا رسول الله ! ولي فاستغفر . فقال: (اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه ، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً) .

قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر ، والأخرى لأبي موسى »[1] .

١٥ـ حصار الطائف: في شوال سنة ثمان:

قد سبق من حديث أنس رضي الله عنه رقم: ٦٩٠ أن الرسول عليه الصلاة والسلام ومن معه من المسلمين جاهدوا المشركين في الطائف أربعين ليلة .

وقد حدثت بعض الأحداث أثناء الحصار أسوقها فيما يلي:

أـ أسلوب النبي في الحث في رماية السهام على حصن الطائف .

٧٠٤ـ من حديث أبي نجيح عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: حاصرنا مع رسول الله ﷺ قصر الطائف ، فسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بلغ بسهم فله درجة في الجنة) .

فبلغت يومئذ بستة عشر سهماً ، وسمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نوراً يوم القيامة) .

(وأيما رجل أعتق رجلاً مسلماً فإن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ جاعل كل عظم من

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزاة أوطاس حديث رقم: ٤٣٢٣ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر ، حديث رقم: ٢٤٩٨ ، والنسائي في الكبرى كما جاء في تحفة الأشراف لمعرفة الأطراف حديث رقم: ٩٠٤٦ ، وابن جرير الطبري: ٢/٣٥١ .

عظامه ، وفاء كل عظم بعظم ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة ، فإن الله - عزّ وجلّ - جاعل كل عظم من عظامها وفاء كل عظم من عظام محررها من النار) واللفظ لأحمد [1] .

ب - نزول بعض العبيد من الطائف وإعتاق النبي لهم:

٧٠٥- من حديث أبي عثمان النهدي قال: « سمعت سعداً ،وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكرة ، وكان تسور حصن الطائف في أناس ، فجاء إلى النبي ﷺ ، فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: « من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم ، فالجنة عليه حرام) .

وقال هشام ، وأخبرنا معمر عن عاصم عن أبي العالية ، أو أبي عثمان النهدي - قال: سمعت سعداً وأبا بكرة عن النبي ﷺ ، قال: عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما . قال: أجل ، أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأما الآخر فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف» [2] .

جـ - إذن الرسول عليه السلام بالقفول من الطائف:

٧٠٦- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « حاصر رسول الله ﷺ أهل الطائف ، فلم ينل منهم شيئاً ، قال: (إنا قافلون غداً - إن شاء الله) . فقال المسلمون: أنرجع ولم نفتحه ؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: (اغدوا على القتال غداً) ، فأصابهم جراح فقال لهم رسول الله ﷺ: (إنا قافلون غداً إن شاء الله)،

---

(١) اخرجه ابو داود في العتق باب اي الرقاب افضل حديث رقم: ٣٩٦٥ ، الترمذي فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله حديث رقم: ١٦٣٨ ، باختصار وقال حديث صحيح ، والنسائي في الجهاد باب ثواب من رمى سهم في سبيل الله: ٦/ ٢٦ ، ٢٨ ، ابن ماجه في الجهاد باب الرمي في سبيل الله حديث رقم: ٢٨١٢ ، وأحمد: ٤/ ١١٣ ، والحاكم: ٣/ ٤٩ - ٥٠ ، وقال صحيح عال ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، والحديث صحيح كما قالوا أخرجه بعضهم بطوله وبعضهم باختصار .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧ ، ابن سعد: ٢/ ١٥٩ ، ١٦٠ ، و: ٧/ ١٥ ، وقد ذكر الطبراني بسند لا بأس به عن أبي بكرة أنه تدلى من حصن الطائف ببكرة فكني أبا بكرة » ذكر ذلك الحافظ في الفتح: ٨/ ٤٥ . وقد جاء عند أحمد في المسند: ٤/ ١٦٨، ٣١٠ ، من حديث الشعبي عن رجل من ثقيف أن الرسول عليه السلام كان يطلق من يأتيه من العبيد، وسنده رجاله ثقات فقال: « سألنا رسول الله ﷺ ، أن يرد علينا أبو بكرة وكان عبداً لنا أتى رسول الله ﷺ ، وهو محاصر ثقيف ، فأسلم فأبى أن يرده علينا ، فقال: (هو طليق الله ثم طليق رسوله) ورجاله ثقات كما ذكرت .

فأعجبهم ذلك ، فضحك النبي ﷺ »[1] .

د ـ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم باهتداء ثقيف:

٧٠٧ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « قالوا: يا رسول الله أحرقتنا نبال ثقيف، فادع الله عليهم ، قال: (اللهم اهد ثقيفاً)[2].

١٦ـ قسمة الغنائم:

أـ طريقته في القسمة:

٧٠٨ـ من حديث عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: « أعطى رسول الله ﷺ قوماً ، ومنع آخرين ، فكأنهم عتبوا عليه فقال: (إني أعطي أقواماً أخاف هلعهم وجزعهم ، وأكل قوماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو ابن ثعلب) .

قال عمرو: فما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم» .

وفي لفظ آخر: « أن رسول الله ﷺ أتي بمال ، أو سبي ـ فقسمه ، فأعطى رجالاً ، وترك رجالاً . فبلغه أن الذين ترك عتبوا ، فحمدالله ، ثم أثنى عليه ، ثم قال: (أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكني أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل اقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن ثغلب) ، فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم »[3] .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف الحديث رقم: ١٧٧٨ ، مسلم في الجهاد والسير باب غزوة الطائف حديث رقم: ١٧٧٨، وجاء في رواية مسلم عن عبدالله بن عمرو بدلاً من عبدالله بن عمر، والصواب هو الثاني والله أعلم كما صوبه الدارقطني وابو مسعود الدمشقي في الأطراف ، والحميدي في الجمع بين الصحيحين في مسند ابن عمر ، واخرجه أحمد في المسند: ٢/ ١١ .

(٢) اخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب ثقيف وبني حنيفة حديث رقم: ٣٩٤٢ ، وقال: حديث حسن صحيح غريب ، واحمد: ٣/ ٣٤٣ ، ورجاله ثقات .

(٣) اخرجه البخاري في الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد حديث رقم: ٩٢٣ ، وجاء عنده أيضاً بارقام: ٣١٤٥ ، ٧٥٣٥ ، واحمد في المسند: ٥/ ٦٩ .

ب ـ إعطاؤه لصفوان بن أمية:

٧٠٩ـ من حديث ابن شهاب قال: « غزا رسول الله ﷺ غزوة الفتح ، فتح مكة ، ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة . ثم مائة .

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال: والله ! لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني ، وإنه لأبغض الناس إلي . فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي »[1] .

جـ ـ إعطاؤه لأبي سفيان بن حرب:

٧١٠ـ من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه قال: « أعطى رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية ، وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس كل إنسان منهم ، مائة من الإبل . وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك . فقال عباس بن مرداس:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع

فما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال: فأتم له رسول الله ﷺ مائة »[2] .

د ـ الأعرابي الجلف ورفض البشرى:

٧١١ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال ، فأتى النبي ﷺ أعرابي ، فقال: الا تنجز لي ما وعدتني ؟ فقال له: (أبشر). فقال: قد أكثرت علي من أبشر . فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان ، فقال: (رد البشرى ،

---

(١) أخرجه مسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وكثرة عطائه حديث: ٢٣١٣، والترمذي في الزكاة باب ما جاء في إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم: ٦٦٦ ، وأحمد: ٦/ ٤٦٥ ، وابن سعد: ٥/ ٤٤٩ .

(٢) أخرجه مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث: ١٠٦٠ .

فاقبلا أنتما) . قالا: قبلنا . ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجه فيه ، ومج فيه ثم قال: اشربا منه ، وأفرغا علي وجوهكما ونحوركما وابشرا ، فأخذا القدح ففعلا . فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما ، فأفضلا لها منه طائفة» [1] .

هـ ـ مقولة المنافق اعدل فإنك لم تعدل:

٧١٢ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « فلما كان يوم حنين آثر رسول الله ﷺ ناساً في القسمة ، فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى أناساً من أشراف العرب ، وآثرهم يومئذ في القسمة . فقال رجل: والله إن هذه لقسمة ما عدل فيها، وما أريد فيها وجه الله.

قال: فقلت: والله ! لأخبرن رسول الله ﷺ . قال: فأتيته ، فأخبرته بما قال: قال: فتغير وجهه حتى كان كالصرف . ثم قال: (فمن يعدل إن لم يعدل الله ورسوله) قال: ثم قال: (يرحم الله موسى . قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بعدها حديثاً » واللفظ لمسلم [2] .

و ـ خطبته صلى الله عليه وسلم بعد توزيع الغنائم:

٧١٣ـ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: « شهدت رسول الله ﷺ يوم حنين ، وجاءته وفود هوازن فقالوا: يا محمد إنا أصل [3] وعشيرة، فمنَّ علينا منَّ الله عليك ، فإنه قد نزل بنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فقال: (اختاروا بين نسائكم وأموالكم وأبنائكم) فقالوا: خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا نختار أبناءنا ، فقال: (ما كان لي ولبني عبدالمطلب ، فهو لكم ، فإذا صليت الظهر قولوا: إنا نستشفع برسول الله على المؤمنين ، وبالمؤمنين على رسول الله ﷺ في نسائنا وأبنائنا) .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث: ٤٣٢٨ ، مسلم فضائل الصحابة باب من فضائل أبي موسى الأشعري وأبي عامر حديث رقم: ٢٤٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣٦ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه حديث: ١٠٦٢، وأحمد كما في الفتح الرباني:٢١/ ١٨٠ وقد جاء من حديث جابر بن عبدالله عند مسلم: ١٠٦٣ ، وابن ماجه: ١٧٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١٨٥ ، ومن حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث رقم : ٣٦١٠ ، ومسلم في الزكاة حديث رقم: ١٤٨/١٠٦٤ ، البيهقي في الدلائل: ١٨٨/٥ .

(٣) انا اصل: يريدون ان رسول الله استرضع في بني سعد ، وأن امه من الرضاع حليمة السعدية .

قال: ففعلوا فقال رسول الله ﷺ: (أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم) ، وقال المهاجرون: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ ، وقالت الأنصار مثل ذلك ، وقال عيينة بن بدر: أما ما كان لي ولبني فزارة فلا ، وقال الأقرع ابن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا .

فقال الحيان: كذبت بل هو لرسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (يا أيها الناس ردوا عليهم نساءهم وأبناءهم ، فمن تمسك بشيء من الفيء ، فله علينا ستة فرائض من أول شيء يفيئه الله علينا) .

وفي رواية « فردوا على الناس أبناءهم ونساءهم ثم ركب راحلته ، وتعلق به الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا بيننا ، حتى ألجاوه إلى سمرة [1] فخطفت رداءه ، فقال: (يا أيها الناس ردوا علي ردائي ، فوالله لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعم لقسمته بينكم ثم لا تلقوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً) .

ثم دنا من بعيره ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصابعه السبابة والوسطى ، ثم رفعها ، فقال: (يا أيها الناس ليس لي من هذا الفيء ولا هذه إلا بالخمس ، والخمس مردود عليكم ، فردوا الخياط والمخيط ، فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عاراً وناراً وشناراً) .

فقام رجل معه كبة من شعر فقال: إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بعير لي دبر ، قال: (أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لك) ، فقال الرجل: يا رسول الله أما إذ بلغت ما أرى فلا أرب لي بها ونبذها » [2] .

١٧ـ مجيء وفد هوازن مسلمين وإعادة السبي لهم:

قد سبق طرف من هذا في الحديث الذي سبق من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وقد جاء أيضاً بشيء من الزيادة والتفصيل وأكثر صحة من الحديث

---

(١) سمرة: ضرب من شجر الطلح له شوك .

(٢) أخرجه احمد في المسند: ٢/ ١٨٤، ابن هشام في السيرة: ٢/ ٤٨٨، ٤٩٠ والبيهقي في الدلائل: ٥/ ١٩٤ ـ ١٩٦ ، أبو داود: ٢٦٩٤ ، ابن الجارود: ١٠٨٠ ، والنسائي: ٢/ ١٧٨ وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٨٧ ـ ١٨٨: رواه أبو داود باختصار كثير ،ورواه أحمد ، ورجال أحمد أسانيده ثقات ، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/ ٣٤ ، وهو كما قال الحافظ ، وقد جاء أيضاً من حديث عبادة بن الصامت عند الحاكم : ٣/ ٤٩ ، مقطع الخطبة فقط ، ومن حديث عمرو بن عبسة عند البيهقي : ٦/ ٣٣٩ ومن حديث جبير بن مطعم عند البخاري برقم: ٢٨٢١ ، ٣١٤٨ .

الذي ذكرت:

٧١٤ـ من حديث مروان بن الحكم والمسور بن مخرمة: « أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ: (معي من ترون ، وأحب الحديث إلي أصدقه ، فاختاروا إحدى الطائفتين: إما السبي وإما المال . وقد كنت استأنيت بكم) وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين . قالوا: فإنا نختار سبينا .

فقام رسول الله ﷺ في المسلمين ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: (أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل) . فقال الناس: قد طبنا بذلك يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ: (إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن . فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم) ، فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا . هذا الذي بلغني عن سبي هوازن »[1] .

١٨ـ مقولة الأنصار في تقسيم الغنائم وخطاب النبي لهم:

لقد جاءت هذه المقولة من حديث عبدالله بن زيد ، وأنس بن مالك ، وأبي سعيد الخدري ، وأبي هريرة رضي الله عنهم ، ورواياتهم بعضها فيها طول وبعضها فيها اختصار ، وسنوردها جميعاً لأن كل حديث من هذه الأحاديث فيه ما ليس في الآخر:

٧١٥ـ من حديث عبدالله بن زيد رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم ، فأعطى المؤلفة قلوبهم ، فبلغه أن الأنصار يحبون أن يصيبوا ما أصاب الناس فقام رسول الله ﷺ ، فخطبهم ، فحمدالله ، وأثنى عليه ، ثم قال: (يا معشر الأنصار ! الم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي ؟ وعالة[2] فأغناكم

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب قوله تعالى: ﴿ ويوم حنين إذ اعجبتكم كثرتكم ﴾ حديث رقم: ٤٣١٨، ٤٣١٩ ، احمد في المسند: ٤/٣٢٦ ، ٣٢٧ ، أبو داود: ٢٦٩٣ ، البيهقي: ٩/ ٦٤ .

(٢) عالة: اي فقراء .

الله بي ؟ ومتفرقين [١] فجمعكم الله بي) ويقولون: الله ورسوله أمنُّ . فقال: (ألا تجيبوني ؟) فقالوا: الله ورسوله أمن . فقال: (أما إنكم لو شئتم أن تقولوا كذا وكذا) ، وكان من الأمر كذا وكذا » لأشياء عددها . زعم عمرو أن لا يحفظها.

فقال: (ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاء [٢] والإبل، وتذهبون برسول الله إلى رحالكم ؟ الأنصار شعار والناس دثار [٣]، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس وادياً وشعباً ، لسلكت وادي الأنصار وشعبهم. إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) [٤] اللفظ لمسلم.

٧١٦ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « إن أناساً من الأنصار قالوا يوم حنين ، حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء [٥] ، فطفق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش . المائة من الإبل ، فقالوا: يغفر الله لرسول الله ، يعطي قريشاً ، ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ! » [٦].

قال أنس بن مالك: فحدث ذلك رسول الله ﷺ ، من قولهم . فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم [٧] . فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله ﷺ فقال: (ما حديث بلغني عنكم) فقال له فقهاء الأنصار: أما ذوو رأينا ، يا رسول الله! فلم يقولوا شيئاً . وأما أناس منا حديثة أسنانهم قالوا: يغفر الله لرسوله ، يعطي قريشاً ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم !

---

(١) متفرقين: متدابرين يعادي بعضكم بعضاً .

(٢) الشاء: جمع شاه وهي الغنم.

(٣) الأنصار شعار والناس دثار: قال أهل اللغة: الشعار الثوب الذي يلي الجسد ، والدثار فوقه ومعناه الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء والصق الناس بي من سائر الناس .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣٠ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم: ١٠٦١ ، وأحمد: ٤/ ٤٢ .

(٥) ما أفاء: ما غنم من هوازن بعد هزيمتهم .

(٦) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣١ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام حديث رقم: ١٠٥٩/ ١٣٢ ، أحمد: ٣/ ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ .

(٧) قبة من أدم: القبة من الخيام: بيت صغير مستدير والأدم الجلد.

فقال رسول الله ﷺ: (فإني أعطي رجالاً حديثي عهد بكفر أتألفهم [1] . أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم [2] برسول الله ﷺ ؟ فوالله ! لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به) فقالوا: بلى يا رسول الله ! قد رضينا . قال: (فإنكم ستجدون أثرة شديدة [3] ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله. فإني على الحوض). قالوا: سنصبر .

قال أنس: فلم نصبر » وفي لفظ آخر له: « قال: جمع رسول الله ﷺ الأنصار ، فقال: (أفيكم أحد من غيركم ؟ فقالوا: لا . إلا ابن أخت لنا ، فقال رسول الله ﷺ : إن ابن أخت القوم منهم) .

فقال: (إن قريشاً حديث عهد بجاهلية [4] ومصيبة. وإني أردت أن أجبرهم [5] وأتألفهم. أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا ، وترجعون برسول الله إلى بيوتكم. لو سلكت الناس وادياً، وسلك الأنصار شعباً [6]، لسلكت شعب الأنصار) [7] .

٧١٦ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة [8] حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله ﷺ قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال: يا رسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا

---

(١) أتألفهم: أستميل قلوبهم بالإحسان ليثبتوا على الإسلام رغبة في المال .

(٢) رحالكم: منازلكم.

(٣) أثرة شديدة: الأثرة: الاستئثار: أي يستأثر عليكم ويفضل عليكم غيركم بغير حق .

(٤) حديث عهد بجاهلية: كانوا قريب عهد بجاهلية . أي أن زمانهم قريب من زمان الكفر .

(٥) أجبرهم: أي أفعل معهم ما ينجبر به خاطرهم وينسيهم مصيبتهم .

(٦) وسلك الأنصار شعباً: قال الخليل: الشعب هو ما انفرج عن بين جبلين .

(٧) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الطائف حديث رقم: ٤٣٣٤ ، مسلم في الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم حديث رقم: ١٠٥٩/ ١٣٣ ، وأحمد في فضائل الصحابة: ١٤٣١ ، وفي المسند: ٣/ ١٦٥ـ ١٦٦ .

(٨) القالة: الكلام الرديء .

الحي من الأنصار منها شيء . قال: (فأين أنت من ذلك يا سعد ؟) قال: يا رسول الله، ما أنا إلا من قومي، قال: (فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة)[1].

قال: فخرج سعد، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة. قال: فجاء رجال من المهاجرين، فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فرده. فلما اجتمعوا له أتاه سعد، فقال: قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار، فأتاهم رسول الله ﷺ، فحمدلله، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال: (يا معشر الأنصار: ما قالة بلغتني عنكم، وجدة[2] وجدتموها علي في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالاً فهداكم الله ، وعالة [3] فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم !) قالوا: بلى، الله ورسوله أمن وأفضل .

ثم قال: (الا تجيبوني يا معشر الأنصار ؟) قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال ﷺ: (أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ، ولصُدِّقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولاً [4]فنصرناك ، وطريداً فآويناك . وعائلاً فآسيناك [5] ؟

وجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم في لعاعة [6] من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم الا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً ، وسلكت الأنصار شعباً: لسلكت شعب الأنصار ، اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار) [7] .

---

(١) الحظيرة: شبيه الزريبة التي تصنع للإبل والماشية لتمنعها ، وتكف عنها العوادي .

(٢) الموجدة: العتاب .

(٣) عالة: جمع عائل: الفقير .

(٤) مخذولاً: متروكاً.

(٥) آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا .

(٦) لعاعة: بقلة خضراء ناعمة شبه بها زهرة الدنيا ونعيمها .

(٧) أخرجه أحمد: ٣/٧٦ ـ ٧٧ ـ ٨٩ ، ابن جرير: ٢/٣٦٠ ، ٣٦١ وعبدالرزاق في المصنف: ١١/٦٤، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد: ١٠/٣٠ ، وأسانيدهم صحيحة، ابن كثير في سيرته: ٣/٦٧٨ ، ٦٧٩، ابن هشام في السيرة: ٢/٤٩٨ ـ ٤٩٩ ، وسنده صحيح .

فوائد هذه القصة وعبرها:

ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح فوائد نفيسة استخلصها من هذه الحادثة وما قال الرسول ﷺ للأنصار، وما قالوا له، أذكرها لعظيم نفعها، وجزالة معانيها، ولما احتوته في طياتها من الخير العظيم، قال رحمه الله: وبعد شرحه حديث عبدالله بن زيد وبيانه للكثير من معانيه.

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم: إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المحاورة، والمبالغة في الحياء، وبين أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم.

وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم، وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه، ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه، والاعتذار والاعتراف.

وفيه علم من أعلام النبوة لقوله: « ستلقون بعدي أثرة » فكان كما قال. وقد قال الزهري في روايته عن أنس في آخر الحديث « قال أنس فلم يصبروا » وفيه أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفيء، وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة، وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك.

وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواءً كان خاصاً أم عاماً، وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى »[1].

(١) فتح الباري: ٨/ ٥٢.

١٩ـ عمرة النبي عليه السلام من الجعرانة:

وقد ذكر هذه العمرة أصحاب المغازي والسير مثل عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة وابن إسحاق ، وابن هشام ، وابن حبان ، والواقدي ، وقد أنكره ابن عمر رضي الله عنه، ونقل ذلك عنه مولاه نافع، أخرج البخاري من طريق أيوب عن نافع قال: لم يعتمر رسول الله ﷺ من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبدالله.

وأخرج مسلم من هذا الوجه عن نافع قال: ذكر عند ابن عمر رضي الله عنهما عمرة رسول الله من الجعرانة ، فقال: لم يعتمر منها ، وهذا الذي نفاه قد أثبته غيرهما والمثبت مقدم على النافي .

قال النووي: هذا محمول على نفي علمه ، أي أنه لم يعلم بذلك ، وقد ثبت أن النبي ﷺ اعتمر من الجعرانة ، والإثبات مقدم على النفي لما فيه من زيادة العلم ، وقد ذكر مسلم في كتاب الحج اعتمار النبي ﷺ من الجعرانة عام حنين من رواية أنس رضي الله عنه .

وحديث أنس أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي ، وقد ورد من حديث ابن عباس ، أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وحسنه الترمذي، ومن حديث جابر رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيمثي ، ومن حديث محرش الكعبي رواه أحمد والحميدي وأبو داود والترمذي والنسائي ، قال الحافظ ابن كثير: قد أطبق النقلة ممن عداهما على رواية ذلك من أصحاب الصحاح والسنن ، والمسانيد ، وذكر ذلك أصحاب المغازي والسير كلهم.

ووجه الخفاء في القضية ما جاء في حديث محرش الكعبي « أن رسول الله خرج ليلاً معتمراً ، فدخل مكة ليلاً ، فقضى عمرته ثم خرج من ليلته ، فأصبح بالجعرانة كبائت » إلى آخر الحديث، وفيه: « ومن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس ».

٧١٧ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته ، عمرة من الحديبية في ذي القعدة، وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة ، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين

في ذي القعدة ، وعمرة مع حجته »[1] .

٧١٨ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر ، عمرة الحديبية والثانية حين تواطؤا على عمرة من قابل ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي قرن مع حجته »[2] .

٧١٩ـ من حديث يعلى بن منبه رضي الله عنه قال: « جاء رجل إلى النبي ﷺ ، وهو بالجعرانة وعليه جبة ، وعليها خلوق ، أو قال: أثر صفرة ، فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي ؟ قال: وانزل على النبي ﷺ الوحي ، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺ ، وقد أنزل الوحي عليه ، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه ، فنظرت إليه ، فإذا له غطيط « قال » وأحسبه كغطيط البكر ، فلما سري عنه قال: (أين السائل عن العمرة ؟ اغسل عنك الصفرة ، أو قال أثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك ، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك) .

قال: وأتى النبي ﷺ رجل قد عض رجلاً ، فانتزع يده ، فسقطت ثنيتا الذي عضه، قال: فأبطلها النبي ﷺ، وقال: (أردت أن تقضمه كما يقضم الفحل)[3] .

---

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٤٨٣ ، أول غزوة الحديبية .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٢٢١١ ، والترمذي: ٨١٦ ، في الحج باب ما جاء كم اعتمر النبي ﷺ ، وابن ماجه: ٣٠٠٣ ، في المناسك باب كم اعتمر النبي ﷺ ، وابو داود: ١٩٩٣ ، في الحج باب العمرة ، وسنده صحيح .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش ، حديث رقم: ٤٩٨٥ ، مسلم في الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو عمرة ، وما لا يباح وبيان تحريم الطيب عليه حديث رقم: ١١٨٠ .

المبحث الثالث: ابن اللتبية الأزدي وجمع الصدقات

لما رجع الرسول ﷺ إلى المدينة ، ودخلت سنة تسع للهجرة بعث رسول الله ﷺ المصدقين ليأخذوا الصدقات من الأعراب ، وكان من بينهم ابن اللتبية الأزدي، وله قصة في جمع الصدقة أسوقها هنا لطرافتها:

٧٢٠ـ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يقال له ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم ، قال: هذا لكم ، وهذا أهدي لي »، فقام رسول الله ﷺ على المنبر ، فحمدالله ، وأثنى عليه ، وقال: (ما بال عامل أبعثه فيقول: هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ، والذي نفس محمد بيده ، لا ينال أحد منكم منها شيئاً إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر) ، ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ، ثم قال: (اللهم هل بلغت مرتين) [(١)] .

المبحث الرابع: إسلام عدي بن حاتم الطائي

٧٢١ـ من حديث أبي عبيدة بن حذيفة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: قال أبو عبيدة: كنت أحدَّثُ عن عدي بن حاتم فقلت هذا عدي في ناحية الكوفة ، فلو أتيته ، فكنت أنا الذي أسمعه منه ، فأتيته فقلت: إني كنت أحدث عنك حديثاً ، فأردت أن أكون أنا الذي أسمعه منك . قال: لما بعث الله عزَّ وجلَّ النبي ﷺ فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم .

قال: فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت له أشد كراهية له مني من حيث جئت ، قال: قلت: لآتين هذا الرجل فوالله إن كان صادقاً فلأسمعن منه ، وإن كان كاذباً ما هو بضائري .

قال: فأتيته واستشرفني الناس وقالوا: عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ،

---

(١) أخرجه البخاري: في الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد رقم: ٩٢٥ ، وانظر أرقام: ١٥٠٠ ، ٢٥٩٧ ، ٦٦٣٦ ، ٦٩٧٩ ، ٧١٧٤ ، ٧١٩٧ ، ومسلم في الإمارة ، باب محاسبة الإمام عماله رقم: ١٨٣٢ ، وأبو داود في الخراج والإمارة باب في هدايا العمال رقم: ٢٩٤٦ ، والبيهقي في السنن : ٧ / ١٦ ، ١٠/١٣٨ ، والحميدي في مسنده رقم: ٨٤٠ ، وأحمد في المسند: ٥/٤٢٣ ، ٤٣٢٤ .

قال: أظنه قال ثلاث مرار ، قال: فقال لي: (يا عدي بن حاتم أسلم تسلم)، قال: قلت: إني من أهل دين . قال: (يا عدي بن حاتم أسلم تسلم). قال: قلت: إني من أهل دين ، قالها ثلاثاً . قال: (أنا أعلم بدينك منك). قال: قلت: أنت أعلم بديني مني ؟ قال: (نعم) قال: (أليس ترأس قومك ؟) قال: قلت: بلى . قال: فذكر محمد الركوسية قال كلمة التمسها يقيمها فتركها قال: (فإنه لا يحل في دينك المرباع) .

قال: فلما قالها ، تواضعت لها . قال: (وإني قد أرى أن مما يمنعك خصاصة تراها ممن حولي ، وأن الناس علينا إلباً واحداً هل تعرف مكان الحيرة ؟) قال: قلت: قد سمعت بها ولم آتها . قال: (لتوشكن الظعينة أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز تفتح) ، قال: قلت: كسرى بن هرمز ؟ ، قال: (كسرى بن هرمز ثلاث مرات) ، (وليوشكن أن يبتغي من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد) ، قال: فلقد رأيت اثنتين ، قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بغير جوار حتى تطوف بالكعبة وكنت في الخيل التي أغارت على المدائن ، وأيم الله لتكونن الثالثة انه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه)[1] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ، وإسناده حسن ، الحاكم: ٤/ ٥١٨ ـ ٥١٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ٣٤٣ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٨/ ٢٣٧ ، رقم: ٦٦٤٤ ، وأورده ابن الأثير في أسد الغابة: ٤/ ٨ ، وجاء من طريق آخر من حديث سماك بن حرب عن عباد بن حبيش عن عدي ، وأخرجه أحمد: ٤/ ٣٧٨ ، ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٧٨ ـ ٥٨١ ، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد والطبراني ، ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش ،وهو ثقة: ٦/ ٢٠٨ ، وقد جاء جزء من هذا الحديث السابق من حديث عدي بن حاتم ، وهو المتعلق ببشريات الرسول عليه السلام لعدي عن الحيرة وكنوز كسرى وفيض المال وقد أخرجه البخاري في الصحيح في المناقب باب علامات النبوة حديث رقم: ٣٥٩٥ ، وأحمد: ٤/ ٢٥٧ ـ ٣٧٩ .

الفصل العاشر

غزوة تبوك أو غزوة العسرة

١ـ ما تبوك:

تبوك اسم مشهور في القديم والحديث وقد وصفها ياقوت في معجم البلدان فقال: تبوك بالفتح ثم بالضم وواو ساكنة، وكان موضعاً بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة.

وقال أبو زيد: « تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر، نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي ﷺ، وقال ياقوت: وتبوك تقع بين جبل حسمي وجبل شروري، حسمي غربيها وشروري شرقيها، وبين تبوك والمدينة اثنتا عشرة مرحلة ».

٢ـ وقتها:

قال الحافظ في الفتح: « كانت غزوة تبوك في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع بلا خلاف، وعند ابن عائذ من حديث ابن عباس أنها كانت بعد الطائف بستة أشهر، وليس مخالفاً لقول من قال في رجب إذا حذفنا الكسور لأنه ﷺ قد دخل المدينة من رجوعه من الطائف في ذي الحجة »[١].

وقد قال ابن إسحاق: « إن رسول الله ﷺ أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك في زمان من عسرة الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه، وكان رسول الله ﷺ قلّما يخرج في غزوة إلا كنى عنها، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذي يصمد[٢] له إلا ما كان من غزوة تبوك، فإنه بينها للناس، لبعد الشقة، وشدة الزمان، وكثرة العدو الذي يصمد له، ليتأهب الناس لذلك أهبته، فأمر الناس بالجهاز، وأخبرهم أنه يريد الروم»[٣].

---

(١) فتح الباري: ٨/ ١١١، سيرة ابن كثير: ٤/ ٤، ابن هشام: ٢/ ٥١٦، زاد المعاد: ٣/ ٥٢٦، ابن سعد: ٢/ ١٦٥، ١٦٨.

(٢) يصمد: يقصد.

(٣) سيرة ابن هشام: ٢/ ٥١٦.

٣ـ لم سميت غزوة العسرة:

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ **والذين اتبعوه في ساعة العسرة** ﴾ : « أي وقت العسرة والمراد جميع أوقات تلك الغزوة ، ولم يرد ساعة بعينها ، وقيل: ساعة العسرة أشد الساعات التي مرت بهم في تلك الغزاة . والعسرة صعوبة الأمر.

قال جابر: اجتمع عليهم عسرة الظهر ، وعسرة الزاد ، وعسرة الماء . قال الحسن: كانت العشرة من المسلمين يخرجون على بعير يعتقبونه بينهم ، وكان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة، وكان النفر يخرجون ما معهم - إلا التمرات بينهم ، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمر فلاكها حتى جيد طعمها ، ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء كذلك حتى تأتي على آخرهم، فلا يبقى من التمرة إلا النواة . فمضوا مع النبي ﷺ على صدقهم ويقينهم رضي الله عنهم. وقال عمر رضي الله عنه وقد سئل عن ساعة العسرة: خرجنا في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع من العطش ، وحتى إن الرجل لينحر بعيره ، فيعصر فرثه ، فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده . فقال أبو بكر: يا رسول الله ، إن الله قد عودك في الدعاء خيراً ، فادع لنا . قال: (أتحب ذلك) ، قال: نعم ، فرفع يديه ، فلم يرجعهما حتى أظلت السماء ثم سكبت فملأوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر .

وروى أبو هريرة وأبو سعيد قالا: كنا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك، فأصاب الناس مجاعة وقالوا: يا رسول الله ، لو أذنت لنا ، فنحرنا نواضحنا، فأكلنا وادهنا. فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا) ، فجاء عمر وقال: يا رسول الله إن فعلوا قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، فادع الله عليها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة . قال: (نعم)، ثم دعا بنطع فبسط ، ثم دعا بفضل الأزواد، فجعل الرجل يجيء بكف ذرة ، ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع النطع من ذلك شيء يسير .

قال أبو هريرة: فحزرته فإذا هو قدر ربضة العنز، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثم قال: (خذوا في أوعيتكم) ، فأخذوا في أوعيتهم حتى والذي لا إله

إلا هو - ما بقي في العسكر وعاء إلا ملأوه، وأكل القوم حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال النبي ﷺ: (اشهد ان لا إله إلا الله ، واني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاكٍ فيهما فيحجب عن الجنة) أخرجه مسلم في صحيحه بلفظه ومعناه والحمدلله .

قال ابن عرفة: سمي جيش تبوك جيس العسرة لأن رسول الله ﷺ ندب الناس إلى الغزو في حمارة القيظ ، فغلظ عليهم وعسر ، وكان إبان إبتياع الثمرة، قال: وإنما ضرب المثل بجيش العسرة لأن رسول الله ﷺ لم يغز قبله في عدد مثله . لأن اصحابه يوم بدر كانوا ثلثمائة وبضعة عشر ، ويوم احد سبعمائة، ويوم خيبر الفاً وخمسماية ، ويوم الفتح عشرة آلاف ، ويوم حنين اثني عشر الفاً، وكان جيشه في غزوة تبوك ثلاثين الفاً وزيادة ، وهي آخر مغازيه ﷺ .

وخرج رسول الله ﷺ في رجب ، وأقام بتبوك شعبان وأياماً من رمضان ، وبث سراياه وصالح أقواماً على الجزية ، وفي هذه الغزاة خلف علياً على المدينة فقال المنافقون: خلفه بغضاً له ، فخرج خلف النبي ﷺ واخبره فقال عليه السلام (أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى) وبين ان قعوده بأمر النبي ﷺ يوازي في الأجر خروجه معه ، لأن المدار على أمر الشارع .

وإنما قيل لها: غزوة تبوك لأن النبي ﷺ رأى قوماً من أصحابه يبوكون حسي تبوك ، اي يدخلون فيه القدح ويحركونه ليخرج الماء ، فقال: (ما زلتم تبوكونها بوكاً) فسميت تلك الغزوة غزوة تبوك » الحسي (بالكسر) ماتنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة امسكته ، فتحفر عنه الرمل ، فتستخرجه وهو الإحشاء قاله الجوهري »[1] .

٤- الإخبار عن وجهة الجيش:

كان من نهجه عليه الصلاة والسلام انه إذا أراد ان يغزو منطقة أو قوماً ورى عن المنطقة ، أو عن القوم بانه يريد آخرين ، مثل انه إذا كان يريد غزوة في الشمال سأل عن منطقة في الجنوب من أجل ان يخفي حركته وحركة الجيش الذي معه ، ومن أجل ان لا يفوت على جيش المسلمين عنصر المفاجأة الذي يكون في كثير من الأحيان عنصراً اساسياً من عناصر هزيمة القوم الذين يراد غزوهم ، إلا انه

(١) القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: ٨/ ٢٧٨.

في هذه الغزوة أعلن عن وجهته التي يريد ، لأن العدو كثير ، والمسافة بعيدة ، والحر شديد ، فلا بد من الاستعداد والتزود .

٧٢٢ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى[١] بغيرها، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، استقبل سفراً بعيداً ومفازاً [٢] استقبل غزو عدد كثير، فجلا [٣] للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة[٤] عدوهم ، أخبرهم بوجهه الذي يريد»[٥].

٥ـ دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين للتبرع لإعداد الجيش:

حث الرسول عليه الصلاة والسلام أغنياء الصحابة على التصدق ، وهو ما يسمى بلغة العصر التبرع ـ لتجهيز الجيش الإسلامي الضخم الذي احتشد للخروج مع النبي ﷺ وإكمال تموينه ، لأن بيت مال المسلمين بالمدينة ليس فيه ما يكفي لتموين وتجهيز هذا الجيش الكبير .

وما كاد الأغنياء وميسوري الحال من الصحابة يتبلغون نداء الرسول ﷺ الحاث على التصدق والتبرع لإكمال تجهيز الجيش الغازي هذا حتى تسابقوا إلى ميدان التبرع والتصدق طمعاً فيما عند الله تعالى من ثواب ، وكان التبرع من هؤلاء الكرام على أعلى مستويات السخاء فتم للرسول ﷺ جمع أموال عظيمة من المتصدقين في وقت قليل جداً ، تمكن بهذه الأموال من تموين الجيش وإكمال تجهيزه حيث وفر للجيش وسائل النقل ، والأسلحة ، والأكل لأفراده الذين لا يقدرون على أن يوفروها لأنفسهم من مالهم الخاص.

وكان من أعظم هؤلاء جميعاً سخاء عثمان بن عفان رضي الله عنه ، فقد ضرب الرقم القياسي في البذل والسخاء حين جاء بالمال الكثير لتجهيز المقاتلين

---

(١) ورى: أوهم بغيرها.

(٢) المفاز: الفلاة التي لا ماء فيها .

(٣) جلا: أوضح لهم أمرهم .

(٤) الأهبة: أخذ ما يحتاجون إليه في سفرهم .

(٥) أخرجه البخاري في الجهاد ، باب من أراد غزوة فورى بغيرها رقم: ٢٩٤٨ ، مسلم في التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه: ٢٧٦٩ ، وسيأتي مزيد في تخريجه عند ذكر قصة توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، فانظره هناك .

وتموينهم جعلت رسول الله ﷺ يُسَّر جداً به ويرضى عنه ويدعوله ، فقد جاء:

٧٢٣- من حديث عبدالرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال: « جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ: بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة قال: فصبها في حجر النبي ﷺ ، فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: (ما ضر ابن عفان ما عمل بعد اليوم يرددها مراراً) [(١)] .

٧٢٤- وأما علبة بن زيد فخرج من الليل فصلى من ليلته ما شاء الله ، ثم بكى ، وقال: اللهم أنك قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسول الله ﷺ ولم تجعل في يد رسولك ما يحملني عليه ، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني فيها مال أو جسد أو عرض .

ثم أصبح مع الناس، فقال رسول الله ﷺ: (أين المتصدق هذه الليلة ؟) فلم يقم أحد ، ثم قال: (أين المتصدق فليقم) فقام إليه فأخبره فقال رسول الله ﷺ: (أبشر فوالذي نفسي بيده لقد كتبت في الزكاة المتقبلة) [(٢)] .

٦- لمز المنافقين للمتصدقين:

٧٢٥- من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: « لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، وجاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رئاء فنزلت ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ الآية» [(٣)] .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب مناقب عثمان بن عفان حديث رقم: ٣٧٠١ ، وقال: حسن غريب من هذا الوجه ، وأخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٦٣، وإسناده حسن ، والحاكم: ٣/ ١٠٢، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية: ١/ ٥٩ ، وله شواهد ذكرها الحافظ ابن كثير في السيرة: ٤/ ٧ ، من حديث عبدالرحمن بن خباب السلمي الذي أخرجه الترمذي: ٣٧٠١ ، وأحمد: ٤/ ٢٧٥ ، وفيه فرقد أبو طلحة لا يعرف ، وباقي رجاله ثقات . ومن حديث الأحنف بن قيس الذي أخرجه الطيالسي والنسائي: ٦/ ٢٣٤ .

وقال الحافظ في الإصابة: ٢/ ٤٥٥ ، وجاء من طرق كثيرة شهيرة صحيحة عن عثمان أنه لما حصروه أنشد الصحابة في أشياء منها تجهيز جيش العسرة . ونقل الحافظ أيضاً في الفتح: ٨/ ١١١ ، شاهداً عن عمران بن حصين ، وعزاه إلى الطبراني . قلت: وفيه ضعف كما قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩١: رواه الطبراني ، وفيه العباس بن الفضل الأنصاري وهو ضعيف .

(٢) حديث صحيح ورداً مسنداً وموصولاً كما قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ٢/ ٤٩٣ ، من حديث مجمع بن جارية أو من حديث عمرو بن عوف وأبي عبس بن جبر ، ومن حديث علبة بن زيد نفسه .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ، باب سورة التوبة ، باب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في

٧ـ قصة أصحاب أبي موسى الأشعري :

٧٢٦ـ من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم إذا هم معه في جيش العسرة وهي غزوة تبوك ، فقلت: يا نبي الله ، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: (والله لا أحملكم على شيء) ، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، ورجعت حزيناً من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي ، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالاً ينادي: أي عبدالله بن قيس ، فأجبته فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك .

فلما أتيته قال: (خذ هذين القرنين لستة أبعرة ابتاعهن حينئذ من سعد ـ فانطلق بهن إلى أصحابك فقل: إن الله ـ أو قال ـ إن رسول الله ﷺ ـ يحملكم على هؤلاء ، فاركبوهن) . فانطلقت إليهم بهن فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء ، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ لا تظنوا أني حدثتكم شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ .

فقالوا لي: إنك عندنا لمصدق ، ولنفعلن ما أحببت ، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتو الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ ، منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد ، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى »[1] .

٨ـ متى خرج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة:

٧٢٧ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: « أنّ النبي ﷺ خرج يوم الخميس في غزوة تبوك ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس »[2].

الصدقات، حديث رقم: ٤٦٦٨ ، مسلم في الزكاة باب الحمل باجرة يتصدق بها ، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل ، حديث رقم: ١٠١٨ ، ، ابن جرير في التفسير: ١٠/١٩٦ ، ابن حبان في الموارد حديث رقم: ١٤٣٣ .

(١) اخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، حديث رقم: ٤٤١٥ ، مسلم في الإيمان ، باب ندب من حلف يميناً فرأى غيرها خيراً منها ان ياتي الذي هو خير حديث رقم: ١٦٤٩ ، البيهقي في دلائل النبوة: ٥/٢١٦ ـ ٢١٧ .

(٢) اخرجه البخاري في الجهاد ، باب من أراد غزوة فورى بغيرها ، ومن احب الخروج يوم الخميس حديث رقم: ٢٩٥٠ ، والنسائي في الكبرى في السير كما اشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١١١٤٣ .

٩ـ تشييع علي للنبي صلى الله عليه وسلم:

٧٢٨ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: « أن علياً رضي الله عنه خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع ، وعلي رضي الله عنه يبكي يقول: تخلفني مع الخوالف فقال: (أو ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا النبوة) [١] .

١٠ـ تخلف علي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم:

٧٢٩ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: (خلف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال: يا رسول الله ﷺ ، أتخلفني في النساء والصبيان ، فقال: (أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي) [٢] .

١١ـ دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالبركة في ظهورهم:

٧٣٠ـ من حديث شريح بن عبيد « أن فضالة بن عبيد الأنصاري كان يقول: غزونا مع النبي ﷺ غزوة تبوك، فجهد بالظهر جهداً شديداً [٣] فشكوا إلى النبي ﷺ ما بظهرهم من الجهد ، فتحين بهم مضيقاً [٤] ، فسار النبي ﷺ فيه فقال: (مروا باسم الله) ، فمر الناس عليه بظهرهم ، فجعل ينفخ بظهرهم [٥] : (اللهم

---

(١) اخرجه احمد: ١/ ١٧٠ ، وإسناده صحيح على شرط البخاري ، وقد تفرد أحمد في روايته تشييع علي للنبي ﷺ إلى ثنية الوداع .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة تبوك ، وهي غزوة العسرة ، حديث رقم: ٤٤١٦ ، وفي فضائل الصحابة ، باب مناقب علي ، فتح: ٥/ ٢٢ ، مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب ، حديث رقم: ٢٤٠٤ ، احمد في المسند: ١/ ١٨٢ ، ابن أبي شيبة في المصنف رقم: ١٨٨٥٤ ، البيهقي في الدلائل: ٥/ ٢٢٠ من طرق عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص ، وأخرجه أحمد: ١/ ١٧٥ ، والبخاري في فضائل الصحابة: ٣٧٠٦ ، باب مناقب علي، ومسلم: ٢٤٠٤ ، ما بعده بدون رقم ، وابن ماجه في المقدمة: ١١٥ باب فضل علي من طرق عن شعبة عن سعد بن إبراهيم قال سمعت إبراهيم بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ، وأخرجه أحمد : ١/ ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، الترمذي في المناقب: ٣٧٢٦ باب أنا دار الحكمة وعلي بابها من طرق عن سعد بن أبي وقاص .

(٣) جهد بالظهر جهداً شديداً: اي بلغت المشقة والتعب بالإبل أقصاها ، والمراد بالظهر هنا الإبل ، ولم يكن المشقة والتعب قاصراً على الظهر بل تناول رجال الجيش .

(٤) تحين بهم مضيقاً: اي قصد أن يسير بهم في مكان ضيق .

(٥) ينفخ بظهرهم: ينفخ على الإبل ، ويدعو بما جاء في الحديث .

احملهم عليها في سبيلك ، إنك تحمل على القوي والضعيف [١] ، وعلى الرطب واليابس في البر والبحر) .

قال: فما بلغنا المدينة حتى جعلت تنازعنا أزمتها [٢] قال فضالة: هذه دعوة النبي ﷺ على القوي والضعيف فما بال الرطب واليابس ، فلما قدمنا الشام غزونا غزوة قبرس في البحر ، فلما رأيت السفن وما يدخل فيها عرفت دعوة النبي ﷺ»[٣] .

١٢ـ نهيه صلى الله عليه وسلم عن شرب ماء ثمود :

٧٣١ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود ، الحجر ، واستقوا من بئرها ، واعتجنوا به ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئارها ، وأن يعلفوا الإبل العجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة » [٤] .

٧٣٢ـ ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما أيضاً قال: « مررنا مع رسول الله ﷺ على الحجر ، فقال لنا رسول الله ﷺ: (لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم)، ثم زجر [٥] فأسرع حتى خلفها »[٦] .

---

(١) على القوي والضعيف: معناه أن الدواب فيها القوي والضعيف ، والكل يحمل بقدرتك .

(٢) تنازعنا أزمتها: جمع زمام وهو الخيط الذي يشد به أنف البعير ، ثم يشد إليه المقود والمعنى أن الإبل قويت حتى كانت تسرع في المسير ، فكنا نمنعها من السرعة الشديدة .

(٣) اخرجه أحمد في المسند: ٢٠/٦ ، وسنده جيد ليس فيه علة ، واورده الهيثمي في المجمع: ١٩٣/٦ وقال: رواه الطبراني والبزار ، وفيه يحيى بن عبدالله البابلي ، وهو ضعيف . قلت: وسند الإمام احمد ليس فيه يحيى بن عبدالله البابلي ، والعجيب أن الحافظ الهيثمي لم يعزه للإمام احمد مع أن رواية الإمام احمد أجود سنداً ، وأكثر معنى ومتناً ، والظاهر أنه نسي ذلك . والله أعلم .

(٤) اخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى: وإلى ثمود اخاهم صالحاً حديث رقم: ٣٣٧٩ ، ومسلم في صحيحه في الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، حديث رقم: ٢٩٨٠/ ٤٠، ص: ٢٢٨٦/٤ .

(٥) زجر: أي زجر ناقته ومعناه ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن .

(٦) اخرجه البخاري في الأنبياء ، باب قوله تعالى: ﴿ وإلى ثمود اخاهم صالحاً ﴾ ، حديث رقم: ٣٣٨١ ، ومسلم في الزهد والرقائق ، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ، حديث رقم: ٢٩٨٠ / ٣٩، وأحمد في المسند: ٩/٢، ٥٨ ، ٦٦، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩١ ، ٩٦ ، ١١٣ ، ١٣٧ ، والبيهقي في الدلائل: ٢٣٤/٥ .

خطبته عليه الصلاة والسلام في الحجر من ديار ثمود:

٧٣٣ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: (لا تسألوا الآيات ، فقد سألها قوم صالح ، فكانت ترد من هذا الفج [(١)] ، وتصدر من هذا الفج ، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها ، وكانت تشرب ماءهم يوماً ، ويشربون لبنها يوماً ، فعقروها ، فأخذتهم صيحة أهمد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحداً كان في حرم الله).

قيل: من هو يا رسول الله ؟ قال: (هو أبو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه) [(٢)] .

١٣ـ دعاء النبي ﷺ بإمطار السماء وامتلاء أوعية الصحابة:

٧٣٤ـ من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: « قيل لعمر بن الخطاب: حدثنا من شأن ساعة العسرة، فقال عمر: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد ، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطشٌ ، حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع ، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل ، فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستنقطع ، حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ، ويجعل ما بقي على كبده .

فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله ! إن الله عز وجل قد عودك في الدعاء خيراً فادع الله لنا، قال: (أتحب ذلك ؟) قال: نعم، فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء ، فأظلت ثم سكبت ، فملأوا ما معهم ثم ذهبنا ننظر ، فلم نجدها جاوزت العسكر » [(٣)] .

---

(١) من هذا الفج: من هذا الوجه .

(٢) اخرجه احمد في المسند: ٢٩٦/٤ ، وقال الحافظ ابن كثير: إسناده صحيح ، ولم يخرجوه ، وصححه الحاكم: ٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ ، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٤: رواه البزار والطبراني في الأوسط واحمد ورجال احمد رجال الصحيح . قلت: وانظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٤٤ ، وقد اقتصر الحافظ في الفتح على تحسينه فتح الباري: ٦/ ٣٨٠ـ٣٨١ .

(٣) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥ ، رواه البزار والطبراني في الأوسط ، ورجال البزار ثقات ، انظر كشف الأستار عن زوائد البزار حديث رقم: ١٨٤١ ، وابن حبان موارد الظمآن حديث رقم: ١٧٠٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٥/ ٢٣١ ، وقال ابن كثير في السيرة: ١٦/٤: إسناده جيد ، ولم يخرجوه من هذا الوجه ، قلت: الحديث حسن والله أعلم .

مقالة المنافق عند نزول المطر:

٧٣٥ـ قال ابن إسحاق حدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبدالأشهل: « قال: قلت لمحمود: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه، ومن عمه وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله حين سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه نقول: ويحك هل بعد هذا شيء! قال: سحابة مارة»[1].

١٤ـ ضياع ناقة النبي صلى الله عليه وسلم ومقالة المنافق ابن اللصيت:

قال ابن إسحاق: « ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له عمارة بن حزم وكان عقبياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

٧٣٦ـ قال ابن إسحاق، فحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رجال من بني عبد الأشهل، قالوا: « فقال زيد بن اللصيت، وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟، فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: (إن رجلاً قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها)، فذهبوا فجاءوا بها.

فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجبٌ من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيدٌ

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام: ٢/٢٥٢٢، وإسناده رجال ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بني عبدالأشهل، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة، دلائل النبوة للبيهقي: ٥/٢٣٢.

والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي ، فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه[1] ويقول: إليَّ عباد الله، إن في رحلي لداهية ، وما أشعر ، اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني »[2] .

١٥ـ دعاؤه عليه السلام بزيادة الطعام:

٧٣٧ـ من حديث أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري شك الأعمش قال: « لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا: يا رسول الله ! لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا[3] فأكلنا وادهنا ، فقال رسول الله ﷺ: (افعلوا) ، فجاء عمر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله ! إن فعلت قل الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله عزَّ وجلَّ أن يجعل في ذلك ، فقال رسول الله ﷺ: (نعم) .

فدعا بنطع فبسطه ، ثم دعا بفضل أزوادهم ، فجعل الرجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ، ويجيء الآخر بكسرة ، حتى اجتمعوا على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال لهم: (خذوا في أوعيتكم) ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاءً إلا ملأوه ، فأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضالة ، فقال رسول الله ﷺ: (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فحجب عن الجنة)[4] .

١٦ـ إخباره عليه السلام بالإعصار وتحذيره الصحابة من القيام:

٧٣٨ـ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: « خرجنا مع رسول

---

(١) يجأ في عنقه: يطعنه في عنقه .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٢٣ ، والطبري في تاريخه: ٣/ ١٤٥ ، والبيهقي في الدلائل: ٥/ ٢٣٢ ، من طريق ابن إسحاق به ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، وإسناده رجاله ثقات، ولا يضر جهالة الصحابة وهم من بني عبدالأشهل ، ومحمود بن لبيد من صغار الصحابة فيكون الحديث صحيحاً .

(٣) نواضحنا: الأبل التي تركب ويجلب عليها الماء .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث رقم: ٢٧ ، وقد ذكر عنده أيضاً دون شك في الصحابي الذي روى الحديث ، وإنما قال عنه أنه أبو هريرة ، ابن مندة في كتاب الإيمان حديث رقم: ٣٦ ، وقال: حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج ، وأحمد في المسند: ٢/ ٤٢١ ، ٣/ ١١ ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٢١/ ١٩٦ـ ١٩٧ ، رقم: ٤٢٦ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٥/ ٢٢٩.

الله ﷺ في غزوة تبوك ، فأتينا وادي القرى ، على حديقة لامرأة فقال رسول الله ﷺ: (اخرصوها) [١] ، فخرصناها ، وخرصها رسول الله ﷺ عشرة أوسق[٢]، وقال للمرأة: (أحصيها حتى نرجع إليك إن شاء الله عز وجل) ، فانطلقنا حتى قدمنا تبوك ، فقال رسول الله ﷺ: (ستهب عليكم الليلة ريحٌ شديدة ، فلا يقم فيها أحد منكم ، فمن كان له بعير فليشد عقاله) .

فهبت ريح شديدة ، فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبلي طيء ، وجاء رسول الله ابن العلماء صاحب إيليا . . . .) [٣] .

١٧ـ قصة عين تبوك وازدياد الماء فيها:

٧٣٩ـ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال أبو الطفيل عامر بن واثلة « إن معاذ بن جبل أخبره أنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام تبوك ، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، قال: فأخر الصلاة يوماً ، ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ، ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ، ثم قال: (إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي) .

قال: فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين مثل الشراك تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ: (هل مسستما من مائها شيئاً ؟) قالا: نعم ، فسبهما، وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً، حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله فيه وجهه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير، فاستقى الناس ثم قال رسول الله ﷺ: (يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما ها هنا قد ملئ جناناً) [٤] .

---

(١) اخرصوها: الخرص: الحزر تقدير ما على النخل من الرطب ثمراً .

(٢) الوسق: ٦٠ صاعاً .

(٣) أخرجه مسلم في الفضائل باب في معجزاته ﷺ حديث رقم: ١٣٩٢ ، البخاري في الزكاة ، باب خرص التمر حديث رقم: ١٤٨١ ، وانظر أرقام: ١٨٧٢ ، ٣١٦١ ، ٣٧٩١ ، ٤٤٢٢ ، أحمد في المسند: ٥/ ٤٢٤ ، وابن أبي شيبة: ١٨٨٥٢ وأبو داود في الخراج والإمارة ، باب في إحياء الموات حديث رقم: ٣٠٧٩ ، والبيهقي: ٤/ ١٢٢ .

(٤) أخرجه مسلم في الفضائل ، باب في معجزاته ﷺ ، حديث رقم: ٧٠٦ ، ٤/ ١٧٨٤ ، مالك في

٧٤٠ـ من حديث حذيفة رضي الله عنه قال: « خرج النبي ﷺ يوم غزوة تبوك، فبلغه أن في الماء قلة ، فأمر منادياً ، فنادى في الناس أن لا يسبقني في الماء أحد فأتى الماء ، وقد سبقه قوم فلعنهم » [١] .

١٨ـ قصة المتخلفين بعذر ومشاركتهم للغازي في الأجر:

٧٤١ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك فدنا من المدينة ، فقال: (إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم) . قالوا: يا رسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال: (وهم بالمدينة ، حبسهم العذر) » [٢] .

١٩ـ قصة أبي خيثمة ولحوقه بالجيش في تبوك:

لم يتخلف أحد من المؤمنين الصادقين عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك من غير عذر ، سوى أربعة نفر ، كلهم من الأنصار ، لا عن شك وارتياب ، وإنما أدركهم الضعف البشري ، وأثر عليهم أكثر من غيرهم ، وهؤلاء هم: كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وأبو خيثمة .

أما أبو خيثمة فقد تغلب على ضعفه البشري أمام مغريات الحياة ، فسارع إلى اللحاق برسول الله ﷺ ،أما الثلاثة الآخرون ، فقد تخلفوا في المدينة وقعد بهم الضعف البشري يقولون كل يوم نلحق بالرسول ﷺ حتى انتهت مهمة الرسول في تبوك ، وعاد إلى المدينة فعاقبهم بالمقاطعة .

وستأتي قصتهم بزيادة تفصيل في مكانها إن شاء الله وكيف قبل الله توبتهم أما

الموطأ: ١/ ١٤٣ ، وأحمد في المسند: الفتح الرباني: ٢١/ ١٩٥ .

(١) قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٥ ، رواه أحمد والبزار بنحوه ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب ١٠ ، حدثنا يحيى بن بكير حديث رقم: ٤٤٢٣ ، الجهاد باب من حبسه العذر عن الغزو حديث رقم: ٢٨٣٩ ، أبو داود في الجهاد باب الرخصة في القعود من العذر حديث رقم: ٢٥٠٨ ، وابن ماجه في الجهاد باب من حبسه العذر عن الجهاد حديث رقم: ٢٧٦٤ ، وأحمد في المسند: ٣/١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٨٢ ، ٣٠٠ ، ٣٤١ ، ابن أبي شيبة: ١٨٨٥٦ ، ابن سعد: ٢/١/١٢١ ، وجاء من حديث جابر عند الإمام مسلم في الإمارة باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر حديث رقم: ١٩١١ ، دلائل النبوة البيهقي: ٥/ ٢٦٧ .

أبو خيثمة الذي هزم النفس الأمارة بالسوء ، وسحق الضعف البشري في نفسه فقد لحق بالرسول ﷺ ، وقد جاءت قصته مبسوطة عند ابن إسحاق في السيرة بدون إسناد ، وذكرها أيضاً عروة بن الزبير وموسى بن عقبة قريباً من سياق ابن إسحاق في السيرة [(١)] ، وقد جاءت الإشارة إلى قصة أبي خيثمة في خلال حديث توبة كعب وصاحبيه الذي سيأتي ذكره لاحقاً ولكني ساجتزأ منه ما يتعلق بحال أبي خيثمة في هذا الموطن:

٧٤٢ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه: «.... فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب ، فقال رسول الله ﷺ: (كن أبا خيثمة) ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري ، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون»[(٢)].

٢٠ـ قصة قباء أكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل:

بعث رسول الله ﷺ أثناء إقامته في تبوك خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أكيدر بن عبدالملك صاحب دومة الجندل ، فأخذه خالد بن الوليد ، وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب، فاستلبه خالد منه، وبعث به إلى رسول الله ﷺ.

٧٤٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « إن أكيدر دومة الجندل أهدى لرسول الله ﷺ حلة من سندس، فعجب الناس منها ، فقال: (والذي نفس محمد بيده ، إن مناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا) »[(٣)].

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٥٢٠ ـ ٥٢١ ، ابن كثير في السيرة: ٤/١٣ ـ ١٤ .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه حديث رقم: ٢٧٦٩ ، وسيأتي مزيد من التخريج عند الحديث عن قصة كعب بن مالك .

(٣) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل سعد بن معاذ حديث رقم: ٢٤٦٩ ، أبو نعيم في الحلية: ٧/١١٠ ، وأحمد في المسند: ٣/١١١ ، ١٢١، ١٢٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٢٩ ، ٢٣٤، ٢٣٨ ، ٢٧٧ ، والطبراني في الكبير: ٦/ ١٥ من طريق قتادة عن أنس ، وقد جاء من طريق آخر عن أنس عند الترمذي في اللباس باب ٣ حديث رقم: ١٧٢٣ ، والنسائي في السنن: ٨/١٩٩ ، وابن سعد: ٣/٢/١٣ ، وأحمد في فضائل الصحابة حديث رقم: ١٤٩٥ ، من طريق محمد بن عمرو عن واقد عن أنس .
وأخرجه أيضاً مسلم حديث رقم: ٢٤٦٨ ، والترمذي حديث رقم: ٣٨٤٧ ، المناقب باب مناقب سعد بن معاذ وابن سعد: ٣/٤٣٥ ، عن البراء بن عازب .

٢١ـ الخمس التي أعطيها رسول الله صلى الله عليه وسلم:

٧٤٤ـ من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: (أن رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك قام من الليل يصلي ، فاجتمع وراءه رجال من أصحابه يحرسونه حتى إذا صلى ، وانصرف إليهم ، فقال لهم: (لقد أعطيت الليلة خمساً ما أعطيهن أحد قبلي ، أما أنا ، فأرسلت إلى الناس كلهم عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه ، ونصرت على العدو بالرعب ، ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر لملئ منه رعباً ، وأحلت لي الغنائم آكلها ، وكان من قبلي يعظمون أكلها كانوا يحرقونها ، وجعلت لي الأرض مساجد وطهوراً أينما أدركتني الصلاة تمسحت وصليت ، وكان من قبلي يعظمون ذلك ، إنما كانوا يصلون في كنائسهم وبيعهم ، والخامسة هي ما هي ؟ قيل لي: سل ، فإن كل نبي قد سأل ، فأخرت مسألتي إلى يوم القيامة فهي لكم ، ولمن شهد أن لا إله إلا الله)[١] .

٢٢ـ قصة وفاة ذي البجادين ونزول الرسول ﷺ في قبره:

٧٤٥ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان يحدث قال: (قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، فاتبعتها أنظر إليها .

قال: فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبدالله ذو البجادين قد مات، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله ﷺ في حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه ، وإذا هو يقول: (أدنيا إليَّ أخاكما) فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه ، قال: (اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه) .قال: يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة »[٢] . قال ابن هشام: وإنما سمي ذو البجادين لأنه كان يريد الإسلام ، فمنعه قومه، وضيقوا عليه ، حتى خرج من بينهم ، وليس عليه إلا بجاد ، وهو الكساء الغليظ، فشقه باثنين فأتزر بواحدة وارتدى بالأخرى، ثم أتى رسول الله ﷺ فسمي ذا البجادين[٣] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢/٢٢٢ ، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أحمد ، ورجاله ثقات كما جاء في الفتح الرباني: ٢١/٢٠٠ .

(٢) أخرجه ابن مندة من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود كما قال الحافظ في الإصابة: ٢/٣٣٠ ، ترجمه رقم: ٤٨٠ ، ونسبه الحافظ أيضاً إلى البغوي وأعله بالانقطاع .
قلت: وسند ابن مندة جيد ، وقد أخرجه أيضاً ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن مسعود إلا أن محمد بن إبراهيم لم يسمع من ابن مسعود: ٢/٥٢٧ ـ ٥٢٨ ، سيرة ابن هشام .

(٣) ابن كثير في السيرة: ٤/٣٣ ، سيرة ابن هشام: ٢/٥٢٨ .

٢٣ـ إرساله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم :

٧٤٦ ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة) ، فقال رجل من القوم : وإن لم يقتل ؟ قال: وإن لم يقتل ، فانطلق الرجل به فوافق قيصر، وهو يأتي بيت المقدس قد جعل له بساط لا يمشي عليه غيره، فرمى بالكتاب على البساط وتنحى.

فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق[1] وأقرأه فقال: ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمك ـ فنادى قيصر: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: إذا قدمت فأتني فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره ، فغلقت ثم أمر منادياً فنادى: الا ان قيصر تبع محمداً وترك النصرانية .

فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره فقال لرسول رسول الله ﷺ: قد ترى أني خائف على مملكتي ، ثم أمر منادياً فنادى: الا أن قيصر قد رضي عنكم، وإنما اختبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا ، فانصرفوا .

وكتب قيصر إلى رسول الله ﷺ: إني مسلم ، وبعث إليه بدنانير، فقال رسول الله ﷺ حين قرأ الكتاب: (كذب عدو الله ، ليس بمسلم وهو على النصرانية)، وقسم الدنانير » [2] .

٧٤٧ـ قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى قال حدثني يحيى بن سليمان عن عبدالله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد قال: « لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص ، وكان جاراً لي شيخاً كبيراً قد بلغ الفند أو قرب ، فقلت: الا تخبرني عن رسالة هرقل إلى النبي ﷺ ورسالة رسول الله ﷺ إلى هرقل ؟

فقال: بلى ، قدم رسول الله ﷺ تبوك ، فبعث دحية الكلبي إلى هرقل ،

---

(١) الجاثليق: مقدم الأساقفة عند النصارى .

(٢) أخرجه ابن حبان كما في موارد الظمآن حديث رقم: ١٦٢٨ ، وسنده صحيح .

فلما أن جاء كتاب رسول الله ﷺ دعا قسيسي الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم باباً فقال: « قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصال ، يدعوني إلى أن أتبعه على دينه ، أو على أن أعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقي إليه الحرب ، والله لقد عرفتم فيما تقرءون من الكتب ليأخذن ما تحت قدمي فهلم نتبعه على دينه ، أو نعطيه ما لنا على أرضنا ، فنخروا نخرة [1] رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم، وقالوا: تدعونا إلى أن ندع النصرانية أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز ؟ فلما ظن أنهم إن خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم رفاهم [2] ولم يكد ، وقال: قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم .

ثم دعا رجلاً من عرب تجيب كان على نصارى العرب فقال: ادع لي رجلاً حافظاً للحديث عربي اللسان أبعثه إلى هذا الرجل بجواب كتابه ، فجاء بي ، فدفع إليَّ هرقل كتاباً ، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل فما ضيعت من حديثه فاحفظ له منه ثلاث خصال [3] انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إلي بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي ، فهل يذكر الليل ، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك .

فانطلقت بكتابه حتى جئت تبوك ، فإذا هو جالس بين ظهراني أصحابه محتبياً على الماء فقلت: أين صاحبكم ؟ قيل: ها هوذا ، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه ، فناولته كتابي ، فوضعه في حجره ثم قال: (فمن أنت ؟) فقلت: أنا أحد تنوخ . قال: (هل لك في الإسلام الحنيفية ملة أبيك إبراهيم ؟) قلت: إني رسول قوم ، وعلى دين قوم لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم ، فضحك وقال: (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء ، وهو أعلم بالمهتدين ، يا أخاتنوخ إني كتبت بكتاب إلى كسرى فمزقه والله ممزقه وممزق ملكه ، وكتبت إلى النجاشي [4] بصحيفة فحرقها والله ممزقه [5] وممزق ملكه ، وكتبت إلى صاحبك

---

(١) نخروا: أي تكلموا كلام رجل واحد ، وكأنه كلام مع غضب ونفور حملهم على أن يخرجوا من برانسهم .

(٢) رفاهم: سكنهم ودعا لهم.

(٣) فما ضيعت من حديثه فاحفظ لي ثلاث خصال: أي مهما نسيت من شيء فاحفظ لي منه ثلاث خصال.

(٤) هذا نجاشي آخر غير النجاشي الذي أسلم ومات وصلى النبي ﷺ عليه .

بصحيفة فامسكها فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير) .

قلت: هذه إحدى الثلاثة التي أوصاني بها صاحبي وأخذت سهماً من جعبتي فكتبتها في جلد سيفي ، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم ؟ قالوا: معاوية . فإذا في كتاب صاحبي تدعوني إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين فأين النار؟ فقال رسول الله ﷺ: (سبحان الله أين الليل إذا جاء النهار ؟) قال: فأخذت سهماً من جعبتي، فكتبته في جلد سيفي ، فلما أن فرغ من قراءة كتابي قال: (إن لك حقاً ، وإنك رسول ، فلو وجدت عندنا جائزة جوَّزناك بها إنا سفر [1] مرمّلون) .

قال: فناداه رجل من طائفة الناس قال: أنا أجوزه ففتح رحله فإذا هو يأتي بحلة صفورية فوضعها في حجري قلت: من صاحب الجائزة ؟ قيل لي: عثمان، ثم قال رسول الله ﷺ: (أيكم ينزل هذا الرجل ؟) فقال فتى من الأنصار: أنا ، فقام الأنصاري وقمت معه حتى إذا خرجت من طائفة المجلس ناداني رسول الله ﷺ فقال: (تعال يا اخاتنوخ) . فاقبلت أهوي إليه حتى كنت قائماً في مجلسي الذي كنت بين يديه فحل حبوته[2] عن ظهره وقال: (ههنا امض لما أمرت به)، فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف [3] مثل المحجمة الضخمة أيلة » [4][5] .

٢٤ـ وفود ملك أيلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد جاء ذكر وفود ملك إيلة على رسول الله من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه الذي سبق جزء منه وسأورده هنا كله حتى يستقيم المعنى في ذلك .

٧٤٨ـ من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول

(٥) والله ممزقه: مذهب ملكه عنه .

(١) إنا سفر: أي مسافرون نفذ زادنا .

(٢) حل حبوته: القى برده كانت على ظهره .

(٣) عضون الكتف: مكاسر الجلد .

(٤) المحجمة الضخمة: الآلة التي يجتمع بها دم الحجامة عند المص.

(٥) اخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ ، وقال ابن كثير في السيرة: ٤/ ٢٧ ـ ٢٩ ، هذا حديث غريب ، وإسناده لا بأس به تفرد به الإمام احمد ، وأورده الهيثمي بنصه في المجمع وقال: رواه عبدالله ابن أحمد وأبو يعلى ، ورجال ابي يعلى ثقات ، ورجال عبدالله بن أحمد كذلك: ٨/ ٢٣٤ ـ ٢٣٦ ، انظر عبدالله بن أحمد في زوائده على المسند: ٤/ ٧٥ ، أبو يعلى حديث رقم: ١٥٩٧ .

الله ﷺ عام تبوك حتى جئنا وادي القرى ، فإذا امرأه في حديقة لهـا فقال رسول الله ﷺ لأصحـابه (اخرصـوا) فخـرص القوم ، وخـرص رسول الله ﷺ عـشرة أوسق ، وقال رسـول الله ﷺ للمرأة: (أحـصي ما يخـرج منها حـتى أرجع إليك إن شاء الله) .

قال فـخرج حتى قـدم تبوك فقال رسـول الله ﷺ: (إنها ستـهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن فيها رجل ، فمن كان له بعير فليوثق عقاله) .

قال أبو حميـد: فعقلناها ، فلما كان من الليل هبت علينـا ريح شديدة ، فقام فيها رجل فالقته في جبل طيء .

ثم جـاء رسـول الله ﷺ ملك أيلة فـأهدى لرسـول الله بغلة بيـضاء ، وكسـاه رسول الله ﷺ برداً ، وكتب له يجيرهم .

ثم أقـبل وأقـبلنا مـعه ، حـتى جئنا وادي القـرى فـقال للمـرأة: (كم جـاءت حديقتك) ، قالت: عشرة أوسق ، خرص رسـول الله ﷺ .

فقال رسـول الله ﷺ: (إني متعجـل ، فمن أحب منكم أن يتعجل فليـفعل) قال: فخرج رسول الله ﷺ وخرجـنا معه، حتى إذا أوفى على المدينة قال: (هذه طابة) فلمـا رأى أحداً قـال: (هذا أحـد يحبنا ونحـبـه ، الا أخبـركم بخيـر دور الأنصـار ؟) قلنا: بلى يا رسـول الله قال: (خيـر دور الأنصـار بنو النجـار ، ثم دار بني عبدالأشهل ، ثم دار بني ساعدة ، ثم في كل دور الأنصار خير) [1] .

٢٥ـ مدة إقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك:

٧٤٩ـ من حـديث جابر بن عـبـدالله رضي الله عنهـما قـال: (أقام رسـول الله ﷺ بتبوك عشرين يوماً يقصر الصلاة) [2] .

---

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٧٣٨ .

(٢) أخرجه في المسند: ٣/ ٢٩٥ ، عبـدالرزاق في المصنف: ٤٣٣٥ ، وأبو داود في الصلاة باب إذا أقام بأرض العدو يقصر رقم: ١٢٣٥ ، وابن حبان كمـا في الإحسان: ٤/ ١٨٣ ـ ١٨٥ ، رقم: ٢٧٣٨، ٢٧٤١ ، البيهقي في السنن: ٣/ ١٥٢ ، ورجاله ثقات وصححه النووي على شرطهما وابن حزم وابن حبان انظر نصب الراية: ٢/ ١٨٦، وتلخيص الحبير: ٢/ ٤٥.

٢٦ـ كيد المنافقين رسول الله والمسلمين:

أ ـ الاستهزاء بآيات الله وبرسوله وقراء المسلمين:

٧٥٠ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء . فقال رجل في المجلس: كذبت ، ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ، ونزل القرآن . قال عبدالله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله ﷺ ، والحجارة تنكبه وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والنبي ﷺ يقول: (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن)[1].

٧٥١ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: (قال مخشي بن حمير لوددت أني أقاضي على أن يضرب كل رجل منكم مائة على أن ينجو من أن ينزل فينا قرآن، فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: (أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عما قالوا: فإن هم أنكروا وكتموا فقل بلى: قد قلتم كذا وكذا).

فأدركهم فقال لهم ، فجاءوا يعتذرون ، فأنزل الله ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم** ﴾ الآية فكان الذي عفا الله عنه مخشي بن حمير، فتسمى عبدالرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً ، وألا يعلم بمقتله ، فقتل باليمامة لا يعلم مقتله ، ولا من قتله ، ولا يرى له أثر ولا عين »[2] .

قلت: وقد كان هذا القول من مخشي بن حمير بعدما قال أولئك قولتهم في قراء القرآن ، واستهزأوا بآيات الله تعالى، فتاب الله عليه، وغفر له ، والله أعلم.

ب ـ محاولة المنافقين اغتيال الرسول صلى الله عليه وسلم .

٧٥٢ـ من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « لما أقبل رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أمر منادياً فنادى: (إن رسول الله آخذ بالعقبة فلا يأخذها أحد)،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير: ٤/ ٦٣ ، ورجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد ، والطبري في التفسير: ١٠/ ١٧٢ ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٥٤ ، إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وأبي الشيخ وابن مردويه ، وله شاهد حسن من حديث كعب سأورده تالياً له فانظره .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم: ٤/ ٦٤ ، وسنده حسن ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٥٤ ، إلى ابن إسحاق وابن المنذر وابن أبي حاتم .

فبينما رسول الله ﷺ يقوده حذيفة ويسوقه عمار ، إذ أقبل رهط متلثمون على الرواحل ، فغشوا عماراً ، وهو يسوق برسول الله ﷺ ، وأقبل عمار يضرب وجوه الرواحل ، فقال رسول الله ﷺ لحذيفة (قد قد) .

حتى هبط رسول الله ﷺ من الوادي ، فلما هبط ورجع عمار قال: (يا عمار هل عرفت القوم ؟) قال: قد عرفت عامة الرواحل ، والقوم متلثمون، فقال: (هل تدري ما أرادوا ؟) . قال: الله ورسوله أعلم . قال: (أرادوا أن ينفروا برسول الله فيطرحوه) .

قال: فسأل عمار رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقال: نشدتك بالله كم تعلم كان أصحاب العقبة ؟ قال: أربعة عشر رجلاً . فقال: إن كنت فيهم فقد كانوا خمسة عشر .

قال: فعذر رسول الله ﷺ منهم ثلاثة قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ، وما علمنا ما أراد القوم . فقال عمار: أشهد أن الاثني عشر الباقين حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » [(١)] .

٧٥٣ـ من حديث أبي الطفيل قال: « كان بين رجل من أهل العقبة ، وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة ؟ قال: فقال له القوم أخبره إذ سألك ، فقال كنا نخبر أنهم أربعة عشر ، فإن كنت منهم ، فقد كان القوم خمسة عشر ، وأشهد بالله أن اثنى عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، وعذر ثلاثة ، قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ، ولا علمنا بما أراد القوم ، وقد كان في حرة فمشى ، فقال: (إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد) ، فوجد قوماً قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ) [(٢)] .

جـ ـ إخبار النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بأسماء المنافقين:

٧٥٤ـ من حديث علقمة قال: « قدمت الشام فصليت ركعتين ، ثم قلت: اللهم يسر لي جليساً صالحاً ، فأتيت قوماً فجلست إليهم ، فإذا شيخ قد جاء حتى

---

(١) أخرجه في المسند: ٥/ ٤٥٣ ، ورجاله ثقات ، قال الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٩٥ ، رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم حديث رقم: ١١/٢٧٩ .

جلس إلى جنبي ، قلت: من هذا ؟ قالوا: أبو الدرداء فقلت: إني دعوت الله ان يسر لي جليساً صالحاً ، فيسرك لي .

قال: ممن أنت ؟ قلت: من أهل الكوفة . قال: أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوساد والمطهرة ؟ أوليس فيكم الذي أجاره الله من الشيطان ، يعني على لسان نبيه ﷺ ؟ أوليس فيكم صاحب سر النبي ﷺ الذي لا يعلم أحد غيره ؟ ثم قال: كيف يقرأ عبدالله ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ فقرأت عليه ﴿ والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى ﴾ قال: والله لقد أقرأ فيها رسول الله ﷺ من فيه إلى في »[1] .

٢٧ـ مقالة النبي هذه طابة-هذا أحد جبل يحبنا ونحبه:

٧٥٥ـ قد سبق من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه الإشارة إلى هذا: وأسوق هنا المقطع الخاص بهذه المقالة من حديثه رضي الله عنه قال: « . . . . فقال رسول الله ﷺ (إني مسرع فمن شاء منكم فليسرع ، ومن شاء فليمكث)، فخرجنا حتى أشرفنا على المدينة فقال: (هذه طابة ، وهذا أحد ، وهو جبل يحبنا ونحبه . . .)[2] .

٧٥٦ـ وقد أورد البخاري رحمه الله مختصراً عن أبي حميد قال: « أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك ، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: (هذه طابة ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه) أخرجه في كتاب المغازي باب ٨١ ، حدثنا يحيى بن بكير حديث رقم: ٤٤٢٢ .

٢٨ـ استقبال النبي صلى الله عليه وسلم عند ثنية الوداع :

٧٥٧ـ من حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه: « لما قدم النبي ﷺ المدينة من غزوة تبوك تلقاه الناس فلقيته مع الصبيان على ثنية الوداع »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب مناقب عمار وحذيفة رضي الله عنهما حديث رقم: ٣٧٤٢ ، ٣٧٤٣ ، والنسائي في السنن الكبرى كما ذكر صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٠٩٥٦ ، واحمد في المسند: ٦/٤٤٩ ، ٤٥٠ .

(٢) سبق بنصه وتخريجه حديث رقم: ٧٣٨، ٧٤٨ .

(٣) أخرجه البخاري في الجهاد باب استقبال الغزاة الحديث: ٣٠٨٢ ، فتح الباري: ٦/١٩١ ، أبو داود في الجهاد في التلقي حديث رقم: ٢٧٥٩ ، الترمذي في الجهاد باب ما جاء في تلقي الغائب إذا قدم حديث رقم: ١٧١٨ ، واحمد في المسند: ٣/٤٤٩ ، والبيهقي: ٩/ ١٧٥ ، وقال الترمذي: حسن صحيح

٢٩ـ حديث الثلاثة الذين خلفوا:

٧٥٨ـ من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه قال: « لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك ، غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم ، على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة [١] حين تواثقنا على الإسلام [٢] .

وما أحب أن لي بها مشهد بدر . وإن كانت بدر أذكر في الناس منها [٣] .

وكان من خبري ، حين تخلفت عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله ﷺ في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً [٤] ، واستقبل عدوا كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم [٥] ، ليتأهبوا أهبة غزوهم [٦] ، فأخبرهم بوجههم الذي يريد . والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ (يريد ، بذلك الديوان) .

قال كعب: فقل رجل يريد أن يتغيب يظن أن ذلك سيخفي له ، مالم ينزل فيه وحي من الله عز وجل . وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال. فأنا إليها أصعر [٧] ، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه ، وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول في نفسي: أنا قادر على ذلك إذا أردت .

---

(١) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله الأنصار فيها على الإسلام . وأن يؤوه وينصروه ، والعقبة هي التي في طرف منى التي يضاف إليها جمرة العقبة . وكانت مرتين في سنتين .

(٢) تواثقنا على الإسلام: تبايعنا عليه وتعاهدنا .

(٣) وإن كانت بدراً أذكر: اي أشهر عند الناس بالفضيلة .

(٤) مفازاً: بريه طويلة قليلة الماء يخاف فيها من الهلاك .

(٥) فجلا للمسلمين امرهم: كشف وبينه وأوضحه .

(٦) ليتاهبوا: اهبة غزوهم: يسعوا له بما يحتاجون من زاد .

(٧) اصعر: اميل .

فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله ﷺ غادياً والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت ، فرجعت ، ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا ، وتفارط الغزو [1] . فهممت أن ارتحل فأدركهم، فيا ليتني فعلت، ثم لم يُقدَّر ذلك لي .

فطفقت ، إذا خرجت في الناس ، بعد خروج رسول الله ﷺ ، يحزنني أني لا أرى لي أسوة ، إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق . أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكاً ، فقال ، وهو جالس في القوم بتبوك (ما فعل كعب بن مالك ؟) قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، والنظر في عطفيه [2] .

فقال له معاذ بن جبل: بئس ما قلت . والله يا رسول الله ! ما علمنا عليه إلا خيراً ، فسكت رسول الله ﷺ . فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً [3] يزول به السراب [4] فقال رسول الله ﷺ: كن أبا خيثمة ، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه [5] المنافقون .

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجه قافلاً [6] من تبوك ، حضرني بثي [7]، فطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعين على ذلك كل ذي رأي من أهلي . فلما قيل لي: أن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً [8] زاح [9] عني الباطل . حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً ، فأجمعت صدقه [10] .

---

(١) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا .

(٢) والنظر في عطفيه: أي جانبيه وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه .

(٣) مبيضاً: لابس البياض .

(٤) يزول به السراب: يتحرك وينهض ، والسراب هو ما يظهر للإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء .

(٥) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه .

(٦) توجه قافلاً: راجعاً .

(٧) حضرني بثي: حزني .

(٨) أظل قادماً: أقبل ودنا قدومه كأنه ألقى على ظله .

(٩) زاح: زال .

(١٠) أجمعت صدقه: عزمتُ على صدقه .

وصبح رسول الله ﷺ قادماً ، وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون . فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له ، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً . فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم ، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله ، حتى جئت .

فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب ثم قال:(تعال) فجئت أمشي حتى جلست بين يديه . فقال لي: (ما خلفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟) قال: قلت: يا رسول الله ! إني والله ! لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلاً [1] ولكني ، والله ! لقد علمت ، لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ، ليوشكن [2] الله أن يسخطك عليَّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه [3] إني لأرجو فيه عقبى الله [4] . والله ! ما كان لي عذر، والله ! ما كنت قط أقوى ، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال رسول الله ﷺ: (أما هذا فقد صدق ، فقم حتى يقضي الله فيك) فقمت ، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني . فقالوا لي: والله ! ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا . لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون . فقد كان كافيك ذنبك ، استغفار رسول الله ﷺ لك.

قال فوالله ! ما زالوا يؤنبونني [5]حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسي .

قال: ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد ؟ قالوا: نعم . لقيه معك رجلان ، قالا مثل ما قلت ، فقيل لهما مثل ما قيل لك . قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العامري ، وهلال بن أمية الواقفي قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً ، فيهما أسوة . قال: فمضيت حين ذكروهما لي .

قال: فاجتنبنا الناس ، وقال: تغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض .

---

(١) اعطيت جدلا: فصاحة وقوه في الكلام وبراعة ، بحيث اخرج عن عهده ما ينسب إلي إذا أردت .

(٢) ليوشكن: ليسرعن.

(٣) تجد علي فيه: تغضب .

(٤) إني لأرجو عقبى الله: يعقبني خيراً ويثيبني عليه .

(٥) يؤنبونني: يلومونني أشد اللوم .

فما هي بالأرض التي أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة . فأما صاحباي فاستكانا [١] وقعدا في بيوتهما يبكيان . وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم [٢] . فكنت اخرج ، فأشهد الصلاة ، وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد . وآتي رسول الله ﷺ ، فأسلم عليه ، وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي! هل حرك شفتيه برد السلام ، أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، وأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني .

حتى إذا طال ذلك علي من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت [٣] جدار حائط أبي قتادة ،وهو ابن عمي ، وأحب الناس إلي . فسلمت عليه . فوالله ! ما رد علي السلام ، فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله [٤] هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال: فسكت . فعدت فناشدته فسكت ، فعدت فناشدته . فقال: الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي ، وتوليت ، حتى تسورت الجدار .

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة ، إذا نبطي من نبط أهل الشام [٥] ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك قال: فطفق الناس يشيرون له إليّ . حتى جاءني فدفع إلي كتاباً من ملك غسان . وكنت كاتباً ، فقرأته فإذا فيه: أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة [٦] ، فالحق بنا نواسك . قال: فقلت: حين قرأتها وهذه أيضاً من البلاء . فتايمت [٧] بها التنور ، فسجرتها [٨] بها .

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحي [٩] ، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: (إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك)، قال:

---

(١) استكانا: خضعا .

(٢) أشب القوم وأجلدهم: أي أصغرهم سناً وأقواهم .

(٣) حتى تسورت: علوت وصعدت السور وهو أعلاه .

(٤) انشدك بالله: أسألك بالله .

(٥) نبطي من أهل الشام: فلاحو العجم .

(٦) مضيعة: يعني انك لست بأرض يضيع فيها حقك .

(٧) فتايمت: تيممت: قصدت .

(٨) فسجرتها: أحرقتها.

(٩) واستلبث الوحي: أبطأ .

فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل ؟ قال: (لا ، بل اعتزلها فلا تقربنها) .

قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا . قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر .

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ. فقالت له: يا رسول الله ! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه ؟ قال: (لا ، ولكن لا يقربنك) فقالت: إنه والله ! ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا .

قال: فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك ؟ فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه . قال فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ . وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال فلبثت بذلك عشر ليال . فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا . قال ثم صليت صلاة الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منا ، قد ضاقت عليَّ نفسي ، وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ أوفى على سلع[1] يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج.

قال: فآذن[2] رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إليَّ فرساً ، وسعى ساع من أسلم قبلي . وأوفى الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، فنزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته ، والله ! ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، فانطلقت أتأمم[3] رسول الله ﷺ ، يتلقاني الناس فوجاً فوجاً[4] ، يهنئوني بالتوبة ويقولون: لتهنئك توبة الله عليك .

حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس في المسجد ، وحوله الناس

---

(١) أوفى علي سلع: صعده وارتفع عليه ، وسلع جبل بالمدينة معروف .

(٢) فآذن: الناس: أي اعلمهم.

(٣) اتامم: أي اقصد .

(٤) فوجاً فوجاً: الفوج الجماعة .

فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنأني . والله ! ما قام رجل من المهاجرين غيره.

قال: فكان كعب لا ينساها لطلحة .

قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال: وهو يبرق وجهه من السرور ، ويقول: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) قال: قلت: أمن عندك ؟ يا رسول الله ! أم من عند الله ؟ فقال: (لا بل من عند الله) وكان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه، كان وجهه قطعة قمر . قال: وكنا نعرف ذلك.

قال فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله ! إن من توبتي أن انخلع[1] من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ: (امسك بعض مالك ، فهو خير لك) قال: فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر . قال، وقلت: يا رسول الله ! إن الله إنما انجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت . قال فوالله ! ما علمت أن أحداً من المسلمين أبلاه [2] الله في صدق الحديث ، منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، أحسن مما أبلاني الله به . والله ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

قال: فأنزل الله عز وجل: **﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم ، إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم ﴾** [3] حتى بلغ: **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾** [4].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط ، بعد إذ هداني للإسلام ، أعظم في نفسي ، من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، إن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي ، شر ما قال لأحد ،

---

(١) انخلع من مالي: أتصدق .

(٢) أبلاه الله: أنعم عليه .

(٣) سورة التوبة: ١١٧، ١١٨ .

(٤) سورة التوبة: ١١٩ .

وقال الله: **﴿ سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم ، فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ﴾** [(١)] .

قال كعب: كنا خلفنا أيها الثلاثة . عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه ، فبذلك قال الله عز وجل: **﴿ وعلى الثلاثة الذين خلفوا ﴾** ، وليس الذي ذكر الله مما خلفنا ، تخلفنا عن الغزو ، وإنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا[(٢)] ، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه »[(٣)] .

فوائد قصة الذين خلفوا:

وقد استنبط العلماء من هذا الحديث في توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، فوائد جمة ذكر كثيراً منها ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد ، وذكر ابن حجر العسقلاني في الفتح فصلاً مفيداً كثير الفوائد .

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: ٨/ ١٢٣ـ ١٢٤ ، ما نصه: « وفي قصة كعب من الفوائد غير ما تقدم (يعني في أثناء شرح الحديث):

جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب ، وجواز الغزو في الشهر الحرام ، والتصريح بجهة الغزو إذا لم تقتض المصلحة ستره ، وإن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم التفير ولحق اللوم بكل فرد لو تخلف .

وقال السهيلي: إنما اشتد الغضب على من تخلف وإن كان الجهاد فرض كفاية

---

(١) سورة التوبة / ٩٥ ـ ٩٦ .

(٢) إرجاؤه أمرنا: تاخيره أمرنا .

(٣) اخرجه البخاري في المغازي ، باب حديث كعب بن مالك حديث رقم: ٤٤١٨ ، مسلم في التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه حديث رقم: ٢٧٦٩ ، أبو داود في الأيمان والنذور حديث رقم: ٣٣٢١ ، باب فيمن نذر ان يتصدق بماله ، واحمد في المسند: ٣/ ٤٥٦ ـ ٤٥٩ ، النسائي في الطلاق باب الحقي باهلك: ٦/ ١٥٢ ، باختصار اقتصر فيه على قوله الحقي باهلك وما فيها ، عبدالرزاق في المصنف: ٩٧٤٤ ، ابن ابي شيبه في المصنف رقم: ١٨٨٥٣ ، ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٣١ ، ابن جرير في التفسير: ١١/ ٥٨ ، ابن ابي حاتم: ٤/ ١٠٥ ، ابن كثير في السيرة: ٤/ ٤٢ـ ٤٨ .البيهقي في دلائل النبوة: ٥/ ٢٧٣ـ ٢٧٩ ، السيوطي في الدر المنثور: ٣/ ٢٨٧ ، وقد اورده البخاري بعدة أرقام في مواطن متعددة: رقم: ٢٧٥٧ ، ٢٩٤٧، ٢٩٤٨، ٢٩٤٩، ٢٩٥٠، ٣٥٥٦، ٣٨٨٩، ٣٩٥١، ٤٦٧٣، ٤٦٧٦، ٤٦٧٧، ٤٦٧٨، ٦٢٥٥، ٦٦٩٠، ٧٢٢٥ .

لكنه في حق الأنصار خاصة فرض عين ، لأنهم بايعوا على ذلك ومصداق ذلك قولهم وهم يحفرون الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبداً

فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة ، لأنها كالنكث لبيعتهم ، كذا قال ابن بطال . قال السهيلي: ولا أعرف له وجهاً غير الذي قال .

قلت: وقد ذكرت وجهاًغير الذي ذكره ولعله أقعد ، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ﴾ الآية . وعند الشافعية وجه أن الجهاد كان فرض عين في زمن النبي ﷺ ، فعلى هذا فيتوجه العتاب على من تخلف قطعاً ، وفيها أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه ، واستخلاف من يقوم مقام الإمام على أهله والضعفة .

وفيها ترك قتل المنافقين ، ويستنبط منه ترك قتل الزنديق إذا أظهر التوبة . وأجاب من أجازه بأن الترك كان في زمن النبي ﷺ لمصلحة التاليف على الإسلام.

وفيها عظم أمر المعصية ، وقد نبه الحسن البصري على ذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم عنه قال: يا سبحان الله ما أكل هؤلاء الثلاثة مالاً حراماً ، ولا سفكوا دماً حراماً ولا أفسدوا في الأرض ، أصابهم ما سمعتم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، فكيف بمن يواقع الفواحش والكبائر) .

وفيها أن القوي في الدين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدين ، وجواز اخبار المرء عن تقصيره ، وتفريطه ، وعن سبب ذلك وما آل إليه أمره تحذيراً ويضمه لغيره ، وجواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة ، وتسلية نفسه بما لم يحصل له بما وقع لنظيره ، وفضل أهل بدر والعقبة ، والحلف للتأكيد من غير استحلاف ، والتورية عن المقصد ، ورد الغيبة . وجواز ترك وطء الزوجة مدة .

وفيه أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ، ولا يسوف بها لئلا يحرمها كما قال تعالى ﴿ استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه ﴾ ومثله قوله تعالى ﴿ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ﴾ ونسأل الله تعالى أن يلهمنا المبادرة إلى طاعته ، وأن لا يسلبنا ما خولنا من نعمتة .

وفيها جواز تمني ما فات من الخير ، وأن الإمام لا يهمل من تخلف عنه في بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة ، وجواز الطعن في الرجل بما يغلب على اجتهاد الطاعن حمية لله ورسوله ، وفيها جواز الرد على الطاعن إذا غلب على ظن الراد وهم الطاعن أو غلطه .

وفيها أن المستحب للقادم أن يكون على وضوء ، وأن يبدأ بالمسجد قبل بيته فيصلي ثم يجلس لمن يسلم عليه ، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه ، والحكم الظاهر ، وقبول المعاذير واستحباب بكاء العاصي أسفاً على ما فاته من الخير ، وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ،ووكول السرائر إلى الله تعالى ، وفيها ترك السلام على من أذنب ، وجواز هجره أكثر من ثلاث ، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً ، وأن القسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب ولا يختص بالسرور . ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره ، وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب .

وفيها العمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة ، لقوله ﷺ لما حدثه كعب (أما هذا فقد صدق) فإنه يشعر بأن من سواه كذب ، لكن ليس على عمومه في حق كل أحد سواه ، لأن مرارة وهلال أيضاً قد صدقا فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف ، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب ، وأخر من كذب للعقاب الطويل ، وفي الحديث الصحيح (إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا ، وإذا أراد به شراً أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه) وقيل إنما غلظ في حق هؤلاء الثلاثة لأنهم تركوا الواجب عليهم من غير عذر ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله** ﴾ وقول الأنصار:

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهاد ما بقينا أبداً

وفيها تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير ، وفيها عظم مقدار الصدق في القول والفعل ، وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به ، وأن من عوقب بالهجر يعذر عن التخلف عن صلاة الجماعة ، لأن مرارة وهلالاً لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة ، وفيها سقوط السلام على المهجور عمن سلم عليه ، إذ لو كان واجباً لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السلام ، وفيها جواز دخول المرء

دار جاره أو صديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه .

وفيها أن قول المرء الله ورسوله أعلم ، ليس بخطاب ولا كلام ولا يحنث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينو به مكالمته دائماً ، وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب ، وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب ، جعل الناس يشيرون له إلى كعب ، ولا يتكلمون بقولهم مثلاً هذا كعب مبالغة في هجره والإعراض عنه .

وفيها أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها ، وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب ، وخدمة المرأة زوجها ،والاحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه، وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة .

وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة وتهنئة من تجددت له نعمة ، والقيام إليه إذا أقبل ، واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة ، وسروره بما يسر أتباعه ، ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم والقيام له ، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة ، وأن من نذر الصدقة بكل ما له لم يلزمه إخراجه جميعه » .

الفصل الحادي عشر

الأحداث من غزوة تبوك إلى حجة الوداع

١ـ قدوم وفد ثقيف:

أ ـ تاريخ قدومهم:

قال ابن إسحاق: « قدم رسول الله ﷺ المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف »[١].

وقد قال موسى بن عقبة: إن قدوم وفد ثقيف إنما كان بعد حجة أبي بكر الصديق ، وتبعه على ذلك البيهقي في الدلائل[٢].

ولكن الحافظ ابن كثير استبعد ذلك فقال: « وهذا بعيد، والصحيح أن ذلك كان قبل حجة أبي بكر كما ذكره ابن إسحاق والله أعلم »[٣].

ب ـ شرطهم الذي طلبوه من رسول الله ﷺ:

٧٥٩ـ من حديث وهب قال سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، قال: «اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد ، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك يقول: (سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا)»[٤].

جـ ـ طلب عثمان بن أبي العاص من الرسول عليه السلام أن يجعله إمام قومه:

٧٦٠ـ من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: « قلت يا رسول الله اجعلني إمام قومي فقال: (أنت إمامهم ، واقتد بأضعفهم ، واتخذ مؤذناً لا يأخذ على أذانه أجراً)»[٥].

---

(١) سيرة ابن كثير: ٤/ ٥٣ .

(٢) دلائل النبوة: ٥/ ٣٠٤ .

(٣) سيرة ابن كثير: ٤/ ٥٤، سيرة ابن هشام: ٢/ ٥٣٧ .

(٤) أخرجه أبو داود في الخراج والإمارة والفيء ، باب ما جاء في خبر الطائف حديث: ٣٠٢٥ ، وأحمد في المسند: ٤/ ٢١٨ ، وسنده حسن .

(٥) أخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٢١٧ ، وأبو داود في الصلاة باب أخذ الأجر على التأذين حديث: ٥٣١، والنسائي في الأذان باب اتخاذ المؤذن الذي لا يأخذ على أذانه أجراً: ٢/ ٢٣ ، ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب من أم قوماً فليخفف حديث رقم. ٩٨٧ ، وإسناده صحيح.

د ـ شكوى عثمان بن أبي العاص من اعتراض الشيطان له في صلاته:

٧٦١ـ من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: « قلت: يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي، قال: فقال: (ذاك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه، واتفل عن يسارك ثلاثاً)، قال: ففعلت فأذهبه الله عني »[1].

٧٦٢ـ ومن حديث عثمان بن أبي العاص أيضاً قال: (لما استعملني رسول الله ﷺ على الطائف، جعل يعرض لي شيء في صلاتي، حتى ما أدري ما أصلي، فلما رأيت ذلك، ورحلت إلى رسول الله ﷺ فقال: (ابن أبي العاص؟) قلت: نعم! يا رسول الله! قال: (ما جاء بك؟) قلت: يا رسول الله! عرض لي شيء في صلواتي، حتى ما أدري ما أصلي.

قال: (ذاك الشيطان. أدنه) فدنوت منه. فجلست على صدور قدمي. قال: فضرب صدري بيده، وتفل في فمي، وقال: (اخرج. عدو الله) ففعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: (الحق بعملك) قال: فقال عثمان: فلعمري! ما أحسبه خالطني بعد)[2].

٢ـ وفاة عبدالله بن أبي رأس المنافقين:

أـ مرضه وذهاب النبي لعيادته:

٧٦٣ـ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: « دخلت مع رسول الله ﷺ على عبدالله بن أبي في مرضه نعوده، فقال له النبي ﷺ: (قد كنت أنهاك من حب يهود)، فقال: عبدالله: « فقد بغضهم أسعد بن زرارة فمه »[3].

وقد جاء عند أحمد (فمات) وجاء في لفظ أبي داود زيادة (فلما مات

---

(١) أخرجه مسلم في السلام باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة حديث رقم: ٢٢٠٣، أحمد في المسند: ٤/٢١٦.

(٢) أخرجه ابن ماجه في الطب باب الفزع والأرق وما يتعوذ منه حديث رقم: ٣٥٤٨، وهو مما انفرد ابن ماجه به، قال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) فمه: يعني أنه يريد القول أن أسعد بن زرارة قد أبغض يهود فما دفع عنه بغضهم الموت، وكان يريد انه لا يضر حبهم، ولا ينفع بغضهم، ولو نفع بغضهم لما مات أسعد بن زرارة، وهذا من قلة فهمه وقصور نظره على أن الضرر والنفع هو الموت أو الخلاص منه.

أتاه ابنه فقال: يا رسول الله إن عبدالله بن أبي قد مات ، فأعطني قميصك أكفنه فيه ، فنزع رسول الله ﷺ قميصه فأعطاه إياه »[1] .

ب ـ سبب كسوته بقميص النبي صلى الله عليه وسلم :

٧٦٤ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « لما كان العباس بن عبد المطلب بالمدينة ، طلبت الأنصار ثوباً يكسونه ، فلم يجدوا قميصاً يصلح عليه، إلا قميص عبدالله بن أبي فكسوه إياه »[2] .

وفي لفظ آخر « لما كان يوم بدر أتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب ، فنظر النبي ﷺ له قميصاً ، فوجدوا قميص عبدالله بن أبي يقدر عليه ، فكساه النبي ﷺ إياه ، فلذلك نزع النبي ﷺ قميصه الذي ألبسه » .

قال ابن عيينة: كانت له عند النبي صلى الله عليه وسلم يد، فأحب أن يكافئه.

جـ ـ مجيء النبي إلى قبر عبدالله بن أبي ونفثه عليه من ريقه :

٧٦٥ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « أتى النبي ﷺ عبدالله بن أبي بعدما دفن ، فأخرجه فنفث فيه من ريقه ، وألبسه قميصه »[3] .

د ـ صلاة النبي على عبدالله بن أبي ومحاولة عمر منعه:

٧٦٦ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « لما توفي عبدالله بن أبي ، ابن سلول ، جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه.

فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ . فقال: يا رسول الله ! تصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ: (إنما خيرني الله فقال:

---

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز باب في العيادة حديث: ٣٠٩٤ ، وسكت عنه والمنذري ، ورواه ابن إسحاق فقال: حدثني الزهري عن عروة عن أسامة فالحديث صحيح ، لأن رجاله كلهم ثقات وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث سيرة ابن كثير: ٤/ ٦٤ ، وقد أخرجه أحمد كما في الفتح الرباني: ٢١/ ٢١١.

(٢) أخرجه البخاري في الجهاد باب الكسوة للأسارى حديث رقم: ٣٠٠٨ ، فتح الباري: ٦/ ١٤٤ .

(٣) أخرجه البخاري في الجنائز باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف ، ومن كفن بغير قميص حديث رقم: ١٢٧٠ ، مسلم في كتاب صفات المنافقين حديث رقم: ٢٧٧٣ ، وأحمد كما في الفتح الرباني: ٢١/ ٢١٠ .

﴿استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ﴾ ، وسأزيده على سبعين) قال: إنه منافق ، فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ »[1] [2] .

٣ـ إمارة أبي بكر رضي الله عنه في العام التاسع على الحج:

قال ابن إسحاق رحمه الله : « ثم أقام رسول الله ﷺ بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج أبو بكر رضي الله عنه ومن معه من المسلمين »[3] .

والمقصود أن رسول الله ﷺ بعث علياً رضي الله عنه بعد أبي بكر الصديق ليكون معه ، ويتولى علي بنفسه إبلاغ البراءة إلى المشركين نيابة عن رسول الله ﷺ لكونه ابن عمه من عصبته .

أـ في أي شهر كان بعث أبي بكر:

قال الحافظ في الفتح: « ذكر ابن سعد وغيره بإسناد صحيح ، عن مجاهد: أن حجة أبي بكر وقعت في ذي القعدة ، ووافقه عكرمة بن خالد فيما أخرجه الحاكم في الإكليل ، ومن عدا هذين إما مصرح بأن حجة أبي بكر كانت في ذي الحجة ـ كالداودي ، وبه جزم من المفسرين الرماني والثعلبي والماوردي وتبعهم جماعة ـ وإما ساكت .

والمعتمد ما قاله مجاهد وبه جزم الأزرقي ويؤيده أنَّ إبن إسحاق صرح أن النبي ﷺ أقام بعد أن رجع من تبوك رمضان وشوالاً وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج ، فهو ظاهر في أن بعث أبي بكر كان بعد انسلاخ ذي القعدة، فيكون حجه في ذي الحجة على هذا والله أعلم »[4] .

---

(١) ٩ التوبة: ٨٤ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب الكفن في القميص حديث رقم: ١٢٦٩ ، وفي التفسير ، تفسير سورة التوبة باب استغفر لهم أو لا تستغفر لهم الحديث: ٤٦٧٠ ، ومسلم في صفات المنافقين حديث رقم: ٢٧٧٤ ، وأحمد في المسند كما في الفتح الرباني: ٢١/ ٢١٠ .

(٣) ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٤٣ .

(٤) فتح الباري: ٨/ ٨٢ .

ب ـ بم بعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً:

٧٦٧ـ قال ابن إسحاق: وحدثني حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: « لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له: يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر ، فقال: (لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي).

ثم دعا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال له: (اخرج بهذه القصة من صدر براءة ، وأذن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى ، أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته) .

فخرج علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق ، قال أمير أم مأمور ؟ فقال: بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحج التي كانوا عليها في الجاهلية .

حتى إذا كان يوم النحر ، قام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله ﷺ ، فقال: « أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته) ، وأجلَّ الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله ﷺ عهد مدة فهو إلى مدته .

فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله ﷺ »[1].

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٤٥ ـ ٥٤٦ ، وهو مرسل ولكن له شواهد يتقوى بها ذكرها ابن كثير رحمه الله في السيرة: ٤/ ٧٠ـ٧٢ ، ومن هذه الشواهد ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد: ٢/ ٢٩٩ ، الترمذي في تفسير القرآن سورة التوبة حديث: ٣٠٩١ ، وقال حديث حسن غريب ، ومنها ما جاء عن أبي هريرة وسيأتي تخريجه لاحقاً ، ومنها ما جاء عن علي من حديث زيد بن يثيع وسيأتي تخريجه أيضاً ، وقد ذكر أيضاً ابن كثير في التفسير: ٢/ ٣٣٢ـ ٣٣٤ ، كثيراً من هذه الشواهد فانظرها هناك فالحديث بهذه الشواهد حسن والله أعلم . وله شاهد أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه عند الترمذي وأحمد ، وقال الترمذي فيه حسن غريب .

٧٦٨ـ ومن حديث زيد بن يثيع قال: « سألت علياً بأي شيء بعثت في الحجة؟ قال: (بعثت بأربع: أن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين النبي ﷺ عهد فهو إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فأجله أربعة أشهر ، ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد عامهم هذا)[(١)].

٧٦٩ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله ﷺ ، قبل حجة الوداع في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: لا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان »[(٢)].

قال ابن شهاب: « فكان حميد بن عبدالرحمن يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر ، من أجل حديث أبي هريرة ...» .

والمعروف أن المنادي هو علي بن أبي طالب فكيف أمر أبو بكر رضي الله عنه أبا هريرة ومن معه بالتأذين بهذه الأمور ، قال الطحاوي في مشكل الآثار « هذا مشكل لأن الأخبار في هذه القصة تدل على أن النبي ﷺ كان بعث أبا بكر بذلك، ثم اتبعه علياً فأمره أن يؤذن ، فكيف يبعث أبو بكر أبا هريرة ومن معه بالتأذين مع صرف الأمر عنه في ذلك إلى علي ؟ ثم أجاب بما حاصله: أن أبا بكر رضي الله عنه كان الأمير على الناس في تلك الحجة بلا خلاف ، وكان علي هو المأمور بالتأذين بذلك ، وكان علياً لم يطق التأذين بذلك وحده ، واحتاج إلى من يعينه على ذلك ، فأرسل معه أبو بكر أبا هريرة وغيره ليساعدوه على ذلك»[(٣)].

---

(١) أخرجه الحميدي في مسنده رقم: ٤٨ ، وأحمد في المسند: ١/ ٧٩ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في كراهية الطواف عرياناً حديث رقم: ٨٧١ ـ ٨٧٢ ، وفي التفسير باب ومن سورة التوبة حديث رقم: ٣٠٩٢ ، والدارمي في المناسك باب لا يطوف بالبيت عريان: ٢/ ٦٨ ، وسنده صحيح ، وحسنه الترمذي، وأخرجه أبو يعلى: ٤٥٢ .

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب ما يستر العورة حديث رقم: ٣٦٩ ، الحج باب لا يطوف بالبيت عريان حديث رقم: ٣١٧٧، وفي التفسير في تفسير سورة براءة الأحاديث: ٤٦٥٥ ، ٤٦٥٦ ، ٤٦٥٧ ، وفي المغازي في باب حج أبي بكر حديث رقم: ٤٣٦٣ ، مسلم في الحج باب لا يحج البيت مشرك حديث رقم: ١٣٤٧ ، أبو داود في المناسك باب يوم الحج الأكبر حديث رقم: ١٩٤٦ ، النسائي في المناسك باب قوله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد: ٥/ ٢٣٤ .

(٣) فتح الباري: ٨/ ٣١٨ .

٤ـ وفد بني تميم:

بعد غزوة تبوك تمت كلمة الله تبارك وتعالى في شبه الجزيرة العربية كلها، وأمن الرسول ﷺ والمسلمون معه من كل عادية عليهم ، ما استقر المسلمون في المدينة ، حتى بدأت القبائل العربية تتوافد على المدينة معلنة الإسلام ، ومتبعة الهدى الذي جاء به سيد الأولين والآخرين ، وسأذكر قصص هذه الوفود التي صح إسناد قدومها على سيدنا محمد لنلتمس من أحداثها العبرة والعظة ، ومن هذه الوفود كان وفد بني تميم:

٧٧٠ـ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: « دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب ، فأتاه ناس من بني تميم فقال: (اقبلوا البشرى يا بني تميم) . قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين) . ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: (اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إن لم يقبلها بنو تميم) . قالوا: قد قبلنا يا رسول الله .

قالوا: جئنا نسألك عن هذا الأمر . قال: (كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في الذكر كل شيء ، وخلق السموات والأرض)، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين . فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لوددت أني كنت تركتها »[1] .

٧٧١ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: (هم أشد أمتي على الدجال) . وكانت فيهم سبية عند عائشة فقال: (اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل) . وجاءت صدقاتهم فقال: (وهذه صدقات قوم أو قومي) »[2] .

---

(١) اخرجه البخاري في بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ﴾ حديث رقم: ٣١٩١ ، و٣١٩٠ ، وجاء عند البخاري ايضاً في المغازي حديث رقم: ٤٣٦٥ ، وحديث رقم: ٤٣٨٦ وفي التوحيد حديث رقم: ٧٤١٨ ، والترمذي في المناقب باب مناقب ثقيف وبني حنيفة رقم: ٣٩٥١ ، وقال حسن صحيح ، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٠٨٢٩ .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب قال ابن إسحاق غزوة عيينة بن حصن حديث رقم: ٤٣٦٦ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء حديث رقم: ٢٥٢٥ .

٥ـ وفد بني عامر

أـ مقالتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

٧٧٢ـ من حديث مطرف بن عبدالله بن الشخير رضي الله عنهما عن أبيه: (أنه وفد إلى النبي ﷺ في رهط من بني عامر قال: فأتيناه فسلمنا عليه ، فقلنا: أنت ولينا ، وأنت سيدنا ، وأنت أطول علينا (قال يونس) وأنت أطول علينا طولاً ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت الجفنة الغراء ، فقال: قولوا:(قولكم ولا يستجرنكم الشيطان) قال وربما قال: (ولا يستهوينكم) [(١)].

ب ـ عامر بن الطفيل ومقولته الفاسدة للرسول عليه الصلاة والسلام:

قد سبق ذكر عامر بن الطفيل أثناء الحديث عن غزوة بئر معونة وأنه الذي تولى كبر قتل القراء السبعين ، والغدر بهم ، ثم لم يكفه هذا العمل ، فجاء في وفد بني عامر يتهدد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فابتلاه الله تعالى بغدة في رقبته ، مات على أثرها .

٧٧٣ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال:« أن النبي ﷺ بعث خاله ـ أخ لأم سليم ـ في سبعين راكباً . وكان رئيس المشركين عامر بن الطفيل خير بين ثلاث خصال فقال: يكون لك أهل السهل ، ولي أهل المدر ، أو أكون خليفتك ، أو أغزوك بأهل غطفان بألف وألف ، « ألف أشقر وألف شقراء » فطعن عامر في بيت « امرأة من بني فلان » أم فلان ، فقال: غدة كغدة (البعير) البكر ، في بيت امرأة من آل بني فلان ، ائتوني بفرسي . فمات على ظهر فرسه ، فانطلق حرام أخو أم سليم ، وهو رجل أعرج ورجل من بني فلان ، قال: كونوا قريباً حتى آتيهم . . . » فذكر قصة القراء في بئر معونة » [(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب باب في كراهية التمادح حديث رقم: ٤٨٠٦ ، والنسائي في اليوم والليلة ذكر اختلاف الأخبار في قوله القائل سيدنا وسيدي حديث رقم: ٢٤٦ ، وأخرجه أحمد في المسند: ٤/ ٢٥ ، وسنده صحيح .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان حديث رقم: ٤٠٩١ وأحمد في المسند: ٣/ ٢١٠ .

٦ـ وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر:

٧٧٤ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله ثم قال لهم: أيكم محمد ـ والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم ـ فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ، فقال له الرجل: ابن عبدالمطلب. فقال له النبي ﷺ: (قد أجبتك).

فقال الرجل للنبي ﷺ: إني سائلك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد علي في نفسك.

فقال: (سل عما بدا لك). فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آلله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: (اللهم نعم).

قال: أنشدك بالله، آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: اللهم نعم.

قال: أنشدك بالله. آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها في فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: (اللهم نعم).

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر»[1].

٧٧٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بعثت بنو سعد بن بكر، ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد، ثم عقله، ثم دخل المسجد، ورسول الله ﷺ جالس في أصحابه، وكان ضمام رجلاً جلداً أشعر ذا غديرتين، فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: أيكم ابن عبدالمطلب؟ فقال رسول الله ﷺ: (أنا ابن

---

(١) أخرجه البخاري في العلم باب ما جاء في العلم وقوله تعالى ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ حديث: ٦٣، مسلم في الإيمان باب السؤال عن أركان الإسلام حديث رقم: ١٢، النسائي في الصوم باب و جوب الصوم صفحة: ٤/ ١٢٢ـ ١٢٣، أبو داود في الصلاة باب في المشرك يدخل المسجد حديث رقم: ٤٨٦، باختصار، ابن ماجه في الصلاة باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها حديث رقم: ١٤٠٢.

عبدالمطلب) ، قال: محمد ؟ قال: (نعم) ، فقال: ابن عبدالمطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك ، قال: (لا أجد في نفسي فسل ما بدالك) ، قال: انشدك الله إلاهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال: (نعم) .

قال: انشدك الله إلاهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك آلله امرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت اباؤنا يعبدون معه ؟ قال: (اللهم نعم) .

قال: فانشدك الله إلاهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلي هذه الصلوات الخمس ؟ قال: (اللهم نعم) .

قال: ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة: الزكاة ، والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله واشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص .

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: (إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة) ، قال: فأتى إلى بعيره ، فاطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى ، قالوا: صه يا ضمام اتق البرص والجذام ، اتق الجنون .

قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله ـ عز وجل ـ قد بعث رسولاً ، وانزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، قال فوالله ما أمسي من ذلك اليوم وفي حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، قال: يقول ابن عباس رضي الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة » [1] واللفظ لأحمد .

---

(١) اخرجه ابو داود في الصلاة باب ما جاء في المشرك يدخل المسجد حديث رقم: ٤٨٧ مختصراً ، واحمد في المسند: ١/ ٢٦٤ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٤ـ٥٥ ، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وابن سعد في الطبقات: ١/ ٢٩٩ ، ابن هشام في السيرة: ٢/ ٥٧٣ ـ ٥٧٥ ، وسنده حسن صرح فيه ابن إسحاق بالتحديث .

٧ـ وفد عبد القيس

أـ إخبار النبي بطلوعهم قبل أن يصلوا:

٧٧٩ـ من حديث مزيدة العصري رضي الله عنه قال: « بينما النبي ﷺ يحدث أصحابه إذ قال لهم: (سيطلع عليكم من هاهنا ركب هم خير أهل المشرق) ، فقام عمر فتوجه نحوهم فلقي ثلاثة عشر راكباً، فقال: من القوم ؟ قالو: من بني عبد القيس ، قال: فما أقدمكم هذه البلاد أتجارة ؟ قالوا: لا ، قال: أما أن النبي قد ذكركم آنفاً فقال خيراً، ثم مشى معهم حتى أتوا النبي ﷺ فقال عمر للقوم: هذا صاحبكم الذي تريدونه، فرمى القوم بأنفسهم من ركائبهم فمنهم من مشى إليه ومنهم من هرول، ومنهم من سعى حتى أتوا النبي ﷺ، فأخذوا بيده فقبلوها.

وتخلف الأشج في الركاب حتى أناخها ، وجمع متاع القوم ، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد الرسول ﷺ فقبلها ، فقال له النبي ﷺ: (إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله) ، فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقاً مني ؟ قال: (بل جبلٌ) قال: الحمدلله الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله » [١] .

ب ـ قصة الجارود العبدي في إسلامه وسؤاله عن الضالة كيف حالها:

٧٧٧ـ من حديث الجارود العبدي قال: « أتيت النبي ﷺ أبايعه فقلت له: على أني إن تركت ديني ودخلت في دينك لا يعذبني الله في الآخرة ؟ قال: (نعم) وقد سألت النبي عن ضالة الإبل والماشية » [٢] .

٧٧٨ـ من حديث الجارود أن رسول الله ﷺ قال: (ضالة [٣] المسلم حرق[٤] النار) [٥] .

---

(١) اخرجه البخاري في الأدب المفرد حديث رقم: ٦٨٥٠ ، وقال الهيثمي: ٥٨٧ ، باختصار ، وابو يعلى رقم: ٦٨٥٠ ، وقال الهيثمي :٩/٣٨٨ ، رواه الطبراني وأبو يعلى ، ورجالهما ثقات ، وفي بعضهم اختلاف ، قلت: والحديث إسناده جيد والبيهقي في الدلائل: ٥/٣٢٧ .

(٢) اخرجه ابو يعلى في المسند رقم: ٩١٨ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١/٣٢ رواه ابو يعلى ورجاله ثقات، قلت رجال ابو يعلى رجال الصحيح .

(٣) الضالة: الضائعة والمعنى من اخذ ضائعة لمسلم ليتملكها ادت إلى احراقه بالنار وقال القاضي: ارادوا انها حرق النار لمن آوها ولم يعرفها: او قصد الخيانة فيها .

(٤) حرق: اللهب .

(٥) اخرجه احمد: ٥/٨٠ ، الدارمي في البيوع باب في الضالة: ٢/٢٦٥ـ ٢٦٦ ، الترمذي في الأشربة باب في النهي عن الشرب قائماً: ١٨٨٢ ، وابن حبان برقم: ١١٧٠ موارد ، وابو يعلى في المسند رقم: ٩١٩ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٤/١٦٧ رواه احمد والطبراني بأسانيد رجال بعضها رجال الصحيح ، ويشهد له حديث أبي هريرة عند البزار كما قال الهيثمي في المجمع: ٤/١٦٧، ورجاله رجال

جـ ـ ترحيب النبي بوفد عبد القيس وتفقيههم:

٧٧٩ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن وفد عبدالقيس أتوا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ (من الوفد ؟ أو من القوم ؟) قالوا: ربيعة قال: (مرحباً بالقوم [١] أو بالوفد غير خزايا ولا الندامى) [٢] .

قال: فقالوا: يا رسول الله ! إنا نأتيك من شقة بعيدة [٣] ، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر ، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام ، فمرنا بأمر فصل [٤] نخبر به من وراءنا ، ندخل به الجنة . قال: فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع . قال: (أمرهم بالإيمان بالله وحده) ، وقال: (هل تدرون ما الإيمان بالله ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: (شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تؤدوا خمساً من المغنم » ونهاهم عن الدباء [٥] ، والحنتم [٦] ، والمزفت [٧] ، وربما قال النقير [٨] ، أو المقير وقال: احفظوه وأخبروا به مَن وراءكم) [٩] .

الصحيح .
وحديث عبدالله بن الشخير عند ابن ماجه في اللقطة باب ضالة الإبل والبقر والغنم وقال البوصيري في الزوائد: وإسناده صحيح ورجاله ثقات ، فالحديث بذلك حسن وقد صححه ابن حبان .

(١) مرحباً بالقوم: صادفت رحباً وسعة .

(٢) غير خزايا ولا الندامى: معناه أنه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد ولا أصابكم أسار ولا سباء ولا ما أشبه ذلك مما تستحيون بسببه أو تذلون أو تهانون أو تندمون .

(٣) شقة بعيدة: السفر البعيد ، قيل المسافة البعيدة .

(٤) أمر فصل: البين الواضح الذي ينفصل به المراد .

(٥) الدباء: القرع اليابس أي الوعاء منه .

(٦) الحنتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضر ، وهي جرار كان يحمل فيها الخمر .

(٧) والمزفت: الأوعية التي فيها الزفت.

(٨) النقير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر ثم يدعونه حتى يهدر ، ثم يموت .
المقير: هو الزفت المطلي بالقار .
وأما معنى النهي عن هذه الأربع فهو أنه نهي عن الانتباذ فيها ، وهو أن يجعل الماء في حبات من تمر أو زبيب أو نحوهما ليحلو ويشرب ، وإنما خصت هذه بالنهي لأنه يسرع إليها الإسكار فيها فيصير حراماً نجساً .

(٩) أخرجه البخاري في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان: ٥٣ ، وفي العلم: ٨٧ ، وفي مواقيت الصلاة: ٥٢٣ ، وفي الزكاة: ١٣٩٨ ، وفي فرض الخمس: ٣٠٩٥ ، وفي المناقب: ٣٥١٠ ، وفي المغازي: ٤٣٦٩ ، وفي الأدب: ٦١٧٦ ، وفي أخبار الآحاد: ٧٢٦٦ ، وفي التوحيد: ٧٥٥٦ ، ومسلم في الإيمان حديث رقم: ١٧ ، وأبو داود في الأشربة باب في الأوعية حديث: ٣٦٩٢ ، والترمذي في

قلت: وفي رواية أبي سعيد الخدري زيادة طريفة :

٧٨٠- من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « إن أناساً من عبدالقيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: يا نبي الله إنا حي من ربيعة ، وبيننا وبينك كفار مضر ، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم ، فمرنا بأمر نأمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله ﷺ: (عبدالقيس آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ؛ اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم وأنهاكم عن أربع ؛ عن الدباء ، والحنتم ، والمزفت والنقير) ، قالوا: يا نبي الله؟ ما علمك بالنقير ؟ قال: (بلى جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه القطيعاء [1] (أو قال من الثمر) ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه ، حتى إن أحدكم أو إن أحدهم ليضرب ابن عمه بالسيف) قال وفي القوم رجل أصابته جراحه كذلك ، قال: وكنت أخبئها حياءً من رسول الله ﷺ .

فقلت: ففيم نشرب يا رسول الله ؟ قال: (في أسقية الأدم ، التي يلاث على أفواهها) [2] قالوا: يا رسول الله ! إن أرضنا كثيرة الجرذان ، ولا تبقى بها أسقية الأدم ، فقال النبي ﷺ: (وإن أكلتها الجرذان وإن أكلتها الجرذان ، وإن أكلتها الجرذان) قال ، وقال نبي الله ﷺ لأشج عبدالقيس: (إن فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والأناة) [3] .

الإيمان: ٢٦١٤ ، والنسائي في الإيمان باب أداء الخمس: ٨/ ١٢٠ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٤/ ٢٢٣ ، وعبدالرزاق في المصنف: ١٦٩٢٧ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٧٤ ،والطيالسي برقم: ٧١٤ ، والبيهقي: ٨/ ٣٠٠ ، ٨/ ٣٠٣ وابن خزيمة: ٢٢٤٦ من طرق عن ابن عباس .

(١) القطيعاء: نوع من التمر صغار

(٢) أسقية الأدم التي يلاث على أفواهها: الأدم جمع إديم وهو الجلد الذي تم دباغه ، ومعنى يلاث على أفواهها: يلف الخيط على أفواهها ويربط بها .

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين حديث رقم: ١٨ ، والبيهقي في السنن: ١٠/ ١٠٤، ١٩٤ ، وفي الدلائل: ٥/ ٣٢٥، ٣٢٦ ، من طريقين حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: حدثنا من لقي الوفد الذين قدموا على رسول الله من عبدالقيس قال سعيد: وذكر قتادة أبو نضره عن أبي سعيد . وأخرجه أحمد: ٣/ ٩٥ ومسلم في الأشربة باب النهي عن الانتباذ في المزفت حديث: ١٩٩٦ ، ٤٥ ، من طرق عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد ، وأخرجه مسلم: ١٩٩٦ ، ٤٥ ، والنسائي في الأشربة باب النهي عن نبيذ الدباء والختم والنقير: ٨/ ٣٠٦ من طريقين عن المثنى بن سعيد عن أبي المتوكل عن أبي سعيد .

د ـ أشج عبدالقيس وخصال الإيمان:

٧٨١ـ من حديث أشج عبدالقيس قال: قال النبي ﷺ: (إن فيك لخلقين يحبهما الله) قلت: وما هما يا رسول الله ؟ قال: (الحلم والحياء) قلت: قديماً كان أو حديثاً ؟

قال: (قديماً) قلت: الحمدلله الذين جبلني على خلقين أحبهما الله »[١] .

هـ ـ تأخير الرسول صلى الله عليه وسلم صلاة السنة البعدية للظهر:

٧٨٢ـ من حديث كريب أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: « اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر ، وقل لها: إنا أخبرنا أنك تصلينهما ، وقد بلغنا أن النبي ﷺ نهى عنها ، وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها .

قال كريب: فدخلت على عائشة رضي الله عنها ، فبلغتها ما أرسلوني ، فقالت: سل أم سلمة ، فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها . فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة .

فقالت أم سلمة: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما ، وإنه صلى العصر ، ثم دخل علي وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما ، فأرسلنا إليه الخادم فقلت: قومي إلى جنبه فقولي: تقول أم سلمة يا رسول الله ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين ، فأراك تصليهما ، فإن أشار بيده فاستأخري ففعلت الجارية ، فأشار بيده فاستأخرت عنه.

فلما انصرف قال: (يا بنت أبي أمية ، سألت عن الركعتين بعد العصر ، إنه أتاني أناس من عبدالقيس بالإسلام من قومهم ، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان)[٢] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند : ٤/ ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، والبخاري في الأدب المفرد: ٥٨٤ وابن أبي شيبة : ١٢/ ٢٠٢ ، وابن سعد: ٥/ ٥٥٨، والنسائي في فضائل الصحابة: ٢٠١، وفي الكبرى كما في التحفة: ٨/ ٥١٣، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ٣٨٧ـ ٣٨٨ ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، إلا أن ابن أبي بكرة لم يدرك الأشج ، وسنده صحيح وقد سبق هذا المعنى في حديث أبي سعيد الخدري ، ومن حديث مزيدة العصري ، ومن حديث ابن عباس من رواية ثانية في نفس الموضع المذكور آنفاً ، وقد جاء أيضاً من حديث الزارع العبدي عن أحمد بسند حسن .

(٢) أخرجه البخاري في السهو باب إذا كلم وهو يصلي فأشار بيده واستمع حديث: ١٢٢٣ ، وفي المغازي باب وفد عبدالقيس حديث رقم: ٤٣٧٠ ، ومسلم في كتاب صلاة المسافر وقصرها باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ﷺ بعد العصر حديث رقم: ٨٣٤، وأبو داود في الصلاة باب الصلاة بعد العصر حديث رقم: ١٢٧٣.

و- أول جمعة جمعت بعد جمعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم:

٧٨٣- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « إن أول جمعة جمعت - بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبدالقيس بجواثي من البحرين »[(١)].

ز- قصة الرجل المصروع وشفاؤه على يد الرسول عليه الصلاة والسلام:

٧٨٤- من حديث الزارع بن عامر ، ويقال ابن عمرو العبدي ، وكان في وفد عبدالقيس قال: « أتيت رسول الله ﷺ والأشج المنذر بن عامر ومعهم رجل مصاب فانتهوا إلى رسول الله ﷺ . فلما رأوا رسول الله ﷺ وثبوا من رواحلهم، فأتوا رسول الله ﷺ فقبلوا يده ، ثم نزل الأشج فعقل راحلته وأخرج عيبته ، ففتحها فأخرج ثوبين أبيضين من ثيابه ، فلبسهما ، ثم أتى رواحلهم فعقلها ، فأتى رسول الله ﷺ .

فقال: (يا أشج إن فيك خصلتين يحبهما الله عز وجل ورسوله ؛ الحلم والأناة) فقال: يا رسول الله أنا تخلقتهما أو جبلني الله عليهما ؟ فقال: (بل الله جبلك عليهما) قال: الحمدلله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله عزَّ وجلَّ ورسوله .

فقال الزارع: يا رسول الله إن معي خالاً لي مصاباً ، فادع الله له، فقال: (أين هو ؟ ائتني به) قال: فصنعت مثل ما صنع الأشج ، ألبسته ثوبيه ، وأتيته ، فأخذ من ردائه يرفعهما حتى رأينا بياض أبطه ، ثم ضرب بظهره فقال:(اخرج عدو الله) ، فولى وجهه وهو ينظر بنظر رجل صحيح »[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن حديث رقم: ٨٩٢ ، والمغازي باب وفد عبدالقيس حديث رقم: ٤٣٧١ ، أبو داود في الصلاة باب الجمعة في القرى حديث: ١٠٦٨

(٢) أخرجه أحمد في المسند كما أشار إلى ذلك ابن كثير في السيرة: ٤/٨٩- ٩٠ . قلت: وهذا الحديث سقط من نسخة المسند المطبوعة ، وذكره ابن حجر في المسند المعتلى: ٧٢٥٥ ، وأخرجه أبو داود الطيالسي كما أشار إلى ذلك ابن الأثير في أسد الغابة ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم: ٥٣١٣ ، ٥٣١٤ والبخاري في الأدب المفرد رقم: ٩٧٥، وأخرج أبو داود في الأدب باب في قبلة الجسد حديث رقم: ٥٢٢٥ ، بعضه بنفس الإسناد ، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود حديث رقم: ٥٠٦٢: وأخرج هذا الحديث أبو القاسم البغوي في معجم الصحابة وقال: ولا أعلم للزارع غيره ، وذكر أبو عمر النمري: أن كنيته أبو الوازع ، وأن له ابناً يسمى الزارع وبه كان يكنى ، وأن حديثه عند البصريين ، وأن حديثه هذا حسن .

٨ـ وفد بني حنيفة وخبر مسيلمة:

قد سبق حديث ثمامة بن أثال الحنفي قبل فتح مكة:

أـ مقدم الوفد ومقولة النبي صلى الله عليه وسلم لمسيلمة:

٧٨٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: (لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني)، ثم انصرف عنه.

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: (وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت)، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فأوحي إلي في المنام أن انفخهما، فنفختهما فطاراً، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي: أحدهما العنسي، والآخر مسيلمة)[1].

ب ـ رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في مسيلمة والأسود العنسي:

٧٨٦ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بينما أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبرا علي، فأوحي إلي أن انفخهما، فنفختهما، فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال حديث رقم: ٤٣٧٣، ٤٣٧٤، ومسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم: ٢٢٧٣، ٢٢٧٤، وما جاء عن أبي هريرة في الحديث فقد أخرجه الشيخان كما سبق ذكره والترمذي، في الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو حديث: ٢٢٩٢، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف حديث رقم: ١٣٥٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال حديث رقم: ٤٣٧٥، ومسلم في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ حديث رقم: ٢٢٧٤، ٢٢، والترمذي في الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ الميزان والدلو حديث: ٢٢٩٢، وقال حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ١٣٥٧٤.

جـ ـ ارتداد مسيلمة وادعاؤه النبوة وإرساله الرسل إلى النبي صلى الله عليه وسلم:

٧٨٧ـ من حديث نعيم بن مسعود الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول حين قرأ كتاب مسيلمة الكذاب قال للرسولين: (فما تقولان أنتما)، قالا: نقول كما قال ، فقال رسول الله ﷺ: (والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما) [1] .

٧٨٨ـ عن حارثة بن مضرب أنه أتى عبدالله فقال: (ما بيني وبين أحد من العرب ، حِنَةٌ وإني مررت بمسجد لبني حنيفة ، فإذا هم يؤمنون بمسيلمة ، فأرسل إليهم عبدالله ، فجيء بهم فاستتابهم غير ابن النواحة قال له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لولا أنك رسول لضربت عنقك) فأنت اليوم لست برسول ، فأمر قرظة بن كعب فضرب عنقه في السوق ، ثم قال: من أراد أن ينظر إلى ابن النواحة قتيلاً بالسوق » [2] .

د ـ لحوق أبي رجاء العطاردي بمسيلمة:

٧٨٩ـ من حديث أبي رجاء العطاردي قال: « كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه ، وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسنة ، فلا ندع رمحاً فيه حديدة ، ولا سهم فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب . وقال أبو رجاء: كنت يوم بعث النبي ﷺ غلاماً أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب » [3] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/ ٤٨٧ ـ٤٨٨ ، وأبو داود في سننه في الجهاد باب في الرسل حديث رقم: ٢٧٦١ ، والبيهقي في السنن: ٩/ ٢١١، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في الجهاد باب في الرسل حديث: ٢٧٦٢ ، والنسائي في السنن الكبرى كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٩١٩٦ ، وأحمد في المسند، ١/ ٣٩٠، ٣٩٦، ٤٠٤، ٤٠٦، وابن حبان رقم: ١٦٢٩، موارد ، والبيهقي في السنن : ٩/ ٢١١، ٢١٢، والبزار : ٢/ ٢٧١، رقم: ١٦٨١، والدارمي: ٢/ ٢٣٥، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٣/ ٣١٧، بإسناد صحيح عن ابن مسعود ، وقد أورده الطيالسي في مسنده: ١/ ٢٣٨ ، حديث رقم: ١١٦٢ وهو عنده بلفظ مختلف وقال الهيثمي في المجمع: ٥/ ٣١٤: رواه أبو داود باختصار وأحمد والبزار ، وأبو يعلى مطولاً وإسناده حسن .

(٣) أخرجه البخاري في المغآزي باب وفد بني حنيفة رقم: ٤٣٧٦ ـ ٤٣٧٧ .

٩ـ قدوم وفد الأشعريين:

أـ ارتجاز القوم عند قدومهم وفرحهم بلقاء الرسول عليه الصلاة والسلام:

٧٩٠ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « قال رسول الله ﷺ: (يقدم عليكم أقوامٌ هم أرق منكم قلوباً) قال: فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى الأشعري فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون: غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه » [١] .

وقد سبق ذكر قدوم أبي موسى الأشعري مع قدوم جعفر من الحبشة في أثناء غزوة خيبر ، ويحتمل أنه عاد إلى قومه ثم عاد بهم في وفد الأشعريين إلى رسول الله ﷺ .

ب ـ مدح النبي صلى الله عليه وسلم لهم:

٧٩١ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : (أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم) [٢] .

٧٩٢ـ ومن حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: « بينما نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: (يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيار من في الأرض ، فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله ، فسكت . قال: ولا نحن يا رسول الله ؟ فسكت قال: ولا نحن يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة: كلمة ضعيفة: (إلا أنتم) [٣] .

جـ ـ قبولهم البشرى ورفض بني تميم لها:

٧٩٣ـ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: (جاءت بنو تميم إلى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣/١٠٥ ، ١٥٥ ، ١٨٢ ، ٢١٢، ٢٢٣ ، ٢٥١، ٢٦٢ ، وإسناده صحيح ، والبيهقي في الدلائل: ٥/٣٥١، وأبو يعلى رقم: ٣٨٤٥ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن حديث رقم: ٤٣٨٨ ، ومسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن حديث رقم: ٥٢ ، الشافعي في المسند: ص: ٢٨٢ ، والترمذي في المناقب باب في فضل اليمن حديث رقم: ٣٩٣٥ ، وأحمد في المسند: ٢/٢٣٥ ، ٢٥٢، ٢٥٨ ، ٢٦٧ ، ٢٧٧ ، ٣٨٠ ، ٤٧٤ ، ٤٨٠ ، ٤٨٨ ، ٥٠٢ ، ٥٤١ ، وابن منده في الإيمان حديث: ٤٣٨ ، والدولابي في الكنى: ١/٢٧١، والبخاري في التاريخ الكبير: ١/١٥٨ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٤/٨٤ ، ورواه الطبراني رقم: ٤٧٠٢ ، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠/٥٥: رواه أحمد والطبراني وإسناده حسن .

رسول الله ﷺ فقال: (أبشروا يا بني تميم) ، قالوا: أما إذا بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول الله ﷺ ، فجاء ناس من أهل اليمن ، فقال النبي ﷺ: (اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم) ، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله) [١] .

د ـ أهل اليمن مقر الإيمان ونجد مطلع قرن الشيطان:

٧٩٤ـ من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: « أن النبي ﷺ قال: (الإيمان ها هنا ـ وأشار إلى اليمن ، والجفاء وغلظ القلب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل من حيث يطلع قرنا الشيطان ربيعة ومضر) [٢] .

١٠ـ وفد مزينة:

٧٩٥ـ من حديث النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: (قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة من مزينة ، فأمرنا رسول الله ﷺ بأمره ، فقال بعض القوم: يا رسول الله ما لنا طعام نتزوده ، فقال النبي ﷺ لعمر:(زودهم) فقال: ما عندي إلا فاضلة من تمر وما أراها تغني عنهم شيئاً ، فقال: انطلق فزودهم ، فانطلق بنا إلى علية له ، فإذا فيها ثمر مثل البكر الأورق ، فقال: خذوا فأخذ القوم حاجتهم ، قال: وكنت أنا في آخر القوم ، قال: فالتفت وما أفقد موضع تمرة ، وقد احتمل منه أربعمائة رجل » [٣] .

١١ـ وفد دوس:

أـ دعاء النبي بأن يهديهم الله:

٧٩٦ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « جاء الطفيل بن عمرو إلى

---

(١) قد سبق تخريجه حديث رقم: ٧٧٠ .

(٢) اخرجه البخاري في المغازي باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن حديث رقم: ٤٣٨٧ ، مسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان ورجحان أهل اليمن حديث رقم: ٥١ ، وأحمد في المسند: ٢/ ٢٣٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ ، وابن منده في الإيمان حديث رقم: ٤٢٧ .

(٣) أخرجه أحمد في المسند: ٥/ ٤٤٥ ، ورجاله ثقات وسنده حسن وقد جاء من حديث دكين بن سعيد المزني ، أخرجه الطبراني رقم: ٤٧٠٢ ، وأبو نعيم في الدلائل رقم: ٣٣٣، وفي الحلية: ١/ ٣٦٥، وأحمد في المسند:٤/ ١٧٤، وقال الهيثمي في المجمع:٨/ ٣٠٥ رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح، وروى أبو داود طرفاً منه »
ورواه أبو داود مختصراً برقم: ٥٢٣٨ ، وابن حبان موارد: ٢١٥١، والحميدي رقم: ٨٩٣، والبخاري في التاريخ الكبير: ٣/ ٢٥٥ـ ٢٥٦ ، قلت: وإسناده صحيح.

النبي ﷺ فقال: (إن دوساً قد هلكت ، عصت وأبت ، فادع الله عليهم » . فقال: (اللهم اهد دوساً وائت بهم) [1] .

ب ـ قصة غلام أبي هريرة:

٧٩٧ـ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلة من طولها وعنائها   على أنها من دارة الكفر نجت

وابق غلام لي في الطريق ، فلما قدمت على النبي ﷺ فبايعته فبينما أنا عنده إذ طلع الغلام فقال لي النبي ﷺ: « يا أبا هريرة ، هذا غلامك ، فقلت: هو لوجه الله فأعتقته » [2] .

١٢ـ وفد نجران:

٧٩٨ـ من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: « جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه ، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل ، فوالله لئن كان نبياً فلاعننا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا ، وابعث معنا رجلاً أميناً ، ولا تبعث معنا إلا أميناً . فقال: (لأبعثن معكم رجلاً أميناً حق أمين) ، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) ، فلما قام قال رسول الله ﷺ: (هذا أمين هذه الأمة) [3] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي ، حديث رقم: ٤٣٩٢ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيء حديث رقم: ٢٥٢٤ ، والشافعي في مسنده ، ص: ١٨٢ ، والطبراني في الكبير: ٨/ ٣٩١ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب قصة دوس والطفيل بن عمرو وحديث رقم: ٤٣٩٣ .

(٣) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح حديث رقم: ٣٧٤٥ ، وفي المغازي باب قصة أهل نجران: ٤٣٨٠ ، و ٤٣٨١ ، وفي الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد: ٧٢٥٤ ، مسلم في الفضائل باب فضل أبي عبيدة حديث: ٢٤٢٠ ، والترمذي في المناقب: ٣٧٥٩ ، وابن ماجه في المقدمة حديث: ١٣٥ ، وأحمد في المسند: ٥/٣٩٨ ، ٤٠٠ ، والطيالسي: ٢/ ١٥٩ ، وأبو نعيم في الحلية: ٧/١٧٦، عن حذيفة، والحاكم: ٣/٢٦٧، وأحمد: ١/ ٤١١ ، والفسوي: ١/ ٤٨٨، عن ابن مسعود .

١٣ـ وفد كندة مع الأشعث بن قيس:

٧٩٩ـ من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه: قال: « أتيت رسول الله ﷺ في وفد كندة ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت: يا رسول الله ! ألستم منا ؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفوا أمنا ، ولا ننتفي من أبينا) .

قال: فكان الأشعث بن قيس يقول: لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش ، من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد »[1].

قصة ولد الأشعث بن قيس:

٨٠٠ـ من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: « قدمت على رسول الله ﷺ في وفد كندة ، فقال لي: هل لك من ولد ، قلت: غلامٌ وُلِدَ لي في مخرجي إليك من ابنه جمد ، ولوددت أن مكانه شبعَ القوم .

قال: (لا تقولن ذلك فإن فيهم قرة عين وأجراً إذا قبضوا ، ثم ولئن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة ، إنهم لمجبنة محزنة) »[2] .

١٤ـ وفد همذان:

وسيأتي لهؤلاء القوم ذكر عند حديثنا عن إرسال النبي ﷺ إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الله عز وجل برقم: ٨٠٨ ، فلينظر هناك .

١٥ـ وفد عمان والبحرين:

٨٠١ ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « قال لي رسول الله ﷺ: (لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا ، وهكذا ، ثلاثاً) فلم يقدم مال البحرين حتى قبض رسول الله ﷺ فلما قدم على أبي بكر أمر منادياً فنادى:

---

(١) أخرجه أحمد: ٥/٢١١ ، ٢١٢ ، وابن ماجه في كتاب الحدود باب من نفى رجلاً من قبيلة حديث: ٢٦١٢ ، وإسناد ابن ماجه قوي ، وصححه البوصيري في الزوائد ، وقد سبق برقم:٤ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٥/٢١١ ، وتفرد به ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم: ٦٤٧، والحاكم في المستدرك: ٤/٢٣٩ ، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن جيد الإسناد كما قال ابن كثير في السيرة: ٤/١٤٢ .

من كان له عند النبي ﷺ دين أو عدة فليأتني . قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: (لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا) (ثلاثاً) قال: فأعطاني .

قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك فسألته فلم يعطني ، ثم أتيته فلم يعطني ، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني . فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني . فإما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني ـ قال: أقلت تبخل عني ؟ وأي داء أدوأ من البخل ؟ قالها ثلاثاً . ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك »[1] .

وعن عمرو عن محمد بن علي سمعت جابر بن عبدالله يقول: « جئته فقال لي أبو بكر: عدها ، فعددتها فوجدتها خمسمائة ، فقال: خذ مثلها مرتين » .

١٦ـ قدوم طارق بن عبدالله وأصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم:

٨٠٢ ـ من حديث طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ مر بسوق ذي المجاز ، وأنا في بياعة لي ، فمرَّ وعليه حلة حمراء فسمعته يقول: (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمى كعبه ، وهو يقول: (يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب ، فقلت من هذا ؟ فقيل: هذا غلام من بني عبدالمطلب .

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ومعنا ظعينة لنا حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينما نحن قعودٌ وإذ أتانا رجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال: (من أين القوم) ، فقلنا: من الربذة ، ومعنا جمل أحمر فقال: (تبيعوني هذا الجمل)، فقلنا: نعم. فقال: (بكم ؟) فقلنا: بكذا وكذا صاعاً من تمر ، قال: (أخذته وما أستقصي) ، فأخذ بخطام الجمل ، فذهب به حتى توارى في حيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض: تعرفون الرجل فلم يكن منا أحد يعرفه . فلام القوم بعضهم بعضاً ، فقالوا: تعطون جملكم من لا تعرفون .

فقالت الظعينة: فلا تلاوموا فلقد رأينا وجه رجل لا يغدر بكم ، ما رأيت

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في المغازي باب قصه عمان والبحرين حديث رقم: ٤٣٨٣ ، ومسلم في الفضائل باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا . وكثرة عطائه حديث رقم: ٢٣١٤ .

شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أنتم الذين جئتم من الربذة » ، قلنا: نعم قال: أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم ، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا، وتكتالوا حتى تستوفوا، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا .

ثم قدمنا المدينة من الغد فإذا رسول الله ﷺ قائم يخطب الناس على المنبر فسمعته يقول: (يد المعطي العليا ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك) ، وثم رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية ، فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال: (لا تجني أم ولد على ولد ، لا تجني أم ولد على ولد) وهذا لفظ الحاكم [1] .

١٧ـ وفد بني أسد:

٨٠٣ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قدم على النبي ﷺ وفد بني أسد فتكلموا فأبانوا ، فقالوا: يا رسول الله ، قاتلتك مضر كلها ولم نقاتلك ، ولسنا بأقلهم عدداً ولا أقلهم شوكة . وصلنا رحمك ، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر حيث سمع كلامهم: (أيتكلمون هكذا ؟) قال: يا رسول الله ، إن فقههم لقليل ، وإن الشيطان لينطق على لسانهم »[2] .

(١) أخرجه ابن ماجه في الديات باب لا يجني أحد على أحد رقم: ٢٦٧٠ ، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات وهو مختصر عنده وأخرج النسائي في الزكاة باب أيتهما اليد العليا: ٥/ ٦١ وفي القسامة:٨/ ٥٥ ، مقطعاً منه . وهو وخطبته على المنبر وقوله اليد العليا ...) والبيهقي في الدلائل: ٥/ ٣٨١ ، والطبراني في الكبير: ٨١٧٥ ، والدار قطني: ٣/ ٤٤ـ٤٥ ، وابن أبي شيبة: ١٤/ ٣٠٠ ، والحاكم في المستدرك: ٢/ ٦١١ ، ٦١٢ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وسنده صحيح كما قالا .

(٢) أخرجه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح: ٢٣٦٣ ، والبزار كما نقله ابن كثير في تفسيره ، وانظر الدر المنثور: ٦/ ١٠٠ ، وقد عزاه إلى النسائي والبزار وابن مردويه عن ابن عباس ، وهو في السنن الكبرى للنسائي كما أشار إلى ذلك صاحب تحفة الأشراف حديث رقم: ٥٥٧٦ .

١٨ـ قدوم جرير بن عبدالله البجلي:

أ ـ مقالة النبي فيه حين قدم عليه:

٨٠٤ـ من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: « لما دنوت من المدينة أنخت راحلتي ثم حللت عيبتي ثم لبست حلتي ، ثم دخلت فإذا رسول الله ﷺ يخطب فرماني الناس بالحدق ، فقلت لجليسي: يا عبدالله هل ذكرني رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم ذكرك بأحسن الذكر ، بينما هو يخطب إذ عرض له في خطبته وقال: (يدخل عليكم من هذا الباب أو من هذا الفج من خير ذي يمن ، ألا أن على وجهه مسحة ملك) .

قال جرير: فحمدت الله ـ عز وجل ـ على ما أبلاني »[(١)] .

ب ـ تبسم الرسول صلى الله عليه وسلم له كلما رآه:

٨٠٥ـ من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: « ما حجبني عنه رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم »[(٢)] .

جـ ـ سريته لتخريب ذي الخصلة

٨٠٦ ـ من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: « قال لي رسول الله ﷺ: (الاتريحني من ذي الخلصة ؟) فقلت: بلى . فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فضرب يده على صدري وقال: (اللهم ثبته ، واجعله هادياً مهدياً) . قال: فما وقعت عن فرس بعد . قال: وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لخثعم وبجيلة فيه نصب تعبد ، يقال له الكعبة .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٣٥٦/٤ ـ ٣٦٠ ـ ٣٦٤ ، وإسناده صحيح ، والطبراني في الكبير رقم: ٢٢٥٨ ، ٢٤٨٣ ، ٢٤٩٨ ، والحميدي في مسنده رقم: ٨٠٠ ، وإسنادهما صحيح ، وقال ابن كثير في السيرة: ١٤٩/٤ـ ١٥٠ ، وهذا على شرط الصحيحين ، واشار إلى أن النسائي قد أخرجه في سننه، وقال الهيثمي في المجمع: ٣٧٢/٩ ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط باختصار وأسانيد الكبير رجاله رجال الصحيح وأخرجه البزار رقم: ٣٦٥ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٥٨/٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٦٥ ، البخاري في مناقب الأنصار باب ذكر جرير بن عبدالله البجلي حديث رقم:٣٨٢٢ ، مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل جرير بن عبدالله حديث رقم: ٢٤٧٥ ، وابن ماجه في المقدمة فضل جرير بن عبدالله حديث: ١٥٩ ، والترمذي في المناقب باب مناقب جرير بن عبدالله حديث: ٣٨٢٠ ، وقال حسن صحيح ، والطبراني في الكبير رقم: ٢٢١٩ـ٢٢٢٣ ، والحميدي: ٣٥٠/٢ .

قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها . قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول رسول الله ﷺ ها هنا ، فإن قدر عليك ضرب عنقك . قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال: لتكسرنها ولتشهدن أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك . قال: فكسرها وشهد ، ثم بعث جرير رجلاً من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك . فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب ، قال فبرّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات»[1] .

١٩ـ قدوم تميم الداري وإخباره عن الدجال والجساسة:

٨٠٧ـ من حديث فاطمة بن قيس: قال عامر بن شراحيل الشعبي: إنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس ، وكانت من المهاجرات الأول . فقال: حدثيني حديثاً سمعتيه من رسول الله ﷺ ، لا تسنديه إلى أحد غيره ، فقالت: « لئن شئت لأفعلن ، فقال لها: أجل . حدثيني .

فقالت: نكحت ابن المغيرة ، وهو من خيار شباب قريش يومئذ ، فأصيب[2] في أول الجهاد مع رسول الله ﷺ فلما تأيمت خطبني عبدالرحمن بن عوف في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ ، وخطبني رسول الله ﷺ على مولاه أسامة بن زيد ، وكنت قد حُدثت ، أن رسول الله ﷺ قال: (من أحبني فليحب أسامة) فلما كلمني رسول الله ﷺ ، قلت: أمري بيدك ، فانكحني من شئت .

فقال: (انتقلي إلى أم شريك) ، وأم شريك امرأة غنية ، من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان ، فقلت: سأفعل.

فقال: (لا تفعلي ، إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين ، ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبدالله بن عمرو بن أم مكتوم) وهو

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب غزوة ذي الخلصة الأحاديث رقم: ٤٣٥٥ ، ٤٣٥٦ ، ٤٣٥٧ ، وانظر أرقام: ٣٠٢٠، ٣٠٣٦ ، ٣٠٧٦ ، ٣٨٢٣ ، ٦٠٨٩، ٦٣٣٣ .مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل جرير بن عبدالله حديث: ٢٤٧٦ ، والحميدي في مسنده رقم: ٨٠١ ، والطبراني في الكبير رقم: ٢٢٥٢ـ٢٢٥٧ ، واحمد في المسند: ٤/ ٣٦٢ ، ٢٦٠ ، ٣٦٥، وأبو داود برقم: ٢٢٧٢ .

(٢) فاصيب في أول الجهاد: قال العلماء: ليس معناه أنه قتل في الجهاد مع النبي ﷺ وتأيمت بذلك ، إنما تأيمت بطلاقه البائن .

رجل من بني فهر ، فهر قريش ، وهو من البطن الذي هي منه ، فانتقلت إليه .

فلما انقضت عدتي سمعت نداء المنادي ، منادي رسول الله ﷺ ينادي: الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ﷺ . فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك . فقال: (ليلزم كل إنسان مصلاه) ثم قال: (أتدرون لم جمعتكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم .

قال: (إني والله ، ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة . ولكن جمعتكم ، لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية ، مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرب السفينة [(١)] . فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابة أهلب [(٢)] كثير الشعر . لا يدرون ما قبله من دبره ، من كثرة الشعر .

فقالوا: ويلك ! ما أنت ؟ فقالت: أنا الجساسة . قالوا: وما الجساسة . قالت: أيها القوم ! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير . فإنه إلى خبركم بالأشواق [(٣)] . قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها [(٤)] أن تكون شيطانة ، قال: فانطلقنا سراعاً . حتى دخلنا الدير . فإذا فيه أعظم إنسان [(٥)] رأيناه قط خلقاً ، وأشد وثاقاً. مجموعة يداه إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه ، بالحديد .

قلنا: ويلك ؟ ما أنت ؟ قال: قد قدرتم على خبري ، فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا: نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم [(٦)] ، فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفانا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقربها ، فدخلنا الجزيزة ، فلقينا دابة أهلب كثير الشعر ، لا ندري ما قبله من دبره

---

(١) أقرب السفينة: جمع قارب وهي السفن الصغيرة تكون مع الكبيرة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم .

(٢) أهلب: غليظ الشعر كثيره .

(٣) فإنه إلى خبركم بالأشواق: شديد الأشواق إليه أي إلى خبركم .

(٤) فرقنا منها: خفنا .

(٥) أعظم إنسان: أي أكبره جثة .

(٦) اغتلم: هاج وجاوز حده المعتاد .

من كثرة الشعر . فقلنا . ويلك ! ما أنت ! فقالت: أنا الجساسة . قلنا: وما الجساسة ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال: أخبروني عن نخل بيسان [1]. قلنا: عن أي شأنها تستخبر ؟ قال: أسالكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ قلنا له: نعم . قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا: عن أي شأنها تستخبر ؟ قال: هل فيها ماء ؟ قالوا: هي كثيرة الماء قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال: أخبروني عن عين زغر [2] قالوا: عن أي شأنها تستخبر ؟ قال: هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له: نعم. هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها .

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب ؟ قلنا: نعم . قال: كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم: قد كان ذلك ؟ قلنا: نعم . قال: أما أن ذاك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني: إني أنا المسيح . وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطها في أربعين ليلة . غير مكة وطيبة [3] . فهما محرمتان عليَّ كلتاهما . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منها، استقبلني ملك بيده السيف صلتا[4] يصدني عنها. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها) قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر (هذه طيبة ، هذه طيبة) يعني المدينة » (ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟) .

قال الناس: نعم (فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة . إلا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن ، لا بل من قبل

---

(١) نخل بيسان: وهي قرية بالشام شمال فلسطين .

(٢) عين زغر: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام .

(٣) طيبة: المدينة .

(٤) صلتاً: مسلولاً .

المشرق، ما هو [1] ، من قبل المشرق ، ما هو ، من قبل المشرق ، ما هو) وأومأ بيده إلى المشرق . قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ) [2].

٢٠ ـ رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل اليمن:

أ ـ إرسال علي وخالد إلى همدان:

٨٠٨ ـ من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: (إن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، قال البراء: فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد ، فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الإسلام فلم يجيبوه، ثم إن النبي ﷺ بعث علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فأمره أن يقفل خالداً الى رجل كان ممن يمم مع خالد ، ومن أحب أن يعقب مع علي فليعقب معه ، قال البراء: فكنت فيمن عقب مع علي . فلما دنونا من القوم خرجوا لنا فصلى بنا علي ثم صفنا صفاً واحداً، ثم تقدم بين أيدينا وقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جمعاً ، فكتب علي إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال: (السلام على همدان السلام على همدان) [3].

ب ـ إرسال معاذ وأبي موسى إلى اليمن:

٨٠٩ ـ من حديث أبي موسى الأشعري قال: (أقبلت إلى النبي ﷺ ومعي رجلان من الأشعريين أحدهما عن يميني والآخر عن شمالي ، وكلاهما سأل العمل ، والنبي ﷺ يستاك ، فقال: (ما تقول يا أبا موسى ، أو يا عبدالله بن قيس ؟) قلت: والذي بعثك بالحق ما أطلعاني على ما في أنفسهما ، وما شعرت أنهما يطلبان العمل ، وكأني أنظر الى سواكه تحت شفته قلصت ، قال: (لن

---

(١) ما هو: قال القاضي: لفظه ما هو زائدة ، صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه في جهة الشرق .

(٢) أخرجه مسلم في الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة حديث: ٢٩٤٢ ، والترمذي في الفتن باب: ٦٦ ، حديث: ٢٢٥٣ ، وقال: حسن صحيح غريب ، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم حديث: ٤٠٧٤ ، وأبو داود في الملاحم باب في خبر الجساسة الأحاديث رقم: ٤٣٢٥، ٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧، والنسائي في الكبرى ، كما في تحفة الأشراف رقم: ١٨٠٢٤ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٣٧٣ ، ٣٧٤، ٤١٣، ٤١٧، ٤١٨.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع الحديث ثم: ٤٣٤٩ .

نستعمل أولا نستعمل على عمّلنا منْ أراده، ولكن اذهب أنت يا أبا موسى أو ياعبدالله بن قيس) فبعثه على اليمن ، ثم أتبعه معاذ بن جبل .

قال: فلما قدم عليه معاذ قال: انزل وألقى له وسادة ، وإذا رجل عنده موثق قال: ما هذا ؟ قال ؟ كان يهودياً فأسلم ، ثم رجع إلى دينه دين السوء ، قال: لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله، قال: نعم اجلس ، قال: لا اجلس حتى يقتل قضاء الله ورسوله ثلاث مرات فأمر به فقتل ، ثم تذاكرا قيام الليل ، فقال معاذ: أما أنا فأنام وأقوم ، أو أقوم وأنام ، وأرجو في نومتي ، ما أرجو في قومتي) [(١)] .

ومن لفظ آخر ما نصه « بعث النبي ﷺ أبا موسى ومعاذ إلى اليمن فقال: (يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا). فقال أبو موسى: يا نبي الله إن أرضنا فيها شراب من الشعير: المزر ، وشراب من العسل: البتع. فقال: (كل مسكر حرام) . فانطلقا .

فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن ؟ قال: قائماً وقاعداً وعلى راحلتي، واتفوقه تفوقاً . قال: أما أنا فأنام وأقوم ، فأحتسب نومتي ، كما أحتسب قومتي.

وضرب فسطاطاً فجعلا يتزاوران فزار معاذ أبا موسى فاذا رجل موثق فقال: ما هذا؟ فقال أبو موسى: يهودي أسلم ثم ارتد . قال معاذ: لأضربن عنقه » .

جـ ـ وصية الرسول لمعاذ عليه رضوان الله:

٨١٠ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حيث بعثه الى اليمن:(إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعوهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع أحاديث: ٤٣٤١ - ٤٣٤٢ ، ٤٣٤٤ ، ٤٣٤٥ ، وفي الأدب باب يسروا ولا تعسروا حديث: ٦١٢٤ ، وفي الأحكام: ٧١٧٢ ، ومسلم في الاشربة: ١٧٣٣ وابن ماجه في الأشربه: ٣٣٩١ ، والدارمي في الأشربه باب ما قيل في المسكر: ١١٣/٢ ، وأحمد في المسند: ٤/ ٤١٠، ٤١٦، ٤١٧ .

واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينه وبين الله حجاب) [1].

د ـ إخبار النبي لمعاذ بأنه لن يراه:

٨١١ ـ من حديث عاصم بن حميد السكوني رضي الله عنه « أن معاذ بن جبل لما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن ، فخرج النبي ﷺ يوصيه ومعاذ راكب ، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته ، فلما فرغ ، قال: يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري) فبكى معاذ خاشعاً لفراق النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ: (لا تبك يا معاذ ، البكاء ، أو إن البكاء من الشيطان) [2].

---

(١) أخرجه في المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث رقم: ٤٣٤٧ ، وفي الزكاة باب في وجوب الزكاة حديث: ٧٤٠ ، ومسلم في الايمان باب الدعاء إلى الشهادين وشرائع الإسلام حديث رقم: ١٩ ، والترمذي في الزكاة باب ما جاء في كراهية أخذ خيار المال في الصدقة حديث رقم: ٦٢٥ ، وأبو داود في زكاة السائمه حديث: ١٥٨٤ ، والنسائي في الزكاة باب وجوب الزكاة: ٥/٢-٤ ، وابن ماجه في الزكاة باب فرض الزكاة حديث رقم: ١٧٨٣ ، وابن أبي شيبة: ٤/٥، والبيهقي: ٤/٩٦، ١٠١ وأبو عبيد في الأموال: ١٠٨٤ ، وأحمد في المسند: ١/٢٣٣ .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٥/٢٣٥ ورجاله ثقات وسنده جيد ، والطبراني في الكبير: ٢٠/١٢٠ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٢/٢٠ رقم: ٦٤٦ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٠/٢٣١ ـ ٢٣٢ ، بعد عزوه للطبراني: إسناده جيد ، ابن كثير في السيره: ٤/١٩٣ ، دلائل النبوة البيهقي: ٥/٤٠٤ - ٤٠٥ .

الباب الخامس

حجة الوداع

في السنة العاشرة

١ ـ سبب تسميتها بحجة الوداع:

قال ابن كثير رحمه الله: « لأنه عليه الصلاة والسلام ودع الناس فيها ، ولم يحج بعدها . وسميت حجة الإسلام لأنه عليه السلام لم يحج من المدينة غيرها ، ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها .

وسميت حجة البلاغ لأنه عليه السلام بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وفعلاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه عليه السلام ، فلما بين لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عز وجل وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً »[1] وانظر زيادة توضيح لتسميتها بحجة الوداع حديث رقم (٨٤١) الذي سيأتي ذكره .

٢ ـ حجة الوداع كما جاءت من حديث جابر:

٨١٢ ـ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال محمد بن علي بن الحسين: « دخلنا على جابر بن عبدالله فسأل عن القوم[2] حتى انتهى إلي ، فقلت: أنا محمد بن علي بن حسين ، فأهوى بيده إلى رأسي فنزع زري الأعلى[3] . ثم نزع زري الأسفل ، ثم وضع كفه بين ثديي وأنا يومئذ غلام شاب. فقال: مرحباً بك يا ابن أخي سل عما شئت . فسألته ، وهو أعمى. وحضر وقت الصلاة . فقام في نساجة[4] ملتحفاً بها . كلما وضعها على منكبه

---

(١) سيرة ابن كثير: ٤/٢١١ .

(٢) فسأل عن القوم: أي عن جماعة الرجال الداخلين عليه ، فإنه إذ ذاك كان أعمى ، عمي في آخر عمره .

(٣) فنزع زري الأعلى: اخرجه من عروته فيكشف صدري عن القميص .

(٤) نساجة: هي ضرب من الملاحف منسوجة .

رجع طرفها إليه من صغرها . ورداؤه إلى جنبه ، على المشجب[1] . فصلى بنا . فقلت: أخبرني عن حجة رسول الله ﷺ . فقال بيده ، فعقد تسعاً .

فقال: إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج . ثم أذن في الناس[2] في العاشرة: أن رسول الله ﷺ حاج . فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله . فخرجنا معه . حتى إذا أتينا ذا الحليفة . فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر ، فأرسلت إلى رسول الله ﷺ ، كيف أصنع ؟ قال: (اغتسلي . واستثفري [3] بثوب وأحرمي) فصلى رسول الله ﷺ في المسجد .

ثم ركب القصواء[4] . حتى إذا استوت به ناقته على البيداء نظرت إلى مد بصري بين يديه . من راكب وماش . وعن يمينه مثل ذلك . وعن يساره مثل ذلك . ومن خلفه مثل ذلك . ورسول الله ﷺ بين أظهرنا . وعليه ينزل القرآن. وهو يعرف تأويله . وما عمل به من شيء عملنا به . فأهل بالتوحيد (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) وأهل الناس بهذا الذي يهلون به . فلم يرد رسول الله ﷺ شيئاً منه. ولزم رسول الله ﷺ تلبيته . قال جابر رضي الله عنه: لسنا ننوي الا الحج. لسنا نعرف العمرة .

حتى إذا أتينا البيت معه ، استلم الركن[5] فرمل ثلاثاً [6] ومشى أربعاً . ثم نفذ إلى مقام إبراهيم[7] عليه السلام . فقرأ: ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى**﴾[8]

---

(١) المشجب: هو عيدان تضم رؤسها ويفرج بين قوائمها ، توضع عليها الثياب .

(٢) أذن في الناس: أعلمهم بذلك وأشاع بينهم ليتأهلوا للحج معه ، ويتعلموا المناسك والاحكام ويشهدوا أقواله وأفعاله ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب وتشيع دعوة الإسلام .

(٣) استثفري: الاستثفار هو أن تشد في وسطها شيئا ، فتأخذ خرقة عريضة تجعلها على محل الدم وتشد طرفيها من قدامها ومن ورائها في ذلك المشد في وسطها .

(٤) القصواء: ناقته . والقصواء معناها المقطوعة الأذن عرضاً .

(٥) الركن: الحجر الاسود ، والاستلام المسح والتقبيل بالتكبير والتهليل إن أمكنه ذلك من غير إيذاء أحد . وإلا فتكفي الإشارة من بعيد .

(٦) إسراع المشي مع تقارب الخطا .

(٧) نفذ إلى مقام إبراهيم: بلغه ماضياً في زحام .

(٨) سورة البقرة، الآية : ١٢٥

فجعل المقام بينه وبين البيت ، وكان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد ، وقل يا أيها الكافرون ، ثم رجع الى الركن فاستلمه ، ثم خرج من الباب إلى الصفا .

فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾ [1] وابدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا . فرقى عليه . حتى إذا رأى البيت فاستقبل القبلة . فوحد الله وكبره . وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله الا الله وحده . انجز وعده . ونصر عبده . وهزم الأحزاب وحده) ، ثم دعا بين ذلك . قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل إلى المروة ، حتى إذا انصبت[2] قدماه في بطن الوادي سعى .

حتى إذا صعدتا[3] مشى أتى المروة ،ففعل على المروة كما فعل على الصفا ، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: (لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ، وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل ، وليجعلها عمرة) .

فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله ! ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى . وقال: (دخلت العمرة في الحج) مرتين (لا بل لأبد أبد) .

وقدم علي من اليمن ببُدن النبي ﷺ فوجد فاطمة رضي الله عنها ممن حل ، ولبست ثياباً صبيغاً. واكتحلت . فأنكر ذلك عليها . فقالت: إن ابي أمرني بهذا. فقال: فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله ﷺ محرشا [4] على فاطمة . للذي صنعت . مستفتياً لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه . فأخبرته أني أنكرت ذلك عليها. فقال: (صدقت صدقت. ماذا قلت حين فرضت الحج)، قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهل به رسولك . قال: (فإن معي الهدي فلا تحل) . قال: فكان جماعة الهدي الذي قدم به علي من اليمن والذي أتي به النبي ﷺ مائة. قال: فحل الناس كلهم وقصروا إلا النبي ﷺ ومن كان معه هدي .

---

(١) سورة البقرة ،الآية: ١٥٨

(٢) انصبت قدماه: انحدرت .

(٣) صعدتا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي .

(٤) محرشاً: التحريش: الإغرار والمراد هنا ان يذكر له ما يقتفي عتابها .

فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى فأحلوا بالحج . وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . مكث قليلاً حتى طلعت الشمس ، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة [1] . فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام[2] كما كانت قريش تصنع في الجاهلية. فأجاز[3] رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة . فوجد القبة قد ضربت له بنمرة . فنزل بها .

حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء ، فرحلت[4] له ، فأتى بطن الوادي[5] فخطب الناس وقال: (إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضع ربانا ، ربا العباس بن عبد المطلب . فإنه موضوع كله .

فاتقوا الله في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن في فرشكم أحداً تكرهونه[6] ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح[7] ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به . كتاب الله . وأنتم تسألون عني. فما أنتم قائلون ؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال باصبعه

---

(١) نمرة: موضع بجنب عرفات وليست من عرفات .

(٢) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه ، ولا تقف مع العرب في عرفات ولكن الرسول خالفهم فوقف مع الناس كما امره الله ﴿ ثم افيضوا من حيث افاض الناس ﴾ اي سائر العرب غير قريش.

(٣) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها ، وإنما توجه إلى عرفات .

(٤) رحلت: وضع عليها الرحل .

(٥) بطن الوادي: وادي عرنة ، وليست عرنة من ارض عرفات عند العلماء كافة ، إلا مالكاً فقال: هي من عرفات .

(٦) ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم احداً تكرهونه: ان لا ياذن لأحد تكرهونه في دخول بيوتكم والجلوس في منازلكم . سواء كان المأذون له رجلاً أجنبياً او امرأة او احداً من محارم الزوجة فالنهي يتناول الجميع، وهذا حكم المسألة عند الفقهاء: انها لا يحل لها ان تاذن لرجل ولا امرأة لامحرم ولاغيره ، في دخول منزل الزوج إلا من علمت او ظنت ان الزوج لا يكرهه .

(٧) الضرب المبرح: الشديد الشاق .

السبابة . يرفعها إلى السماء وينكتها[١] إلى الناس: (اللهم اشهد . اللهم اشهد)، ثلاث مرات .

ثم أذن ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ ، حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات[٢] ، وجعل جبل المشاة بين يديه[٣] ،واستقبل القبلة . فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس ، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص[٤] ، وأردف أسامة خلفه ، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء[٥] الزمام . حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله[٦] ، ويقول بيده اليمنى[٧] (يا أيها الناس ، السكينة السكينة)[٨] كلما أتى حبلاً من الحبال[٩] أرخى لها[١٠] قليلاً ، حتى تصعد ، حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحدة وإقامتين ، ولم يسبح بينهما شيئاً [١١] ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر ، وصلى الفجر ، حين تبين له الصبح . بأذان وإقامة .

ثم ركب القصواء ، حتى أتى المشعر الحرام ، فاستقبل القبلة ، فدعاه وكبره وهلله ووحده ، فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً[١٢] ، فدفع قبل أن تطلع الشمس ، وأردف الفضل بن عباس ، وكان رجلاً حسن الشعر أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظعن بجرين[١٣] ، فطفق الفضل ينظر إليهن ، فوضع

---

(١) ينكتها: يقلبها ويرددها إلى الناس مشيراً إليهم .

(٢) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة ، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات . فهذا هو الموقف المستحب .

(٣) جبل المشاة: مجتمعهم ، وقيل جبل المشاة: ومعناه طريقهم حيث متسلك الرجالة .

(٤) حتى غاب القرص: حتى غابت الشمس وذهبت الصخرة .

(٥) وقد شنق للقصواء: ضم وضيق .

(٦) مورك رحله: هو قطعة أدم يتورك عليها الراكب تجعل في مقدمة الرحل شبه المخدة الصغيرة .

(٧) ويقول بيده: يشير بيده .

(٨) السكينة: أي الزموا السكينة . وهي الرفق والطمأنينة .

(٩) كلما أتى حبلاً من الحبال: الحبل: التل العظيم من الرمل .

(١٠) ارخى لها: أرسل زمام القصواء قليلاً .

(١١) ولم يسبح بينهما شيئاً: أي لم يصل بينهما نافلة .

(١٢) حتى أسفر جداً: حتى قاربت الشمس على الطلوع .

(١٣) مرت به ظعن بجرين: الجمال التي تحمل النساء .

رسـول الله ﷺ يده على وجـه الفضل ، فـحـول الفـضل وجهـه إلى الشق الآخـر ينظر، فـحـول رسـول الله ﷺ يده من الشق الآخـر على وجـه الفـضل ، يصـرف وجهـه ؟!! ، حتى أتى بـطن محـسر[1] فحـرك قليـلاً . ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجـمرة الكبرى[2] ، حتى أتى الجـمرة التي عند الشجرة ، فـرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة منها حصى الخذف[3] رمى من بطن الوادي .

ثم انصرف إلى المنحـر . فنحر ثلاثاً وستـين بيده ، ثم أعطى علياً ، فنحـر ما غبر[4] ، وأشركـه في هديه ، ثم أمـر من كل بدنه ببضـعة ، فـجعلت فـي قدر . فطبخت ، فأكـلا من لحمها وشـربا من مرقها . ثم ركب رسـول الله ﷺ فأفاض إلى البيت[5] فصلى بمكة الظهر ، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم ، فقال: (انزعوا بني عـبدالمطلب: فلولا أن يغلبكم الناس على سقـايتكم لنزعت معكم) ، فناولوه دلواً فشرب منه »[6] .

---

(١) بطن محسر: سمي بذلك لأن فيل أصحاب الفيل حسر فيه أي أعيا وكلّ .

(٢) الجمرة الكبرى: جمرة العقبة .

(٣) حصى الخذف: أي حصى صغار .

(٤) ما غبر: ما بقي .

(٥) فأفاض إلى البيت: أي طاف بالبيت طواف الإفاضة .

(٦) جاء حديث جابر هذا من طريق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين عن جابر .
أخرج هذا الطريق مسلم في الحج باب حجة النبي ﷺ حديث رقم: ١٢١٨ ، وأبو داود في المناسك: ١٩٠٥ . باب صفة حجة النبي ﷺ ، وابن ماجه في المناسك باب حجة النبي ﷺ حديث رقم: ٣٠٧٤، والدارمي في المناسك: ٢/ ٤٤-٤٩ باب في سنة الحـاج ، والبيهـقي في السنن: ٥/ ٧-٩ ، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٦٠٣: ٢٦٢٠ ، وابن الجارود في المنتقى رقم: ٤٦٥ ، ٤٦٩ بتمامه ، واللفظ هنا لمسلم.
وقد أخرج مقاطع كبيرة من الحديث من هذا الطريق أحمد: ٣/ ٣٢٠ ، والنسائي في المناسك باب الذكر والدعاء على الصفا: ٥/ ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، وابن خزيمة برقم: ٢٦٢٦ .
وقد أخـرج بروايات أخرى وبطرق أخرى: عند أحمد: ٣/ ٣١٧ ، ٣٢٠ ، ٣٦٦ ، والبخاري في الحج باب من أهل زمن النبي ﷺ كـإهلال النبي: ١٥٥٧ باب من لبى الحج ومسماه: ١٦٥١ ، باب تقضي الحائض المناسك كلها الا الطواف بالبيت ، وباب عـمرة التنعيم: ١٧٨٥ ، وفي الشركه: ٢٥٠٦ باب الاشتراك في الهدي والبدن ، وفي المغازي: ٤٣٥٠ باب بعث علي بن ابي طالب ، وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع ، وفي التمني: ٧٢٣٠ باب قول النبي ﷺ « لو استقبلت من أمري ما استدبرت » . وفي الاعتصام باب نهي النبي ﷺ على التحريم الا ماتعرف إباحته: ٧٣٦٧ ، ومسلم في الحج: ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٨ ، باب في المتعة بالحج والعمرة ، وأبو داود في المناسك: ٥/ ٢٣-٢٤ ، وابن حـزم فـي المحلى: ٧/ ١٠٠ ، والطيـالـيـسي: ١/ ٢٠٥ ، برقم: ٩٩١ ، والحـميـدي: ١٢٩٣ ، والنسائي: ٥/ ٢٤٠ ، ومالك في الموطأ: ١/ ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، والطحاوي في شـرح المعاني: ١/ ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ، ٣٨١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤١١ ، وفي مشكل الآثار: ١/ ٣٤٦ ، ٢/ ٧٣ ، ٣/ ١٦٠ ، والحاكم في المستدرك: ١/ ٤٥٥ ، وابن سعد: ٢/ ١/ ١٢٧ ، وأبو نعيم في الحلية: ٣/ ١٨٩ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، وابن حبان في صحيحه: ١٠١٢ - موارد .

٣ ـ تاريخ خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة

٨١٣ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « انطلق النبي ﷺ من المدينة بعد ما ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه ، فلم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس إلا المزعفرة التي تردع على الجلد ، فأصبح بذي الحليفة ، ركب راحلته حتى استوى على البيداء أهل هو وأصحابه ، وقلد بدنته ، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة ، فقدم مكة لأربع ليالٍ خلون من ذي الحجة ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، ولم يحل من أجل بدنه لأنه قلدها .

ثم نزل بأعلى مكة عند الحجون وهو مهل بالحج ، لم يقرب الكعبة بعد طوافه بها حتى رجع من عرفة ، وأمر أصحابه أن يطوفوا بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم يقصروا من رؤوسهم ثم يحلوا ، وذلك لمن لم يكن معه بدنة قلدها ، ومن كان معه امرأته فهي له حلال والطيب والثياب »[١] .

٤ـ صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة أربعاً قبل خروجه وبياته بذي الحليفة:

٨١٤ ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: « صلى ـ النبي ﷺ بالمدينة أربعا ، وبذي الحليفة ركعتين ، ثم بات حتى أصبح بذي الحليفة ، فلما ركب راحلته واستوت به أهل »[٢] .

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية: ١٥٤٥ ، وباب من لم يقرب الكعبة ولم يطف حتى يخرج إلى عرفة ويرجع بعد الطواف الاول: ١٦٢٥ ، وباب تقصير المتمتع بعد العمرة: ١٧٣١ ، من عند كريب عن ابن عباس ، وقد جاء من طرق أخرى عن ابن عباس عند البخاري في الحج باب التمتع والقران والإفراد حديث: ١٥٦٤، ومسلم في الحج باب جواز العمرة في أشهر الحج: ١٢٤٠: ١٢٤١ ، واحمد: ١/ ٢٣٦ ، وابو داود: ١٧٩٠ ، والنسائي: ٥/ ١٨١ ، والدارمي: ٢/ ٥٠-٥١، والبيهقي: ٥/ ١٨ ، والطيالسي: ١/ ٢٠٩ برقم: ١٠٠١ ، ١٠٥٠ ، ومجمع الزوائد: ٣/ ٢٣٣ ، وقد جاء أيضاً من حديث عائشة شبيهاً به في الصحيحين والنسائي وابن ماجه ومصنف ابن أبي شيبة كما قال ابن كثير في السيرة: ٤/ ٢٠٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب من بات بذي الحليفة حتى أصبح رقم: ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ومسلم في صلاة المسافرين حديث: ٦٦٠ ، باب صلاة المسافرين وقصرها والحميدي: ١١٩٢ ، وأبو داود في المناسك: ١٧٩٦ ، والنسائي في الصلاة: ٤٨٧ باب صلاة العصر في السفر ، والدارمي: ١/ ٣٥٤ ، والبيهقي في السنن: ٥/ ١٠ ، والطحاوي في شرح المعاني: ١/ ٤١٨ ، واحمد: ٣/ ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢، ١٧٧ ، من طرق عن أنس .

٥- صلاته عليه السلام في وادي العقيق:

٨١٥- من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « سمعت النبي ﷺ بوادي العقيق يقول: (أتاني الليلة آت من ربي فقال: صل في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة) »[١] .

٦- إهلال النبي صلى الله عليه وسلم من ذي الحليفة:

٨١٦- من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « صلى رسول الله ﷺ ونحن معه بالمدينة - الظهر أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين ، ثم بات بها حتى أصبح ، ثم ركب حتى استوت به على البيداء حمد الله وسبح وكبرّ ، ثم أهل بحج وعمرة ، وأهلّ الناس بهما ، فلما قدمنا أمر الناس فحلّوا ، حتى كان يوم التروية أهلوا بالحج ، قال ونحر النبي ﷺ بدنات بيده قياماً ، وذبح رسول الله ﷺ بالمدينة كبشين أملحين »[٢] . هذا لفظ البخاري .

٧- كيف أهل الناس في الحج مع النبي صلى الله عليه وسلم:

٨١٧- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: (خرجنا مع النبي ﷺ في حجة الوداع فأهللنا بعمرة ، ثم قال النبي ﷺ : (من كان معه هدي فليهل بالحج مع العمرة ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعاً) . فقدمت مكة وأنا حائض ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة ، فشكوت ذلك إلى النبي ﷺ فقال: (انقضي رأسك وامتشطي وأهلي بالحج ودعي العمرة) ، ففعلت . فلما قضينا الحج أرسلني النبي ﷺ مع عبدالرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم فاعتمرت فقال: (هذه مكان عمرتك) .

---

(١) اخرجه البخاري في الحج باب قول النبي ﷺ: العقيق واد مبارك . حديث رقم: ١٥٣٤ ، واخرجه أيضاً بارقام: ٢٣٣٧ ، ٧٣٤٣ ، وأبو داود في الحج باب في الإقران حديث: ١٨٠٠ ، وابن ماجه في المناسك باب التمتع بالعمرة إلى الحج رقم: ٢٩٧٦ ، واحمد في المسند: ١/ ٢٤ ، من طريق عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر وقد جاء شبيهاً بهذا اللفظ من حديث ابن عمر عند البخاري برقم: ١٥٣٥ ، وعند مسلم برقم: ١٣٤٦ وعند أحمد: ٢/ ٩٠ ، والنسائي: ٥/ ١٢٦ . حديث رقم: ٢٦٦٠ .

(٢) اخرجه البخاري في الحج باب التحميد والتسبيح والتكبير قبل الإهلال حديث: ١٥٥١ ، وباب من نحر هديه بيده: ١٥٤٨ ، وفي الجهاد باب الخروج بعد الظهر: ٢٩٥١ ، وباب الارتداف في الغزو والحج: ٢٩٨٦ ، ومسلم في صلاة المسافرين باب صفة المسافرين وقصرها: ٦٩٠ ، وابو داود في المناسك باب في القران حديث : ١٧٩٦ ، والنسائي في الصلاة باب صلاة العصر في السفر حديث: ٤٤٧، ص : ١/ ٢٣٧، والحميدي برقم: ١١٩٢ ، والبيهقي في الحج باب من اختار القرآن: ٥/ ٩، واحمد في المسند: ٣/ ١٨٦، ٢٦٨ ، من طرق عن أيوب عن أبي قلابة عن انس .

قالت: فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة ثم حلوا ، ثم طافوا طوافاً واحداً بعد أن رجعوا من منى ، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً)[1] .

٨ـ ولادة أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر بذي الحليفة:

٨١٨ـ من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: (نفست[2] أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر ، بالشجرة[3] ، فأمر رسول الله ﷺ أبا بكر ، يأمرها أن تغتسل وتهل)[4] .

٩ـ حيض أم المؤمنين عائشة بسرف وأمر النبي صلى الله عليه وسلم لها:

٨١٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج ، في أشهر الحج . وفي حُرُم الحج . وليالي الحج حتى نزلنا بسرف، فخرج إلى أصحابه فقال: (من لم يكن معه منكم هدي فأحب أن يجعلها عمرة ، فليفعل ، ومن كان معه هدي ، فلا) فمنهم الآخذ بها والتارك لها ، ممن لم يكن معه هدي ، فأما رسول الله ﷺ فكان معه الهدي ، ومع رجال من أصحابه لهم قوة ، فدخل علي رسول الله ﷺ وأنا أبكي ، فقال: (ما يبكيك؟) قلت: سمعت كلامك مع أصحابك فمنعت العمرة قال: ومالك ؟ قلت: لا

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب كيف تهل الحائض والنفساء حديث: ١٥٥٦، باب طواف القارن حديث: ١٦٣٨ ، وباب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت: ١٦٥٠ ، وباب ذبح الرجل البقرة عن نسائه من غير أمرهن حديث: ١٧٠٩ ، وفي المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٣٩٥ ، ومسلم في الحج باب بيان وجوه الإحرام حديث: ١٢١١ ، وأبو داود برقم: ١٧٨١ والنسائي في الحج باب في المهلة بالعمرة تحيض وتخاف فوت الحج: ٥/ ١٦٥، حديث: ٢٧٦٤ ، ومالك في الحج دخول الحائض مكة : ١/ ٤١٠-٤١١ ، وأحمد: ٦/ ١٦٣-١٦٤ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٢/ ١٩٩ من طرق عن ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة .

(٢) نفست: ولدت .

(٣) بالشجرة: وفي رواية بذي الحليفة ، وفي روايه بالبيداء هذه المواضع الثلاثة متقاربة .

(٤) أخرجه مسلم في الحج باب إحرام النفساء حديث: ١٢٠٩ ، وأبو داود في المناسك باب الحائض تهل بالحج: ١٧٤٣ ، وابن ماجه في المناسك باب النفساء والحائض تهل بالحج: ٢٩١١ ، والدارمي باب النفساء والحائض إذا أرادت الحج وبلغتا الميقات: ٢/ ٣٣ ، من طريق عبدالرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة. وجاء من حديث أسماء بنت عميس عند مالك في الحج باب الغسل للإهلال: ١/ ٣٢٢ ، ومن حديث جابر بن عبدالله عند مسلم حديث رقم: ١٦١٠ ، وابن ماجه برقم: ٢٩١٣ ، والنسائي في الطهارة باب الاغتسال من النفاس: ١/ ١٢٢ حديث: ٢١٤ ، والدارمي: ٢/ ٣٣ من طرق عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر ، وقد سبق تخريجه بزيادة في حديث جابر الطويل .

أصلي، قال: (فلا يضرك ، فكوني في حجك ، فعسى الله أن يرزقكيها ، وإنما أنت من بنات آدم ، كتب الله عليك ما كتب عليهن) .

قالت: فخرجت في حجتي حتى نزلنا منى فتطهرتُ ، ثم طفنا بالبيت ، ونزل رسول الله ﷺ المحصب ، فدعا عبدالرحمن بن أبي بكر ، فقال: (اخرج بأختك من الحرم فلتهل بعمرة ، ثم لتطف بالبيت فإني انتظركما هنا) .

قال: فخرجنا فأهللت ، ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة . فجئنا رسول الله ﷺ وهو في منزله من جوف الليل ، فقال: (هل فرغت ؟) قلت: نعم ، فآذن في أصحابه بالرحيل ، فخرج فمر بالبيت فطاف به قبل صلاة الصبح ، ثم خرج إلى المدينة »[1] . واللفظ لمسلم .

١٠ـ تلبيته عليه الصلاة والسلام:

٨٢٠ـ من حديث جابر الطويل السابق قال: « فجعل رسول الله ﷺ يلبي: (لبيك اللهم لبيك ، لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك)[2] .

٨٢١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إني لأعلم كيف كان رسول الله ﷺ يلبي: فكانت تلبي: (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك)[3] .

٨٢٢ـ وقد جاء أيضا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما شبيهاً بهذين اللفظين إلا أن مالكا زاد في روايته قال: « وكان عبدالله بن عمر يزيد فيها: لبيك

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب الحج على الرحل: ١٥١٨ ، وباب قول الله تعالى ﴿ الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج ﴾: ١٥٦٠ وباب أجر العمرة على قدر النصب: ١٧٨٧ ، وباب المعتمر إذا طاف طواف العمرة ثم خرج يجزئه عن طواف الوداع حديث: ١٧٨٨، ومسلم في الحج باب بيان وجوه الإحرام حديث: ١٢١١ ، ١٢٣ ،١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، من طرق عن القاسم بن محمد عن عائشة .

(٢) سبق تخريجه في حديث رقم: ٨١٢ .

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب التلبية حديث: ١٥٥٠ ، والبيهقي في الحج باب كيف التلبيه: ٥/ ٤٤ ، وأحمد: ٦/ ٣٢ ، ١٨١ ، ٢٣٠ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ٤/ ١٢٤ ، من طرق عن الأعمش عن عمارة عن أبي عطية عن عائشة . وأخرجه الطيالسي: ١/ ٢١١ برقم: ١٠١٢ ، والبيهقي: ٥/ ٤٤ ، وأحمد في المسند: ٦/ ١٠٠ ، ١٨١ ، ٢٤٣ ، من طريق شعبة عن سليمان سمعت خيثمة عن أبي عطية سمعت عائشة ـ رضي الله عنها .

لبيك ، لبيك وسعديك ، والخير بين يديك لبيك ، الرغباء إليك والعمل »[1].

١١ـ موافاة علي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري النبي بمكة :

٨٢٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « قدم علي رضي الله عنه على النبي ﷺ من اليمن فقال: (بما أهللت ؟) قال: بما أهل به النبي ﷺ. فقال: (لولا أن معي الهدي لأحللت)[2] .

٨٢٤ـ ومن حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: « قدم علي من سعايته فقال له النبي ﷺ: (بم أهللت يا علي ؟) قال: بما أهل به النبي ﷺ قال: فاهد وامكث حراماً كما أنت) ، قال: وأهدى له عليّ هدياً »[3].

٨٢٥ـ ومن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: « بعثني النبي ﷺ إلى قوم باليمن ، فجئت وهو بالبطحاء فقال: (بما أهللت ؟) قلت: أهللتُ كإهلال النبي ﷺ . قال: (هل معك من هدي ؟) قلت: لا . فأمرني فطفت بالبيت وبالصفا والمروة ، ثم أمرني فأحللت ، فأتيت امرأة من قومي فمشطتني ، وغسلت رأسي .

فقدم عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال: إن نأخذ بكتاب الله فإنه يأمرنا بالتمام . قال الله ﴿ وأتموا الحج والعمرة ﴾[4] . وإن نأخذ بسنة النبي ﷺ فإنه لم يحل حتى غير الهدي »[5] .

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب التلبية حديث: ١٥٤٩ مسلم في الحج باب التلبية وصفتها ووقتها حديث: ١١٨٤ ومالك في الحج باب العمل في الإهلال: ١/٣٣١ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب من أهل في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي حديث: ١٥٥٨ ومسلم في الحج باب إهلال النبي ﷺ وهديه حديث : ١٢٥٠ ، والترمذي في الحج باب: ١٠٩ ، بعد باب جاء في الرخصة للرعاة أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً حديث: ٩٥٦ ، والبيهقي: ٥/ ١٥، واحمد في المسند: ٣/ ١٨٥ ، من حديث سليم بن حيان سمعت مروان الأصغر عن أنس بن مالك .

(٣) أخرجه البخاري في الشركة باب الاشتراك في الهدي والبدن حديث: ٢٥٠٦ ، وفي الحج باب من أهل في زمن النبي كإهلال النبي ﷺ حديث: ١٥٥٧ وباب التمتع والإقران والإفراد بالحج: ١٥٦٨، وباب عمرة التنعيم: ١٧٨٥ ، وفي المغازي باب بعث علي وخالد الي اليمن قبل حجة الوداع: ٤٣٥٢ ، وفي التمني باب قول النبي لو استقبلت من أمري ما استدبرت: ٧٢٣٠، وفي الاعتصام باب نهي النبي ﷺ على التحريم الا ما تعرف إباحته حديث: ٧٣٦٧ .

(٤) سورة البقرة ، الآية: ١٩٦ .

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب من أهل في زمن النبي ﷺ كإهلال النبي حديث: ١٥٥٩ ، باب التمتع والقران والإفراد بالحج حديث: ١٥٦٥ ، باب الذبح قبل الحلق حديث: ١٧٢٤ ، وباب متي يحل المعتمر

١٢ـ تقبيل الحجر الأسود:

٨٢٦ـ من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ « أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقال: إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت النبي ﷺ يقبلك ما قبلتك » [١].

وقد أورد الحافظ ابن حجر في الفتح سبب مقالة عمر بن الخطاب هذه فقال: « قال الطبري: إنما قال ذلك عمر ، لأن الناس كانوا حديثي عهد بعبادة الأصنام، فخشي عمر أن يظن الجهال أن استلام الحجر من باب تعظيم بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية ، فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلامه اتباع لفعل النبي ﷺ ، لا لأن الحجر يضر وينفع بذاته كما كانت الجاهلية تعتقده في الأوثان» .

ثم قال ابن حجر « وفي قول عمر هذا التسليم للشارع في أمور الدين ، وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها وهو قاعدة عظيمة في اتباع النبي ﷺ فيما يفعله ولو لم يعلم الحكمة فيه ، وفيه وقع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأسود خاصة ترجع إلى ذاته ، وفيه بيان السنن بالقول والفعل ، وأن الإمام إذا خشي على أحد من فعله فساد اعتقاده أن يبادر إلى بيان الأمر وتوضيح ذلك » [٢] .

حديث: ١٧٩٥ ، وفي المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع حديث: ٤٣٤٦، وباب حجة الوداع حديث: ٤٣٩٧ ، ومسلم في الحج باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام حديث: ١٢٢١ ، والنسائي في الحج باب الحج بغير نية يقصده المحرم: ٥/١٥٦ - ١٥٧ حديث رقم: ٢٧٤٢ ، من طرق عن طارق بن شهاب عن أبي موسى الأشعري .

(١) أخرجه البخاري في الحج باب ما ذكر في الحجر الأسود حديث: ١٥٩٧ ، وباب الرمل في الحج والعمرة حديث: ١٦٠٥ ، وباب تقبيل الحجر حديث: ١٦١٠ ، ومسلم في الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف حديث: ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، وأبو داود في المناسك باب في تقبيل الحجر حديث: ١٨٧٣ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في تقبيل الحجر حديث: ٨٦٠ ، والنسائي في الحج باب استلام الحجر: ٥/٢٢٧ حديث رقم: ٢٩٣٦ ، وباب تقبيل الحجر حديث: ٢٩٣٧ ، وابن ماجه في المناسك باب استلام الحجر حديث: ٢٩٤٣ . والحميدي رقم: ٩ ، والدارمي في المناسك باب في تقبيل الحجر: ٢/٥٢ - ٥٣ ، وأحمد في المسند: ١/٢١ ، ٢٦ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٤ ، من طرق عن عمر .

(٢) فتح الباري: ٣/٤٦٢ - ٤٦٣ .

١٣ـ سعيه بين الصفا والمروة:

٨٢٧ـ من حديث عروة بن الزبير أنه قال لعائشة زوج النبي ﷺ: « ما أرى على أحد ، لم يطف بين الصفا والمروة شيئاً . وما أبالي أن لا أطوف بينهما » . قال: بئس ماقلت ، يا ابن أختي ! طاف رسول الله ﷺ ، وطاف المسلمون ، فكان سنة ، وإنما كان من أهلَّ لمناة الطاغية [١] ، والتي بالمشلل[٢] ، لا يطوفون بين الصفا والمروة . فلما كان الإسلام سألنا النبي ﷺ عن ذلك ؟ فأنزل الله عز وجل: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله . فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما** ﴾ . ولو كانت كما تقول، لكانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما[٣] .

قال الزهري: فذكرتُ ذلك لأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، فأعجبه ذلك ، وقال: إن هذا العلم . ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون: إنما كان من لايطوف بين الصفا والمروة من العرب ، يقولون: إن طوافنا بين هذين الحجرين من أمر الجاهلية ، وقال آخرون من الأنصار: إنما أمرنا بالطواف بالبيت ولم نؤمر به بين الصفا والمروة ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ **إن الصفا والمروة من شعائر الله** ﴾ .

قال أبو بكر بن عبدالرحمن: فأراها قد نزلت في هؤلاء وهؤلاء » . اللفظ لمسلم .

---

(١) الطاغية: صفة لمناة . وصفت بها باعتبار طغيان عبدتها . والطغيان مجاوزه الحد في العصيان .

(٢) المشلل: جبل يهبط منه إلى قديد . وقديد واد .

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب وجوب الصفا والمروة حديث: ١٦٤٣ ، وفي العمرة باب يفعل بالعمرة ما يفعل بالحج حديث: ١٧٩٠ ، وفي التفسير باب قوله: إن الصفا والمروة من شعائر الله . . . حديث: ٤٤٩٥ ، باب ومناة الثالثة الاخرى حديث: ٤٨٦١ ، ومسلم في الحج باب بيان أن السعي بين الصفا والمروة لا يصح الحج إلا به حديث: ١٢٧٧ ، والترمذي في التفسير ، باب من سورة البقرة حديث: ٢٩٦٩ ، أبو داود في الحج باب أمر الصفا والمروة حديث: ١٩٠١ ، والنسائي في الحج باب ذكر الصفا والمروة: ٥/٢٣٧ حديث: ٢٩٦٧ ، ٢٩٦٨ ، والحميدي: ١/١٠٧ برقم: ٢١٩ ، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٧٦٦ ، وأخرجه أحمد في المسند: ٦/١٤٤ ، ٢٢٧ ، والبيهقي في الحج باب وجوب الطواف بين الصفا والمروة: ٥/٩٦ ، وابن ماجه في الحج باب السعي بين الصفا والمروة حديث: ٢٩٨٦ .

١٤ـ صلاته صلى الله عليه وسلم في يوم التروية بمنى:

٨٢٨ـ من حديث جابر الطويل ... قال: ـ « ... فلما كان يوم التروية توجهوا إلى منى ـ فأهلوا بالحج . وركب رسول الله ﷺ فصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس » [١].

٨٢٩ـ وقد جاء شبيها بقول جابر من حديث ابن عباس رضي الله عنهما [٢].

١٥ـ نزول قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ يوم عرفة .

٨٣٠ـ من حديث طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً . قال: أي آية ؟ قال: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً** ﴾ ، قال عمر: « قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم جمعة »[٣].

١٦ـ إفطاره عليه الصلاة والسلام يوم عرفة:

٨٣١ـ من حديث ميمونه زوج النبي ﷺ أنها قالت: « إن الناس شكوا في صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة ، فأرسلت إليه ميمونة بحلاب اللبن ، وهو واقف في الموقف فشرب منه، والناس ينظرون إليه » الحلاب: الإناء الذي يحلب فيه»[٤].

---

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٨١٢ .

(٢) أخرجه أحمد: ١/ ٢٥٥ ، وأبو داود في المناسك باب الخروج إلى منى حديث: ١٩١١ ، والترمذي في الحج: ٨٨٠ ، باب ما جاء في الخروج إلى منى والمقام بها ، والدارمي في المناسك باب كم صلاة يصلي بمنى: ٢/ ٥٤ ، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٧٩٩ ، والحاكم: ١/ ٤٦١ ووافقه الذهبي . من طرق الحكم بن عتبة عن مقسم عن ابن عباس .
ومن طريق آخر أخرجه الترمذي في الحج باب ما جاء في الخروج إلى منى والمقام بها رقم: ٨٧٩ ، وابن ماجه في المناسك باب الخروج إلى منى حديث: ٣٠٠٤ ، من طريق إسماعيل بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس .

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه حديث: ٤٥ ، وفي التفسير تفسير سورة المائدة باب اليوم أكملت لكم دينكم حديث: ٤٦٠٦ . وفي المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٤٠٧ وحديث رقم: ٧٢٦٨ في الاعتصام ، ومسلم في التفسير حديث ، رقم: ٣٠١٧ ، والترمذي في التفسير باب ومن سورة المائدة حديث: ٣٠٤٣ ، والنسائي في الحج باب ما ذكر يوم عرفة: ٣٠٠٢ .

(٤) أخرجه البخاري في الصوم باب صوم يوم عرفة حديث: ١٩٨٩ ، ومسلم في الصوم باب استحباب الفطر يوم عرفة حديث: ١١٢ ، وجاء شبيهاً به من حديث أم الفضل بنت الحارث عند البخاري في

١٧ـ وقوف الرسول صلى الله عليه وسلم بعرفة مخالفاً سنة قريش في الجاهلية:

٨٣٢ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام ، أمر الله نبيه ﷺ ان ياتي عرفات ثم يقف بها ، ثم يفيض منها وذلك قوله عز وجل ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ »[1] .

وصية النبي بالوقوف بعرفة لأنه من إرث إبراهيم عليه السلام:

٨٣٣ـ من حديث عمرو بن عبدالله بن صفوان عن خال له إن شاء الله يقال له: يزيد بن شيبان قال: « كنا في موقف لنا بعرفة يباعده عمرو من موقف الإمام جداً . فأتانا ابن مربع الأنصاري فقال: « إني رسول رسول الله إليكم يأمركم ان تقفوا على مشاعركم هذه فإنكم على إرث من إرث أبيكم إبراهيم عليه السلام»[2] .

جمعه بين الظهر والعصر يوم عرفة

٨٣٤ـ من حديث جابر بن عبدالله الطويل « ... وقال: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة ، فنزل بها حتى إذا زاغت الشمس ، أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس ، ثم أذن بلال ثم أقام فصلى الظهر ، ثم أقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيئاً ، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف ، فجعل بطن ناقته القصواء إلى

الصوم باب صوم يوم عرفه حديث: ١٩٨٨ ، ومسلم برقم: ١١٢٣ ، ومالك في الموطأ في الحج باب صيام يوم عرفة: ١/ ٣٧٥ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٧٨١٥ .

(١) أخرجه البخاري في التفسير باب: ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ حديث رقم: ٤٥٢٠ وفي الحج باب الوقوف بعرفة حديث رقم: ١٦٦٥ ، ومسلم في الحج باب الوقوف وقوله تعالى ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ حديث: ١٢١٩ ، أبوداود في المناسك باب الوقوف بعرفة حديث: ١٩١٠ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء بها حديث: ٨٨٤ ، والنسائي في الكبري كما في تحفة الأشراف حديث رقم: ١٧١٩٥ ، ١٢/ ٢٠٢ ، كلهم من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

(٢) أخرجه أبو داود في المناسك باب موضع الوقوف بعرفة حديث: ٩١٩ ، باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء بها حديث: ٨١٣ ، والنسائي في الحج باب رفع اليدين في الدعاء بعرفة: ٥/ ٢٥٥ ، وابن ماجه في المناسك باب الموقف بعرفة: ٣٠١١ ، وإسناده قوي ، وأحمد في المسند: ٤/ ٣٣٥ ، وابن خزيمة في صحيحه: ٢٨١٨ - ٢٨١٩ ، وصححه الحاكم: ١/ ٤٦٢ ووافقه الذهبي .

الصخرات ، وجعل حبل المشاة بين يديه ، واستقبل القبلة ولم يزل واقفاً حتى غربت الشمس »[1] .

كيف يفعل بمن توفي محرماً:

٨٣٥ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته . فأوقصته أو قال فأقعصته[2] ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: (اغسلوه بماء وسدر ، وكفنوه في ثوبين ، ولا تحنطوه[3] ، ولا تخمروا رأسه فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبياً[4]) »[5] .

١٨ـ خطبته في حجة الوداع:

٨٣٦ـ من حديث جابر الطويل « . . . قال: فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة . فوجد القبة قد ضربت له بنمرة . فنزل بها . حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له . فأتى بطن الوادي . فخطب الناس وقال:

(إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم . كحرمة يومكم هذا . في شهركم هذا . في بلدكم هذا . ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع. ودماء الجاهلية موضوعة . وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث . كان مسترضعاً في بني سعد فقتلته هذيل . وربا الجاهلية موضوع . وأول ربا أضع

---

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٨١٢ .

(٢) فاقعصته: قتلته في الحال .

(٣) ولا تحنطوه: اي لا تضعوا عليه من الطيب شيئاً .

(٤) ملبياً: يحشر يوم القيامة على الهيئة التي مات عليها .

(٥) البخاري في الجنائز باب الكفن في ثوبين: ١٢٦٥ ، وباب الحنوط للميت: ١٢٦٦ ، وباب كيف يكفن المحرم حديث: ١٢٦٧ : ١٢٦٨ ، وفي الحج باب ما ينهى عن الطيب للمحرم والمحرمة: ١٨٣٩ ، وباب المحرم يموت بعرفة: ١٨٤٩ ، ١٨٥٠ ، ومسلم في الحج باب ماذا يفعل اذا مات: ١٢٠٦ ، وأبو داود في الجنائز باب المحرم يموت كيف يصنع به حديث: ٣٢٣٨ ، ٣٢٣٩ ، ٣٢٤٠ ، ٣٢٤١ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في المحرم يموت في إحرامه: ٩٥١ ، والنسائي في الحج باب غسل المحرم بالسدر اذا مات: ٥/ ١٩٥ حديث: ٢٨٥٣ ، ٥/ ١٩٦ باب في كم يكفن المحرم اذا مات حديث: ٢٨٥٤ ، ٢٨٥٥، ٢٨٥٦ ، وباب النهي عن تخمير رأس المحرم اذا مات: ٥/ ١٩٧، ٢٨٥٨ ، ٢٨٥٧ ، وابن ماجه باب المحرم يموت: ٣٠٨٤ ، والبيهقي في الجنائز باب المحرم يموت: ٣/ ٣٩٢ ، والدارمي في المناسك باب في المحرم اذا مات ما يصنع به: ٢/ ٤٩-٥٠، والحميدي: ٤٦٦، ٤٦٧، وأحمد: ١/ ٢١٥، ٢٢٠ ، ٣٣٣ ، ٣٤٦، ، من طرق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

ربانا . ربا عباس بن عبدالمطلب . فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله في النساء . فإنكم أخذتموهن بأمان الله . واستحللتم فروجهن بكلمة الله . ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله . وأنتم تسألون عني . فما أنتم قائلون ؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . فقال بأصبعه السبابة . يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس (اللهم اشهد . اللهم اشهد) ثلاث مرات »[١].

٨٣٧ـ ومن حديث أبي بكرة رضي الله عنه: « أنَّ النبي ﷺ قال: (الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حُرُم: ثلاثة متواليات ـ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ـ ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان .

أي شهر هذا ؟) قلنا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال: (أليس ذو الحجة) قلنا: بلى . قال: (فأي بلد هذا ؟) قلنا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال: (أليس البلدة ؟) قلنا: بلى . قال: (فأي يوم هذا ؟) قلنا: الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال: (أليس يوم النحر ؟) قلنا: بلى. قال: (فإن دماءكم وأموالكم ـ قال محمد: وأحسبه قال: وأعراضكم ـ عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا . في بلدكم هذا ، في شهركم هذا .

وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، الا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضربُ بعضكم رقاب بعض . الا ليبلغ الشاهد الغائب . فلعل بعض من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه) ـ فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق محمد ﷺ ـ ثم قال: (الا هل بلغت (مرتين)[٢].

---

(١) سبق تخريجه حديث: ٨١٢ .

(٢) البخاري في العلم باب قول النبي رب مبلغ أوعى من سامع: ٦٧ ، وباب ليبلغ العلم الشاهد الغائب حديث: ١٠٥ ، وفي الحج باب الخطبة أيام منى حديث: ١٧٤١ ، وأطراف أخرى في المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٤٠٦ ، وأرقام: ٣١٩٧: ٤٦٦٢ ، ٥٥٥٠ ، ٧٠٧٨ ، والنسائي في الكبرى في الحج كما في تحفة الأشراف حديث: ١١٦٨٢، ٩/ ٤٩-٥٠ .

٨٣٨ـ من حديث عمرو بن الأحوص رضي الله عنه « أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله ﷺ: فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال: (أي يوم أحرم ، أي يوم أحرم ، أي يوم أحرم ؟) فقال الناس: يوم الحج الأكبر يا رسول الله ، قال: (فإن دماءكم وأموالكم ، وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، الا لا يجني جان إلا على نفسه ، ولا يجني والد على ولده ، ولا ولد على والده ، الا إن المسلم أخو المسلم ، فليس يحل لمسلم من أخيه شيء إلا ما أحل من نفسه .

الا وإن كل ربا في الجاهلية موضوع ، لكم رؤوس أموالكم لاتظلمون ولا تظلمون غير ربا العباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله .

الا وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأول دم وضع من دماء الجاهلية دم الحرث بن عبدالمطلب ، كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل .

الا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبنيه ، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً .

الا إن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فأما حقكم على نسائكم ، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم من تكرهون ، الا وإن حقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن)[١] .

٨٣٩ـ ومن حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: « سمعت رسول الله ﷺ ـ يخطب في حجة الوداع فقال: (اتقوا الله ربكم ، وصلوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم)[٢] .

---

(١) أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء في تحريم إلدماء والأموال: ٢١٥٩ ، وفي التفسير باب ومن سورة التوبة حديث: ٣٠٨٧ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف: ١٠٦٩١ ، ٨/ ١٣٢ ، وابن ماجه في المناسك باب الخطبة يوم النحر حديث: ٣٠٥٥ ، والبيهقي في الجنايات باب إيجاب القصاص على القاتل دون غيره: ٨/ ٢٧ ، أحمد في المسند: ٣/ ٤٩٩ ، وسنده صحيح ، وقال الترمذي حسن صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الصلاة باب: ٤٣٤ آخر أبواب الصلاة حديث رقم: ٦١٦ وأحمد في المسند: ٥/ ٢٥١ ، وابن حبان في الموارد: ٧٩٥ ، والحاكم في المستدرك: ١/ ٩ ، ٣٨٩ ، وصححه ووافقه الذهبي، وقال الترمذي حديث حسن صحيح . وقال الحاكم في المستدرك: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولا نعرف له علة ولم يخرجاه ، وقد احتج البخاري ومسلم باحاديث سليم بن عامر وسائر رواته متفق عليهم .

٨٤٠ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة ؟) قالوا: ألا شهرنا هذا . قال: (ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمة ؟) قالوا: ألا بلدنا هذا . قال: (ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمة ؟) قالوا: ألا يومنا هذا . قال: فإن الله ـ تبارك وتعالى ـ حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم ـ إلا بحقها ـ كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، ألا هل بلغت (ثلاثاً) ؟ كل ذلك يجيبونه: ألا نعم . قال: (ويحكم ـ أوويلكم ـ لا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [١] .

٨٤١ـ وقد جاء عن ابن عمر في لفظ ابن ماجه زيادة في الرواية (وهو تسمية الحجة التي حجها رسول الله ﷺ حجة الوداع وتسمية يوم الحج الأكبر بهذا الاسم)[٢] .

٨٤٢ـ من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: قال: « قال رسول الله ﷺ ، وهو على ناقته المخضرمة بعرفات ، فقال « أتدرون أي يوم هذا ، وأي شهر هذا ، وأي بلد هذا ؟) قالوا: هذا بلد حرام ، وشهر حرام ، ويوم حرام. قال: (ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا في يومكم هذا ، ألا وإني فرطكم على الحوض . وأكاثر بكم الأمم . فلا تسودوا وجهي . ألا وإني مُستنقذ أناساً . ومستنقذ مني اناسٌ. فأقول: يارب ! أصيحابي؟ فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) [٣] .

١٩ـ كيف كان سيره عليه السلام من عرفة إلى مزدلفة:

٨٤٣ـ من حديث عروة بن الزبير أنه قال: « سئل أسامة بن زيد وأنا جالس معه: كيف كان رسول الله ﷺ يسير في حجة الوداع حين دفع ؟ قال: كان يسير

---

(١) أخرجه البخاري في الحدود باب ظهر المؤمن حمى إلا في حد أو حق حديث: ٦٧٨٥ ، وفي الأدب باب قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ ، حديث: ٦٠٤٣ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب الخطبة يوم النحر حديث: ٣٠٥٨ ، وعلقه البخاري: ٣/ ٤٥٩ ، وقال الحافظ: وأخرجه الطبراني عن أحمد بن المعلى والإسماعيلي عن جعفر الفريابي عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن هشام بن الغاز ، ومن هذا الوجه أخرجه أبو داود: ١٩٤٥ وإسناده صحيح .

(٣) أخرجه ابن ماجه في المناسك باب الخطبة يوم النحر حديث: ٣٠٥٧ ، وقال في الزوائد: إسناده صحيح قلت يعنى لشواهده الكثيرة التي سبق ذكر كثير منها عن ابن عمر وعمرو بن الأحوص وجابر وغيرهم .

العنق ، فإذا وجد فجوة نص ، قال هشام: والنص فوق العنق »[1] [2].

٨٤٤ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما « أنه دفع مع النبي ﷺ يوم عرفة ، فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً للإبل . فأشار بسوطه إليهم وقال: (أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع[3]) [4] .

٢٠ـ الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة:

٨٤٥ـ من حديث أبي أيوب الأنصاري « أن رسول الله ﷺ جمع في حجة الوداع المغرب والعشاء بالمزدلفة » [5].

٨٤٦ـ من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: « دفع رسول الله ﷺ من عرفة ، حتى إذا كان بالشعب ، نزل فبال . ثم توضأ فلم يسبغ الوضوء . فقلت له: الصلاة يا رسول الله ، قال: (الصلاة أمامك)، فركبت فلما جاءالمزدلفة . نزل فتوضأ ، فأسبغ الوضوء ، ثم أقيمت الصلاة ، فصلى المغرب ، ثم أناخ كل إنسان بعيره في منزله ، ثم أقيمت العشاء فصلاها ، ولم يصل بينهما شيئاً » [6].

---

(١) الفجوة: الفرجة بين المكانين . النص: الإسراع في السير . العنق: السير الوسيع . والنص أرفع السير .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب السير اذا دفع من عرفة حديث: ١٦٦٦ ، وفي الجهاد باب سرعة السير حديث: ٢٩٩٩ ، والمغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٤١٣ ، ومسلم في الحج باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة حديث: ١٢٨٦ ، وابن ماجه في المناسك باب الدفع من عرفة: ٣٠١٧ ، ومالك في الموط في الحج باب السير في الدفعة: ١/ ٣٩٢ ، والنسائي في الحج باب كيف السير من عرفة: ٣٠٢٣.

(٣) الإيضاع: الإسراع .

(٤) أخرجه البخاري في الحج باب أمر النبي ﷺ بالسكينة عند الإفاضة ، وإشارته إليهم بالسوط حديث: ١٦٧١ .

(٥) أخرجه البخاري في الحج باب من جمع بينهما ولم يتطوع حديث: ١٦٧٤ ، وفي المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٤١٤، ومسلم في الحج باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة حديث: ١٢٨٧ ، والنسائي في الحج باب الجمع بين الصلاتين بمزدلفة: ٥/ ٢٦٠ حديث: ٣٠٢٦ ، وابن ماجه في المناسك باب الجمع بين الصلاتين بجمع حديث: ٣٠٢٠، ومالك في الموطأ في الحج باب صلاة المزدلفة: ١/ ٤٠١.

(٦) أخرجه البخاري في الوضوء باب إسباغ الوضوء حديث: ١٣٩ ، وباب الرجل يوضئ صاحبه: ١٨١ ، وفي الحج باب النزول من عرفة حديث: ١٦٦ ، ١٦٦٩ ، وباب الجمع بين الصلاتين بالمزدلفة حديث: ١٦٧٢ ، ومسلم في الحج باب الإفاضة من عرفات إلى المزدلفة حديث: ١٢٨٠ ، وأبو داود في المناسك باب الدفعة من عرفة حديث: ١٩٢٥ ، والنسائي في المناسك باب النزول بعد الدفع من عرفة: ٥/ ٢٥٩ حديث: ٣٠٢٤ ، ٣٠٢٥ ، ومالك في الموطأ في الحج باب صلاة المزدلفة: ١/ ٤٠٠-٤٠١ .

٢١ـ قصة الخثعمية والفضل بن عباس:

٨٤٧ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان الفضل رديف رسول الله ﷺ سورة ، فجاءت امرأة من خثعم ، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر اليه ، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر ، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة . أفأحج عنه ؟ قال: (نعم) . وذلك في حجة الوداع »[1].

٢٢ـ استئذان سودة بنت زمعة في أن تدفع قبل الزحمة:

٨٤٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « نزلنا المزدلفة . فاستأذنت سودة النبي ﷺ أن تدفع قبل حطمة الناس ـ وكانت امرأة بطيئة ـ فأذن لها ، فدفعت قبل حطمة الناس ، وأقمنا حتى أصبحنا نحن ، ثم دفعنا بدفعه ، فلأن أكون استأذنت رسول الله ﷺ كما استأذنت سودة أحب إلي من مفروح به »[2].

٨٤٩ـ ومن حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله »[3].

---

(١) اخرجه البخارى في الحج باب وجوب الحج وفضله حديث: ١٥١٣ ، جزاء الصيد باب الحج عن من لا يستطيع الثبت على راحلته حديث: ١٨٥٤ ، ١٨٥٥ ، وفي المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٣٩٩ ، وفي الاستئذان باب قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ﴾ حديث: ٦٢٢٨ ، ومسلم في الجمع باب الحج عن العاجز لزمانة وهرم ونحوهما حديث: ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، وأبو داود في المناسك باب الرجل يحج عن غيره حديث: ١٨٠٩ ، والترمذي في الحج باب في الحج عن الشيخ الكبير والميت: ٩٢٨ ، والنسائي في الحج باب الحج عن الحي الذي لا يستمسك على الرحل : ٥/ ١٧٧ ، والدارمي في المناسك باب الحج عن الميت: ٢/ ٤٠ ، والبيهقي في الحج: ٤/ ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، والحميدي: ٥٠٧ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٩ ، وابن خزيمة برقم: ٣٠٣٦ ، من طرق عن سليمان بن يسار عن عبدالله بن عباس .

(٢) اخرجه البخاري في الحج باب من قدم ضعفة أهله بليل رقم: ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ومسلم في الحج باب استحباب تقديم الضعفة من النساء وغيرهن: ١٢٩٠ ، والنسائي في الحج باب الرخصة للنساء في الإفاضة من جمع قبل الصبح: ٥/ ٢٦٢ ، وابن ماجه في المناسك باب من تقدم من جمع إلى منى لرمي الجمار حديث: ٣٠٢٧ ، والبيهقي في الحج باب من خرج من المزدلفة بعد نصف الليل: ٥/ ١٢٤ ، والدارمي في المناسك باب الرخصة في النفر من جمع بليل: ٢/ ٥٨ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٣٠ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٣٣ ، ١٦٤ ، ٢١٣ ـ ٤١٢ ، من طرق عن القاسم عن عائشة .

(٣) اخرجه البخاري في الحج باب من قدم ضعفة أهله بليل حديث: ١٦٧٨ ، وفي الصيد باب حج الصبيان حديث: ١٨٥٦ ، ومسلم في الحج باب استحباب تقديم الضعفه من النساء وغيرهن حديث: ١٢٩٣ ، وأبو داود في المناسك باب التعجيل من جمع: ١٩٣٩ ، : ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، والنسائي في الحج باب من تقدم من جمع إلى منى لرمى الجمار حديث: ٣٠٢٦ والحميدي رقم: ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، والبيهقي في الحج باب من خرج من المزدلفة بعد منتصف الليل: ٥/ ١٢٣ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٢١ ، من طرق عن ابن عباس .

٢٣ـ التقاط ابن عباس الحصى للنبي صلى الله عليه وسلم من مزدلفة:

٨٥٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « قال لي رسول الله ﷺ غداة الجمرة: (هات القط لي) ، فلقطت له حصيات من حصى الخذف فلما وضعهن في يده قال: (نعم بأمثال هؤلاء ، نعم بأمثال هؤلاء ، نعم بأمثال هؤلاء. وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) »[1] .

٨٥١ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ أردف الفضل ، فأخبر الفضل أنه لم يزل يلبي حتى رمى الجمرة » .

وفي لفظ آخر عنه أيضاً قال: « أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان ردف النبي ﷺ من عرفة إلى المزدلفة ، ثم أردف الفضل من المزدلفة إلى منى ، قال: فكلاهما قالا: لم يزل النبي ﷺ يلبي حتى رمى جمرة العقبة »[2] .

٢٤ـ مكان النبي صلى الله عليه وسلم حين رمى الجمرة: ـ

٨٥٢ـ من حديث عبدالرحمن بن يزيد قال: « رأيت عبدالله بن مسعود رمى جمرة العقبة من بطن الوادي فقال: « هذا والذي لا إله غيره ـ مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة »[3] .

---

(١) أخرجه النسائي في الحج باب التقاط الحصى: ٥/٢٦٨ ، ٢٦٩ حديث رقم: ٣٠٥٧ ، وباب قدر الحصى حديث: ٣٠٥٩ ، وابن ماجه في المناسك باب قدر الحصى: ٣٠٢٩ وأحمد في المسند: ١/ ٢١٥ ، ٣٤٧، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٨٦٧ ، والحاكم: ١/ ٤٦٦ ، ووافقه الذهبي . وهو كما قالا .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب في التلبية والتكبير غداة النحر حين يرمي الجمرة: ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، مسلم في الحج باب استحباب إدامة التلبية حتى يشرع في رمي جمرة يوم النحر: ١٢٨١ ، وأبو داود في المناسك باب متى تقطع التلبية حديث: ١٨١٥ ، والنسائي في الحج: ٥/ ٢٦٨ ، والترمذي في الحج باب فيما جاء في متى تقطع التلبية في الحج: ٩١٨ ، وابن ماجه في المناسك باب متى يقطع الحاج التلبية: ٣٠٤٠ ، والدارمي في الحج باب رمي الجمار برميها راكباً: ٢/ ٦٢ - ٦٣ ، والبيهقي في الحج ،: ٥/ ١١٢ ، ١٢٧ ، ١٣٧، والطيالسي برقم: ١٠٧٤ ، ١/ ٢٢٢ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢١٠، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) أخرجه البخاري في الحج رمي الجمار من بطن الوادي حديث: ١٧٤٧ ، وباب الجمار بسبع حصيات: ١٧٤٨ ، وباب من رمى جمرة العقبة فجعل البيت عن يساره: ١٧٤٩ ، وباب يكبر مع كل حصاة حديث: ١٧٥٠ ، ومسلم في الحج باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي حديث: ١٢٩٦ ، وأبو داود في المناسك في رمي الجمار ١٩٧٤، والنسائي في الحج باب المكان الذي ترمي منه جمرة العقبة: ٥/ ٢٧٣، والبيهقي في الحج باب رمي جمرة العقبة من بطن الوادي: ٥/ ١٢٩ ، والطيالسي: ١/ ٢٢٣ ، رقم: ١٠٨٢ ، وأحمد في المسند: ١/ ٤١٥ ، والحميدي برقم: ١١١ من طرق عن ابن مسعود .

وفي لفظ آخر عن عبدالله بن مسعود « أنه انتهى إلى الجمرة الكبرى جعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ، ورمى بسبع وقال: هكذا رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ﷺ ».

٢٥ـ ترتيب أعمال يوم النحر كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم:

٨٥٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ رمى جمرة العقبة ، ثم انصرف إلى البدن فنحرها ، والحجام جالس، وقال بيده عن رأسه ، فحلق شقه الأيمن فقسمه فيمن يليه ثم قال: (احلق الشق الأخر) فقال: (أين أبو طلحة ؟) فأعطاه إياه »[1] اللفظ لمسلم .

وفي رواية له أيضاً (لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة ، ونحر نسكه وحلق ، ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه ثم دعا أبا طلحة الأنصاري فأعطاه إياه ، ثم ناوله الشق الأيسر . فقال (احلق) فحلقه . فأعطاه أبا طلحة . فقال: (اقسمه بين الناس) .

وقد جاء في رواية أخرى عنده « فقال للحلاق: (ها) وأشار بيده إلى الجانب الأيمن هكذا ، فقسم شعره بين من يليه . قال: ثم أشار إلى الحلاق وإلى الجانب الأيسر ، فحلقه فأعطاه أم سليم » .

والجمع بين هذه الروايات أنه ﷺ ناول أبا طلحة كلا من الشقين ، فأما الأيمن فوزعه أبو طلحة بأمره ، وأما الأيسر فأعطاه لأم سليم زوجته بأمره ﷺ أيضا ، وزاد في رواية لتجعله في طيبها » فتح الباري (١/ ٢٧٤) .

٢٦ـ دعاء النبي للمحلقين يوم النحر:

٨٥٤ـ جاء من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « إن رسول الله ﷺ قال: (رحم الله المحلقين) قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال: (رحم الله المحلقين) قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال: (رحم الله المحلقين) قالوا:

---

(١) أخرجه البخاري في الوضوء باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان حديث رقم: ١٧١ مختصراً ، ومسلم في الحج باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق حديث: ١٣٠٥ ، وأبو داود في السنن في المناسك باب الحلق والتقصير حديث: ١٩٨١ ، والترمذي في الحج باب ما جاء بأي جانب الرأس يبدأ الحلق حديث: ٩١٢ ، والبيهقي في الحج باب البداية بالشق الأيمن: ٥/ ١٠٣ ، وابن خزيمة: ٢٩٢٨ ، من طرق عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك .

والمقصرين يا رسول الله ؟ قال: (والمقصرين) لفظ مسلم [1].

٢٧ـ منهج التيسير (لا حرج ، لا حرج) .

٨٥٥ـ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: « وقف رسول الله ﷺ على راحلته ، فطفق ناس يسألونه . فيقول القائل منهم: يا رسول الله ! إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر . فنحرت قبل الرمي ، فقال رسول الله ﷺ (فارم ولا حرج) .

قال: وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق ، فحلقت قبل أن أنحر ، فيقول: (انحر ولا حرج) قال: فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر ، مما ينسى المرء ويجهل ، من تقديم بعض الأمور قبل بعض ، وأشباهها ، إلا قال رسول الله ﷺ: (افعلوا ذلك ولا حرج) [2] .

٢٨ـ عيادة النبي لسعد بن أبي وقاص من مرض نزل به في حجة الوداع:

٨٥٦ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: « عادني النبي ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت . فقلت يا رسول الله ، بلغ بي

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب الحلق والتقصير عند الإحلال حديث: ١٧٢٧ ، ومسلم في الحج باب تفضيل الحلق على التقصير:١٣٠١ ، وأبو داود في الحج باب الحلق والتقصير حديث ١٩٧٩ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في الحلق والتقصير حديث ٩١٣ ، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٩٢٩ ، ابن ماجه في المناسك باب الحلق: ٣٠٤٤ ، الدارمي: ٦٤/٢ ، وقد جاء من حديث أبي هريرة قريباً من هذا اللفظ أخرجه البخاري في الحج باب الحلق والتقصير من الإحلال حديث: ١٧٢٨ ، ومسلم في الحج باب تفضيل الحلق على التقصير حديث: ١٣٠٢، وابن ماجه: ٣٠٤٣ .

(٢) أخرجه البخاري في العلم باب الفتيا على الدابة حديث: ٨٣ ، وفي الحج باب الفتيا على الدابة عند الجمرة حديث: ١٧٣٦ ، ١٧٣٧ ، ١٧٣٨ ، وفي الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسياً في الإيمان حديث: ٦٦٦٥ ، ومسلم في الحج باب من حلق قبل النحر ، أو نحر قبل الرمي حديث: ١٣٠٦ ، والترمذي في الحج باب ما جاء فيمن حلق قبل أن يذبح أو نحر قبل أن يرمي حديث رقم: ٩١٦ ، أبو داود في المناسك باب فيمن قدم شيئاً قبل شيء في حجه حديث: ٢٠١٤ ، وابن ماجه في المناسك باب من قدم نسكاً قبل نسك: ٣٠١٥ ، وقد جاء شبيهاً به من حديث ابن عباس عند البخاري في العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس حديث: ٨٤ ، وفي الحج باب الذبح قبل الحلق: ١٧٢١، ١٧٢٢ ، ١٧٢٣ ، وباب إذا رمى بعدما أمسى: ١٧٣٤، ١٧٣٥ ، وفي الأيمان والنذور باب إذا حنث ناسياً في الإيمان حديث: ٦٦٦٦ ، ومسلم في الحج باب من حلق قبل النحر أو نحر قبل الرمي حديث: ١٣٠٧، والنسائي في الحج باب الرمي بعد المساء: ٢٧٢/٥ ، حديث: ٣٠٦٧ ، وأبو داود في المناسك باب الحلق والتقصير حديث: ١٩٨٣ ، وابن ماجه في المناسك حديث: ٣٠٤٩ ، وأحمد في المسند: ٢١٦/١، ٢٥٨، ٢٦٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ .

من الوجع ما ترى ، وأنا ذو مال ، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة . أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: (لا). قلت: أفأتصدق بشطره ؟ قال: لا . قلت: فالثلث ؟

قال: (والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يكففون الناس ، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ، حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك) .

قلت: يا رسول الله . أأخلف بعد أصحابي ؟ قال: (إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون . اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم ، لكن البائس سعد بن خولة) رثى له رسول الله ﷺ أن توفي بمكة » اللفظ للبخاري كما في المغازي [(١)] .

٢٩ـ منزل النبي صلى الله عليه وسلم حين انتهى من أعمال الحج في منى.

٨٥٧ ـ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا ينزلون الأبطح » [(٢)].

٨٥٨ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ليس التحصيب بشيء ، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ » . والتحصيب معناه النزول بالمحصب ، أو الأبطح ، أو البطحاء وكلها أسماء لخيف بني كنانة ، وأصل الخيف كل ما انحدر عن الجبل وارتفع عن المسيل » [(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز حديث: ١٢٩٥ ، وفي مناقب الأنصار حديث: ٣٩٣٦ ، وفي المغازي باب حجة الوداع حديث: ٤٤٠٩ ، وفي الدعوات: ٦٣٧٣ ، وفي الفرائض: ٦٧٣٣ ، ومسلم في الوصية باب الوصية بالثلث حديث: ١٦٢٨ ، ومالك في الموطأ في الوصية باب الوصية في الثلث لا تتعدى حديث: ٢/ ٧٦٣ ، الحميدي برقم: ٦٦ ، أبو داود في الوصايا حديث: ٢٨٦٤ ، باب ما لا يجوز للموصي في ماله ، والترمذي في الوصايا باب ما جاء في الوصية بالثلث حديث: ٢١١٧ ، وابن ماجه في الوصايا باب الوصية بالثلث حديث: ٢٧٠٨ ، والبيهقي في السنن: ٦/ ٢٦٨ ، وأحمد في المسند: ١/ ١٧١ ، ١٧٢، ١٧٣ ، ١٨٤ ، من طرق عن عامر بن سعد عن أبيه .

(٢) أخرجه مسلم في الحج باب استحباب النزول بالمحصب حديث: ١٣١٠ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في نزول الأبطح حديث رقم: ٩٢١ ، وابن ماجه في المناسك باب نزول المحصب حديث رقم: ٣٠٦٩ ، وابن خزيمة في صحيحه: ٢٩٩٠ ، من طريقين عن أيوب وعبيدالله عن نافع عن ابن عمر .

(٣) أخرجه البخاري في الحج باب المحصب حديث: ١٧٦٦ ، ومسلم في الحج باب استحباب النزول بالمحصب حديث: ١٣١٢ ، والترمذي في الحج باب ما جاء في نزول الأبطح حديث: ٩٢٢ ، والدارمي في الحج باب في التحصيب: ٢/ ٥٤ ، والبيهقي: ٥/ ١٦٠ ، وصححه ابن خزيمة برقم: ٢٩٨٩ .

٨٥٩ـ ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إنما نزل رسول الله ﷺ الأبطح ، لأنه كان أسمح لخروجه »[(١)] .

٣٠ـ آخر العهد بالبيت الطواف (طواف الوداع) .

٨٦٠ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كان الناس ينصرفون في كل وجه ، فقال رسول الله ﷺ: (لا ينفرن أحد حتى يكون آخر عهده بالبيت) اللفظ لمسلم .

وفي لفظ قال ابن عباس: « أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض »[(٢)] .

٣١ـ إيذان النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالرحيل إلى المدينة:

٨٦١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « خرجنا مع رسول الله ﷺ مهلين بالحج . . . فذكرت الحديث حتى قالت « فخرجت من حجتي حتى نزلنا منى فتطهرت ، ثم طفنا بالبيت ، ونزل رسول الله ﷺ المحصب ، فدعا عبدالرحمن بن أبي بكر فقال: (اخرج بأختك من الحرم فلتهل بعمرة ، ثم لتطف بالبيت فإني أنتظركما ههنا) قالت: فخرجنا فأهللت ، ثم طفت بالبيت وبالصفا والمروة ، فجئنا رسول الله ﷺ وهو في منزله من جوف الليل . فقال: (هل فرغت) ، قلت: نعم. فأذن في أصحابه بالرحيل . فخرج فمر بالبيت فطاف به قبل صلاة الصبح . ثم خرج إلى المدينة »[(٣)] .

٣٢ـ حديث غدير خم أثناء عودة النبي من مكة إلى المدينة:

٨٦٢ـ من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: « قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً، بماء يدعى خماً بين مكة والمدينة، فحمدالله وأثنى عليه، ووعظ وذكر.

---

(١) أخرجه البخاري في الحج باب المحصب حديث: ١٧٦٥، ومسلم في الحج باب استحباب النزول بالمحصب حديث: ١٣١١ ، والترمذي في الحج باب من نزل الأبطح حديث: ٩٢٣ .

(٢) أخرجه البخاري في الحج باب طواف الوداع: ١٧٥٥ ، مسلم في الحج باب وجوب طواف الوداع وسقوطه عن الحائض حديث: ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، وأبو داود في المناسك باب طواف الوداع: ٢٠٠٢ ، وابن ماجه في المناسك باب طواف الوداع: ٣٠٧٠ ، الدارمي في الحج باب في طواف الوداع: ٢/ ٧٢ ، والبيهقي: ٥/ ١٦١ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٢١ ، من طرق عن طاووس عن ابن عباس به .

(٣) سبق تخريجه ولفظه بطوله حديث رقم: ٨١٩ .

ثم قال: (أما بعد: ألا أيها الناس ! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب . وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله . واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي . أذكركم الله في أهل بيتي)[1].

٨٦٣ـ وفي لفظ آخر عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم: (لما دفع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير (خم) أمر بدوحات فقممن ثم قال: (كأني دعيت فأجبت ، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا الحوض ، ثم قال: (إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن) ، ثم إنه أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال:

(من كنت وليه ، فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه)[2].

---

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب حديث: ٢٠٤٨ ، والنسائي في السنن الكبرى في المناقب كما في تحفة الأشراف حديث: ٣٦٨٨ ، ٢٠٣٨ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ٣٦٨ ، وأحمد في مسنده: ٤/ ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧١ ، والطبراني في الكبير: ٥٠٢٦ ، ٥٠٤٠ ، من طرق عن زيد بن أرقم.

(٢) أخرجه النسائي في خصائص علي صفحة: ٢١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ١١٠ ،وأحمد في المسند: ٤/ ٣٧٠ ، ١/ ١١٨ ، والدولابي في الكنى: ٢/ ٦١ ، وابن حبان في صحيحه موارد: ٢٢٠٥ ، والطبراني في الكبير: ٤٩٦٨ ، ٤٩٦٩ ، ٤٩٧٠ والترمذي في المناقب باب مناقب علي: ٣٧١٣ ، مختصراً .

أخرجوه: من ثلاثة طرق عن حبيب بن أبي ثابت ، وفطر بن خليفة ، وسلمة بن كهيل ، وقد قال الحاكم في طريقه عن حبيب بن أبي ثابت: صحيح علي شرط الشيخين وسكت عليه الذهبي ولم يتعقبه بإقرار أو إنكار ، يقول الشيخ أحمد شاكر في تعليقه: على المسند حديث: ٩٥٢ ، لم يتعقبه الذهبي بإقرار أو إنكار خلافاً لعادته إذ لم يستطع ان يجد علة في إسناده .

وقال الترمذي في طريق سلمة بن كهيل: حسن صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع: ٩/ ١٠٤ ، في طريق قطر بن خليفة: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير قطر بن خليفة وهو ثقة) .

وقد جاء هذا الحديث من طريق عدد من الصحابة منهم بريدة ، وابن عباس ، وجابر ، وأبي هريرة والبراء بن عازب ، وعلي بن أبي طالب ، وقد عقد الهيثمي في المجمع: ٩/ ١٠٣ ، باباً تحت عنوان: قوله ﷺ: من كنت مولاه وذكر طرقاً كثيرة جداً .

وقال ابن حجر: هذا حديث كثير الطرق جداً ، استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد منها صحاح ومنها حسان في فيض القدير: ٦/ ٢١٨

تجهيز جيش أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين

قال ابن إسحاق: (وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام، و أمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم ، من ارض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون ، قال ابن هشام: وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ) [1] .

٨٦٤ـ وقد جاء من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: « بعث رسول الله ﷺ بعثاً . وامر عليهم أسامة بن زيد ، فطعن الناس في إمرته ، فقام رسول الله ﷺ ، فقال: (إن تطعنوا في إمرته ، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل ، وايم الله ! إن كان لخليقاً للإمرة ،وإن كان لمن أحب الناس إلي ، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده) .

وفي لفظ آخر عنه : « أن رسول الله ﷺ قال وهو على المنبر : (إن تطعنوا في إمارته - يريد أسامة بن زيد - فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله ! إن كان لخليقاً لها ، وأيم الله ! إن كان لأحب الناس إلي ، وأيم الله ! إن هذا لها لخليق - يريد أسامة بن زيد - وأيم الله ! إن كان لأحبهم إلي من بعده ، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم) [2] اللفظ لمسلم .

وقال ابن كثير [3] ، وقد انتدب كثير من الكبار من المهاجرين الأولين والأنصار في جيشه ، فكان من أكبرهم عمر بن الخطاب ، ومن قال: إن أبا بكر كان فيهم فقد غلط ، فإن رسول الله ﷺ اشتد به المرض وجيش أسامة مخيم بالجرف . وقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس كما سيأتي . فكيف يكون في الجيش وهو إمام المسلمين بإذن الرسول من رب العالمين ، ولو فرض أنه كان قد انتدب معهم فقد استثناه الرسول ﷺ من بينهم بالنص عليه للإمامة في الصلاة التي هي أكبر أركان الإسلام ، ثم لما توفي عليه الصلاة والسلام استطلق الصديق من أسامة عمر بن الخطاب ، فأذن له في المقام عند الصديق ، ونفذ الصديق جيش أسامة».

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٦٤٢ ، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٤٠ .

(٢) اخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب مناقب زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ: ٣٧٣٠ ، وفي المغازي باب غزوة زيد بن حارثة: ٤٢٥٠ ، وباب بعث النبي أسامة بن زيد رقم: ٤٤٦٨ ، ٤٤٦٩ ، والأيمان والنذور باب وأيم الله حديث: ٦٦٢٧ ، والأحكام باب من لم يكترث بطعن من لا يعلم من الأمراء حديث: ٧١٨٧ ، مسلم في فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما: ٢٤٢٦ ، والترمذي في المناقب باب مناقب زيد بن حارثة حديث رقم: ٣٨١٦ ، وأحمد في المسند : ٢/ ٢٠ ، ٨٩ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، وابن سعد في الطبقات: ٤/ ٦٥ ، وقال الترمذي حسن صحيح .

(٣) السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ٤٤١.

الباب السادس

مرض الرسول صلى الله عليه وسلم ووفاته

١ـ ابتداء مرضه عليه الصلاة والسلام:

أـ زيارته لأهل البقيع واستغفاره لهم:

٨٦٥ـ من حديث أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: « بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل ، فقال: (يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي) ، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم ، قال: (السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنئ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ، ثم أقبل علي) ، فقال: (يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة) .

قال: فقلت: بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال: لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة) ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه »[1].

ب ـ زيارته قتلى أحد وصلاته عليهم بعد ثماني سنين:

٨٦٦ـ من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه: « أن رسول الله ﷺ صلى على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء ، والأموات ، ثم طلع المنبر، فقال: (إني بين أيديكم فرط ، وأنا عليكم شهيد ، وإن موعدكم الحوض، وإني لأنظر إليه وأنا في مقامي هذا ، وإني لست أخشى عليكم أن تشركوا ،

---

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، والبزار كما في الكشف: ٨٦٣ ، والطبراني في الكبير: ٢٢/ ٣٤٦ـ ٣٤٧ أحاديث رقم: ٨٧١ ، ٨٧٢ ، وقال في المجمع: ٣/ ٥٩ ، وإسناد أحمد والبزار كلاهما ضعيف . وقال: ٩/ ٢٤ ، رواه أحمد والطبراني بإسنادين رجال أحدهما ثقات ، إلا أن الإسناد الأول عن عبيد بن حنين عن عبدالله بن عمرو عن أبي مويهبة والثاني عن عبيد بن حنين عن أبي مويهبة .
وقد أخرجه الدارمي: ١/ ٣٦ـ٣٧ ، وابن إسحاق في المغازي كما في سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٤٢ ، والدولابي في الكنى والأسماء: ١/ ٥٧ـ٥٨ والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٥ ـ ٥٦ ، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها) . فقال عقبة: فكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله ﷺ »[1] . وفي لفظ آخر عنه قال رضي الله عنه: « صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: (إني فرطكم على الحوض. وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة . إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي. ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها ، وتقتتلوا ، فتهلكوا ، كما هلك من كان قبلكم) قال عقبة: فكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر » .

٢ـ استئذانه أن يمرض في بيت عائشة:

٨٦٧ـ جاء من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « أول ما اشتكى رسول الله ﷺ في بيت ميمونة ، فاستأذن أزواجه أن يمرض في بيتها ، وأذنَّ له ، قالت: فخرج ويد له على الفضل بن عباس ، ويد له على رجل آخر . وهو يخط برجليه في الأرض . فقال عبيدالله بن عبدالله بن عتبة فحدثت به ابن عباس. فقال: أتدري من الرجل الذي لم تسم عائشة ؟ هو علي » اللفظ لمسلم[2] .

٨٦٨ـ ومن حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « رجع رسول الله ﷺ من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي. وأنا أقول: وارأساه، فقال: (بل أنا والله يا عائشة وارأساه) . قالت: ثم قال: (وما ضرك لو مت قبلي . فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟) قال: قلت: والله لكأني بك ، لوقد فعلت ذلك . لقد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه، حتى استعز به ، وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه، فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذنَّ له»[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في الجنائز باب الصلاة على الشهيد: ١٣٤٤ ، المناقب باب علامات النبوة في الإسلام: ٣٥٩٦ وفي المغازي باب أحد جبل يحبنا ونحبه: ٤٠٨٥ ، وفي الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها: ٦٤٢٦ ، وباب في الحوض: ٦٥٩٠ ، ومسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا حديث: ٢٢٩٦ ، وأحمد في المسند: ١٤٩/٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، والنسائي في الجنائز باب الصلاة على الشهداء: ٦١/٤ ـ ٦٢ ، حديث: ١٩٥٤ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ٤٤٤٢ ، ومسلم في صحيحه في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر حديث: ٩١/٤١٨ ، ٣١٢/١ ، وأحمد في المسند: ١١٧/٦ .

(٣) أخرجه ابن إسحاق بإسناد صحيح صرح فيه بالتحديث كما في سيرة ابن هشام: ٦٤٢/٢ ـ ٦٤٣ ، وأخرجه الحاكم في المستدرك: ٥٦/٣ ، بسند آخر عنها وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

٣ـ شدة المرض الذي نزل به عليه الصلاة والسلام:

٨٦٩ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله ﷺ »[(١)].

٨٧٠ـ ومن حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: « دخلت على رسول الله ﷺ وهو يوعك فمسسته بيدي . فقلت: يا رسول الله ! إنك لتوعك وعكاً شديداً ، فقال رسول الله ﷺ (أجل: إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قال: فقلت: ذلك ، أن لك أجرين . فقال رسول الله ﷺ: (أجل) ثم قال رسول الله ﷺ:(ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه ، إلا حط الله به سيئاته ، كما تحط الشجرة ورقها)[(٢)].

٨٧١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض ، بين عباس بن عبدالمطلب ، وبين رجل آخر ، قال عبيدالله فأخبرت عبدالله بالذي قالت عائشة ، فقال لي عبدالله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة ؟ قال: قلت: لا قال ابن عباس: هو علي »[(٣)].

وكانت عائشة زوج النبي ﷺ تحدث « أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد

وقد أخرجه من طريق ابن إسحاق أيضاً: ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في غسل الرجل امرأته حديث: ١٤٦٥ ، وأحمد: ٦/٢٢٨ ، والدار قطني: ٢/٧٤ ، والدارمي: ١/٣٧ ـ ٣٨ ، والبيهقي: ٣/٣٩٦ ، وابن حبان كما في الإحسان حديث: ٦٥٥٢ .

(١) أخرجه البخاري في المرض باب شدة المرض حديث: ٥٦٤٦ ، ومسلم في البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حديث: ٢٥٧٠ ، والترمذي في الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء: ٢٣٩٩ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ: ١٦٢٢، وأحمد في المسند: ٦/١٨١ .

(٢) أخرجه البخاري في المرض باب شدة المرض حديث: ٥٦٤٧ ، باب أشد الناس بلاءً الأنبياء: ٥٦٤٨ ، وباب وضع اليد على المريض حديث رقم: ٥٦٦٠ ، وباب ما يقال للمريض وما يجيب حديث: ٥٦٦١، وباب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع حديث: ٥٦٦٧ ، ومسلم في البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حديث: ٢٥٧١ ، وأحمد في المسند: ١/٤٥٥.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته حديث: ٤٤٤٢ ، ٤٤٤٥ ، وفي الطب: ٥٧١٤ في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض أو سفر: ٤١٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١/٣١٢ ، والحميدي برقم: ٢٣٣ ، وأحمد في المسند: ٦/١١٧ ، وقد مر جزء منه في حديث: ٨٦٧ ، وسيأتي تمام تخريجه رقم: ٨٧٤ .

به وجعه قال: (هريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن ، لعلي أعهد إلى الناس) ، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي ﷺ ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن . قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم » .

٤ـ خطبته عليه الصلاة والسلام ناعياً نفسه :

٨٧٢ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « خطب النبي ﷺ فقال: (إن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله) ، فبكى أبو بكر رضي الله عنه . فقلت في نفسي: ما يبكي هذا الشيخ ، إن يكن الله خير عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ؟ فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا ، قال: (يا أبا بكر لا تبك ، إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً من أمتي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته . لا يبقين في المسجد باب إلا سد ، إلا باب أبي بكر) لفظ البخاري [(١)] .

وفي لفظ الدارمي بإسناد حسن جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه قوله: «خرج علينا رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه ونحن في المسجد عاصباً رأسه بخرقة حتى أهوى نحو المنبر فاستوى عليه وابتغاه ، قال: (والذي نفسي بيده إني لأنظر إلى الحوض من مقامي هذا) ، ثم قال: (إن عبداً عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة) . قال: فلم يفطن لها غير أبي بكر فذرفت عيناه فبكى . ثم قال: بل نفديك بآبائنا وأمهاتنا وأنفسنا وأموالنا يا رسول الله ، قال: ثم هبط فما قام عليه حتى الساعة »[(٢)] .

٨٧٣ـ ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمدالله وأثنى عليه

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد حديث: ٤٦٦ ، وفي فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: (سدوا الأبواب غير باب أبي بكر) حديث: ٣٦٥٤ ، وفي المناقب باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة حديث: ٣٩٠٤، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث: ٢٣٨٢ ، والترمذي في المناقب باب من فضائل أبي بكر حديث: ٣٦٦١ من طرق عن أبي النضر عن عبيد بن حنين عن أبي سعيد .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة باب وفاة النبي ﷺ: ٣٦/١ .

ثم قال: (إنه ليس من الناس أحد أمنَّ عليَّ في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة ، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن خلة الإسلام أفضل ، سدوا كل خوخة في المسجد غير خوخة أبي بكر) [1] .

وفي لفظ آخر ذكر فيه الأنصار وفضلهم عن ابن عباس بلفظ آخر قوله: «خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه بملحفة قد عصب بعصابة دسماء حتى جلس على المنبر فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن الناس يكثرون ويقل الأنصار ، حتى يكونوا في الناس بمنزلة الملح في الطعام ، فمن ولي منكم شيئاً يضر فيه قوماً وينفع آخرين ، فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم) فكان آخر مجلس جلس فيه النبي ﷺ » [2]

٥ـ أمره أبا بكر أن يصلي بالناس ومراجعة عائشة له:

٨٧٤ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « ثقل النبي ﷺ فقال: (أصلى الناس ؟) قلنا: لا ، هم ينتظرونك ، قال: (ضعوا لي ماء في المخضب). قالت: ففعلنا . فاغتسل فذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال ﷺ: (أصلى الناس؟) قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله .

فقال: ضعوا لي ماءً في المخضب . فقعد فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق فقال: (أصلى الناس؟) فقلنا: لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ـ والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة ـ فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس ، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس ، فقال أبو بكر ـ وكان رجلاً رقيقاً ـ يا عمر صلِّ بالناس ، فقال عمر: أنت أحق بذلك . فصلى أبو بكر تلك الأيام .

ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة ، فخرج بين رجلين ـ أحدهما العباس ـ لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس ـ فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر ، فأومأ إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر فقال: (أجلساني إلى جنبه) ، فأجلساه إلى جنب أبي

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد حديث رقم: ٤٦٧ ، وفي فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً): ٣٦٥٦ ، ٣٦٥٧ ، وفي الفرائض باب ميراث الجد مع الأب والأخوة حديث رقم: ٦٧٣٨ ، وأحمد في المسند ١/ ٢٧٠ ، من طرق عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) أخرجه البخاري في الجمعة باب قول الخطيب أما بعد حديث: ٩٢٧ ، والمناقب باب علامات النبوة حديث: ٣٦٢٨ ، ومناقب الأنصار باب قول النبي: اقبلوا من محسنهم حديث: ٣٨٠٠ .

بكر ، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبي ﷺ ، والناس بصلاة أبي بكر ، والنبي ﷺ قاعد » .

قال عبيدالله: فدخلت على عبدالله بن عباس فقلت له: « ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبي ﷺ ؟ قال: هات: فعرضت عليه حديثها ، فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت: لا . قال: هو علي »[1] .

مراجعة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم في إمامة أبي بكر:

٨٧٥ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت: يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل أسيف »[2] وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس . فلو أمرت عمراً فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف . وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس . فلو أمرت عمر ! فقالت له: فقال رسول الله ﷺ: (إنكن لأنتن صواحب يوسف . مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس) .

قالت فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فقام يهادي بين رجلين ـ ورجلاه تخطان في الأرض . قالت: فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه ذهب يتأخر . فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم مكانك . فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر . قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ .. ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر » واللفظ لمسلم[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب إنما جعل الإمام ليؤتم به حديث: ٦٨٧ ، ومسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما حديث: ٤١٨/ ٩٠ ، والنسائي في الإمامة باب الإئتمام بالإمام يصلي قاعداً: ٢/ ٦٠١ ، حديث: ٨٣٤ ، والبيهقي: ٣/ ٨٠ ، والدارمي في الصلاة باب فيمن يصلي خلف الإمام والإمام جالس: ١/ ٢٨٧ ، وصححه ابن خزيمة: ٣/ ٥٥ برقم: ١٦٢١ ، من طرق عن زائدة بن قدامة حدثنا موسى بن أبي عائشة عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قالت عائشة .

(٢) أسيف: حزين وقيل سريع الحزن والبكاء .

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب حد المريض أن يشهد الجماعة حديث رقم: ٦٦٤ ، وباب من أسمع الناس تكبير الإمام حديث رقم: ٧١٢ ، وباب الرجل يأتم بالإمام حديث: ٧١٣ ، ومسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما حديث: ٤١٨ ، ٩٥ ، ٩٦ ، والنسائي في الإمامة باب الائتمام بالإمام يصلي قاعداً: ٢/ ٩٩، حديث رقم: ٨٣٣، وابن ماجه حديث

سبب مراجعة عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم:

٨٧٦- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أنه يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، ولا كنت أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر »[(١)] .

٦- نعيه نفسه إلى ابنته فاطمة ومسارته لها:

٨٧٧- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « اجتمع نساء النبي ﷺ ، فلم يغادر منهن امرأة ، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ . فقال: (مرحباً بابنتي) فأجلسها عن يمينه أو عن شماله . ثم إنه أسر إليها حديثاً فبكت فاطمة . ثم إنه سارها فضحكت أيضاً . فقلت لها: ما يبكيك ؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ . فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن . فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين؟

وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ . حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني (أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة . وإنه عارضه به في العام مرتين ، ولا أراني إلا قد حضر أجلي . وإنك أولُ أهلي لحوقاً بي . ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك . ثم إنه سارني فقال: (ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين ، أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت لذلك)[(٢)] اللفظ لمسلم.

رقم: ١٢٣٢ ، والبيهقي في الصلاة باب ما روي في صلاة المأموم قائماً وإن صلى الإمام جالساً: ٣/ ٨١، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٤٠٦ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٢١٠ ، ٢٢٤ من طرق عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة .

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٨٧١ ، ٨٧٤ ، من طريق عبيدالله بن عبدالله بن عتبة عن عائشة .

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام حديث: ٣٦٢٣ ، ٣٦٢٥ ، وفي المناقب باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ حديث: ٣٧١٥ ، وفي المغازي باب مرضه ووفاته حديث رقم: ٤٤٣٣، ٤٤٣٤ ، والاستئذان باب من ناجي بين يدي الناس ولم يخبر بسر صاحبه حديث: ٦٢٨٥ ، ٦٢٨٦ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها السلام حديث: ٢٤٥٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف حديث: ١٧٦١٥ ، ١٢/ ٣١٢ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في مرض رسول الله ﷺ حديث رقم: ١٦٢١ ، من طرق عن عامر عن مسروق عن عائشة .

٧ـ شدة تأثره بأكلة السم يوم خيبر:

٨٧٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم) »[١] لفظ البخاري .

٨ـ آخر ما قرأه في صلاة الجماعة:

٨٧٩ـ من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « إن أم الفضل بنت الحارث سمعته وهو يقرأ: والمرسلات عرفاً[٢] فقالت: يا بني ! لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة . إنها لآخر ما سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب » اللفظ لمسلم[٣] .

وفي لفظ البخاري عن أم الفضل بنت الحارث قالت: « سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً ثم ما صلى لنا بعدها حتى قبضه الله » .

٩ـ محاورة بين العباس وعلي في ولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وسلم :

٨٨٠ـ عن عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري ـ وكان كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ـ أن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أخبره:

« أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه ، فقال الناس: يا أبا الحسن ، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمدلله بارئاً .

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث تحت رقم: ٥٦٩ ، في غزوة خيبر .

(٢) ٧٧/المرسلات / الآية ١ .

(٣) أخرجه البخاري في الأذان باب القراءة في المغرب: ٧٣٦ ، والمغازي باب مرض النبي: ٤٤٢٩ ، ومسلم في الصلاة باب القراءة في الصبح: ٤٦٢ ، وأبو داود في الصلاة باب القراءة في المغرب: ٨١٠، والترمذي في الصلاة باب ما جاء في القراءة في المغرب: ٣٠٨ ، والنسائي في الافتتاح باب القراءة في المغرب بالمرسلات: ١٦٨/٢ ، وابن ماجه في الإقامة باب القراءة في صلاة المغرب: ٨٣١ ، والحميدي: ١٦٢/١ ، برقم: ٣٣٨ ، وأبو عوانة: ١٥٣/٢ ، والبيهقي في الصلاة باب من لم يضيق القراءة فيها بأكثر مما ذكرنا: ٣٩٢/٢ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٢٦٩٤ ، وأحمد في المسند: ٣٣٨/٦ ، جميعاً من طرق عن الزهري عن عبيدالله بن عبدالله عن عبدالله بن عباس به .

فاخذ بيده عباس بن عبدالمطلب ، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عبدالعصا ، وإني والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا ، إني لأعرف وجوه بني عبدالمطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ذلك ، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا . فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده ، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ »[1] .

١٠ـ قوله عليه السلام ايتوني بكتاب أكتب لكم.

٨٨١ ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: « يومُ الخميس ! وما يوم الخميس ! ثم بكى حتى بل دمعه الحصى . فقلت[2]: يا ابن عباس ! وما يوم الخميس ؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه . فقال: (ائتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي) فتنازعوا ، وما ينبغي عند نبي تنازع . وقالوا: ما شأنه ؟ أهَجَرَ؟ استفهموه . قال: (دعوني . فالذي أنا فيه خير ، أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم) . قال: وسكت عن الثالثة . أو قالها فنسيتها »[3] .

وفي رواية (لما حُضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ (هلمَّ أكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده) . فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت ، فاختصموا ، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرضه ووفاته ﷺ رقم: ٤٤٤٧ ، وفي الاستئذان باب المعانقة وقول الرجل: كيف أصبحت رقم: ٦٢٦٦ ، وقد أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٥/ ٤٣٥ رقم: ٩٧٥٤ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٢٤٥ ، وعزاه الحافظ ابن حجر في الفتح: ٨/ ١٤٢ ، للإسماعيلي عن الزهري عن عبدالله بن كعب به ، إلا ان عبدالرزاق وابن سعد لم يصرحا باسم ابن كعب بن مالك رضي الله عنه .

(٢) القائل: هو سعيد بن جبير .

(٣) أخرجه البخاري في العلم باب كتابة العلم: ١١٤ ، والجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمة: ٣٠٥٣ ، والجزية باب إخراج اليهود من جزيرة العرب: ٣١٦٨ ، والمغازي باب مرض النبي ووفاته: ٤٤٣١ ، ٤٤٣٢ ، والمرض: ٥٦٦٩ ، والاعتصام باب كراهية الاختلاف: ٧٣٦٦ ، ومسلم في الوصية باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه: ١٦٣٧ ، وأبو داود في الخراج والإمارة والفيء باب إخراج اليهود من جزيرة العرب : ٣٠٢٩ ، وعبدالرزاق برقم : ٩٧٥٧ ، والحميدي: ٥٢٦ ، وأحمد في المسند : ١/ ٢٢٢ ، ٣٢٤ ـ ٣٢٥ ، ٣٥٥ ، جميعاً من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس به .

ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده . ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ: (قوموا) .

قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، من اختلافهم ولغطهم » .

وقال النووي في شرح صحيح مسلم: ١١/ ٩٠ ما نصه: « اعلم أن النبي معصوم من الكذب ، ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته، وحال مرضه ، ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه ، وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها . مما لا نقص فيه لمنزلته ، ولا فساد لما تمهد من شريعته ، وقد سُحِر ﷺ حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ، ولم يصدر منه ﷺ في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها ، فإذا علمت ما ذكرناه ، فقد اختلف الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها ، فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي ﷺ به . فقيل: أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن ، وقيل: أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها ، ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه .

وكان النبي ﷺ هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة ، أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصحلة تركه ، أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول .

وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره . لأنه خشي أن يكتب ﷺ أموراً ربما عجزوا عنها ، واستحقوا العقوبة عليها ، لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها . فقال عمر: حسبنا كتاب الله ، لقوله تعالى: ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾ .

وقوله: ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ، فعلم أن الله تعالى أكمل دينه ، فأمن الضلال على الأمة .

وأراد الترفيه على رسول الله ﷺ ، فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه».

قال الخطابي: « ولا يجوز أن يحمل قول عمر على أنه توهم الغلط على

رسـول الله ﷺ ، أو ظن به غـيـر ذلك مما لا يليق به بحـال . لـكنه لما رأى مـا غلب على رسـول الله ﷺ من الـوجع وقـرب الوفـاة ، مع مـا اعـتـراه من الكرب خاف أن يكون ذلـك القول مما يقوله المـريض مما لا عزيمة له فيـه ، فيـجد المنافـقون بذلك سـبيـلاً إلى الكلام في الدين . وقـد كان أصـحابـه ﷺ يراجعـونه في بعض الأمور قـبل أن يجزم فيهـا بتحتيم ، كما راجعـوه يوم الحديبيـة في الخلاف ، وفي كـتـاب الصلح بينه وبين قـريش . فـأمـا إذا أمـر النبي ﷺ بالشيء أمـر عـزيمة فـلا يراجعه فيه أحد منهم » .

وقـال القـاضي عيـاض: قـوله: « (أهجـر رسـول الله ﷺ) ، هكذا هو في صحيح مسلم وغيره: أهجـر ؟ على الاستفهام وهو أصح من رواية من روى هجر يهـجر . لأن هذا كله لا يصح منه ﷺ . لأن مـعنى هجر هذى. وإنما جـاء هذا من قائله استفهاماً للإنكار على من قـال: لا تكتبوا . أي لا تتركوا أمر رسول الله ﷺ وتجعلوه كأمر من هجر في كلامه ، لأنه ﷺ لا يهجر. وقول عمر رضي الله عنه: حسبنا كتاب الله ، رد على من نازعه ، لا على أمر النبي ﷺ » .

١١ـ توجيه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أحقية أبي بكر بالخلافة من بعده:

٨٨٢ـ من حديث مـحمد بـن جبيـر بن مطعم عن أبيه رضي الله عنهـما: « أن امرأة سألت رسول الله ﷺ شيئاً ، فـأمرها أن ترجع إليه . فقالت: يا رسول الله! أرأيت إن جئت فلم أجدك ؟ قال أبي: كأنهـا تعني الموت ـ قال: (فإن لم تجديني فأتي أبا بكر) »[١] اللفظ للبخاري ومسلم .

٨٨٣ـ من حديث ابن أبي مليكة « سـمعت عائشة ، وسـئلت: من كان رسول الله ﷺ مـسـتخلفاً لو اسـتـخلف ؟ قالت: أبو بكر ، فـقـيل لها: ثم من بعـد أبي بكر؟ قالت: عـمر . ثم قيل لهـا: من بعد عمر ؟ قـالت: أبوعبيـدة بن الجراح . ثم انتهت إلى هذا »[٢] .

(١) أخرجه البـخاري في فـضائل الصـحابة باب لو كنت متـخـذاً خليـلاً حـديث: ٣٦٥٩ ، والأحكام باب الاستخلاف حديث: ٧٢٢٠ ، والاعتصام باب الأحكام التي تعرف بالدلائل: ٧٣٦٠ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب في فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث: ٢٣٨٦ ، والترمذي في المناقب باب: ١٧ ، حديث رقم: ٣٦٧٦ ، والحميدي رقم: ٥٥٩ ، وأحمد في المسند: ٤/٨٢/٨٣ ، والطبراني في المعجم الكبير: ١٥٥٧ ، والطيالسي: ٢/١٦٩ حديث رقم: ٢٦٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه حديث رقم: ٢٣٨٥، وأحمد في المسند: ٦/٦٣ ، وفضائل الصحابة حديث رقم: ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، وابن سعد: ٣/١٨١ ، والدولابي في الكنى: ٢/٣٩ .

٨٨٤ـ ومن حديث عائشة قالت: « قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: (ادع لي أبا بكر ، وأخاك ، حتى أكتب كتاباً ، فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل: أنا أولى . ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) [1] .

وفي لفظ البخاري: « قالت عائشة: وارأساه ، فقال رسول الله ﷺ: (ذاك لو كان وأنا حي فأستغفر لك وادعو لك). فقالت عائشة: واثكلياه ، والله إني لأظنك تحب موتي ، ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك .

فقال النبي ﷺ: (بل أنا وارأساه ، لقد هممت ـ أوأردت ـ أن أرسل إلى أبي بكر وابنه فأعهد ، أن يقول القائلون ، أو يتمنى المتمنون ، ثم قلت: يأبى الله، ويدفع المؤمنون . أو يدفع الله ، ويأبى المؤمنون) .

وفي لفظ للإمام أحمد ، قالت عائشة: « لما مرض رسول الله ﷺ في بيت ميمونة ، فاستأذن نساءه أن يمرض في بيتي ، فأذن له ، فخرج رسول الله ﷺ معتمداً على العباس وعلى رجل آخر ، رجلاه تخطان في الأرض ـ وقال عبيد الله فقال ابن عباس: أتدري من ذلك الرجل هو علي بن أبي طالب ، ولكن عائشة لا تطيب لها نفساً .

قال الزهري: فقال النبي ﷺ وهو في بيت ميمونة لعبدالله بن زمعة: (مر الناس فليصلوا) ، فلقي عمر بن الخطاب فقال: يا عمر صل بالناس . فصلى بهم ، فسمع رسول الله ﷺ صوته فعرفه ، وكان جهير الصوت ، فقال رسول الله ﷺ: (أليس هذا صوت عمر ؟) قالوا: بلى ، قال: (يأبى الله جلَّ وعزَّ ذلك والمؤمنون ، مروا أبا بكر فليصل بالناس) .

قالت عائشة: يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق لا يملك دمعه ، وإنه إذا قرأ القرآن بكى . قالت: وما قلت ذلك إلا كراهية أن يتأثم الناس بأبي بكر ، أن يكون أول من قام مقام رسول الله ﷺ ، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس)، فراجعته . فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس ، إنكن صواحب يوسف) .

---

(١) أخرجه البخاري في المرض باب ما يرخص للمريض أن يقول إني وجع حديث: ٥٦٦٦ ، والأحكام باب الاستخلاف: ٧٢١٧ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل ابي بكر : ٣٢٨٧ ، والطيالسي : ٢/ ١٦٨ـ ١٦٩ ، حديث رقم: ٢٦٣١ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٣٤ ، ٤٧ ، ١٤٤ ، وفضائل الصحابة: ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٦٠٠ ، وابن سعد في الطبقات: ٣/ ١٨٠ ، وابن أبي عاصم في السنة: ١١٥٦ ، ١١٦٣ .

١٢ـ صلاة الصحابة خلف النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه وهو جالس:

٨٨٥ ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « اشتكى رسول الله ﷺ، فدخل عليه ناس من أصحابه يعودونه . فصلى رسول الله ﷺ جالساً . فصلوا بصلاته قياما ، فأشار إليهم: أن اجلسوا ، فجلسوا . فلما انصرف قال: (إنما جعل الإمام ليؤتم به ، فإذا ركع فاركعوا ، وإذا رفع فارفعوا ، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً) [(١)] .

١٣ـ قصة اللدود:

٨٨٦ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لددنا [(٢)] رسول الله ﷺ في مرضه ، وجعل يشير إلينا لا تلدوني ، فقلنا كراهية المريض بالدواء ، فلما أفاق قال: (ألم أنهكن أن تلدوني !) قال: قلنا كراهية للدواء ، فقال رسول الله ﷺ: (لا يبقى منكم أحد إلا لُد ، وأنا أنظر ، إلا العباس فإنه لم يشهدكم) اللفظ للبخاري .

وفي لفظ للإمام أحمد ما نصه: عن هشام بن عروة قال أخبرني أبي أن عائشة قالت له: « يا ابن أختي لقد رأيت من تعظيم رسول الله ﷺ عمه « أي العباس » أمراً عجيباً ، وذلك أن رسول الله ﷺ كانت تأخذه الخاصرة ، فيشتد به جداً ، فكنا نقول أخذ رسول الله ﷺ عرق الكلية ، لا نهتدي أن نقول الخاصرة ، ثم أخذت رسول الله ﷺ يوماً ما ، فاشتدت به جداً حتى أغمي عليه ، وخفنا عليه وفزع الناس إليه .

فقلنا: إن به ذات الجنب فلددناه ، ثم سرى عن رسول الله ﷺ وأفاق وعرف أنه قد لد ووجد أثر اللدود فقال: (ظننتم أن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ سلطها عليّ ؟ ما

---

(١) أخرجه البخاري في الأذان باب إنما جعل الإمام ليؤتم به: ٦٨٨ ، وفي تقصير الصلاة باب صلاة القاعد: ١١١٣ ، وفي السهو باب الإشارة في الصلاة: ١٢٣٦ ، والمرضى باب إذا عاد مريضاً فحضرت الصلاة فصلى بهم جماعة: ٥٦٥٨ ، ومسلم في الصلاة باب إتمام المأموم بالإمام حديث رقم: ٤١٢ ، وأبو داود في الصلاة باب الإمام يصلي من قعود: ٦٠٥ ، ومالك في الموطأ في صلاة الجماعة باب صلاة الإمام وهو جالس: ١/ ١٣٥ ، والبيهقي: ٣/ ٧٩ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٤٠٤ ، وابن خزيمة: ١٦١٤ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٥١ ، ٥٧ ـ ٥٨ ، ٦٨ ، ١٤٨ ، ١٩٤ ، من طريق هشام بن عروة عن أبيه به .

(٢) لددناه: صببنا الدواء في أحد جانبي فمه، واللدود بفتح اللام ـ هو الدواء الذي يصب في أحد جانبي الفم . وبضم اللام: هو الفعل ، أي فعل ذلك .

كـان الله ليسلطها عليَّ، والذي نفسي بيده لا يبقى أحد في البيت إلا لد، إلا عَمي» .

فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً .

قالت عائشة: ومن في البيت يومئذ يذكر فضلهم .

فلد الرجال أجمعون ، وبلغ اللدود أزواج النبي ﷺ فلددن امرأة امرأة حتى بلغ اللدود امرأة منا قالت: إني والله صائمة ، فقلنا: بئسما ظننت أن نتركك ، وقد أقسم رسول الله ﷺ ، فلددناها والله يا ابن أختي وإنها لصائمة »[1].

اشتداد المرض على النبي صلى الله عليه وسلم :

٨٨٧ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه ، فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) ، فلما قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس ، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب »[2] .

٨٨٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله ﷺ إذا مرض أحد من أهله ، نفث عليه بالمعوذات ، فلما مرض مرضه الذي مات فيه ، جعلت ، أنفث عليه وأمسحه بيد نفسه ، لأنها كانت أعظم بركة من يدي »[3] .

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ ووفاته: ٤٤٥٨ ، والطب باب اللدود: ٥٧١٢ ، والديات باب القصاص بين الرجال والنساء في الجراحات: ٦٨٨٦ ، وباب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب أن يقتص منهم كلهم: ٦٨٩٧ ، ومسلم في السلام باب كراهية التداوي باللدود: ٢٢١٣ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢/ ٣٨٠ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/١/٣٠ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٥٣، ١١٨ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ووفاته حديث: ٤٤٦٢ ، والترمذي في الشمائل حديث: ٣٧٩ ، والنسائي في الجنائز باب البكاء على الميت: ٤/ ١٢ ـ ١٣ ، وابن ماجه في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه حديث: ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، والدارمي في المقدمة باب وفاة النبي: ١/ ٤٠ ـ ٤١ ، والبيهقي في الجنائز: ٤/ ٧١ ، وأحمد في المسند: ٣/ ١٤١، ١٩٧ ، وابن حبان كما في الإحسان رقم: ٦٥٧٩ ، ٦٥٨٨ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ووفاته رقم: ٤٤٣٩ ، ومسلم في السلام باب رقية المريض بالمعوذات والنفث: ٢١٩٢ ، والنسائي في وفاة النبي ﷺ: ١٠ وابن حبان: ٦٥٥٦ .

١٤ـ دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة بن زيد:

٨٨٩ـ من حديث أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال: « لما ثقل رسول الله ﷺ هبطت وهبط الناس المدينة ، فدخلت على رسول الله ﷺ وقد أصمت فلم يتكلم ، فجعل رسول الله ﷺ يضع يديه عليَّ ويرفعهما فأعرف أنه يدعو لي »[1] اللفظ للترمذي .

١٥ـ من آخر وصاياه عليه الصلاة والسلام:

٨٩٠ـ من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « كشف رسول الله ﷺ الستارة ، والناس صفوف خلف أبي بكر . فقال: (أيها الناس ! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلاّ الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو ترى له . ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل ، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء ، فقمن يستجاب لكم) اللفظ لمسلم .

وفي لفظ قال: « كشف رسول الله ﷺ الستر ، ورأسه معصوب في مرضه الذي مات فيه . فقال: (اللهم ! هل بلّغتُ ؟) ثلاث مرات (إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا يراها العبد الصالح أو ترى له) ثم ذكر بقية الحديث .[2]

٨٩١ ـ ومن حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « كان آخر كلام رسول الله ﷺ: (الصلاة الصلاة ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم) »[3].

---

(١) اخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب أسامة: ٣٨١٧ ، وأحمد: ٥/ ٢٠١ ، والطبراني في المعجم الكبير: ٣٧٧ ، والطبراني في تاريخه: ٣/ ١٩٥ ، وابن هشام في السيرة: ٢/ ٦٥١ ، جميعاً من طريق ابن إسحاق ، وإسناده صحيح لأن ابن إسحاق قد صرح بالتحديث في رواية الإمام أحمد وفي سيرة ابن هشام فزالت تهمة التدليس .

(٢) اخرجه مسلم في الصلاة باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود: ٤٧٩ ، وأبو داود في الصلاة باب في الدعاء في الركوع والسجود: ٨٧٦ ، والنسائي في الافتتاح باب تعظيم الرب في الركوع والسجود: ٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠ ، وابن ماجه في تعبير الرؤيا باب الرؤيا الصالحة: ٣٨٩٩ ، والحميدي: ٤٨٩، وعبدالرزاق: ٢٨٣٩، والدارمي في الصلاة باب النهي عن القراءة في الركوع والسجود: ١/ ٣٠٤، وأبو عوانة: ٢/ ١٧٠، والبيهقي في الصلاة: ٢/ ٨٧ ـ ٨٨ ، والطحاوي في شرح معاني الآثار: ١/ ٢٣٤، وأحمد: ١/ ٢١٩ ، وصححه ابن خزيمة: ٥٤٨ .

(٣) اخرجه أبو داود في الأدب باب في حق المملوك: ٥١٥٦ ، وابن ماجه في الوصايا باب هل أوصى رسول الله ﷺ: ٢٦٩٨ ، وأحمد: ١/ ٧٨ ، والبيهقي في سننه: ٨/ ١١ ، وهو صحيح لشواهده فقد جاء عن انس وأم سلمة وسيأتي تخريج هذين الحديثين فيما يلي هذا الحديث .

٨٩٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « كان عامة وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بنفسه:

(الصلاة ، وما ملكت أيمانكم) »[1].

١٦ـ خروج النبي صلى الله عليه وسلم وائتمام أبي بكر به وائتمام الناس بأبي بكر:

٨٩٣ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما ثقل رسول الله ﷺ جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال: (مروا أبا بكر فليصل بآلناس) ، قالت: فقلت: يا رسول الله ! إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر . فقال: (مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فقلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ! فقالت له ، فقال رسول الله ﷺ (إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس) قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس » .

قالت: فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة ، فقام يهادي بين رجلين ، ورجلاه تخطان في الارض ، قالت: فلما دخل المسجد ، سمع أبو بكر حسه . ذهب يتأخر فأومأ إليه رسول الله ﷺ قم مكانك . فجاء رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر . قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً ، وابو بكر قائماً ، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ، ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر »[2] اللفظ لمسلم .

١٧ـ نهيه عن اتخاذ القبور مساجد:

٨٩٤ـ من حديث جندب بن عبدالله البجلي رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الوصايا باب هل أوصى رسول الله ﷺ: ٢٦٩٧ ، وأحمد: ٣/١١٧ ، وابن حبان كما في الإحسان: ٦٥٧١ ، والنسائي كما في وفاة النبي ﷺ: ١٨ ، ١٩ ، والحاكم: ٣/٥٧ ، وسقط من إسناده عند الحاكم قتادة وإسناده صحيح لغيره ، لشواهد من حديث علي وأم سلمة ، وأما حديث علي فقد سبق إخراجه وأما حديث أم سلمة فأخرجه ابن ماجه في الجنائز حديث: ١٦٢٥ ، وأحمد: ٦/٣١١ ـ ٣٢١ ، وقال البوصيري: إسناده صحيح على شرط الصحيحين .

(٢) سبق تخريجه برقم: ٨٧٥ .

(قد كان لي فيكم إخوة وأصدقاء ، وإني أبرأ إلى الله أن يكون لي فيكم خليل ، وإن الله - عز وجل - اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك)[1] اللفظ لأبي عوانة .

٨٩٥- من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهم: « أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له ، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: (لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد). تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا »[2].

٨٩٦- من حديث أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: « آخر ما تكلم به النبي ﷺ: (أخرجوا يهود أهل الحجاز ، وأهل نجران من جزيرة العرب ، واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبورهم أنبيائهم مساجد)[3] .

١٨- البحة التي أصابته صلى الله عليه وسلم وتخييره بين الدنيا والآخرة:

٨٩٧- من حديث عائشة قالت: « كنت أسمع أنه لن يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة . قالت: فسمعت النبي ﷺ في مرضه الذي مات فيه ، وأخذته بُحَّةٌ ، يقول: ﴿ **مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾[4] .

---

(١) اخرجه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ٥٣٢ ، وأبو عوانة: ١/ ٤٠١ ، والطبراني في المعجم الكبير: ١٦٨٦ ، وابن سعد: ٢/ ٢٤٠ ، إلا أن ابن سعد أخرجه مختصراً .

(٢) أخرجه البخاري في الصلاة باب ٥٥ حديث رقم: ٤٣٥ ، وانظر الأحاديث: ١٣٣٠ ، ١٣٩٠ ، ٣٤٥٣، ٤٤٤١ ، ٤٤٤٣ ، ٥٨١٥ ، مسلم في المساجد باب النهي عن بناء المساجد على القبور: ٥٣١، والنسائي في المساجد باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد: ٢/ ٤٠ ، وأبو عوانة: ١/ ٣٩٩ ، والدارمي: ١/ ٣٢٦ ، واحمد في المسند: ١/ ٢١٨ ، ٦/ ٣٤ ، ٢٢٩ ، ٢٧٥ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٢٥٨.

(٣) اخرجه احمد: ١/ ١٩٥ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ٤/ ١٣ ، وأبو يعلى: ٨٧٢ ، بسند صحيح ، وقال الهيثمي في المجمع: ٥/ ٣٢٥ ، رواه احمد باسانيد ورجال طريقين منها ثقات متصل إسنادهما ، ورواه أبو يعلى ، وقال في المجمع: ٢/ ٢٨: رواه البزار ورجاله ثقات » .

(٤) النساء آية: ٦٩ .

قالت: فظننته خير حينئذ »[1] .

وفي رواية قالت عائشة: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح « إنه لم يقبض نبي قط ، حتى يرى مقعده في الجنة ثم يخير) قالت عائشة: فلما نزل برسول الله ﷺ ، ورأسه على فخذي ، غشي عليه ساعة ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ، ثم قال: (اللهم ! الرفيق الأعلى) .

قالت عائشة: قلت: إذاً لا يختارنا .

قالت عائشة: وعرفت الحديث الذي يحدثنا به وهو صحيح في قوله: (إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ، ثم يخير) .

قالت عائشة: فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ قوله: (اللهم الرفيق الأعلى) .

١٩ـ تسوكه قبيل موته:

٨٩٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته.

دخل علي عبدالرحمن وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ ، فرأيته ينظر إليه ، وعرفت أنه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت: ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن (نعم) ، فلينته فأمره، وبين يديه ركوه ـ أو علبة يشك عمر ـ فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: (لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات) ، ثم نصب يده فجعل يقول: (في الرفيق الأعلى) ، حتى قبض ومالت يده »[2] .

---

(١) اخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ﷺ: ٤٤٣٥ ، وانظر: ٤٤٣٦ ، ٤٤٣٧ ، ٤٤٦٣ ، ٤٥٨٦ ، ٦٣٤٨ ، ٦٥٠٩ ، ومسلم في فضائل الصحابة باب فضل عائشة: ٢٤٤٤، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ: ١٦٢٠ ، الطيالسي: ٢/١١٣ ـ ١١٤ حديث: ٢٣٩٠، وأحمد في المسند: ٦/٤٨ ، ١٧٦ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٧٤ ،من طرق عن عائشة .

(٢) اخرجه البخاري في الجمع باب من تسوك بسواك غيره: ٨٩٠ ، وانظر الأرقام التالية: ١٣٨٩ ، ٣١٠٠، ٣٧٧٤ ، ٤٤٣٨ ، ٤٤٤٩ ، ٤٤٥٠ ، ٤٤٥١ ، ٥٢١٧ ، ٦٥١٠ ، والنسائي في الجنائز باب شدة الموت: ٤/٦ ـ ٧ ، وأحمد في المسند: ٦/٤٨ ، ١٢١ ، ٢٠٠ ، من طرق عنها .

٢٠ـ آخر ابتسامة ابتسمها النبي صلى الله عليه وسلم:

٨٩٩ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه « أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسول الله ﷺ الذي توفي فيه . حتى إذا كان يوم الإثنين . وهم صفوف في الصلاة . كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة فنظر إلينا وهو قائم ، كأن وجهه ورقة مصحف [١] ، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً .

قال: فبهتنا ونحن في الصلاة ، من فرح بخروج رسول الله ﷺ ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف ، وظن أنّ رسول الله ﷺ خارج للصلاة. فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده: (أن أتموا صلاتكم) . قال: ثم دخل رسول الله ﷺ ثمَّ فأرخى الستر . قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك » [٢].

٢١ـ متى توفي صلى الله عليه وسلم:

٩٠٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فقال: في كم كفنتم النبي ﷺ ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحوليه ليس فيها قميص ولا عمامة .

وقال لها: في أي يومٍ توفي رسول الله ﷺ ؟ قالت: يوم الإثنين .

قال: فأي يوم هذا؟ قالت: يوم الإثنين قال: أرجو فيما بيني وبين الليل . فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه ، به ردع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا، وزيدوا عليه ثوبين فكفنوني فيهما . قلت: إن هذا خلق . قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت ، إنما هو للمهلة . فلم يتوف حتى أمسى من ليلة الثلاثاء، ودفن قبل أن يصبح » [٣] اللفظ للبخاري .

---

(١) كان وجهه ورقة مصحف: عبارة عن الجمال البارع وحسن البشرة وصفاء الوجه واستنارته .

(٢) أخرجه البخاري في الأذان باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة: ٦٨٠ ، وانظر الأرقام: ٦٨١ ، ٧٥٤، ١٢٠٥ ، ٤٤٤٨ ، مسلم في الصلاة باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما: ٤١٩ ، والنسائي في الجنائز باب الموت يوم الإثنين: ٤/ ٧ ، الترمذي في الشمائل: ٣٦٧ ، ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله ﷺ: ١٦٢٤ ، والحميدي: ١١٨٨ ، والبيهقي في السنن: ٣/ ٧٥ ، واحمد في المسند: ٣/ ١١٠ ، ١٦٣ ، ١٩٦ ، ٢١١ جميعاً من طريق عن أنس .

(٣) البخاري في الجنائز باب موت يوم الإثنين: ١٣٨٧ ، والبيهقي في الجنائز باب جماع أبواب وقت الصلاة على الجنائز: ٤/ ٣١ ، وابن سعد في الطبقات: ٣/ ١/ ١٤٣ ، واحمد في المسند: ٦/ ١١٨ ، ١٣٢ ، من طرق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

٢٢ـ خطبة عمرو وأبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم:

٩٠١ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « ... ولم أمرض أحداً قبله. فبينما رأسه ذات يوم على منكبي ، إذ مال رأسه نحو رأسي ، فظننت أنه يريد من رأسي حاجة ، فخرجت من فيه نطفة باردة ، فوقعت على ثغرة نحري ، فاقشعر لها جلدي ، فظننت أنه غشي عليه ، فسجيته ثوباً .

فجاء عمر والمغيرة بن شعبة فاستأذنا ، فأذنت لهما وجذبت إليّ الحجاب ، فنظر عمر إليه فقال: واغشياه ما أشد غشي رسول الله ﷺ ثم قاما ، فلما دنوا من الباب ، قال المغيرة: يا عمر مات رسول الله ﷺ ، قال: كذبت ، بل أنت رجل تحوسك فتنة . إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله عز وجل المنافقين.

ثم جاء أبو بكر فرفعت الحجاب ، فنظر إليه وقال: إنالله وإنا إليه راجعون ، مات رسول الله ﷺ ، ثم أتاه من قبل رأسه فحدر فاه ، وقبل جبهته ثم قال: وانبياه ، ثم رفع رأسه ثم حدر فاه وقبل جبهته ، ثم قال: واصفياه ، ثم رفع رأسه وحدرفاه وقبل جبهته وقال: واخليلاه مات رسول الله ﷺ .

فخرج إلى المسجد ، وعمر يخطب الناس ويتكلم ويقول: إن رسول الله ﷺ لا يموت حتى يفني الله ـ عز وجل ـ المنافقين ، فتكلم أبو بكر: فحمدالله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عز وجل يقول: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ حتى فرغ من الآية. ﴿ **وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم** ﴾ حتى فرغ من الآية فمن كان يعبد الله عز وجل ، فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، فقال عمر: وإنها لفي كتاب الله ما شعرت أنها في كتاب الله ، ثم قال عمر: يا أيها الناس هذا أبو بكر وهو ذو شيبة المسلمين فبايعوه فبايعوه »[1] .

٩٠٢ـ من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما: « أن أبا بكر رضي الله

---

(١) أخرجه أحمد: ٣١/٦ ، مختصراً: ٢١٩/٦ـ ٢٢٠ ، مطولاً ، والترمذي في الشمائل برقم: ٣٧٣ ، وأبو يعلى: ٤٨ ، وابن سعد: ٢٦٧/٢ ، وفيه يزيد بن بابنوس ما روى عنه غير أبي عمران الجوني ، وقال الدار قطني: (لا باس به) وذكره ابن حبان في الثقات فهو حسن الإسناد إن شاء الله تعالى .

عنه قبل النبي ﷺ بعد موته »[1] .

٩٠٣- من حديث عائشة رضي الله عنها: « أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح ، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشي بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ، ثم أكب عليه فقبله وبكى ، ثم قال: بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتين ، أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها »[2] .

٩٠٤- من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: « أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر ، فأبى عمر أن يجلس ، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر . فقال أبو بكر: « أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ، ومن كان منكم يعبدالله فإن الله حيٌ لا يموت ، قال الله ﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل - إلى قوله - الشاكرين ﴾[3] .

وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها .

فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها ، علمت أن النبي ﷺ قد مات »[4] .

٢٣- قصة سقيفة بني ساعدة:

٩٠٥- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كنت أقرئ رجالاً من المهاجرين منهم عبدالرحمن بن عوف ، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي باب مرض النبي ووفاته: ٤٤٥٥ ، وفي الطب باب اللدود: ٥٧٠٩ ، والنسائي في الجنائز باب تقبيل الميت: ٤/١١ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في تقبيل الميت: ١٤٥٧، وأحمد في المسند: ٦/٥٥ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه: ١٢٤١ وأطرافه: ٣٦٦٧ ، ٣٦٦٩ ، ٤٤٥٢ ، ٤٤٥٥ ، ٥٧١٠ ، والنسائي في الجنائز باب تقبيل الميت: ٤/١١ ، وابن ماجه في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ رقم: ١٦٢٧ .

(٣) آل عمران: آية: ١٤٤ .

(٤) البخاري في الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه: ١٢٤٢ ، وأطرافه: ٣٦٦٨، ٣٦٧٠ ، ٤٤٥٣ ، ٤٤٥٤ ، ٤٤٥٧ ، ٥٧١١ .

الخطاب في آخر حجة حجها ، إذ رجع إليَّ عبدالرحمن فقال:

لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين ، فقال: يا أمير المؤمنين ، هل لك في فلان يقول: والله لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً ، فوالله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة فتمت ، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشية في الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم . قال عبدالرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع [1] الناس وغوغائهم ، فإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس . وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطيرها عنك كل مُطيِّر . وأن لا يعوها ، وأن لا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار الهجرة والسُّنة فتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت متمكناً ، فيعي أهل العلم مقالتك ، ويضعونها على مواضعها . فقال عمر: أما والله ـ إن شاء الله ـ لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

قال ابن عباس: فقدمنا المدينة في عقب ذي الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر ، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب فلما رأيته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولن العشية مقالة لم يقلها منذ استخلف . فأنكر علي وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله! فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون قام ، فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: « أما بعد: فإني قائل لكم مقالة قد قدر لي أن أقولها ، لا أدري لعلها بين يدي أجلي ، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشي أن لا يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب علي ، إن الله بعث محمداً ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل الله آية الرجم ، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله، والرجم في كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف . ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: (لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم) ـ (أو إن كفراً بكم أن ترغبوا عن آبائكم) ـ ألا ثم إن رسول الله ﷺ قال: (لا تطروني كما

---

(١) الرعاع: أساقط الناس .

أطري عيسى بن مريم وقولوا عبدالله ورسوله) .

ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول والله لو قد مات عمر بايعت فلاناً ، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ، الا وإنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها ، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر.

من بايع رجلاً من غير مشورة من المسلمين ، فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا [1] ، وإنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه ﷺ ، أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر: يا أبا بكر ، انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلان صالحان فذكرا ما تمالأ عليه القوم فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقالا: لا عليكم أن لا تقربوهم ، اقضوا أمركم . فقلت: والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم في سقيفة بني ساعدة ، فإذا رجل مزمل [2] بين ظهرانيهم ، فقلت: من هذا ؟ فقالوا: هذا سعد بن عبادة ، فقلت: ما له ؟ قالوا: يوعك .

فلما جلسنا قليلاً تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم [3] ، فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يخصنونا من الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم ـ وكنت قد زورت مقالة [4] اعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ـ وكنت أداري منه بعض الحد [5]، فلما أردت أن اتكلم قال أبو بكر: على رسلك . فكرهت أن أغضبه . فتكلم أبو بكر ، فكان هو أحلم مني وأوقر ، والله ما ترك من كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها حتى سكت .

فقال: ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا

---

(١) تغرة أن يقتلا: أي جميعاً .

(٢) رجل مزمل: أي ملتف يقال تزمل الرجل إذا التف في كساء أو غيره .

(٣) وقد دفت دافة: الدافة: الجماعة تأتي من البادية إلى الحاضرة والدافة أيضاً: الجماعة تسير في رفق .

(٤) وقد زورت مقالة: زور الكلام إذا أصلحه وحسنه .

(٥) اداري منه بعض الحد: اي انه كان في خلقه حده ، فكان عمر رضي الله عنه يداريه .

الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسباً [١] وداراً [٢] ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم - فأخذ بيدي ويد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا . فلم أكره مما قال غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقي لا يقربني ذلك من إثم أحب إلي من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسول لي نفسي عند الموت شيئاً لا أجده الآن .

فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكك [٣] . وعذيقها المرجب [٤]. منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش . فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى فرقت من الاختلاف ، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، وبايعه المهاجرون ، ثم بايعته الأنصار ، ونزونا على سعد بن عبادة [٥] ، فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، قلت: قتل الله سعد بن عبادة .

قال عمر: وإنا والله ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة ، أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا ، فإما بايعناهم على ما لا نرضى ، وإما نخالفهم فيكون فساداً ، فمن بايع رجلاً على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا » [٦] .

---

(١) أوسط العرب نسباً: يعني أشرفهم ، قال الله تعالى: ﴿ وكذلك جعلناك أمة وسطاً ﴾ .

(٢) وداراً: يعني مكة لأنها أشرف البقاع .

(٣) جذيلها المحكك وعذيقها المرجب: الجذيل تصغير جذل ، وهو العود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتستريح إليه ، فتضرب به العرب المثل للرجل يستشفي برأيه وتوجد الراحة عنده ، وعذيق تصغير عذق وهو النخلة بنفسها .

(٤) المرجب: الذي تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ، وتضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه واسم الدعامة التي تدعم بها النخلة الرجبية وفيه اشتقاق شهر رجب ، لأنه يعظم في الجاهلية والإسلام .

(٥) ونزونا على سعد بن عبادة: ارتفعنا ووطئنا عليه .

(٦) أخرجه البخاري في المظالم باب ما جاء في السقائف: ٢٤٦٢ ، وانظر أطرافه: ٣٤٤٥ ، ٣٩٢٨ ، ٤٠٢١ ، ٦٨٢٩ ، ٦٨٣٠ ، ٧٣٢٣ ، ومسلم في الحدود باب رجم الثيب في الزنا: ١٦٩١ ، وأبو داود في الحدود باب في الرجم: ٤٤١٨ ، والترمذي في الحدود باب ما جاء في تحقيق الرجم: ١٤٣٢، وابن ماجه في الحدود: ٢٥٥٣ ، والدارمي: ٢/ ١٧٩ ، وابن الجارود: ٨١٢ ، والبيهقي: ٨/ ٢١١ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٥/ ٤٣٩ - ٤٤٥ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٢٦٩ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٩ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٥ ، ٥٦ ، من طريق عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس تارة مطولاً وتارة مختصراً .

وقد جاء من حديث ابن مسعود قوله: لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار: منا أمير وفيكم أمير ، فأتاهم عمر فقال: يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ أمر أبا بكر أن يصلي بالناس فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبابكر ؟ قالت الأنصار: نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر » .

أخرجه الحاكم: ٣/ ٦٧ ، وأحمد: ١/ ٣٩٦ ، ٤٠٥ ، وابن سعد: ٣/ ١٧٨ - ١٧٩ ، وقال الحاكم صحيح الإسناد ووافقه الذهبي .

٢٤ـ خطبة عمر وأبي بكر قبل وبعد البيعة:

٩٠٦ـ ومن حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبي بكر، فحمدالله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

« أيها الناس إني كنت قلت لكم بالأمس مقالة ، ما كانت مما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهده إلي رسول الله ﷺ ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا ، يقول: يكون آخرنا ـ وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى الله رسوله ﷺ ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ﷺ ثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوه » .

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال: « أما بعد أيها الناس ، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لي عليكم ، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله »[(١)] .

٢٥ـ قصة مبايعة علي والزبير:

٩٠٧ـ من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: « لما توفي رسول الله ﷺ قام خطباء الأنصار فجعل الرجل منهم يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٥/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨ ،وسنده صحيح ، وابن إسحاق في السيرة كما في سيرة ابن هشام: ٢/ ٦٦٠ـ٦٦١ ، وسنده صحيح ، وصرح ابن إسحاق بالتحديث ، ومن طريقه في تاريخ الطبري: ٣/ ٢٠٣ ، وابن سعد في الطبقات: ٢/ ٢٧١ ، مرسلاً عن الزهري ، وابن حبان في صحيحه كما في الموارد: ص ٥٣٣ ـ ٥٣٤ ، وفي سنده محمد بن أبي السري وفيه كلام انظر الميزان: ٤/ ٢٣ـ ٢٤، فيكون الحديث صحيحاً من طريق ابن إسحاق وعبدالرزاق، وصححه ابن كثير في السيرة : ٤/ ٤٩٢ ـ ٤٩٣ وهذا إسناد صحيح .

الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا استعمل رجلاً منكم قرن معه رجلاً منا فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان أحدهما منكم ، والآخر منا .

قال: فتتابعت خطباء الأنصار على ذلك فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين ، وإن الإمام يكون من المهاجرين ، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله ﷺ فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال: جزاكم الله خيراً يا معشر الأنصار وثبت قائلكم ثم قال: أما لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم ، ثم أخذ زيد بن ثابت بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه .

ثم انطلقوا، فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير علياً فسأل عنه فقام ناس من الأنصار فأتوا به .فقال أبو بكر: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟

فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه . ثم لم ير الزبير بن العوام فسأل عنه حتى جاءوا به .

فقال: ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ؟ فقال مثل قوله: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعاه »[1] .

٢٦ـ قصة تغسيله صلى الله عليه وسلم:

٩٠٨ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: والله ما ندري أنجرد رسول الله ﷺ من ثيابه ، كما نجرد موتانا ، أم نغسله وعليه ثيابه ، فلما اختلفوا ، ألقى الله عز وجل النوم حتى ما فيهم رجل إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو ، أن اغسلوا النبي ﷺ وعليه ثيابه فقاموا إلى رسول الله ﷺ ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه بالقميص دونه أيديهم ، فكانت عائشة تقول:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: ٣/ ٧٦ ، ومن طريقه أخرجه البيهقي في قتال أهل البغي باب الأئمة من قريش: ٨/ ١٤٣ ، وقال البيهقي: قال أبو علي الحافظ: سمعت محمد بن إسحاق بن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث ، فكتبته له في رقعة وقرأته عليه فقال: هذا حديث يسوي بدنة . فقلت: يسوى بدنه بل يسوي بدرة .

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي ، وقال ابن كثير في السيرة: ٤/ ٤٩٥ هذا إسناد صحيح محفوظ من حديث أبي نضرة المنذر بن مالك بن قطعة ، عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري .

لو استقبلت من أمري ، ما استدبرت ، ما غسله إلا نساؤه » اللفظ لأبي داود[1].

٩٠٩ـ من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: « غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئاً ، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً . ولي دفنه وإجنانه دون الناس أربعة: علي والعباس والفضل وصالح مولى رسول الله ﷺ ، ولحد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحداً ، ونصب عليه اللبن نصباً »[2].

٢٧ـ صفة كفنه صلى الله عليه وسلم:

٩١٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية[3] ، من كرسف[4] ، ليس فيها قميص ، ولا عمامة. أما الحلة ، فإنما شبه على الناس فيها ، أنها اشتريت له ليكفن فيها ، فتركت الحلة، كفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية . فأخذها عبدالله بن أبي بكر . فقال: لأحبسنها حتى أكفن فيها نفسي ، ثم قال: لو رضيها الله عز وجل لنبيه لكفنه فيها. فباعها وتصدق بثمنها »[5] اللفظ لمسلم.

---

(١) اخرجه أبو داود في الجنائز باب في ستر الميت عند غسله: ٣١٤١ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في غسل الرجل امرأته: ١٤٦٤ ، والحاكم في المستدرك: ٣/٥٩، والبيهقي في الجنائز باب غسل المرأة زوجها: ٣/٣٩٨ ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي وابن حبان كما في الإحسان ٦٥٩٣ ، ٦٥٩٤ ، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: ٢/٢٥ : هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، ومحمد بن إسحاق وإن كان مدلساً ورواه بالعنعنة في هذا الإسناد فقد رواه ابن الجارود ، وابن حبان والحاكم في المستدرك من طريق ابن إسحاق مصرحاً بالتحديث فزالت تهمة تدليسه ، ورواه الإمام الشافعي في مسنده من هذا الوجه ، ورواه البيهقي من طريق الحاكم ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق محمد بن إسحاق ، حدثنا يحيى بن عباد ، قد كره بزيادة طويلة كما بينته في زوائد المسانيد العشرة ».

(٢) أخرجه الحاكم: ١/٣٦٢ ، والبيهقي: ٤/٥٣ ، وإسناده صحيح ، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي ، وأخرجه ابن ماجه في الجنائز ، باب ما جاء في غسل النبي ﷺ رقم: ١٤٦٧ .

(٣) سحولية: بفتح السين وضمها: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن . وقال آخرون: هي منسوبة إلى سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب .

(٤) الكرسف: القطن.

(٥) اخرجه البخاري في الجنائز باب الثياب البيض للكفن: ١٢٦٤ ، وانظر: ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٣٨٧ ، ومسلم في الجنائز باب ما جاء في كفن الميت: ٩٤١ ، وأبو داود في الجنائز باب في الكفن: ٣١٥١ ـ ٣١٥٢ الترمذي في الجنائز باب ما جاء في كفن النبي: ٩٩٦ ، والنسائي في الجنائز باب كفن النبي: ٤/٥٣ ، وابن ماجه في الجنائز باب ماجاء في كفن النبي: ١٤٦٩ ، وعبدالرزاق: ٦١٧١ ، وابن سعد: ٣/١/١٤٣ ، ومالك: ١/٢٢٣ ، الشافعي في الأم: ١/٢٦٦ ، وفي المسند: ص٣٥٦ والطيالسي: ١٤٥٣ ، والبيهقي: ٣/٣٩٩ ـ ٤٠٠ ، واحمد في المسند: ٦/٤٠، ٩٣ ، ١١٨ ، ١٣٢ ، ١٦٥ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٣١ ، ٢٦٤ ، من طرق عن عائشة .

٢٨ـ كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم:

٩١١ـ من حديث سالم بن عبيد رضي الله عنه قال: « أغمي علي رسول الله ﷺ في مرضه فأفاق ، فقال: (حضرت الصلاة ؟) . فقالوا: نعم . فقال: (مروا بلالاً فليؤذن ، ومروا أبا بكر أن يصلي بالناس) أو قال: (الناس) .

قال: ثم أغمي عليه فأفاق فقال: (حضرت الصلاة ؟) » فقالوا: نعم ، فقال: (مروا بلالاً فليؤذن ، ومروا أبا بكر فليصل بالناس) . فقالت عائشة: إن أبي رجل أسيف ، إذا قام ذلك المقام بكى فلا يستطيع ، فلو أمرت غيره .

قال: ثم أغمي عليه فأفاق ، فقال: (مروا بلالاً فليؤذن ، مروا أبا بكر فليصل بالناس ، فإنكن صواحب أو صواحبات يوسف) . قال فأمر بلالٌ فأذّن ، وأمر أبو بكر فصلى بالناس ، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفة ، فقال: (انظروا لي من أتكيء عليه) فجاءت بريرة ورجل آخر فاتكأ عليهما ، فلما رآه أبو بكر ذهب لينكص فأومأ إليه أن يثبت مكانه ، حتى قضى أبو بكر صلاته .

ثم إن رسول الله ﷺ قبض . فقال عمر: والله لا أسمع أحداً يذكر أن رسول الله ﷺ قبض إلا ضربته بسيفي هذا . قال: وكان الناس أميين لم يكن فيهم نبي قبله . فأمسك الناس ، فقالوا: يا سالم انطلق إلى صاحب رسول الله ﷺ فادعه ، فأتيت أبا بكر وهو في المسجد ، فأتيته أبكي دهشاً .

فلما رآني قال لي : أقبض رسول الله ﷺ ؟ قلت: إن عمر يقول: لا أسمع أحداً يذكر رسول الله ﷺ قبض إلا ضربته بسيفي هذا ! فقال لي: انطلق . فانطلقت معه ، فجاء والناس قد دخلوا على رسول الله ﷺ ، فقال: يا أيها الناس أفرجوا لي . فأفرجوا له ، فجاء حتى أكب عليه ، ومسه ، فقال: ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون** ﴾ [1] ، ثم قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أقبض رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم، فعلموا أن قد صدق .

قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ: أيصلى على رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم ، قالوا: وكيف ؟ قال: يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ، ثم يخرجون ، ثم يدخل قوم فيكبرون ويصلون ويدعون ، ثم يخرجون ، حتى يدخل الناس ،

---

(١) الزمر: آية: ٣٠ .

قالوا: يا صاحب رسول الله ! يدفن رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم . قالوا: أين ؟ قال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه ، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب . فعلموا أن قد صدق .

ثم أمرهم أن يغسله بنو أبيه ، واجتمع المهاجرين يتشاورون ، فقالوا: انطلق بنا إلى إخواننا من الأنصار ندخلهم معنا في هذا الأمر ، فقالت الأنصار: منا أمير، ومنكم أمير ، فقال عمر بن الخطاب: من له مثل هذه الثلاثة ﴿ ثاني ثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ﴾ من هما ؟ قال: ثم بسط يده فبايعه ، وبايعه الناس بيعة حسنة جميلة »[(١)] .

٢٩ـ اختيار اللحد لدفنه صلى الله عليه وسلم:

٩١٢ـ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال في مرضه الذي هلك فيه: « الحدوا لي لحداً ، وانصبوا عليَّ اللبن نصباً ، كما صنع برسول الله ﷺ»[(٢)] .

٩١٣ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما مات رسول الله ﷺ اختلفوا في اللحد والشق ، حتى تكلموا في ذلك . وارتفعت أصواتهم .

فقال عمر: لا تصخبوا عند رسول الله ﷺ حياً ولا ميتاً. أو كلمة نحوها . فأرسلوا إلى الشقاق واللاحد. فجاء اللاحد ، فلحد لرسول الله ﷺ. ثم دفن ﷺ »[(٣)] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه في الصلاة باب صلاة رسول الله في مرضه: ١٢٣٤ ، مقتصراً على بعضه ، وأخرجه بطوله الترمذي في الشمائل: ٣٧٨ ، والطبراني في المعجم الكبير: ٦٣٦٧ ، وقال البوصيري في الزوائد: ٤٠٦/١ ، هذا إسناد صحيح رجاله ثقات ، وأخرجه النسائي في وفاة النبي: ٤٢ وقال الهيثمي في المجمع: ١٨٣/٥: روى ابن ماجه بعضه ورواه الطبراني ورجاله ثقات وأخرجه ابن سعد في الطبقات : ٢٧٥/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٥٩/٧ .

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز باب في اللحد ونصب اللبن على الميت: ٩٦٦ ، والنسائي في الجنائز باب اللحد والشق: ٨٠/٤ ، وابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في استحباب اللحد: ١٥٥٦ ، والطحاوي في مشكل الآثار: ٤٦/٤ .

(٣) أخرجه ابن ماجه في الجنائز باب ما جاء في الشق حديث رقم: ١٥٥٨ ، وقال البوصيري في الزوائد: ٥٠٧/١ ، إسناد صحيح ورجاله ثقات .

٣٠- مكان دفنه صلى الله عليه وسلم:

٩١٤- من حديث سالم بن عبيد رضي الله عنه « قالوا: يا صاحب رسول الله ﷺ أيدفن رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم . قالوا: أين ؟ قال: في المكان الذي قبض فيه روحه ، فإن الله لم يقبض روحه إلا في مكان طيب ... »[١] .

٩١٥- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « لما قبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه . فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً ما نسيته . قال: (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه) ادفنوه في موضع فراشه »[٢] .

٣١- من ولي دفنه ونزل في قبره صلى الله عليه وسلم:

٩١٦- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: « غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت ، فلم أر شيئاً ، وكان طيباً صلى الله عليه وآله وسلم حياً وميتاً ، ولي دفنه وإجنانه دون الناس أربعة: علي ، والعباس ، والفضل ، وصالح مولى رسول الله ﷺ ، ولحد رسول الله ﷺ لحداً ، ونصب عليه اللبن نصباً »[٣] .

٩١٧- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « دخل قبر رسول الله ﷺ العباس وعلي والفضل ،وشق لحده رجل من الأنصار ، وهو الذي يشق لحود قبور الشهداء »[٤] .

---

(١) سبق تخريجه حديث رقم: ٩١١ .

(٢) أخرجه الترمذي في الجنائز باب: ٣٣ ، حديث رقم: ١٠١٨ ، وفي الشمائل حديث رقم: ٣٧١ ، وقال الترمذي: هذا حديث غريب وعبدالرحمن بن أبي بكر يضعف من قبل حفظه » لكن الحديث صحيح لشواهده فقد جاء من حديث ابن عباس وأخرجه ابن ماجه: ١٦٢٨ ، والبيهقي: ٣/ ٤٠٧ ، وأحمد في المسند: ١/ ٢٦٠ ، وأبو يعلى: ٢٢، ٢٣ ، وفيه حسين بن عبدالله بن عبيدالله ابن عباس وهو ضعيف ، وحديث سالم بن عبيد الذي سبق تخريجه: ٩١١ .

(٣) سبق تخريجه حديث رقم: ٩٠٩ .

(٤) ابن الجارود في المنتقى حديث: ٥٤٧ ،وابن حبان كما في الموارد: ٢١٦١ ، والإحسان حديث: ٦٥٩٩، والبيهقي في دلائل النبوة: ٧/ ٢٥٤ ، وإسناده صحيح.

٣٢ـ ماذا فرش للرسول صلى الله عليه وسلم في قبره:

٩١٨ـ من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: « جعل في قبر رسول الله ﷺ قطيفة حمراء[١] »[٢] .

٩١٩ـ جاء من طريق محمد بن جعفر عن أبيه قال: « الذي ألحد قبر رسول الله ﷺ أبو طلحة ، والذي ألقى القطيفة تحته شقران مولى رسول الله ﷺ . قال جعفر: وأخبرني عبيدالله بن أبي رافع قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر »[٣] .

٣٣ـ متى دفن النبي صلى الله عليه وسلم:

٩٢٠ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « توفي رسول الله ﷺ يوم الإثنين ودفن ليلة الأربعاء »[٤] .

٣٤ـ آخر الناس عهداً برؤية النبي صلى الله عليه وسلم:

٩٢١ـ من حديث عبدالله بن الحارث قال: (اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر ، أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا: يا أبا حسن جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال: أظن المغيره بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ . قالوا: أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ، قال:

---

(١) القطيفة: كساء له خمل .

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز باب جعل القطيفة في القبر: ٩٦٧ ، والترمذي في الجنائز باب ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر: ١٠٤٨ ، والنسائي في الجنائز باب وضع الثوب في اللحد : ٤/ ٨١ ، وابن أبي شيبة في المصنف: ٣/٣٣٦ ، وابن حبان في الإحسان: ٦٥٩٣ ، وأحمد في المسند: ١/٢٢٨ ، ٣٥٥ ،وابن الجارود في المنتقى حديث رقم: ٥٤٩ .

(٣) أخرجه الترمذي في الجنائز باب ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر: ١٠٤٧ ، وقال حسن غريب .

(٤) رواه أحمد في المسند انظر الفتح الرباني: ٢١/٢٥٧ ، وانظر السيرة النبوية لابن كثير: ٤/٥٣٩ حيث عزاه للإمام أحمد وقال: وقد تقدم مثله في غير ما حديث . وهو الذي نص عليه غير واحد من الأئمة سلفاً وخلفاً ، منهم سليمان بن طرخان التيمي ، وجعفر بن محمد الصادق ، وابن إسحاق ، وموسى بن عقبة وغيرهم .

أحدث الناس عهداً برسول الله ﷺ قثم بن عباس »[1] .

٣٥ـ قول فاطمة لأنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله التراب:

٩٢٢ـ من حديث أنس رضي الله عنه قال: « لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أباه ، فقال لها: (ليس على أبيك كرب بعد اليوم) ، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس ، أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب »[2].

٣٦ـ آثار وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة:

٩٢٣ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء ، فلما كان اليوم الذي مات فيه النبي ﷺ أظلم منها كل شيء ، وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي ـ إنا لفي دفنه ـ حتى أنكرنا قلوبنا »[3] .

٩٢٤ـ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: « ذهب رسول الله ﷺ إلى أم أيمن زائراً ، وذهبت معه ، فقربت إليه شراباً ، فإما كان صائماً ، وإما كان لا يريده ، فرده فأقبلت على رسول الله ﷺ بصاحبه ، فقال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها ، فلما انتهينا إليها ، بكت ، فقال لها: ما يبكيك ؟ ما عند الله خير لرسوله ، قالت: والله ما أبكي ، أن لا أكون أعلم ما عند الله خير لرسوله ، ولكن أبكي ، أن الوحي انقطع من السماء ، فهيجتهما على البكاء ، فجعلا يبكيان »[4] .

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ، انظر الفتح الرباني: ٢١/ ٢٥٤ـ٢٥٥ ، والطبري في تاريخه: ٣/ ٢٠٥ ، السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٦٦٤ـ ٦٦٥ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٧/ ٢٥٧ ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ،وسنده متصل ، وقال الساعاتي: الحديث صحيح ورجاله ثقات .

(٢) سبق تخريجه حديث رقم: ٨٧٧ .

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب باب رسول الله ﷺ خاتم النبيين: ٣٦٢٢ ، وفي الشمائل برقم: ٣٧٤ ، وابن ماجه في الجنائز باب ذكر وفاته ودفنه: ١٦٣١ ، وابن حبان كما في الموارد: ٢١٦٢ ، والدارمي في المقدمة باب في وفاة النبي ﷺ: ١/ ٤١ ، والحاكم في المستدرك: ٣/ ٥٧ ، وابن سعد: ٢/ ٢٧٤ ، وأحمد في المسند: ٣/ ١٢٢ ، ٢٢١، ٢٤٠ ، ٢٦٨ ، ٢٨٧ .

(٤) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أم أيمن حديث رقم: ٢٤٥٤ ، وابن ماجه في الجنائز

٣٧ـ مقدار عمره صلى الله عليه وسلم حين مات:

٩٢٥ـ من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن رسول الله ﷺ قبض وهو ابن ثلاث وستين »[1] .

وقال الحافظ في الفتح: ٨/ ١٥١: والحاصل أن كل من روى عنه من الصحابة ما يخالف المشهور ـ وهو ثلاث وستون ـ جاء عنه المشهور ، وهم ابن عباس وعائشة وأنس ولم يختلف على معاوية أنه عاش ثلاثاً وستين ، وبه جزم سعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد ، وقال أحمد: وهو الثبت عندنا) .

وقال الحافظ ابن كثير في السيرة: ٤/ ٥١٥ « ورواية الجماعة عن ابن عباس في ثلاث وستين أصح ، فهم أوثق وأكثر ، وروايتهم توافق الرواية الصحيحة عن عروة عن عائشة ، وإحدى الروايتين عن أنس ، والرواية الصحيحة عن معاوية ، وهو قول سعيد بن المسيب وعامر الشعبي وأبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهم ، قلت: وعبدالله بن عقبة والقاسم بن عبدالرحمن ، والحسن البصري وعلي ابن الحسين وغير واحد » .

ولمن يريد المزيد فليراجع السيرة النبوية لابن كثير فقد فصل الروايات هناك وعرضها عرضاً جيداً .

٣٨ـ ميراث النبي صلى الله عليه وسلم:

٩٢٦ـ من حديث عائشة رضي الله عنها: « أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك . وما بقي من خمس خيبر .

فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا صدقة ، إنما

باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ: ١٦٣٥ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٧/ ٢٦٦ ، وابو يعلى: ٦٩ ، وابن سعد: ٨/ ٢٢٦ ، وابو نعيم في الحلية: ٢/ ٦٨ .

(١) أخرجه البخاري في المناقب باب وفاة النبي ﷺ: ٣٥٣٦ ، ومسلم في الفضائل باب كم سن النبي ﷺ يوم قبض: ٢٣٤٩ ، والترمذي في المناقب باب في سن النبي ﷺ وابن كم حين مات: ٣٦٥٥ ، وعبدالرزاق في المصنف: ٦٧٩١ ، وأحمد في المسند: ٦/ ٩٣ ، وقد جاء هذا الحديث من حديث ابن عباس واخرجه مسلم ٢٣٥١ ، والترمذي: ٢٦٥٣ ،والطيالسي: ٢/ ١١٥ ، رقم: ٢٣٩٧ ، ومن حديث أنس وقد اخرجه مسلم برقم: ٢٣٤٨ ، ومن حديث معاوية أخرجه مسلم: ٢٣٥٢ ،والترمذي في المناقب باب في سن النبي: ٣٦٥٣ ، والنسائي في وفاة النبي: ٣٨ .

يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال) وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ﷺ عن حالها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ، ولأعملن فيها ، بما عمل به رسول الله ﷺ .

فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً ، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك، قال: فهجرته . فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد رسول الله ﷺ ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلاً ، ولم يؤذن بها أبا بكر ، وصلى عليها علي ، وكان لعلي من الناس وجهة حياة فاطمة ، فلما توفيت استنكر علي وجوه الناس ، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته ، ولم يكن بايع تلك الأشهر فأرسل إلى أبي بكر: أن ائتنا . ولا يأتنا معك أحد (كراهية محضر عمر بن الخطاب) فقال عمر لأبي بكر: والله ! لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي ، إني والله لآتينهم . فدخل عليهم أبو بكر . فتشهد علي بن أبي طالب . ثم قال: إنا قد عرفنا يا أبا بكر ! فضيلتك وما أعطاك الله . ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك . ولكنك استبددت علينا بالأمر . وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول الله ﷺ . فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر .

فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسي بيده ! لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي . وأما الذي شجر بيني وبينك من هذه الأموال ، فإني لم آل فيها عن الحق . ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته . فقال علي لأبي بكر: موعدك العشية للبيعة . وعذره بالذي اعتذر إليه ،ثم استغفر. وتشهد علي بن أبي طالب فعظم حق أبي بكر ، وأنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر ، ولا إنكاراً للذي فضله الله به . ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً ، فاستبد علينا به ، فوجدنا في أنفسنا ، فسر المسلمون ، وقالوا: أصبت ، فكان المسلمون إلى علي قريباً. حين راجع الأمر المعروف »[1].

٩٢٧ـ من حديث مالك بن أوس قال: « أرسل إليّ عمر بن الخطاب ، فجئته

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة باب غزوة خيبر: ٣٧١١ ، والمغازي باب غزوة خيبر: ٤٢٤٠ رقم: ٣٠٩٢ ، مسلم في الجهاد باب قول النبي: لا نورث ما تركنا فهو صدقه: ١٧٥٩ ، وأحمد في المسند: ٦/١ ، ٩ .

حين تعالى النهار [1] قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير ، مفضياً إلى رماله[2] متكئاً على وسادة من أدم . فقال لي: يا مال[3] إنه قد دف أهل أبيات من قومك [4]، وقد أمرت فيهم برضخ [5] فخذه فاقسمة بينهم . قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري؟ قال: خذه يا مالُ !

قال: فجاء يرفأ [6]فقال: هل لك يا أمير المؤمنين في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد ؟ فقال عمر: نعم . فأذن لهم ، فدخلوا ، ثم جاء فقال: هل لك في عباس وعليٍّ ؟ قال: نعم . فأذن لهما .

فقال عباس: يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الكذاب الأثم الغادر الخائن ، فقال القوم: أجل . يا أمير المؤمنين ! فاقض بينهم وارحهم . (فقال مالك بن أوس: يخيل إلي أنهم قد كانوا قدموهم لذلك) .

فقال عمر: اتئدا . أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمون أن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركنا صدقة) قالوا: نعم. ثم أقبل على العباس وعلي فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمان أن رسول الله ﷺ قال: (لا نورث ما تركناه صدقة) قالا: نعم .

فقال عمر: إن ـ الله عز وجل ـ كان خص رسوله ﷺ بخاصته لم يخصص بها أحد غيره . قال: ﴿ **ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول** ﴾ [7] (ما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا) قال: فقسم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير ، فوالله ما استأثر عليكم ، ولا أخذها دونكم ، حتى بقي هذا المال ، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة . ثم يجعل ما بقي أسوة المال . ثم قال: أنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض ! أتعلمون ذلك ؟ قالوا:

---

(١) تعالى النهار: ارتفع .

(٢) مفضياً: ليس بينه وبين رماله شيء .

(٣) يا مال: ترخيم لمالك .

(٤) دف أهل أبيات: جاءوا مسرعين للضر الذي نزل بهم .

(٥) رضخ: عطية قليلة .

(٦) يرفأ: حاجب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٧) سورة الحشر: ٧.

نعم . ثم نشد عباساً وعلياً بمثل ما نشد به القوم: أتعلمان ذلك ؟ قالا: نعم .

قال: فلما توفي رسول الله قال أبو بكر: أنا ولي رسول الله ﷺ فجئتما ، تطلب ميراثاً من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها . فقال أبو بكر: قال رسول الله ﷺ (ما نورث . ما تركنا صدقة) فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق .

ثم توفي أبو بكر ، وأنا ولي رسول الله ﷺ وولي أبي بكر ، فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً ، والله يعلم إني لصادق بار راشد تابع للحق فوليتها. ثم جئتني أنت وهذا ، وأنتما جميع ، وأمركما واحد [1]: فقلتما: ادفعها إلينا . فقلت: إن شئت دفعتها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله ﷺ ، فأخذتماها بذلك . قال: أكذلك ؟ قالا: نعم . قال ثم جئتماني لأقضي بينكما . ولا والله ! لا أقضي بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة، فإن عجزتما عنها فرداها إلي [2] .

هذا آخر ما تيسر جمعه من صحيح مرويات سيرته عليه الصلاة والسلام من كتب السنة المشرفة ، أسأل الله العلي العظيم أن ينفع بسيرته عباده ، وأن يجعل ذلك في ميزان أعمالي يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وآخر دعوانا أن الحمدلله رب العالمين .

كتبه: إبراهيم محمد العلي

---

(١) وأنتما جميع وأمركما واحد: أي متحد غير متنازع ، وأمركما أي مطلوبكما واحد . وهو دفعي إياها إليكما .

(٢) أخرجه البخاري في الخمس باب فرض الخمس: ٣٠٩٤ ، والفرائض باب قول النبي لا نورث ما تركنا صدقة: ٦٧٢٨ ، مسلم في الجهاد باب حكم الفيء: ١٧٥٧ ، وأبو داود في الخراج والإمارة باب في تدوين العطاء: ٢٩٦٣ ، ٢٩٦٤ ، ٢٩٦٥ ، والترمذي في السير باب ما جاء في تركة رسول الله ﷺ: ١٦١٠ ، والنسائي في الفيء: ٧/ ١٣٥ـ ١٣٧ ، والحميدي برقم: ٢٢، وأحمد في المسند: ١/ ٤٧ ، ٤٨، ٤٩ ، ٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٩١ ، ٢٠٨ .

الفهرس